المؤتمر الدولي القرآني الأول :

توظيف الدراسات القرآنيه في علاج المشكلات المعاصرة

المجلد الثاني

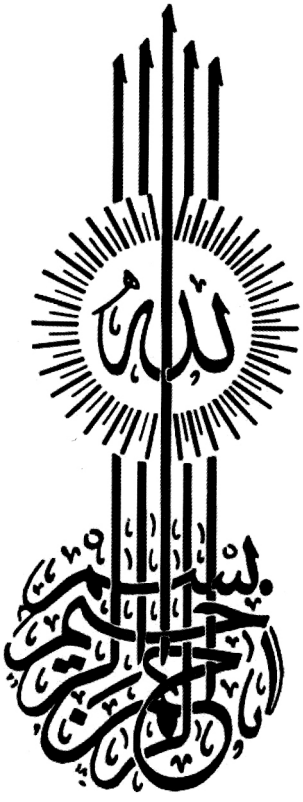
بسم الله الرحمن الرحيم

مفرح بن سليمان بن عبدالله القوسي

- **الجنسية :** سعودي .
- **الدرجة العلمية :** أستاذ دكتور .
- **التخصص العلمي العام :** شريعة .
- **التخصص العلمي الدقيق :** ثقافة إسلامية .
- **العمل وجهته :** عضو هيئة التدريس بقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الخبرات والمشاركات العلمية :

١. عمل أكثر من ثلاثين عاماً بالعمل الأكاديمي وإلقاء المحاضرات على طلاب وطالبات كليات الجامعة ، في مرحلة الدراسة الجامعية ، ومرحلة الدراسات العليا .
٢. أسهم في إعداد مخططات رسائل الماجستير والدكتوراه في تخصص الثقافة الإسلامية .
٣. أشرف على إعداد الكثير من البحوث العلمية في المرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا .
٤. شارك في مناقشة وتحكيم بحوث علمية مختلفة .
٥. تقلّد مناصب علمية عديدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
٦. عمل عضواً في مجلس علمية عديدة ، منها : مجلس قسم الثقافة الإسلامية منذ العام الجامعي ٢٠٠٢ / ٢٠٠١م . ومجلس وحدة بحوث كلية الشريعة بالرياض منذ العام الجامعي ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧م . ومجلس لجنة الاستشارات البحثية بالجامعة منذ العام الجامعي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ م . ومجلس الهيئة العلمية لكرسي اليونيسكو للحوار بين أتباع الأديان والثقافات منذ العام الجامعي ٢١٠٣ م .
٧. شارك في الكثير من الندوات والمؤتمرات العلمية ، داخل السعودية وخارجها .

العنف الأسري وسُبُل علاجه في ضوء القرآن الكريم

بحث علمي مقدم إلى المؤتمر الدولي القرآني
(توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة)
الذي ينظمه قسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة وأصول الدين
بجامعة الملك خالد بأبها

إعداد
أ.د. مفرح بن سليمان القوسي
أستاذ الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فيتسم عصرنا الحاضر بكثرة التحولات الحضارية المتلاحقة وسرعتها ، مادية كانت هذه التحولات أم معنوية ، وترتب على هذه التحولات تغيرات سريعة في نفوس الناس وطباعهم ومواقفهم مما يدور حولهم وعلاقاتهم فيما بينهم ، أفرزت ظواهر سلبية في المجتمعات الإنسانية .

ومن هذه الظواهر السلبية : ظاهرة (العنف الأسري) التي تتكشف سواءتها يوماً بعد يوم في السجون والمحاكم ووسائل الإعلام ، مما حفّز بعض الباحثين على التأمل فيها والسعي لبحثها ، ومحاولة الإصلاح في مجالها .

ويأتي هذا البحث الموجز إسهاماً مني – بوصفي أحد الباحثين الأكاديميين المختصين بالدراسات الإسلامية – في دراسة هذه الظاهرة ، والمشاركة بها في المؤتمر الدولي (توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة) الذي ينظمه قسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد بأبها .

أهداف البحث :

تسليط الضوء على مشكلة العنف الأسري في المجتمع المسلم ، من خلال دراسة أنواع هذا العنف ، وبيان خطورته ، وكشف أسبابه .

الإسهام في التفعيل العملي لهداية كتاب الله في علاج مشكلة العنف الأسري في المجتمع المسلم .

الإسهام في ربط المسلمين بالقرآن الكريم مصدر تلقيهم ، وسبيل نجاتهم وطريق عزهم وسعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة .

خطة البحث :

يتكون البحث من : مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين ، وخاتمة .

- **المقدمة :** وتشتمل بيان أهمية موضوع البحث ، وأهدافه ، وخطته ، ومنهجه .
- **التمهيد :** ويشتمل على التعريف بمصطلحات البحث الأساسية .
- **المبحث الأول :** ويشتمل على بيان أنواع العنف الأسري وأسبابه .
- **المبحث الثاني :** ويشتمل على بيان سُبل علاج العنف الأسري في ضوء القرآن الكريم.
- **الخاتمة :** وتشتمل على أبرز النتائج العلمية للبحث ، والتوصيات والمقترحات .
- وسأذيل البحث – إن شاء الله – بفهرس للمصادر والمراجع .

منهج البحث :

تقتضي طبيعة البحث اتباع منهجين اثنين في إعداده :

أحدهما : المنهج الوصفي التحليلي ، وذلك بوصف أنواع العنف الأسري ، وتحليل أسبابه.

الثاني: المنهج الاستنباطي ، وذلك باستنباط سُبل علاج العنف الأسري مما ورد بشأنها من نصوص شرعية في كتاب الله .

مع العناية بما يقتضيه البحث العلمي من التزام الأمانة العلمية في العزو والاقتباس والنقل ، وترقيم الآيات القرآنية وبيان سورها ، وتخريج الأحاديث النبوية ، والعناية بقواعد اللغة العربية والإملاء وعلامات الترقيم .

والله أسأل التوفيق والسداد والرشاد .

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

لدينا في البحث – بحسب عنوانه – مصطلحات عدة ،هي:(العنف) ، و(الأسرة) ، و(العنف الأسري) ، و(سُبُل العلاج) ، و(القرآن الكريم) . أُعرف بكل منها فيما يلي :

أولاً : العنف :

العنف في اللغة العربية : الخُرْق بالأمر وقلة الرفق به ، وهو ضد الرفق ، يُقال : عَنُفَ به وعليه يَعْنُفُ عُنْفاً وعَنَافةً وأَعْنَفَهُ وعَنَّفَهُ تَعْنِيفاً وهو عَنِيفٌ ، إذا لم يكن رفيقاً في أمره . واعْتَنَف الأَمرَ : أَخذه بِعُنْفٍ[1].

والعنف في الاصطلاح : استخدام القوة المادية أو المعنوية لإلحاق الأذى بالآخرين استخداماً غير مشروع ، وقيل هو : " الاستخدام الفعلي للقوة أو التهديد لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص والإتلاف للممتلكات "[2] .

ثانياً : الأسرة :

الأسرة في اللغة العربية : الدرع الحصينة ، وجمعها أُسر [3] .

وهي في الاصطلاح : عشيرة الإنسان ورهطه الأدنون ، لأنه يتقوّى بهم .

ويُراد بها هنا مفهومها في الإسلام الذي يشمل : الزوجين والأولاد وفروعهم ، كما يشمل الأصول من الآباء والأمهات ، ويدخل فيهم الأجداد والجدات [4] .

ثالثاً : العنف الأسري :

عرّف الباحثون العنف الأسري بتعريفات كثيرة ، منها :

أنه " الاعتداء أو الإساءة الحسية أو المعنوية أو الجنسية أو البدنية أو النفسية التي تحدث من أحد أفراد الأسرة تجاه فرد آخر منها "[5] .

---

(١) انظر : لسان العرب – لابن منظور ، مادة (عنف) .

(٢) العنف في مواقف الحياة اليومية : نطاقات وتفاعلات – لمحمود سعيد الخولي ، ص ٤١ .

(٣) انظر : لسان العرب – لابن منظور ، مادة (أسر) .

(٤) انظر : تنظيم الإسلام للمجتمع – لمحمد أبو زهرة ، ص ٦٢ .

(٥) دور هيئة حقوق الإنسان في الحد من العنف الأسري بمنطقة الرياض – لسالم المطيري ، ص ١١ .

وأنه إحداث الأذى البدني والمعنوي بفرد من أفراد الأسرة [١] .

وأنــه أي اعتداء جسدي أو إيذاء معنوي أو نفسي أو جنسي أو اقتصادي يصدر عن أحد أعضاء الأسرة النواة تجاه عضو آخر منها ، أياً كانت دوافعه وأسبابه [٢] .

ويُعرّف شرعاً بأنه " ممارسة القوة أو الإكراه بطريقة متعمدة غير شرعية من قِبل فرد أو أكـثر مــن أفراد الأسرة ضد فرد أو أكثر من الأسرة ذاتها ، ويكون المجني عليه واقعاً تحت سيطرة الجاني وتأثيره مما يلحق به الهلاك أو الضرر والأذى "[٣] .

رابعاً : سُبُل العلاج :

السُبُـل كلمــة جمع مفردهــا (سبيل) ، والسبيــل في اللغة العربيــة : الطريق وما وضح منه ، ومنه قوله تعالى (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً) [٤][٥] .

والعِــلاجُ في اللغــة : المِرَاس والدِّفاع ، ويُقــال : عالج المريضَ مُعالجــة وعِلاجاً : عاناه . والمعالِجُ : المداوي ، سواءً عالج جَريحاً أو عَليلاً أو دابة [٦] .

وعليه يكون المراد بـ(سُبُل العلاج) هنا طُرُق مداواة ظاهرة العنف الأسري ومواجهتها.

خامساً : القرآن الكريم :

يراد بالقرآن الكريم هنا : " كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ ، المحفوظ بين دفتي المصحف ، المتعبد بتلاوته "[٧] .

(١) انظر : العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته في ضوء أحكام الفقه الإسلامي – للدكتور رشدي أبو زيد ، ص ٢٦ .
(٢) انظر : العنف الأسري رؤية سوسيولوجية – للدكتورة منال عباس ، ص ٢٧- ٢٨ .
(٣) العنف الأسري – لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة ، ص ٨ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٤٦ .
(٥) انظر : لسان العرب – لابن منظور ، مادة (سبل) .
(٦) انظر : المصدر السابق ، مادة (علج) .
(٧) مباحث في علوم القرآن – للشيخ مناع القطان ، ص ٢١ .

المبحث الأول

أنواع العنف الأسري وأسبابه

للعنـف الأسري أنواع عديدة وصور متنوعة ، كما أن لتنامي هذه الظاهرة في المجتمعات الإنسانية أسباباً وعوامل كثيرة .

وسأتناول هذه الأنواع وتلك الأسباب بالبحث والدراسة في الفقرتين التاليتين :

أولاً : أنواع العنف الأسري :

يتجلى العنف الأسري في أنواع وصور ومظاهر متعددة ، تعاني منها كثير من الأسر المعاصرة ، ولعل أبرز هذه الأنواع ما يلي :

العنف الجسدي :

وهو استخدام القوة الجسدية غير المشروعة تجاه أفراد الأسرة ، لإيذائهم وإلحاق أضرار جسيمة بهم ، ولذلك صور عديدة ، منها : الضرب المبرح ، والصفع ، وشد الشعر ، والعض ، والخنق ، والحرق ، والدهس ، والحبس ، وربما يمتد إلى سلوكيات أكثر عنفاً ، كالضرب بأدوات صلبة أو حادة ، واستخدام الأسلحة النارية .

ومنها : ما يُسمى جريمة الشرف وهي" الجريمة التي تذهب ضحيتها إمرأة ، متزوجة أو عزباء ، بسبب انحرافها الذي يمكن أن يكون واقعياً أو مفترضاً ، ويرتكبها عادة أخ أو أب أو ابن أو عم أو ابن عم المنحرفة ، زاعماً إنقاذ شرف العائلة "[1] .

ومنها : ختان الإناث ، وهو : اعتياد كثير من الأسر البدائية في العديد من البلدان الإسلامية استئصال بعض أو كافة الأعضاء الظاهرة الحساسة من الجهاز التناسلي للفتيات الصغيرات .

(١) جرائم الشرف في لبنان : دراسة حقوقية اجتماعية – لمنى زحيل يعقوب ، ص ١.

ويمكن تصنيف العنف الجسدي – بحسب آثاره السلبية – إلى ثلاثة أنواع :

نوع مؤذي : وهو الذي يترك علامات على جسم المعنّف ، كالكدمات حول العين والأنف والفم أو اليدين أو أي مكان آخر بالجسم .

ونوع خطر : وهو الذي ينتج عنه إصابات خطيرة ، كالعمى ، وفقدان السمع ، والكسور في الأطراف ، والحروق الشديدة ، وإصابات الرأس .

ونوع قاتل : وهو يؤدي إلى فقدان المعنّف لحياته ، نتيجة للشدة والقسوة في المعاملة[1] .

وقد كشف مركز رؤية للدراسات الاجتماعية في أحدث دراسة ميدانية غطت كافة مناطق المملكة عن مدى انتشار أشكال العنف الجسدي في المجتمع السعودي ، فقد رأى ٤٤٪ من عينة الدراسة أن الضرب باليد أو الرفس هو أكثر أشكال العنف الجسدي انتشاراً بالمملكة ، يليه الدفع والرمي على الأرض بنسبة ٣٧٪ ، ثم شد الشعر بنسبة ٣٤٪ ، وبعده الجلد بالعقال أو السلك أو السوط أو العصا بنسبة ٣٢٪ ، وبعده استخدام آلة حادة كالسكين بنسبة ٣١٪ ، ويأتي بعده الكي والحرق بالنار بنسبة ٣٠٪ ، وأخيراً سكب مادة حارقة على الجسم بنسبة ٢٨٪ [2] .

العنف الجنسي :

وهو أحد أبرز أنواع العنف الحسي الذي يمارس مع أحد أفراد الأسرة على سبيل السيطرة واستخدام القوة .

ولهذا النوع صور عديدة ، منها : ممارسة الجنس مع الزوجة بأساليب محرمة شرعاً ، واغتصاب النساء المحارم ، وممارسة الجنس والشذوذ الجنسي بكل أشكاله مع الأطفال والناشئة من الجنسين ، وكذا التحرش الجنسي بهم أو بأحدهم .

وغالباً ما تظهر أعراض جسمية وسلوكية ونفسية على الأطفال والناشئة لهذا النوع من العنف ، أما الأعراض الجسمية فأبرزها : إحساس المعنّف جنسياً بصعوبة في المشي

(١) انظر : العنف بريشة الأطفال – للأمانة العامة للجنة الوطنية للطفولة بوزارة التربية والتعليم السعودية ، ص ٢٠ .
(٢) انظر : العنف الأسري بين المواجهة والتستر – لمركز رؤية للدراسات الاجتماعية ، ص ١٥٧ – ١٥٨ .

والجلوس ، والشعور بالألم والحكة الشديدة في الأعضاء التناسلية ، والإصابة بالأمراض التناسلية [١] .

وأما الأعراض السلوكية والنفسية فأبرزها : الشعور بالخوف والقلق الشديد ، والحزن والإحباط والاكتئاب ، والرهاب الاجتماعي ، والوسواس القهري ، وتدني المستوى الدراسي ، ومص الأصابع ، والتبول الليلي ، وفقدان الثقة بالآخرين ، وتقلّب المزاج ، وثورات الغضب غير المبررة ، والميل إلى السلوك العدواني .

العنف اللفظي :

وهو التلفظ بالكلمات والألفاظ المسيئة والعبارات البذيئة ، كعبارات الاستهزاء والسخرية ، والسب والشتم ، والإزدراء والتحقير ، والتوبيخ ، والتهديد والتخويف والترهيب .

وكثيراً ما يحصل هذا النوع من الوالدين أو الأقارب المحيطين بالأشخاص المعنّفين ، مما يُسهم في غرس صفات الحقد والكراهية وينمّي السلوك العدواني في نفوسهم ، فقد أثبتت الدراسات العلمية بأن ما يقرب من ٨٥٪ من الصراعات الطلابية ترجع إلى أساليب التحقير والسخرية والتنشئة المنزلية غير السوية [٢] .

وكشف مركز رؤية للدراسات الاجتماعية – في أحدث دراسة ميدانية غطت معظم مناطق المملكة – عن أن أشد صور العنف اللفظي انتشاراً في المجتمع السعودي تتمثّل في التوبيخ الشديد ، يليه الاستهزاء والتحقير ، ثم السب والشتم واللعن كسب الوالدين والأقارب ، ثم تهديد الزوجة بالطلاق ، ثم التلفظ بالكلمات النابية أمام الآخرين [٣] .

وغالباً ما يُمارس هذا النوع من العنف ضد الأطفال والزوجات ، فهم أكثر ضحاياه عدداً .

(١) انظر : العنف الأسري جاهلية العصر – لعامر باشماخ ، ص ٤١-٤٢ .

(٢) انظر: العنف اللفظي مرفوض في ديننا الإسلامي ، وهو مقال منشور في مجلة (وزارة الشؤون الاجتماعية القطرية) ، في العدد الصادر عام ٢٠١٣م ، ص ٢٨ .

(٣) راجع : العنف الأسري بين المواجهة والتستر – لمركز رؤية للدراسات الاجتماعية ، ص ١٦١ .

العنف النفسي :

ويُراد به أي فعل مؤذٍ لنفسية المعنّف ولعواطفه من دون أن يكون له أية آثار جسدية عليه، ولهذا النوع صور عديدة ، منها :

عضل الولي لمن جعل الله سبحانه الولاية الشرعية له عليهن ، كعضل الأب لبناته ، والأخ لأخواته ، والعم لبنات أخيه ، ومنعهن من الزواج بالأكفاء بدون وجه حق حتى يكبرن في السن فيبلغن سن العنوسة [1].

حرمان الزوجة من حقها الشرعي في زيارة أمها وأبيها وأخوتها وأخواتها وأقاربها من محارمها ، وفي تواصلها معهم .

إضرار الزوج بزوجته ، وذلك بهجرها وتركها معه معلقة ، ليست متزوجة كسائر الزوجات ، وليست مطلقة .

قمع الزوجة والأولاد ، وسلبهم حرياتهم في التعبير عن آرائهم ، وفي اختيار ما يرونه مناسباً لهم في حدود ما شرع الله ، كاختيار الأولاد ذكوراً وإناثاً نوعية التعليم الذي يرغبون فيه ، أو الوظيفة التي يريدونها ، وكإكراههم على الزواج بمن لا يرتضونه زوجاً وشريك حياة.

التفرقة الشديدة في تعامل الوالدين أو أحدهما مع الأولاد ، وتفضيل بعضهم على بعض بغير وجه حق في التربية وفي حسن التعامل ، وكذا في النفقة والهبة والعطية ، ولاسيما تفضيل الذكور من الأولاد على الإناث .

إهمال العناية بالمرضى والمسنين ، من حيث عدم تعهدهم بالتغذية السليمة والنظافة اللازمة في أبدانهم وملابسهم وفرشهم ، ومن حيث عدم تمكينهم من تناول علاجاتهم الضرورية في مواعيدها ، ومن حيث عدم المبالاة براحتهم وتأمين متطلباتهم المعيشية والطبية .

(١) وغالباً ما يكون سبب هذا العضل : طمع الولي في المرتب الشهري لموليته ، وتحيير البنت لابن عمها ، وهي عادة منتشرة في وقتنا الحاضر لدى الكثير من القبائل في الجزيرة العربية .

إيداع الأولاد آباءهم المسنين في دور العجزة والمسنين ، وهي ما تسمى بـ(دور الرعاية الاجتماعية) .

العنف المالي :

ويراد به قيام أحد أفراد الأسرة بإيذائها أو إيذاء أحد أفرادها أو التضييق عليهم في الجانب المالي ، ولهذا النوع من العنف صور عديدة ، منها :

١. القيام بالسرقة أو الاحتيال والاستيلاء على مال الطرف الآخر بغير حق ، كاستيلاء الزوجة على مال زوجته ومرتباتها الشهرية ، وفرض الوصاية عليها في إدارة أموالها وأملاكها وسلبها حق حرية التصرف فيها .

٢. وبخل ولي أمر الأسرة وتقتيره في الإنفاق عليها وتقصيره الشديد في تلبية حاجاتها الضرورية .

٣. وقيام الأبناء ولاسيما المراهقين منهم بتخريب ممتلكات أهاليهم أو حرقها وإتلافها.

٤. واستغلال كبار السن من الآباء والأقارب والتحايل عليهم لسلب أموالهم وممتلكاتهم ، وكالحجر عليهم بحجة عدم أهليتهم العقلية على إدارة أموالهم ، وكالتحايل عليهم في توقيع مستندات ومبايعات ووكالات لايعلم هؤلاء المسنين مضامينها ، أو إجبارهم على التوقيع عليها .

ثانياً : أسباب العنف الأسري :

للعنف الأسري في المجتمعات الإسلامية أسباب كثيرة متداخلة وعوامل متنوعة ، وعند تأملي في هذه الأسباب والعوامل تبين لي أنه يمكن تصنيفها في خمسة عوامل رئيسة ، هي ما يلي :

١- أسباب مرتبطة بمستوى التدين لدى مرتكبي العنف :

وتتمثل هذه الأسباب في : ضعف الدين ، وقلة الورع ، والبعد عن الله ، وعدم الخوف منه سبحانه ومن عقابه في العاجل والآجل عند مرتكبي العنف بأنواعه المتعددة ، والتحلل من الضوابط الشرعية والقيمية التي يجب على كل مسلم الالتزام بها في تعامله مع الآخرين

داخل محيط الأسرة وخارجها . ولا شك أنه لو قوي مستوى التدين عند مرتكبي العنف ، واستشعروا مراقبة الله له في كل أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم ، وأيقنوا بأنه محاسبين عليها يوم القيامة حساباً عسيراً ، لأقلعوا تماماً عند ممارسة العنف مع الآخرين أياً كانت درجة قرابتهم معهم .

كما تتمثل في الجهل أحياناً بالحقوق التي شرعها الإسلام للآخرين ، وكذا الفهم الخاطئ للدين ، والخلط بين تعاليم الدين الحنيف وعادات وتقاليد جاهلية ليس لها أي أساس شرعي صحيح ، كحرمان المرأة من الميراث ، وحرمانها من الزواج رغبة في مالها أو راتبها أو خدماتها ، كالنظرة الدونية للمرأة وما يسمى بجرائم الشرف في بعض الدول العربية والإسلامية ، وكفهم سلطة القوامة فهماً خاطئاً ، والظن بأنها تعني التسلط وفرض الرأي ولو كان مجانباً للصواب ، وكفهم جواز ضرب المرأة الذي أباحه الإسلام للتأديب في حالات خاصة لها شروطها وضوابطها فهماً خاطئاً ، وكفهم ولاية الأب على أولاده فهماً خاطئاً ، والظن بأنها ولاية تسلط وقهر واستبداد ، وغير ذلك من المفاهيم الخاطئة عن معنى الرجولة والقوامة والولاية مما يُسمع ويُقرأ بين الفينة والأخرى من الأمور والممارسات التي تُعد من أوضح صور العنف الأسري .

٢- أسباب ثقافية وإعلامية :

وتتمثل هذه الأسباب في : الغزو الثقافي الذي يشنه العالم الغربي منذ بداية العصر الحديث على العالم الإسلامي ، ذلك الغزو الذي استهدف مقومات الأمة الإسلامية وهويتها المميزة لها ، من عقيدة صحيحة ، وشريعة ربانية ، وقيم خلقية وأهداف حضارية مشتركة ، ولاسيما في ظل سيطرة العولمة المعاصرة وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة ، حيث أثر ذلك كله تأثيراً سلبياً على كثير من أبناء المسلمين من الجنسين ، ومن ذلك على سبيل المثال : ضعف الروابط والعلاقات الأسرية الحميمة ، وطغيان النفعية المادية في تلك العلاقات ، وطغيان الأثرة وحب الذات ، ومحاكاة الغرب في الانجذاب نحو اللهو الماجن ، والانحلال الأخلاقي ، وانتشار الفوضى في العلاقات بين الجنسين ، وبالتالي إلى وقوع العنف اللفظي والجنسي بصوره المختلفة .

كما تتمثل في التأثير السلبي لوسائل الإعلام المرئية ، حيث سعت كثير من القنوات الفضائية إلى ترسيخ أنماط من السلوك العنيف وغير السوي في نفوس المشاهدين بطريق مباشر وغير مباشر ، من خلال عرض الأفلام والمسلسلات الطافحة بمشاهد القسوة والعنف وجرائم القتل والتعذيب ومشاهد التعري والعهر والخيانة ، والداعية إلى العصيان والتمرد على كل الضوابط الدينية والقانونية والأخلاقية والعادات والأعراف المجتمعية .

وقد دلت الأبحاث على وجود علاقة بين ارتفاع نسبة الجريمة وبين العنف التلفازي ، وقد نشرت منظمة (الائتلاف الدولي ضد العنف التلفازي) بحثاً استغرق إجراؤه اثنين وعشرين عاماً ، أظهر الأثر التراكمي للتلفاز الذي يمتد حتى عشرين سنة لتظهر نتائجه السلبية ، وأكّد البحث على أن " هناك علاقة مباشرة بين أفلام العنف التلفاز في الستينات وارتفاع الجريمة في السبعينات والثمانينات ، وقالت المنظمة : إن ما يتراوح بين ٢٥ بالمائة و٥٠ بالمائة من أعمال العنف في سائر العالم سببها العنف في التليفزيون والسينما "[١] .

٣- أسباب اجتماعية :

العوامل الاجتماعية تُعَدُّ من أهم العوامل المؤدية للعنف الأسري ، انطلاقاً من أن الأسرة في حد ذاتها نظام اجتماعي يقوم على مقومات أساسية ؛ منها : التفاعل الاجتماعي ، والود والرحمة ، كما أنها مؤسسة اجتماعية من أولى مهامها تخريج أجيال سوية وصالحة للمجتمع ، وهو ما أدى إلى اتفاق كافة الرؤى على أهمية النظر إلى العوامل الاجتماعية باعتبارها مسببات للعنف داخل الأسرة ، فمثلاً: إدمان الزوج أو أحد أفراد الأسرة على تعاطي المخدرات أو المسكرات يأتي في المرتبة الأولى ، فالكل يدرك أن الإدمان يؤدي إلى العنف ، وإلى انهيار العلاقات الأسرية والزوجية ، ورغم أن جميع المخدرات والخمور والمسكرات من المحرمات في الشريعة الإسلامية وتحاربها الأنظمة والقوانين إلا أن الأمر يحتاج لوقفة جادة ؛ إذ أن الأمر لم يَعُدْ تأثيراً سلبياً على المتعاطي فقط ، بل تعدَّى ذلك لينال من الأسرة ، ومن ثم من أمن المجتمع برمته ، فإدمان الزوج وما قد ينجم عنه من عنف غير مبرر تجاه الزوجة أو الأبناء يُجْهِز على أوتاد الأسر، وقد يشكِّل دعامة لأحطِّ أشكال العنف الأسري ، كالعنف الجنسي تجاه البنات ، فقد ذكر بعض الخبراء الذين أجريت معهم - مقابلات

(١) الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون – لمروان كجك ، ص١٢٩ .

وبصورة خاصة الأخصائيات الاجتماعيات والنفسيات- بدور الرعاية أنه نما إلى علمهن بعد تفاعلهن مع بعض الحالات المعنَّفة من الإناث وائتمانهن على أسرارهن أنهن (أي المعنَّفات) قد تعرضن بشكل أو بآخر إلى اعتداءات جنسية من ذويهن ، نتيجة لوقوع هؤلاء الأفراد تحت تأثير المخدرات أو الخمور ، وهو ما يؤكد على انتفاء العقل والإدراك . وقد أثبتت الدراسات على مستوى العالم الغربي والعربي كذلك أن من أبرز المسببات للعنف الأسري وأكثرها انتشاراً هو تعاطي الكحول والمخدرات [1].

وهناك مثال آخر من العوامل الاجتماعية المسببة للعنف ، وهو : عدم التوافق من البداية بين الزوج والزوجة ، والذي يترتب عليه – في الغالب - كثرة المشاحنات التي تبدأ عنفاً لفظياً ثم سرعان ما يتحول إلى أنواع أخرى من العنف ، حيث يؤكد الخبراء وخاصة المختصون منهم بالدراسات الاجتماعية أن عدم التوافق بين الزوجين لا يؤدي فقط إلى ضعف العلاقات الاجتماعية ، بل قد يصل إلى تعنيف بقية أفراد الأسرة من قبل الطرفين، فتسوء الأمور على كافة الأوجه ، وتضعف العلاقات ، وينهار الترابط الأسري ، فالفرد الذي يشعر بالإحباط سيعمد للسلوك العنيف والعدوانية إزاء شعوره بفقدان انتظام واستقرار أهم مناطق حياته على الإطلاق ، وأعني به (الزواج) ، ولعله من المعروف علمياً قيام الفرد المحبط - بسوء التوافق مع زوجه - بالتنفيس عن هذا الشعور السيِّئ بتنفيذ شحنات عدائية قوية تجاه الآخرين من حوله .

ومن العوامل الاجتماعية المسببة للعنف الأسري : أن من العادات والتقاليد الاجتماعية في كثير من المجتمعات المعاصرة الاعتقاد بأن تحقق رجولة رب الأسرة متوقف على مدى قدرته على السيطرة على أسرته وقيادتها بكل عنف وقسوة وقوة ، فإن استطاع ذلك فهو رجلٌ بحقٍ ، وإن لم يستطع فهو ساقط من عِداد الرجال .

ومن هذه العوامل أيضاً : انعدام أو ضعف وعي الوالدين أو أحدهما بكيفية تربية الأبناء وعدم إدراكهم للسُبُل المثلى في التعامل معهم ، بسبب تدني المستوى التعليمي لديهم ، أعني الوالدين .

(١) وذلك بحسب مقال منشور في جريدة (الوطن) السعودية ، في عددها الصادر يوم الأربعاء الموافق ٥ ربيع الآخر عام ١٤٢٧هـ .

ومن هذه العوامل كذلك : غياب ثقافة الحوار الأسري والتشاور بين أفراد الأسرة في كل ما يخصها من أمور معيشية .

٤- أسباب نفسية وتربوية :

تُعدّ الأسباب النفسية والتربوية من أهم العوامل في ظهور مشكلة العنف الأسري وأهمها ؛ ولذا احتلت هذه الظاهرة مكاناً بارزاً في دراسات وبحوث علماء النفس والتربية ، فأفردوا لها فصولاً في مؤلفاتهم ، وبالنظر في التحليلات الكمية لعينة دراسة مركز رؤية للدراسات الاجتماعية نجد أن العوامل النفسية والتربوية تحتل مرتبة متقدمة من بين العوامل المسببة للعنف الأسري ، ويأتي في مقدمة هذه العوامل النفسية والتربوية : اعتلال الصحة النفسية لدى أفراد الأسرة أو أحدها ، ووجود اضطرابات نفسية لديهم ، وانحرافات سلوكية وتربوية اكتسبوها منذ صغرهم في البيئات التي نشأوا فيها ، ويتمثّل ذلك في مظاهر وصور عديدة ، منها : افتقاد الثقة بالنفس ، وضعف الشخصية ، وعدم القدرة على تكوين علاقة ناجحة مع الآخرين ، والاكتئاب والقلق الشديد ، والشك في شريك الحياة .

كما أن التجارب القاسية وسوء المعاملة والمواقف العدوانية التي يتعرض الفرد لها خلال حياته منذ صغره لها بالغ الأثر في تكوين شخصية عدوانية لديه ، حيث تتراكم عنده تلك التجارب والمواقف مكونة عقد نفسية فيه ، تقوده إلى التشفي منها باللجوء إلى العنف في تعامله مع الآخرين من حوله ، ولاسيما داخل محيط الأسرة ، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الطفل الذي يتعرض للعنف إبان فترة طفولته يكون أكثر ميلاً إلى استخدام العنف من ذلك الطفل الذي لم يتعرض للعنف فترة طفولته ، وأكثر انحرافاً عن السلوك السوي وأكثر إقداماً على الإجرام . وهذا مؤشر لنقمة هذا الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه ولعدم المقدرة على التعامل معه .

ويضاف إلى ما تقدم تزايد الضغوط النفسية على الأسر المعاصرة وكثرة مشكلات الحياة ومصاعبها ، فلهذه بلا شك أثر ظاهر في تزايد ظاهرة العنف الأسري في كثير من الأسر في وقتنا الحاضر .

٥- أسباب اقتصادية :

تُعد العوامل الاقتصادية من أهم العوامل المؤدية للعنف الأسري في كافة المجتمعات وعلى اختلاف الثقافات ، فتدني المستوى الاقتصادي للأسرة ومعاناتها من الضغوط المعيشية بسبب البطالة والفقر وتراكم الديون مع العجز عن سدادها يدفع - في كثير من الأحيان - بعض أفرادها إلى العنف بأشكاله المتعددة لتفريغ شحنات معاناتهم السلبية هذه .

وعلى الرغم من أن بعض المجتمعات قد تُسْتَثْنَى من هذا التصور العام نظراً لارتفاع المستوى الاقتصادي لدى أغلب أفرادها ، إلا أنها لن تنجو من أثر هذه العوامل مهما ارتفع مستواها ، ولذا نجد أن العوامل الاقتصادية كان لهذا أثر كبير في العنف الأسري في المجتمع السعودي رغم ارتفاع المستوى الاقتصادي لكثير من أفراده ، وقد أخذتْ هذه العوامل أشكالاً مختلفة من بينها مثلاً : الإنفاق على إحدى الزوجات وإهمال الأخرى ، أو ضعف الإنفاق على زوجة واحدة ، أو تعطل الزوج عن العمل ، أو تكاسله ، أو بخله وتقصيره في الإنفاق على بقية أفراد الأسرة ، ومجرد شعور أحد أفراد الأسرة كالزوجة أو الأبناء بعدم إنفاق رب الأسرة عليهم رغم قدرته عليه سيستثير لديهم مشاعر الازدراء تجاهه ، مما يدفع لإثارته وتلفظه بعبارات قد تدفعه إلى سلوك عنيف تجاههم ، فهم يُدركون تماماً أن من مسؤوليات رب الأسرة شرعاً وعرفاً الإنفاق على أسرته ، ورعاية شؤونهم ، وعدم التعدِّي على أموال الزوجة والأبناء .

المبحث الثاني

سُبُل علاج العنف الأسري في ضوء القرآن الكريم

تضمن القرآن الكريم سُبُلاً كثيرة ومتعددة لعلاج ظاهرة العنف الأسري التي تعاني منها كثير من الأسر في مجتمعنا المعاصر ، ولعل أبرز هذه السُبُل ما يلي:

أولاً : اشتمال القرآن الكريم على العديد من التوجيهات الربانية العامة لبناء الأسرة بناءً سليماً ، فقد حظيت الأسرة في الإسلام بقسط وافر من العناية والاهتمام يتلاءم مع أهميتها في كيان المجتمع وأثرها في حياة الأمة ومستقبلها ، فقد شملها القرآن بتوجيهاته التربوية ، وحدد لها من قواعده التشريعية ما يكفل قيامها على أسس سليمة ويدعم كيانها ، ويوثق أواصر العلاقات بين أفرادها ، ويوفر لها الحماية من عوامل التحلل والفساد كي تؤدي رسالتها المهمة في إعداد الجيل الجديد وتربيته على القيم الفاضلة والمثل السامية .

وسواء كانت الحدود التي تعنيها كلمة (الأسرة) تقتصر على مفهومها القريب المنحصر في الزوجين والأولاد ، أو تمتد إلى أبعد من ذلك بحيث تشمل الوالدين والأقربين ، فإن القرآن الكريم – بنظامه المحكم – قد أحاطها في حدودها القريبة والبعيدة على السواء :

١. فقد جعل الإسلام الزواج الوسيلة الوحيدة لتكوين الأسرة المسلمة التي ترتبط فيها الحقوق والواجبات برباط ديني مقدس يشعر فيه الفرد بإنسانيته ويسمو به عن درك الحيوانية[١] . ولذا جاءت النصوص الشرعية حاثة عليه وداعية له ومرغبة فيه ، يقول تعالى : (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ) [٢] ، ويقول (فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ) [٣] .

---

(١) فإذا كانت الحيوانات ذكوراً وإناثاً تتلاقح حيثما اتفق ، والعلاقة بينهما على هذا النحو البهيمي ، فإن العلاقة بين الزوج وزوجته علاقة روحية معنوية أكثر منها علاقة جنسية ، وعن طريقها يتحقق السكن النفسي والمودة والرحمة المذكورة في قوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (سورة الروم ، الآية٢١) ، انظر : محمد أبو زهرة – تنظيم الإسلام للمجتمع ، ص٦٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٣ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٢٥ .

٢. وجعل الله سبحانه الزواج من آياته في خلقه ، فدل ذلك على أنه أمر له شأن عظيم، حيث يقول تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [١].

٣. كما جعله ميثاقاً غليظاً أي عهداً قوياً يجب على الإنسان أن يحافظ عليه ويفي بمقتضياته ويتصدى لما يتعرض له من عقبات[٢] ، حيث يقول تعالى : (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً ، وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً) [٣].

- وحدد القرآن الكريم مقاصد الشارع الحكيم من تكوين الأسرة ، وهي :

إكثار النسل وبقاء النوع الإنساني واستمراره على وجه الأرض للقيام بمهمة الخلافة فيها ، حيث يقول تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ) [٤] ، ويقول سبحانه : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً) [٥] .

توفير السكن والاستقرار النفسي ، ذلك أنه في جو الأسرة يجد الزوجان كل في رحاب الآخر مشاعر الإلفة والأنس والبهجة والهدوء والاستقرار والراحة النفسية ، إذ النفس ملول وبحاجة ماسة إلى من يؤنسها ويسري عنها ويطرد عنها الوحدة والوحشة . وهذه المطالب الضرورية لن يتم تحقيقها إلا عن طريق الزواج الذي هو سكن وطمأنينة للرجل والمرأة على السواء ، يقول تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) [٦] .

---

(١) سورة الروم ، الآية ٢١ .
(٢) انظر : بناء المجتمع الإسلامي ونظمه – للدكتور نبيل السمالوطي ، ص٧٥-٧٦ .
(٣) سورة النساء ، الآيتان ٢٠-٢١ .
(٤) سورة فاطر ، الآية ٣٩ .
(٥) سورة النساء ، الآية ١ .
(٦) سورة الروم ، الآية ٢١ .

٤- وامتازت أحكام الأسرة في القرآن الكريم بخصائص عديدة ، منها[١] :

أنها جاءت فيه مرتبطة بالعقيدة ارتباطاً عضوياً قوياً ، بل قامت على قاعدة الإيمان بالله وتقواه ، مما يدل على أن قداسة هذه الأحكام من قداسة أحكام العقيدة في الله ، ونرى مصداق ذلك في قوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) [٢] ، وقوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى) [٣] ، فارتباط أحكام الأسرة بالعقيدة في القرآن الكريم دليل على أن تشريعات الأسرة لابد أن تجيء ملتزمة بهذه العقيدة ، منبثقة من أحكامها ، مستهدية بروحها ، احتراماً للعقيدة نفسها وللأمة التي تؤمن بها .

أن هذه الأحكام جاءت في القرآن الكريم منبثقة من معين الفطرة وأصل الخلقة وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعاً وللمخلوقات كافة ، تبدو هذه الخاصية في قوله تعالى: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [٤] ، وفي قوله سبحانه : (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ) [٥][٦] .

ثانياً : فرْض القرآن الكريم لأعضاء الأسرة الواحدة حقوقاً وأمره بالقيام بها ، وفرْضه في الوقت نفسه عليهم واجبات وإلزامهم بأدائها ، سواء كان الأعضاء أزواجاً أو زوجات آباءً أو أبناء ، ومن ذلك على سبيل المثال :

---

(١) انظر : الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – لمحمود الجوهري ومحمد خيال ، ص١٧٢-١٧٤ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٢٣ . فالله عز وجل ألزم عباده هنا بأمرين قرنهما ببعض :
أحدهما : إخلاص العبادة له سبحانه (وهو حكم عقدي) .
والثاني : الإحسان إلى الوالدين (وهو حكم أسري) .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ ، ووجه الاستشهاد هنا أنه تعالى قرن الإحسان على ذوي القربى واليتامى والإنفاق عليهم بأركان الإيمان ، وأطلق عليها جميعاً صفة الإيمان والبر والتقوى ، ومعنى قوله : (وآتى المال على حبه) أي : أخرجه وهو محب له راغب فيه .

(٤) سورة الذاريات ، الآية ٤٩ .

(٥) سورة يس ، الآية ٣٦ .

(٦) فالإسلام حينما شرع الزواج جاء تشريعه هذا موافقاً لأصل الخلقة لكل الكائنات الحية ، وهو أنه سبحانه خلقها من زوجين اثنين (ذكر وأنثى) ، وجعل بين هذين الزوجين تمايلاً غريزياً فطرياً وحباً لقضاء الوطر ثم التكاثر .

أنه فرض على الأزواج معاشرة الزوجات بالمعروف ، فقال تعالى : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [١] ، وفرض لهن حق المهر الشرعي ، الذي يجب تعيينه وتسميته عند عقد النكاح ، حيث يقول تعالى: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) [٢] ، وفرض لهن حق المسكن الشرعي ، حيث يقول تعالى (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِنْ وُجْدِكُمْ) [٣] ، وفرض لهن أيضاً حق النفقة عليهن ، حيث يقول تعالى (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [٤] ، ويقول (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) [٥] ، كما فرض لهن حق العدل والإنصاف ، فيجب على الزوج أن يعدل مع زوجته ، وذلك بأن يعاملها بما يحب أن تعامله هي به ، حيث يقول تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [٦] ، وألا يؤذيها بالقول أو الفعل ، حيث يقول سبحانه (فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) [٧] .

أنه فرض للأبناء على آبائهم حق النسب الشرعي ، حيث يقول تعالى (ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) [٨] ، وفرض لهم حق الرضاع سنتين كاملتين ، حيث يقول تعالى (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) [٩] ، وكذا حق الإرث ، حيث يقول تعالى (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ) الآية [١٠].

أنه جعل للوالدين مكانة كبيرة وأهمية عظيمة ، وعُني بحقوقهما أشد عناية ، وحث الأبناء على القيام بها أحسن قيام ، كما قرن حقوقهما بحقوق الله تعالى من توحيده وإفراده بالعبادة ، وجعل الإحسان إليهما قضاءً وإلزاماً ، فقال عز وجل : (وَقَضَى رَبُّكَ

(١) سورة النساء ، الآية ١٩ .
(٢) سورة النساء ، الآية ٤ ، والصدقات : المهور ، ونحلة : أي فريضة .
(٣) سورة الطلاق ، الآية ٦ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٣٣ .
(٥) سورة الطلاق ، الآية ٧ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٢٨ .
(٧) سورة الطلاق ، الآية ٢ .
(٨) سورة الأحزاب ، الآية ٥ .
(٩) سورة البقرة ، الآية ٢٣٣ .
(١٠) سورة النساء ، الآية ١١ .

أَلاَّ تَعْبُـدُوا إِلاَّ إِيَّـاهُ وَبِالْوَالِدَيْـنِ إِحْسَاناً) [١] ، ومن أبرز الحقوق التـي قررها لهم : حق البر والإحسان ، حيث يقول سبحانه (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَـا وَقُـلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِـنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَـا رَبَّيَانِي صَغِيراً) [٢] ، وحق الإرث ، حيث يقول تعـالى (وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّـا تَـرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَـدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِـنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَـا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُـمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْـرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ) [٣] .

ثالثاً : إعلاء القرآن الكريم شأن المرأة ، واحترامه شخصيتها ، وصيانته لها من الابتذال والإذلال ، ومنْحهـا مكانـة عالية ومنـزلة رفيعة ، وسعيه إلى إكرامهـا أماً وبنتاً أختاً وزوجة ، حيث :

اعـترف بإنسانيتها وساواها بالرجل في أصل الخلقـة ، فقال سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّـذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَـا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَـاءً) [٤] ، وقـال : (يَـا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُـمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُـمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) [٥] .

وسـاواهـا بالرجـل في تكاليـف العبادة والأجر والثـواب ، فقال سبحانـه : (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُـونَ) [٦] ، وقال أيضـاً : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَـى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) [٧] ، كما ساواها بالرجل

(١) سورة الإسراء ، الآية ٢٣ .
(٢) سورة الإسراء ، الآيتان ٢٣-٢٤ .
(٣) سورة النساء ، الآية ١١ .
(٤) سورة النساء ، الآية ١ .
(٥) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .
(٦) سورة النحل ، الآية ٩٧ .
(٧) سورة آل عمران ، الآية ١٩٥ .

في الحقوق والواجبات فقال تعالى : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوف) [١].

وفرض لها نصيباً في الميراث ، فقال سبحانه : (للرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً)[٢] .

وحرم وأد البنات ، فقال سبحانه مستنكراً هذا الفعل المشين : (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) [٣] ، وعارض التشاؤم بمولد البنت فقال جل وعلا : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [٤].

ودفع عن المرأة الصفة التي كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة ، ولا سيما النصرانية المحرفة ، فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئاً منها وحدها بل منهما معاً ، يقول تعالى على لسان آدم وحواء عليهما السلام : (قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [٥] ، بل إن القرآن في بعض آياته قد نسب الذنب إلى آدم وحده فقال: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) [٦] .

وحرم أكل ميراثها ، حيث يقول تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً) [٧] .

وحرم أكل مهرها ، حيث يقول سبحانه (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) [٨] .

وحرّم استغلالها جنسياً ، حيث يقول سبحانه (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً) [٩] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٢٨ .
(٢) سورة النساء ، الآية ٧ .
(٣) سورة التكوير ، الآيتان ٨ – ٩ .
(٤) سورة النحل ، الآية ٥٩ .
(٥) سورة الأعراف ، الآية ٢٣ .
(٦) سورة طه ، الآية ١٢١ .
(٧) سورة النساء ، الآية ١٩ .
(٨) سورة البقرة ، الآية ٢٢٩.
(٩) سورة النور ، الآية ٣٣.

وحرّم العنف الجنسي معها بجميع أشكاله ، حيث يقول عز وجل (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) [١] .

وحرم قذفها ، حيث يقول تعالى (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) [٢] .

وأوجب على الزوج احترامها ودعاه إلى عدم الإساءة إليها ، حيث يقول سبحانه (وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) [٣] .

وحث الأزواج على المودة وحفظ المعروف للزوجات ، حيث يقول سبحانه (ولا تنسوا الفضل بينكم) [٤] .

ودعاهم إلى عدم الإساءة إليهن عند إيقاع الطلاق ، حيث يقول عز وجل (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) [٥] .

وحرّم تعليقهن للإضرار بهن ، حيث يقول سبحانه (ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) [٦] .

رابعاً : التأكيد على أن التكليف في قوامة الرجل على المرأة تكليف ومسؤولية وقيادة ، وليست تعسفاً أو استبداداً أو تعالياً ، يقول سبحانه: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٢٢.
(٢) سورة النور، الآية ٢٣ .
(٣) سورة النساء ، الآية ١٩.
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٣٧.
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٢٩.
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٣١.

حَفِظَ اللَّهُ)[1] . وهذا القيام للرجل على المرأة المذكور في الآية ضربان :

١- ضرب مادي حسي .
٢- وضرب معنوي أدبي .

فالضرب المادي الحسي يتمثل فيما يقوم به الرجل للمرأة من جلب القوت والكسوة وسائر الضرورات ، وما يقوم به لها أيضاً من رعاية ومدافعة وحماية .

وهذا الضرب هو المذكور في كتب اللغة :جاء في القاموس المحيط : " قام الرجل المرأة ، وقام عليها : مانها وقام بشأنها "[2] ، فهو إذاً قائم لها أو قوام عليها بذلك . وتقرير القرآن هذا للرجل لا غضاضة فيه على المرأة ، لأنه تقرير لأمر واقع مشهود مسلم به في حياة الناس قديماً وحديثاً .

وأما الضرب المعنوي الأدبي ، فإنه لا يعني قهر المرأة والحجر عليها ، ولا إهدار شخصيتها ومصادرة مقومات أهليتها ، كما يتبادر إلى أذهان من ليس لديهم فقه بأحكام الإسلام .

ألا ترى أن الإسلام يمنع الزوج من الولاية على مال زوجته ، ويجعل هذه الولاية لها وحدها ، ويعطيها حق التصرف فيه بكل حريتها - بما لا يخالف الشرع – من بيع وشراء ورهن وإجارة وهبة وصدقة ، ولها أن تخاصم عليه غيرها أمام القضاء دون أن يكون لزوجها حق التدخل في شيء من ذلك .

والإسلام أيضاً لا يجعل للزوج سلطاناً على دين زوجته ، فليس له أن يكرهها على تغيير دينها – يهودية كانت أو نصرانية - ، بل تبقى على دينها ولا تتحول إلى دينه إلا بمحض إرادتها ، يقول عز وجل : (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)[3] .

فإذا كانت هيمنة الزوج على زوجته لا تمتد إلى حرية الدين ، ولا إلى حرية الرأي ، ولا إلى حرية التصرف في أموالها الشخصية ، ولا إلى المساواة بينها وبينه في أصل الإنسانية ،

(١) سورة النساء ، الآية ٣٤ .
(٢) القاموس المحيط – للفيروزابادي ، ج٤/ص ١٣٨ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .

ولا إلى المساواة بينهما في الحقوق والواجبات ، فما مبرر قيام الأزواج بتعنيف زوجاتهم وإيذائهن ؟!![1] .

خامساً : معالجة النشوز بين الزوجين المؤدي في الغالب إلى العنف الأسري ، فإذا كان النفور والنشوز من الزوج فعلاجه أن يصلحا بينهما صلحاً ، وذلك بأن تضع الزوجة عن زوجها بعض حقوقها عليه ، تستعطفه بذلك ، وتظهر حرصها وعظيم رعايتها بالميثاق الغليظ الذي بينهما وهو عقد النكاح ، لعل ذلك يثنيه عن نشوزه ونفوره منها ، ويحد من آثار الجفاء الحاصل بينهما ، يقول تعالى (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)[2] ، وإذا كان النشوز من الزوجة تجاه زوجها ، فعلاجه أن يقوم الزوج بوعظها فإن أنابت وإلا هجرها في المضجع ، فإن لم تُفد معها الوسيلتان السابقتان ضربها ضرباً غير مبرح لزجرها ، ومثّل له بعض العلماء بالضرب بالسواك ونحوه[3] ، فعن عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه أنه قال: " قلت لابن عباس ما المبرح ؟ ، قال: بالسواك ونحوه "[4] . يقول تعالى (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِياً كَبِيراً)[5] ، وإذا كان النشوز والنفور من الزوجين معاً واحتدم النزاع بينهما ، فالعلاج السعي إلى التحكيم بين الطرفين ، وذلك بأن يُختار حكماً عدلاً من أهل الزوج وحكماً عدلاً من أهل الزوجة للإصلاح بينهما ، يقول تعالى (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً)[6] .

سادساً : تحريم مضارة من جعل الله لهم الولاية عليهن من النساء وذلك بعضلهن إذا

(١) انظر : الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة – للبهي الخولي ، ص٧٥-٧٧ .
(٢) سورة النساء ، الآية ١٢٨ .
(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج٢٨/ص١٧٨ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي ، ج٥/ص ١٧٣ .
(٥) سورة النساء ، الآية ٣٤ .
(٦) سورة النساء ، الآية ٣٥ .

أردن النكاح [١] ، حيث نهى الله تعالى عن هذا العضل بقوله : (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ) [٢] .

سابعاً : تحريم العنف بكافة أشكاله وأنواعه ، وخاصة ما يصل منه إلى حد الإيذاء البدني والقتل ، حيث يقول سبحانه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) [٣] ، وحذّر من هذا الفعل داخل الأسرة ، فحرّم قتل الأولاد خشية الفقر ، فقال تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً) [٤] ، فالقرآن الكريم يحرم القتل خوفاً من الفقر فكيف بتعذيب الأولاد تعذيباً يصل أحياناً إلى القتل ؟ !!!.

ثامناً : تحريم الزنا ، حيث يقول تعالى(ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) [٥] ، وتوعّد ممارس الجنس خارج نطاق الزوجية بالعذاب في الآخرة ، حيث يقول سبحانه (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) [٦] .

تاسعاً : تحريم السخرية والتهكم والاستهزاء بالآخرين واحتقارهم داخل الأسرة وخارجها باللفظ والهمز واللمز ، حيث يقول تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) [٧] ، وتحريم إلحاق الأذى بالآخرين بدون وجه حق ، حيث يقول تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) [٨] ، وتحديد عقوبة هتك أعراض النساء الشريفات ، حيث يقول سبحانه (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا

(١) راجع في هذا : الأم – للإمام الشافعي ، جـ٥/ص١٣. وتفسير الطبري جـ٢/ص٤٤٩-٥٠١ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٣٢ .
(٣) سورة الإسراء ، الآية ٣٣ .
(٤) سورة الإسراء ، الآية ٣١ .
(٥) سورة الإسراء ، الآية ٣٢ .
(٦) سورة الفرقان ، الآيتان ٨-٩ .
(٧) سورة الحجرات ، الآية ١١ .
(٨) سورة الأحزاب ، الآية ٥٨ .

بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون)[١].

عاشراً : الأمر بكظم الغيظ عند الغضب ، والعفو عن الناس عند المقدرة والدفع بالتي هي أحسن ، لأن الحسنات لا تساوى السيئات ، وكذلك الإعراض عن الجاهلين وذلك حتى يسود السلام والأمن داخل المجتمع والمحبة والتآلف داخل الأسر، ومن ذلك قوله تعالى (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[٢] ، وقوله تعالى (وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[٣] ، وقوله تعالى (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)[٤] .

حادي عشر : الحث على الإحسان إلى ذوي القربى واليتامى ، حيث يقول سبحانه وتعالى (وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين)[٥] ، ولا شك أن أدنى درجات الإحسان إليهم كف الأذى عنهم .

ثاني عشر : تحريم قهر اليتامى وإيذاءهم ، والتعدّي على أموالهم أو اختلاسها وأكلها بالباطل ، حيث يقول تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر)[٦] ، ويقول سبحانه (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده)[٧] ، وتوعد آكل مال اليتيم بالعقوبة الشديدة والسعير يوم القيامة ، حيث يقول تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)[٨] .

(١) سورة النور ، الآية ٤ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٣٤ .
(٣) سورة فصلت ، الآية ٣٤ .
(٤) سورة الشورى ، الآية ٣٦ .
(٥) سورة النساء ، الآية ٣٦ .
(٦) سورة الضحى ، الآية ٩ .
(٧) سورة الأنعام ، الآية ١٥٢ ، وسورة الإسراء ، الآية ٣٤ .
(٨) سورة النساء ، الآية ١٠ .

الخـاتـمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، حمداً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى ، لقد توصلت في نهاية هذا البحث إلى نتائج علمية ، أجملها فيما يلي :

١. أن المـراد بالعنف الأسري : ممارسة القوة أو الإكـراه بطريقة متعمدة غير شرعية مـن قِبل فـرد أو أكثر من أفراد الأسرة ضد فرد أو أكـثر من الأسرة ذاتها ، ويكون المجنـي عليـه واقعاً تحت سيطرة الجـاني وتأثيره مما يلحق به الهـلاك أو الضرر والأذى .
٢. أن للعنـف الأسـري أنواع عديـدة ، يتمثّل أبرزهـا في : العنف الجسـدي ، والعنف الجنسي ، والعنف اللفظي ، والعنف النفسي ، والعنف المالي .
٣. أن للعنف الأسري خمسة أسباب رئيسة ، هي :
٤. أسباب مرتبطة بمستوى التدين لدى مرتكبي العنف .
٥. أسباب ثقافية وإعلامية .
٦. أسباب اجتماعية .
٧. أسباب نفسية وتربوية .
٨. أسباب اقتصادية .
٩. أن أكثر ضحايا العنف الأسري : النساء ، والأطفال ، وكبار السن .

أن لعـلاج ظاهـرة العنف الأسـري في القرآن الكـريم سُبُل كثيرة ومتعـددة ، يتلخّص أبرزها فيما يأتي :

أولاً : اشتمـال القرآن الكريم على العديد من التوجيهـات الربانية العامة لبناء الأسرة بناءً سليماً وحمايتها من كل ما يؤدي إلى تصدعها وانهيارها .

ثانياً : فـرْض القرآن الكريم لأعضاء الأسرة الواحدة حقوقاً وأمره بالقيام بها ، وفرْضه في الوقت نفسه عليهم واجبات وإلزامهم بأدائها ، سواء كان الأعضاء أزواجاً أو زوجات آباءً أو أبناء .

ثالثاً : إعلاء القرآن الكريم من شأن المرأة ، واحترامه شخصيتها ، وصيانته لها من الابتذال والإذلال ، ومنحها مكانة عالية ومنزلة رفيعة ، وسعيه إلى إكرامها أماً وبنتاً أختاً وزوجة .

رابعاً : التأكيد على أن التكليف في قوامة الرجل على المرأة تكليف ومسؤولية وقيادة ، وليست تعسفاً أو استبداداً أو تعالياً .

خامساً : معالجة النشوز بين الزوجين المؤدي في الغالب إلى العنف الأسري .

سادساً : تحريم مضارة من جعل الله لهم الولاية عليهن من النساء وذلك بعضلهن إذا أردن النكاح .

سابعاً : تحريم العنف بكافة أشكاله وأنواعه ، وخاصة ما يصل منه إلى حد الإيذاء البدني والقتل .

ثامناً : تحريم الزنا ، وتوعّد ممارس الجنس خارج نطاق الزوجية بالعذاب في الآخرة .

تاسعاً : تحريم السخرية والتهكم والاستهزاء بالآخرين واحتقارهم داخل الأسرة وخارجها باللفظ والهمز واللمز ، وتحريم إلحاق الأذى بالآخرين بدون وجه حق ، وتحديد عقوبة هتك أعراض النساء الشريفات .

عاشراً : الأمر بكظم الغيظ عند الغضب ، والعفو عن الناس عند المقدرة والدفع بالتي هي أحسن ، والإعراض عن الجاهلين وذلك حتى يسود السلام والأمن داخل المجتمع والمحبة والتآلف داخل الأسر.

حادي عشر : الحث على الإحسان إلى ذوي القربى واليتامى .

ثاني عشر : تحريم قهر اليتامى وإيذاءهم ، والتعدّي على أموالهم أو اختلاسها وأكلها بالباطل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : الكتب :

١. القرآن الكريم .

٢. الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية – لمحمود الجوهري ومحمد خيال ، ط الأولى عام ١٤٠٠ه – ١٩٨٠م ، دار الدعوة – الاسكندرية .

٣. الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون – لمروان كجك ، ط الأولى ١٤٠٧ه – ١٩٨٦م ، دار الكلمة الطيبة – القاهرة .

٤. الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة – للبهي الخولي ، ط الثالثة ، دار القلم – بيروت .

٥. الأم – للإمام الشافعي ، ط دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت .

٦. بناء المجتمع الإسلامي ونظمه – للدكتور نبيل السمالوطي ، ط الأولى١٤٠١هـ- ١٩٨١م ، دار الشروق – جدة .

٧. تنظيم الإسلام للمجتمع – لمحمد أبو زهرة ، ط عام ١٩٧٥م ، دار الفكر العربي– القاهرة .

٨. جامع البيان في تأويل القرآن – لمحمد بن جرير الطبري ، ط الثالثة عام ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٩. الجامع لأحكام القرآن – لمحمد بن أحمد القرطبي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة .

١٠. جرائم الشرف في لبنان : دراسة حقوقية اجتماعية – لمنى زحيل يعقوب ، ط عام ١٩٦٨م ، منشورات مركز الأبحاث – بيروت .

١١. دور هيئة حقوق الإنسان في الحد من العنف الأسري بمنطقة الرياض – لسالم بن عتيق المطيري ، ط عام ٢٠١٠م ، جامعة الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية – الرياض .

١٢. العنف الأسري – لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة ، ط هيئة حقوق الإنسان بالمملكة – الرياض .

١٣. العنف الأسري بين المواجهة والتستر – لمجموعة من الباحثين ، ط عام٢٠١٠م، مركز رؤية للدراسات الاجتماعية – الرياض .

١٤. العنف الأسري رؤية سوسيولوجية – للدكتورة منال محمد عباس ، ط الأولى عام ٢٠١١م ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية .

١٥. العنف الأسري جاهلية العصر – لعامر باشماخ ، ط عام ٢٠١٠م ، دار الصحوة للنشر والتوزيع – مصر .

١٦. العنف بريشة الأطفال – للأمانة العامة للجنة الوطنية للطفولة بوزارة التربية والتعليم السعودية .

١٧. العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته في ضوء أحكام الفقه الإسلامي – للدكتور رشدي أبو زيد ، ط الأولى عام ٢٠١١م ، مكتبة الوفاء القانونية – الإسكندرية .

١٨. العنف في مواقف الحياة اليومية : نطاقات وتفاعلات – لمحمود سعيد الخولي ، ط الثانية عام ٢٠٠٧م ، دار الإسراء – عمّان .

١٩. القاموس المحيط – لمحمد بن يعقوب الفيروزابادي ، ط الأولى عام ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٠. لسان العرب – لجمال الدين بن منظور ، ط دار المعارف – مصر .

٢١. مباحث في علوم القرآن – للشيخ مناع القطان ، ط الثامنة عام ١٤٠١ه – ١٩٨١م ، مكتبة المعارف – الرياض .

٢٢. ٢٢- الموسوعة الفقهية الكويتية ، ط الثانية عام ١٤١٠ه – ١٩٩٠م ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت .

ثانياً : الدوريات :

٢٣. جريدة (الوطن) السعودية ، في عددها الصادر يوم الأربعاء الموافق ٥ ربيع الآخر عام ١٤٢٧هـ .

٢٤. مجلة (وزارة الشؤون الاجتماعية القطرية) ، العدد الصادر عام ٢٠١٣م .

د. حسين عبد العال حسين محمد

الجنسية / مصريرقم الإقامة / ٢٢٣٦٢٤٠٧٧٢ الهفوف

المؤهلات العلمية /

- الإجازة العالية (الليسانس) في أصول الدين شعبة التفسير والحديث مايو ١٩٩٣بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف - جامعة الأزهر بأسيوط .
- درجة التخصص (الماجيستر) في التفسير وعلوم القرآن سنة ١٩٩٩بتقدير ممتاز.
- درجة العالمية (الدكتوراة) في التفسير وعلوم القرآن سنة ٢٠٠٢ بتقدير مرتبة الشرف الأولى .

التدرج الوظيفي :

- عينت بوظيفة معيد في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بأسيوط جامعة الأزهر بتاريخ ١٩٩٥/٩/١٣
- وعينت بوظيفة مدرس مساعد بنفس القسم والكلية بتاريخ ١٩٩٩/٨/١٦
- وعينت بوظيفة مدرس بنفس القسم والكلية بتاريخ ٢٠٠٢/ ٧/١
- وعينت بوظيفة أستاذ مساعد بنفس القسم والكلية بتاريخ ٢٠٠٩/ ١١/٤
- محل العمل الحالي أستاذ مشارك في قسم أصول الدين كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالإحساء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

أشهر المؤلفات :

- كتاب بعنوان : (فتح الباري المتعال في التفسير سورة الأنفال) طبعة مطبعة الكامل بأسيوط مودع بدار الكتب المصرية برقم ٧٧٨٢ لسنة ٢٠٠٣م .
- كتاب بعنوان : (القول المبين في أنواع التفسير ومناهج المفسرين) طبعة مطبعة الصفا والمروة بأسيوط مودع بدار الكتب المصرية برقم ٧٥٠٥ لسنة ٢٠٠٥م.
- بحث منشور في مجلة كلية أصول الدين بأسيوط بعنوان : (المدخل إلى دراسة التفسير الموضوعي) العدد الثاني والعشرون برقم إيداع ٦١٧٦ لسنة ٢٠٠٥م.
- بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط بعنوان : (التبيان في الحكمة من ورود بعض الحيوان في القرآن) العدد الرابع والعشرون برقم إيداع ٦٢١٧لسنة ٢٠٠٥م.

علاج البطالة في ضوء القرآن الكريم

" دراسة موضوعية "

دكتور/ حسين عبدالعال حسين محمد

الأستاذ المشارك في جامعتي الأزهر والإمام ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الأحساء

تخصص التفسير وعلوم القرآن

الملخص :

البحث يمثل دراسة موضوعية لعلاج قرآني لمشكلة واقعية ألا وهي مشكلة البطالة التي يعاني منها العالم قديما وحديثا، وذلك من خلال وضع العلاج الأمثل لحل هذه المشكلة في ضوء القرآن الكريم بداية بوضع الوسائل الوقائية، ثم الدعوة إلى السعي والأخذ بأسباب الرزق، والتأسي في ذلك بأنبياء الله، ثم تطبيق مبدأ التكافل الاجتماعي، وتفعيل دور الحقوق المفروضة والتطوعية في الأموال، وختاما بإبراز دور المسجد في معالجة هذه المشكلة، لنرى من خلال هذه الدراسة كيف كان العلاج القرآني متميزا بدقته وعمقه وشموله وعدالته، ليظهر لنا إعجازا قرآنيا تشريعيا يعجز عن مثله كافة الخلق قديما وحديثا مما يؤكد أن القرآن الكريم تميز عن غيره في علاجه لهذه المشكلة وأنه مصدر رئيس ومرجع أساس في حل ما يواجه العالم من مشكلات .

المقدمـــة

الحمـد لله الذى أنزل على عبده الكتاب تبصرة لأولى الألباب، وجعله أجل الكتب قدرا، وأغزرهـا علمـا ونفعـا، لا شبهة فيه ولا ارتياب، قـال تعالى:) وَإِنَّـهُ لَكِتَابٌ عَزِيـزٌ × لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: ٤١، ٤٢) أعيت بلاغته البلغـاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكـت فصاحته الخطباء، والصلاة والسلام على نبينا وإمامنـا محمد بن عبد الله ﷺ الرحمة المهداة والنعمـة المسداة، الذى علم الناس الكتاب والحكمة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

لم يغفـل الإسلام منذ بـزوغ فجره عن تقديم حلول وعلاجـات للمشكلات التي تقف في طريـق تقـدم أبنائه، وتمنعهم من المساهمـة في بناء مجتمعهم المسلـم، ومن هذه المشكلات مشكلـة البطالة فهي من أعظـم المشكلات التي يعاني منها العـالم بأجمع والعالم الإسلامي على وجه الخصوص، وتكمن الخطورة في ما للبطالة من آثار سلبية سيئة في مختلف مجالات الحيـاة الدينيـة والفكرية والاقتصادية والصحية وغير ذلك مما يدفع كل غيور على أمته أن يسعـى جاهـدا لتقديم خبراته التي قد تفيـد في تجاوز هذه المشكلـة أو التخفيف من آثارها، لا سيمـا وأننـا نملك في عالمنا الإسلامي جل ثروات العالم، وعلـى الرغم من ذلك كله إلا أنه لا يـكاد مجتمع مـن المجتمعات الإنسانية على مـر العصور يخلو من وجـود ظاهرة البطالة، فالبطالة مشكلة قديمة وليست طارئة، لها آثار مدمرة على المجتمع .

وفي القـرآن الكـريم ما يدعو إلى السعـي والكد والبحث عن العمـل الدائم المفيد للفرد والمجتمـع قـال تعـالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الملك: ١٥) كما أنه نبذ الكسل والخمول والاعتماد على الغير، فالبحث يمثل دراسة موضوعية لعلاج قرآني لهذه المشكلة .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على سبل علاج ظاهرة البطالة والحلول الكفيلة للحد منها، حيث إن إهمالها يؤثر بشكل سلبى على تنمية المجتمع ويزيد من فجوة التأخر الاقتصادى

بينه وبين المجتمعات المتقدمة، فالبحث يقدم الحلول العملية والتطبيقات الميدانية التى تعالج القضية من جذورها سعيا لحماية الإنسان المسلم وصيانته .

منهج البحث:

سلكت في إعداد البحث المنهجين: الاستقرائي و التحليلي واتبعت ما يلي:

- **أولا:** جمعت الآيات القرآنية التي تحدثت عن كل ما يتعلق بهذه المشكلة وكيفية علاجها.
- **ثانيا:** عزوت الآيات القرآنية إلى سورها وبينت أرقامها في المتن .
- **ثالثا:** رجعت إلى أقوال المفسرين وأهل اللغة وغيرهما وأفدت منها في إعداد هذا البحث .
- **رابعا:** خرجت الأحاديث النبوية وذكرت حكم العلماء عليها مالم تكن في الصحيحين.
- **خامسا:** التزمت توثيق النصوص، والنقول ومعلومات البحث كافة من المصادر المعتمدة وفق ما تقتضيه أصول مناهج البحث .
- **سادسا:** إذا لم يكن المرجع وعاء ورقيا ذكرت الموقع الإلكتروني للكلام المنقول منه .
- **سابعا:** ذيلت البحث بخاتمة تضمنت نتائجه وتوصياته ثم أتبعت ذلك بفهرس للمصادر والمراجع

خطة البحث: اشتملت خطة البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة وفهرس للمصادر.

- **المقدمة:** وفيها أهمية الموضوع، وأهداف البحث، ومنهجه، وخطته.
- **التمهيد:** وفيه تعريف موجز للبطالة وأسبابها وآثارها.
- **المبحث الأول:** السعي والأخذ بأسباب الرزق في ضوء القرآن الكريم.
- **المبحث الثاني:** التكافل الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم.
- **المبحث الثالث:** تفعيل دور الحقوق المفروضة والتطوعية في الأموال في ضوء القرآن الكريم.
- **المبحث الرابع:** دور المسجد في معالجة البطالة في ضوء القرآن الكريم.
- **الخاتمة:** وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته مذيلة بأهم مصادر البحث ومراجعه.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يغفر لي ذنبي وإسرافي في أمري وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد :

قبل معرفة علاج القرآن الكريم لمشكلة البطالة ـ موضوع البحث ـ نقف وقفات قصيرة سديدة مفيدة عند تعريف البطالة وأسبابها وآثارها حتى يكون القارئ على بينة من الأمر:

أولا : تعريف البطالة في اللغة والاصطلاح:

أما في اللغة: فقد جاء في لسان العرب: بطل الشيء يبطل بطلانا: ذهب ضياعا وخسرا، فهو باطل والتبطل فعل البطالة وهو اتباع اللهو والجهالة وبطل يبطل بطالة أي تعطل [١]

والبطال " بفتح الباء وتشديد الطاء " نقيض العامل .. والبِطالة " بكسر الباء وفتح الطاء ممدودة " هي الكسالة المؤدية إلى إهمال المهمات والبطال هو بين البطالة [٢] وهناك ألفاظ ومعان أخرى للبطالة كقعد وكسل وعطل يقال ذلك للقاعد عن إنجاز عمله والكسلان عن الشيء المتثاقل عن أدائه والعاطل الذي يبقى بلا عمل .

يتبين مما سبق أن البطالة مصدر بَطَلَ وبَطُلَ وتعني عدم توافر العمل للراغبين فيه القادرين عليه والمتتبع للفظ بطل في القرآن الكريم ، وما اشتق منه، يجد أنه ورد قرابة ٣٦ مرة [٣]

وأما في الاصطلاح: فقد جاء في منظمة العمل الدولية أن البطالة " تشمل كل الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن سن معين، وكانوا من دون عمل، وهم مستعدون للعمل، وباحثين عنه، واتخذوا خطوات محددة، بحثا عن العمل بأجر أو عمل للحساب الخاص " [٤] وقيل: هي " الحالة التي يكون فيها الشخص قادراً على العمل وراغباً فيه ولكن لا يجد العمل والأجر المناسبين " [٥] .

(١) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة (ب.ط.ل) ص ٣٥

(٢) ينظر قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية لمحمد عمارة ص ٩٣، ٩٤

(٣) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقي ص ١٢٣، ١٢٤

(٤) منظمة العمل العربي، مؤتمر العمل العام، الدورة ١٧ ص ٥٨ لعام ٥٨٩١م، وينظر ظاهرة البطالة في الأردن، وزارة العمل الأردنية ص ٢ وينظر الموسوعة الاقتصادية د راشد البراوي ص ٤٩ .

(٥) البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة د. عاطف عجوة ص ٢٠ ومشكلة العطالة لعمر محمد علي ص١٣.

والبطالة هي زيادة أعداد العاطلين عن العمل في الدّول والمجتمعات ممّا يمنع هذه الطّاقات الهائلة من الأيدي البشريّة العاملة من الإنتاج والفاعليّة في الحياة، الأمر الذي يؤدّي إلى تراجع الدّول، واختلال الأمن المجتمعيّ، وقد فطنت الشريعة الإسلامية الغراء إلى مشكلة البطالة، وبينت مفهومها وطرق الوقاية منها ومنهج الحد منها في إطار دقيق عز أن نجد له مثيل حيث حث الإسلام أهله على العمل والكسب ونهى عن البطالة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَتَصَدَّقَ مِنْهُ فَيَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنِ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ اليَدَ العُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ." [1]

ثانيا: أسباب البطالة:

القرآن الكريم دستور هذه الأمة وهو كتاب هداية وإرشاد وقد تعرض لبيان أسباب البطالة ويمكن بيانها باختصار فيما يلي:

١. تفشي الربا
٢. انتشار الفقر
٣. كنز المال وحبسه
٤. سوء استثمار الأرض
٥. الزيادة السكانية مع نقص الموارد الاقتصادية
٦. الهجرة [2]

وأضاف بعضهم من الأسباب ما يلي: ــ عدم وجود فرص العمل ــ عدم وجود الكفاءات - الكساد في الأسواق- النقص في المعرفة والخبرة [3] كذلك من الأسباب الأخرى لهذه المشكلة: غياب الوعي لدى الأفراد ممّا يجعلهم يقبلون على نوع معيّن فقط من أنواع الأعمال، وهو الذي يوفّر لهم الرّاحة إلى أقصى حدودها، من هنا فقد تنامت مشكلة البطالة في ظلّ

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزكاة باب ما جاء في النهي عن المسألة: ٣ / ٥٥ حديث رقم (٦٨٠) وقال عقبه حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ

(٢) البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها دراسة مقارنة د. محمد عبد الله مغازي ص ٢١

(٣) نظرة الإسلام إلى أزمات ومشاكل الاقتصاد الوضعي د / حسين شحاته ــ مجلة الاقتصاد الإسلامي - دبي - العدد ٣٣ ص ٢٩ شعبان ١٤٠٤ه

انعـدام البرامج التّثقيفيّة التي تدفع الأشخاص إلى محاولـة السّعي وراء ذواتهم، واكتشاف مكامن قوّتهم ومواهبهم التي قد تكون في الأعمال الحرفيّة وليس في أنواع أخرى من الأعمال، فالاستغلال الأمثل للمواهب من شأنه أن يحسّن دخل الفرد بشكل جيّد.

ثالثا : أثار وأخطار البطالة على الفرد والأسرة والمجتمع:

للبطالة آثار وأخطار على الفرد و الأسرة و المجتمع بأسره نوجزها فيما يلي:

- آثارها وأخطارها على الفرد:

ـ اقتصاديا: تفقده الدخل . ـ صحيا: تفقده الحركة
ـ نفسيا: يعيش في فراغ ـ اجتماعيا: ينقم على غيره

- آثارها وأخطارها على الأسرة:

ـ تُفقد رب الأسرة شعوره بالقدرة على تحمل المسؤولية
ـ يواجه الجميع حالة من التوتر والقلق

- آثارها وأخطارها على المجتمع:

ـ اقتصاديا: تعطل طاقات قادرة على الإنتاج
ـ اجتماعيا: الشـرور والجرائم نتيجة الفـراغ والقلق وغير ذلك مـن الآثار والأخطار العديدة[1]

وبعد إلقاء الضوء على معنى البطالة وأسبابها وآثارها نعود إلى علاجها في ضوء القرآن الكريم.

علاج البطالة في ضوء القرآن الكريم:

لقـد اهتم الإسلام بمشكلة البطالة وحرص على علاجهمـا قبل نشوئها بوسائل وقائية منها:

(١) الاقتصـاد الإسلامي بحوث مختارة مـن المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامـي د / يوسف القرضاوي ص ٢٣٠ مكة المكرمة ١٣٩٦هـ

أولا: الإيمـان: حيث إن الإيمان بأن الله هـو الخالق الرازق يدعو الفقير إلى الرضا بما قسمه الله له، وهذا الإيمان يدفعه إلى السعي وراء أسباب الرزق لتحصيل ما كتبه الله له قال تعالى: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (هود:٦)

ثانيا: التقوى: إن تقوى العبد لربه تفتح له أبواب الخير والرزق من حيث لا يحتسب قال الله (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا • ويرزقه مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (الطلاق: ٢، ٣)

ثالثا: الشكر: وشكر الله على نعمائه يكون سبباً في زيادة الخير والنعيم قال تعالى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم: ٧)

رابعـا: الاستغفـار: وهو سبب من أسباب سعة الرزق وزيادة المال والبنين قال تعالى على لسـان نـوح (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا • يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا • وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) (نوح: ١٠ ــ ١٢)

خامسـا: إعمـار بيوت الله بالصـلاة في أوقاتها، والذكر والدعـاء والتسبيح والشكر لله تعـالى فإنه بذلك يمـن الله بنعمه على عمّار بيوته بالخير في الدنيـا والجزاء في الآخرة قال تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ) (التوبة: ١٨)

سادسـا: حسن التوكل على الله: قـال تعالى:(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَـلَ اللَّهُ لِـكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الطلاق: ٣) وعَنْ عُمَرَ بن الخطاب قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا "[1]

سابعا: عدم الإسراف والتبذير: حيث إن التبذير والإسراف من أسباب الفقر في المجتمعات، بالإضافـة إلى أن المبزريـن مـن أخوان الشياطين لأجـل ذلك نهي الحق سبحانـه عن الإسراف والتبذير فقال تعالى:(وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف: ٣١) [2]

---

(١) أخرجـه الإمـام الترمـذي في سننـه في كتاب الزهد بـاب في التوكل علـى الله: ٤ / ٥٧٣ حديـث رقم (٢٣٤٤) وقـال الترمذي: "هذا حديث صحيح". والحديـث صححه الشيخ الألباني ينظر صحيح سنن أبي داود للألباني: ٥٤١/٢، ٥٤٢ حديث رقم (٢٣٤٤)

(٢) دور المسجد في مكافحة الفقر والبطالة أ د / إسماعيل سعيد رضوان الموقع الالكتروني:
http://www.riyadhalelm.com

المبحث الأول

السعي والأخذ بأسباب الرزق في ضوء القرآن الكريم

حث القرآن الكريم في كثير من آياته على الكسب الحلال ودل على طرقه وأوضح أسباب الغنى بكسب اليد، وذلك لأن العمل طريق المجد والرفعة والنهوض بالمجتمع نحو التقدم في كل المجالات، ومن الآيات التي جاءت ترغب في العمل وتحض عليه قوله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة: ١٠٥) ومعنى الآية:قل يا محمد للناس اعملوا فَسَيرَى اللّه إِنْ عَمِلْتُمْ عَمَلكُمْ، وَيَرَاهُ رَسُوله والمؤمنون في الدنيا، والآية تحث على الإتقان في العمل واستشعار مراقبة الله تعالى في جميع الأعمال يقول الإمام الخازن: قوله عز وجل: (وقل) أي قل يا محمد لهؤلاء التائبين (اعملوا) يعني لله بطاعته وأداء فرائضه (فسيرى الله عملكم) فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكأنه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فإن الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها (ورسوله والمؤمنون) يعني ويرى رسول الله ﷺ والمؤمنون أعمالكم أيضاً [١]

وقد ذلل الله الأرض وجعلها ممهده للسير والعمل عليها قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك: ١٥) ومعنى الآية: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا أي لينة سهلة المسالك. فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا أي: في نواحيها وجوانبها على التشبيه، لأن نواحيها نظير مناكب الإنسان التي هي من أطرافه، كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ أي التمسوا من نعمه تعالى ، فالأكل والرزق أريد به طلب النعم مطلقا، وتحصيلها أكلا وغيره فهو اقتصار على الأهم الأعم، على طريق المجاز أو الحقيقة، وأنت إذا تأملت نعيم الدنيا، وما فيها، لم تجد شيئا منها على المرء غير ما أكله، وما سواه متمم له، أو دافع للضرر عنه، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ أي نشوركم من قبوركم للجزاء. وقال ابن كثير: [٢] في الآية تذكير

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن: ٣٤٦/٣

(٢) محاسن التأويل للإمام القاسمي: ٩ م ٥٤١، ٥٤٢

بنعمته تعالى على خلقه في تسخيره لهم الأرض، وتذليله إياها لهم، بأن جعلها ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها من المنافع، ومواضع الزرع والثمار. والمعنى: سافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها، في أنواع المكاسب والتجارات. (١)

والله تعالى خلق بني آدم واستخلفهم في الأرض لعمارتها والعمل عليها وبعد ذلك يحاسبهم على ما اقترفوا ولا يظلم ربك أحدا قال تعالى في قصة موسى u مع فرعون: (قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (الأعراف: ١٢٩) فاستخلافهم في الأرض من بعد هلاك أعدائهم ليس محاباة لهم، وإنما هو استخلاف للاختبار والامتحان، فإن أحسنوا زادهم الله من فضله، وإن أساءوا كان مصيرهم كمصير أعدائهم .

وفي التعبير" بعسى " الذى يدل على الرجاء، أدب عظيم من موسى مع ربه : وتعليم للناس من بعده أن يلتزموا هذا الأدب السامي مع خالقهم، وفيه كذلك منع لهم من الاتكال وترك العمل، لأنه لو جزم لهم في الوعد فقد يتركون السعي والجهاد اعتماداً على ذلك (٢)

والله تعالى أمر بالانتشار في الأرض والسعي والكسب من أجل تحصيل الرزق، حيث قال: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة: ١٠) أي: إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم وابتغوا من فضل الله أي من رزقه، وكان عرّاك بن مالك(٣) إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين. (٤) يقول الحافظ ابن كثير:

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير: ٨ / ١٧٩

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي: ٥/ ٣٥٥ بتصرف

(٣) عراك بن مالك الغفاري المدني أحد العلماء العاملين روى عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر حدث عنه ولده خثيم ويحيى بن سعيد الأنصاري وثقه أبو حاتم وغيره وكان يسرد الصوم ويكثر الصلاة توفي سنة أربع ومئة أو قبلها ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥ / ٦٣

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٨/ ١٠٨

وقوله: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ) أي: فُرغ منها، (فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) لَمَّا حَجَر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله وقوله: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) أي:حال بيعكم وشرائكم، وأخذكم وعَطائكم، اذكروا الله ذكرا كثيرا، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة [1] ولهذا جاء في الحديث: " من دخل سوقا من الأسواق فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير كُتبت له ألفُ ألف حَسنة، ومُحي عنه ألفُ ألف سَيئة" [2]

ومن السعي والأخذ بأسباب الرزق تشجيع الناس على مزاولة الأعمال الحرة، وبعض المهن والصناعات كما كان يفعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين أعطوا القدوة والمثل الأعلى في العمل الحر والكسب الحلال. والمتأمل في سير الأنبياء والرسل يجد أنهم مع ما يشغلهم من أمر الرسالة والدعوة إلى الله كانوا أصحاب مهن، ومن أمثلة ذلك:

نوح احترف النجارة وتعلم صنع السفن، وأمره الله بصنعها فقال: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ • وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) (هود: ٣٧، ٣٨)

داود احترف الحدادة، وكان يجيد صناعة الدروع الحربية قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ • أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (سبأ: ١٠، ١١) وأخرج البخاري في صحيحه عن المقدام، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » [3]

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير: ١٢٢/٨، ١٢٣

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب الذكر باب ما يقول إذا دخل السوق: ٥ م ٤٩١ حديث رقم (٣٤٢٨) وقال الترمذي: "هذا حديث غريب". والحديث حسنه الشيخ الألباني ينظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني: ١٠٧٠/٢ حديث رقم (٦٢٣١)

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده: ٨٠/٢ حديث رقم (٢٠٧٢)

موسى uكان راعيا للأغنام حيث أجّر نفسه في رعي الغنم ثماني سنوات لنبي الله شعيب u مقابل نكاح إحدى ابنتيه قال تعالى: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) (القصص: ٢٧، ٢٨)

محمد ﷺ كان يرعى الغنم ويزاول التجارة بأموال خديجة رضي الله عنها قبل مبعثه ﷺ أخرج الإمام البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ »، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: « نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ »[(١)]

فلنا في الأنبياء القدوة الحسنة في مزاولة العمل والتجارة ورعي الأغنام وهو من أشرف الكسب وأعظم الحلال لأن ذلك مهنة الأنبياء وفعل المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وقد رغب النبي ﷺ في العمل ونهى عن التواكل والتكاسل فقَالَ:« لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ » [(٢)] فالحديث يبين أهمية العمل وشرفه، وأن الاحتطاب على ما فيه من مشقة وتعب وربح قليل خير من الكسل والقعود عن العمل وسؤال الناس[(٣)] فالعمل هو إحدى وسائل معالجة البطالة، وبغيره يصبح الإنسان عالة على المجتمع .

(١) صحيح البخاري، كتاب الإجارة باب رعي الأغنام على قراريط: ٢/١٣٠ حديث رقم (٢٢٦٢)

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده: ٢/٨١ حديث رقم (٢٠٧٤)

(٣) ينظر الإعجاز التشريعي في علاج مشكلة الفقر من منظور قرآني، محمود عنبر، ص ٢٢٠ رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية سنة ٢٠٠٠م.

المبحث الثاني

التكافل الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم

التكافل الاجتماعي بمعنى التساند والاجتماع والالتقاء ويحدث هذا بين أفراد المجتمع وجماعاته بحيث تراعى مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ولا يطغى أحدهما على الآخر. وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتماسك والاعتصام قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُو) (آل عمران: ١٠٣) ونهاهم عن الفرقة والتنازع قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: ١٠٥) وقد أشار النبي ﷺ إلى تكافل الأمة وتماسكها كتماسك البنيان وذلك في قوله: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ » [١]

وقد تحدث الأستاذ البهي الخولي عن مفهوم التكافل الاجتماعي فقال: " التكافل الاجتماعي كفالة متبادلة بين أفراد المجتمع للتعاون في المنشط والمكره على تحقيق منفعة أو دفع مضرة، ولا يكون لفريق في هذا التكافل فضل على فريق آخر، حيث العبء فيه موزع على كافة الأفراد، والفائدة منه عائدة على الجميع، تلك صورة لا تتحقق إلا برابطة مثالية في مجتمع فاضل أدرك غاية الحياة، فبرئ من أنانية الهوى، وتواصى بمثل الحق وكرامة الغاية، فمضى إلى أهدافه وثيق البناء متعاطف الأطراف [٢]

فالتكافل بين أفراد المجتمع المسلم الغني يكفل الفقير، والقوي يكفل الضعيف، هو عملية مستمرة ومسئولية متبادلة بين الأفراد بحيث يشعر كل فرد من أفراد المجتمع بإحساس أخيه وشعوره، وأن ما ينال أخاه من خير أو شر عائد عليه لا محالة، والقرآن الكريم قد أشار إلى وحدة الأمة وتلاحم أبنائها فقال: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد: ١/١٧١ حديث رقم (٤٨١)

(٢) ينظر الثروة في ظل الإسلام للبهي الخولي ص ٢٣٦

(الأنبياء: ٩٢)وفي موضع آخر من القرآن الكريم يأمر الله تعالى عباده بالتعاون على البر والتقوى وينهاهم عن التعاون على الاثم والعدوان وهذا أصل في التكافل الاجتماعي قال تعالى:(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة: ٢) يقول الإمام القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى) قَالَ الْأَخْفَش: وَهُوَ أَمْرٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، أَيْ لِيُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَتَحَاثُّوا عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَاعْمَلُوا بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَامْتَنِعُوا مِنْهُ، وقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: نَدَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى التَّعَاوُنِ بِالْبِرِّ وَقَرَنَهُ بِالتَّقْوَى لَهُ، لِأَنَّ فِي التَّقْوَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي الْبِرِّ رِضَا النَّاسِ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَا النَّاسِ فَقَدْ تَمَّتْ سَعَادَتُهُ وَعَمَّتْ نِعْمَتُهُ. وَقَالَ ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَاد فِي أَحْكَامِهِ: وَالتَّعَاوُنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى يَكُونُ بِوُجُوهٍ، فَوَاجِبٌ عَلَى الْعَالِمِ أَنْ يُعِينَ النَّاسَ بِعِلْمِهِ فَيُعَلِّمُهُمْ وَيُعِينُهُمُ الْغَنِيُّ بِمَالِهِ، وَالشُّجَاعُ بِشَجَاعَتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ مُتَظَاهِرِينَ كَالْيَدِ الْوَاحِدَةِ " الْمُؤْمِنُونَ تتكافؤ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ " وَيَجِبُ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْمُتَعَدِّي وَتَرْكُ النُّصْرَةِ لَهُ وَرَدُّهُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ[1] وبهذا يظهر لنا المعنى الحقيقي للتكافل الاجتماعي في التشريع القرآني، الذي شمل كل مناحي الحياة الإنسانية، فالناس في مجتمعاتهم في حاجة لأن يتعاون بعضهم مع بعض في كل شئون الحياة، فإذا توفرت هذه المعاني في المجتمع المسلم وتجسدت بصورة عملية سعد الناس وعاشوا في رغد من العيش لأن التكافل من أعظم السبل لعلاج مشكلة البطالة .

إن التكافل الاجتماعي حين يطبق بين أفراد المجتمع، تبرز آثاره التربوية النافعة، في معالجة النفوس، وإصلاح القلوب، وتهذيب السلوك والطباع، والإحساس بالشعور الأخوي بين الجميع، وترسيخ التآلف والتعايش الودي الآمن، والمعالجة العملية لحالات من الفقر والحرمان، والعجز والإعسار ، والتكافل ينقسم إلى قسمين: تكافل معنوي، وتكافل مادي .

التكافل المعنوي: يقوم على عمل وحدة الأمة والمجتمع قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (التوبة: ٧١) وهذا توكيد على الأخوة والتضامن والاتحاد والتحذير من الفرقة والتفكك والتناحر، والتكافل المعنوي يتمثل في الأمور الآتية:

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٦٨/٧، ٢٦٩ والحديث أخرجه أبي داوود في سننه . كتاب الديات باب أيقاد المسلم بالكافر: ١٨٠/٤ حديث رقم (٤٥٣٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود: ٣ /٩٦.

توفير الحريات كحرية العقيدة (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة: ٢٥٦) والإسلام يرشد الناس إلى عقيدته السمحة ويترك لهم حرية البقاء على عقيدتهم .

حرية الذات: تعني تكريم الإنسان وأن يفعل ما يشاء في حدود حرية مقيدة بما شرعه الله .

حرية الرأي: حيث تبدي رأيك في الأمور كلها ، وأن تجتهد من غير تجريح للناس ولا فضح لعوراتهم.

حرية المأوى: بحيث لا يعتدى أحد على الإنسان بالسلب والنهب أو السرقة أو الاستبداد .

حرية التملك: أن يبيع الإنسان ويشتري ويتاجر ويزرع ويصنع دون غش أو احتكار أو تلاعب بالأسعار مع أداء حق الله في المال .

التكافل المادي: وهو في مجمله فريضة فرضها الله على المجتمع أفرادا وحكومات، وسنة سنها لهم وتبرع حضهم عليه، وذلك يتمثل فيما يلي:

حق الحياة وذلك بضرورة تأمين الحاجات الضرورية للإنسان باعتبار انسانيته بغض النظر عن دينه وعرقه ونسبه وشرفه ووطنه وهي: المأكل والملبس والمأوى بأي وسيلة مشروعة، والأصل في ذلك قوله تعالى: (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى • وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى) (طه: ١١٨، ١١٩) أي لا تتعرض للحر ولا للبرد، فلا تصيبك شمس الضحى ولا برد الشتاء، وأن يكون له مسكن يأوي إليه [١].

إيجاد العمل لكل مواطن: من التكافل المادي تهيئة الظروف وإيجاد العمل لكل مواطن لأنه من أهم وسائل الكسب، وقد هيأ الله الأرض ليعمل فيها الإنسان بالزراعة أو الصناعة أو استخراج ما في باطنها قال تعالى:(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ) (الحج: ٦٥)

كفالة العاجزين بسبب طوارئ العمل، وهؤلاء لا بد من تأمينهم شرعا بالأمر الوقائي الذي يساعد العامل على القيام بعمله بعيدا عن الإصابة وتأمينه بإيجاد راتب له أو تأهيله

(١) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن السعدي: ١ / ٥١٤

لعمل آخر وخير ما يوضح ذلك ما قرره عمر بن الخطاب وفعله خالد بن الوليد لأهل الحيرة مـا نصه " أيما شيخ ضُعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر، وصار أهلـه يتصدقـون عليه، طُرحت جزيته، وعمل من بيت المال، هو وعياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسـلام، فـإن خرجوا إلى غير دار الهجـرة ودار الإسلام فليس علـى المسلمين النفقة عليهم[1]

ألا تكفـي هـذه الرسالـة إلى كل أهـل الأرض لتكون دستـورا لهم في معاملـة المرضى، والزمنى، وأهل الذمة، والعجزة، هذا هو الإسلام وهذه هي رسالته الخالدة[2]

إنَّ العنايـة بالتكافـل الاجتماعـي، وتطبيقـه عملياً، يحفـظ المجتمع وينقـذه من لجوء البعض إلى طريق الإجرام، والوقوع في مزالق الانحراف، ومحاضن الرذيلة، وسلوك السبل الملتويـة للوصول إلى تحقيق الهدف، مما يؤدي إلى خلخلة أمن المجتمع، وتفككه واضطرابه، وارتفاع نسبة الجريمة، فالتكافل الاجتماعي له دور مهم وفعال في انضباط الأفراد، وتحقيق الأمـن الاجتماعي، وترسيـخ الاستقرار والاطمئنان، وغرس القيـم الإيمانية بين جميع فئات المجتمع، وهي القيم التي تحفظ على المجتمع أمنه وسلامه، وتبث فيه روح الإخاء، وتبعده عن الاستغلال والعدوان، وتنقي النفوس من الأحقاد والعداوات وبلا شك هذا كله يقلل بل يقضي على ظاهرة البطالة التي تدمر المجتمعات وتفتك بها .

(١) مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله: ص ٢١٩

(٢) مشكلة البطالة وعلاجها لجمال حسن أحمد السراحنة ص ٣٠٨ ـ ٣١١ بتصرف واختصار

المبحث الثالث

تفعيل دور الحقوق المفروضة والتطوعية في الأموال

لم يغفل الإسلام منذ بزوغ فجره عن تقديم الحلول والعلاج للمشكلات التي تقف في طريق تقدم أبنائه، وتمنعهم من المساهمة في بناء مجتمعهم المسلم، وقد كان للأموال سواء المفروضة أو التطوعية دور كبير في حل مشكلة البطالة، ولنا وقفتان عند هذه الأموال وكيف كانت سببا أصيلا في حل هذه المشكلة التي كادت تعصف بالمجتمعات في كل زمان ومكان.

الوقفة الأولى: الحقوق المفروضة في الأموال:

أولاً: الزكاة:شرعت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة، حيث فرضها الله وفاء بحاجات المحتاجين، وتحقيقا لمصالح المجتمع، وهي ركن من أركان الإسلام فرضها الله حقا في مال الغني وجعلها على كل مسلم بالغ إذا بلغ ماله النصاب وحال عليه الحول، والزكاة مورد مالي ضخم حيث تعتبر من أهم موارد الدخل للفقراء والمحتاجين ومن الوسائل الهامة في علاج مشكلة البطالة إذا أحسن توزيعها وأنفقت في مصارفها التي بينها الله تعالى في قوله: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٦٠) وتعتبر الزكاة حق وليس منَة أو تفضلا من الأغنياء على الفقراء، بل إن الأغنياء إذا لم يؤدوها عوقبوا على ذلك، بل ويجب على ولي الأمر أن يحصلها منهم بالقوة إن أنكروها أو أبوا أن يؤدوها، كما فعل أبو بكر الصديق t عندما حارب مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول r حيث إن الزكاة تقوم بعملية إعادة توزيع للدخل فهذا يقلل من حدة التفاوت في الدخول مما يؤثر بشكل إيجابي على تقليل البطالة .

ثانيا: الكفارات: وهي ما فرضه الله تعالى على المخالفين لأحكامه الشرعية بأن يدفعوا جزءا من أموالهم عند كل مخالفة، فالكفارات ليس صدقة ولا إحسان بل هي إلزامية حتمية وقيل في تعريف الكفارة هي عقوبة قدرها الشارع عند ارتكاب مخالفة لأوامر الله تعالى في

حـالات خاصة وهي حـق الله تعالى تكفيرا للذنب الذي ارتكبه المسلم وعقوبة له وزجرا لغيره والكفارات أنواع ويمكن القاء الضوء عليها بإيجاز فيما يلي:

كفـارة اليمين: ويقصد باليمين هنا المنعقدة التي قال الله تعالى فيها: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (المائدة: ٨٩) فالحانث بالخيار بين الإطعام والكسوة والعتق فإن لم يستطع فصيام ثلاثة أيام .

كفـارة الظهار: وهذه الكفارة تجب على من ظاهر من زوجته قائلا لها: أنت علي كظهر أمـي فتصبـح الزوجة محرمة عليه حتى يكفر عن ظهاره وذلـك تأديبا له لعدم صون لسانه، واستهانتـه بحقـوق الزوجية، وكفارة الظهار بينهـا الله تعالى في قوله: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ • فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المجادلـة: ٣، ٤) ويلاحظ من نص الآية أن الكفـارة جاءت هنا على الترتيب فيبدأ بتحرير الرقبـة فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعـين فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكينا لكل مسكين مدان بمد النبي ﷺ .

كفارة التمتع: ويقصد بها من أدى العمرة في أشهر الحج ثم تحلل منها ثم أحرم بالحج فهـذا هـو المتمتع وفي هذا يقول الله تعالى: (فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) (البقـرة:١٩٦) وفي هذه الكفارة مساهمة واضحـة وفعالة في علاج مشكلة البطالة، خاصـة أن تلـك الذبائح أصبحت تذبح بصورة منظمة إذ لا تتعرض إلى التعفن والتلف كما كان يحـدث في الماضـي، كما أن الكثير من تلك الذبائح أصبحت تصل إلى بيوت الفقراء في البلاد الإسلامية عن طريق شحنها إليهم بعد موسم الحج من كل عام .

كفارة قتل الصيد في الحج: وهذه الكفارة قررها الله تعالى بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا

عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ) (المائدة:٩٥) ومن خلال الآية يتبين أن الكفارة في الصيد أثناء الإحرام تدور بين أشياء ثلاثة: إما هديا يساق إلى الكعبة ثم يذبح في الحرم ويتصدق به على الفقراء والمساكين، أو طعاما يتصدق به على فقراء الحرم، أو يصوم عن كل مد من الطعام يوما وهكذا نجد للفقراء والمساكين من هذه الكفارة حظا وافرا يخفف من بؤسهم وحرمانهم، فالقاتل للصيد سواء ساق هديا إلى الكعبة ثم ذبحها، أم تصدق بقيمة ذلك مالا أو طعاما فإن ذلك عائد في النهاية إلى الفقراء والمساكين مما يساهم مساهمة فاعلة في علاج مشكلة البطالة .

كفارة الجماع في نهار رمضان: وهذه الكفارة تجب على من واقع زوجته في نهار رمضان وكفارته على الترتيب: عتق رقبة، فإن لم يستطع فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا، وأصل هذه الكفارة ما ثبت في السنة المطهرة من حديث الأعرابي الذي واقع زوجته في نهار رمضان فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال هلكت قال: ولم ؟ قال: وقعت على أهلي في رمضان قال: فأعتق رقبة، قال: ليس عندي رقبة، قال: فصم شهرين متتابعين، قال: لا أستطيع قال: فأطعم ستين مسكينا قال: لا أجد، فأتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر فقال: أين السائل؟ قال هأنذا، قال: تتصدق بهذا، قال: على أحوج منا يا رسول الله؟ والذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت أحوج منا، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، فأنتم إذن "[1]

ومن خلال الحديث عن الكفارات وما يستجلب منها من أموال تصب أغلبها في مصلحة الفقراء وذلك كله يؤدي إلى التوازن الاجتماعي السليم الذي يحقق الرخاء وبذلك ينشئ مجتمع الكفاية والعدل والمساواة والذي لا يتحقق إلا في ظل التطبيق الكامل لتشريعات الله سبحانه .

ثالثا: النذور: والنذر هو التزام قربة غير لازمة في أصل الشرع بلفظ يشعر بذلك مثل أن يقول المرء: لله علي أن أتصدق بمبلغ كذا، أو إذا شفى الله مريضي فعلي صيام ثلاثة أيام ونحو ذلك[2] والنذر مشروع في الكتاب والسنة قال تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (البقرة: ٢٧٠) وقال رسول الله

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب النفقات باب نفقة المعسر على أهله: ٣ / ٤٢٨ حديث رقم (٥٣٦٨)
(٢) فقه السنة للأستاذ السيد سابق: ٣ / ٣٣

ﷺ « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلا يَعْصِه »[1] فالفقراء لهم نصيب من هذه النذور، وبالإضافة إلى الدور البارز الذي تساهم النذور في علاج مشكلة البطالة فإنها أيضا تخلق جوا هادئا مفعما بالحب والاحترام بين الناذر والفقير مما يؤدي إلى توطيد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع والذي يحقق بدوره الأمن والكفاية بعد الخوف والحاجة والكفاف .

رابعا: زكاة الفطر: وهي واجب مالي فرضه الرسول ﷺ على كل فرد من المسلمين صغيرا أو كبيرا ذكرا أو انثى حرا أو عبدا والحكمة من مشروعيتها بينها النبي ﷺ في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ r زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنْ الصَّدَقَاتِ [2] فالحديث يبين أن زكاة الفطر شرعت لسببين: أحدهما: يتعلق بالصائم الذي لا يخلو صيامه من أن يكون شابه شائب من رفث في الكلام ولغو في القول فشرعت هذه الزكاة لتطهير المسلم مما شاب نفسه أو علق بصيامه من لغو ورفث والثاني: التخفيف من بؤس الفقراء وشقاء المحرومين في يوم العيد خاصة أن أفضل أوقاتها آخر شهر رمضان، والحكمة من تأخير الزكاة إلى ذلك الوقت لإغناء الفقراء يوم العيد بتمكينهم من تلبية احتياجاتهم .

خامسا الأضاحي والهدي: والأضحية: هي الذبيحة التي شرعها الله سبحانه تقربا إليه وإحياء لسنة إبراهيم وقد ثبت مشروعيتها بالقرآن والسنة قال تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) (الكوثر: ٢) وقد ثبت أن النبي ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين قال: ورأيته يذبحهما بيده ورأيته واضعا قدمه على صفاحهما وسمى وكبر " [3]

والهدي: هو ما يهدى من النَعَم إلى الحرم تقربا إلى الله تعالى وهو لا يكون إلا من النعم

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأيمان والنذور باب النذر فيما لا يملك وفي معصية: ٤/٢٢٩ حديث رقم (٦٧٠٠).

(٢) سنن أبي داوود في سننه في كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر: ٢/١٧٩ حديث رقم (١٦٠٩) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داوود: ١/٤٤٧

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الأضاحي باب ذبح الأضاحي بيده: ٤ / ٧حديث رقم (٥٥)

كالإبل والبقر والغنم الذكر منها والأنثى والحكمة بارزة من الهدي وهي ما يعود على الفقراء بالنفع .ففي الهدي إطعام البائس والفقير والقانع والمعتر [1] وذلك في قوله: (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) (الحج :٢٨)

الوقفة الثانية : الحقوق التطوعية في الأموال:

أولا: الصدقات: وهي باب عظيم من أبواب الخير، وطريق واسع من بين طرقه الكثيرة يقبل المرء عليها طواعية من نفسه لا يدفعه إلى البذل والعطاء والبر والإحسان إلا الضمير الحي، والصدقات درب من دروب الخيرات التي حث الله إلى المسارعة والاستباق إليها حيث قال: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (البقرة :١٤٨) وقال في موضع آخر: (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) (الحديد:١٨) وتعظيما لأمر الصدقة وترغيبا بها وحثا عليها فقد أسند الله سبحانه وتعالى أخذ الصدقة إلى نفسه فقال: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) (التوبة :١٠٤) يقول الحافظ ابن كثير: وقوله: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) هذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منها يحطُّ الذنوب ويمحصها ويمحقها، وأخبر تعالى أن كل من تاب إليه تاب عليه، ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها، حتى تصير التمرة مثل أحد. كما جاء بذلك الحديث عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم، كما يربي أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتَصير مثل أحد" [2] وتصديق ذلك في كتاب الله، عز وجل (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) (التوبة :١٠٤) " وقوله: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) (البقرة: ٢٧٦)

ثانيا: الهبات: وعرفها العلماء بأنها: عقد صريح يتصرف بمقتضاه الواهب في ماله دون

(١) البائس: شديد الفقر، والقانع: الفقير الذي يتعفف عن السؤال، والمعتر: الفقير الذي يتعرض ليعطى منها. ينظر المختصر في التفسير ــ مركز تفسير للدراسات القرآنية ص ٣٣٥، ٣٣٦ المملكة العربية السعودية ـ الرياض ط الثانية ١٤٣٦ه ٢٠١٤م.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب الزكاة باب ما جاء في فضل الصدقة: ٣ / ٤١ حديث رقم (٦٦٢) وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح .وصححه الشيخ الألباني ينظر صحيح سنن الترمذي: ٣٥١/١ حديث رقم (٦٦١)

عوضـ، أو هي تمليك عين بـلا شرط عوض [١] والحصول على المـال عن طريق الهبة طريق مشروع أحله الله تعالى للموهوب له وأباح له التصرف بالهبة كيفما رغب كما لو كان حاصلا عليهـا بكده وسعيه واجتهاده، والهبة وسيلة من وسائل علاج البطالة خاصة إذا كان الموهوب له المال فقيرا يعاني من البؤس والقلة والحرمان، وقد دل القرآن الكريم على مشروعية الهبة حيـث قال سبحانـه: (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَـنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًـا مَرِيئًا) (النساء: ٤) دلت الآية الكريمة على أنه يجوز للزوجة أن تهب صداقها لبعلها بكـرا كانت أم ثيبا وبه قال جمهور العلمـاء [٢] ويجب أن تخرج الهبة من يد الواهب عن طيب نفس وقناعة كي لا يتراجع الواهب عنها، لأن التراجع عن الهبة فيه حرج وأذى للموهوب له، وقد حذر النبي ﷺ عن ذلك ونفر منه حيث قال: " العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه [٣] فالهبات لها أثر عظيم في نشر الألفة والمحبة وسد الحاجات، كما تعد عاملا مساعدا للتخفيـف مـن شقاء الفقراء وبؤسهم حيـث يتحول الفقير بها أحيانـا إلى غني أو ينتقل من مرحلـة العدم والعوز والحاجة إلى حد الكفاية بحيث يصبح في غنى عن سؤال الناس وطرق أبوابهم [٤] .

ثالثـا: كفالـة الأغنياء للأقـارب الفقراء: المتصفـح في كتاب الله يجد أنـه حث المسلم علـى الإنفاق علـى أقرب الناس إليه كالوالدين ومن يليهما من الأقارب حيث هم أولى الناس بالـبر والإحسان لأنه أعلـم الناس بأحوالهم، وأشفق الخلق عليهم وأرأفهم به وفي ذلك يقول سبحانه: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍفَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) (البقرة : ٢١٥) عـن ابـن عباس أن الآية نزلت عن عَمْرِو بْنِ الْجَمُـوحِ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا هَرِمًا، وَهُوَ الَّذِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَعِنْدَهُ مَالٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ: مَاذَا نُنْفِقُ مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَيْنَ نَضَعُهَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ[٥]...

(١) المـيراث والوصيـة والهبـة في الشريعـة الإسلامية والقانون لبـدران أبو العينـين بدران صـ ٢١٦ ط دار الوفاء بالقاهرة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٦ / ٤٥.

(٣) أخرجـه البخـاري في صحيحه في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها: ٢٣٣/٢ حديث رقم (٢٥٨٧).

(٤) عـلاج مشكلة الفقر دراسة قرآنيـة موضوعية د عبدالسلام حمدان اللوح ود محمود هاشم عنبر مجلة الجامعة الإسلامية المجلد السابع عشر ص ٣٣٨، ٣٣٩ العدد الأول يناير ٢٠٠٩

(٥) لبـاب النقـول في أسباب النـزول للحافظ جلال الدين السيوطـي: ص ٤١ ط مؤسسة الكتـب الثقافية ط الأولي ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .

اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى رَاعَى التَّرْتِيبَ فِي الْإِنْفَاقِ، فَقَدَّمَ الْوَالِدَيْنِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمَا كَالْمُخْرِجِ لَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ فِي عَالَمِ الْأَسْبَابِ، ثُمَّ رَبَّيَاهُ فِي الْحَالِ الَّذِي كَانَ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ، فَكَانَ إِنْعَامُهُمَا عَلَى الِابْنِ أَعْظَمَ مِنْ إِنْعَامِ غَيْرِهِمَا عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (الْإِسْرَاء: ٢٣) وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ رِعَايَةِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ أَوْجَبُ مِنْ رِعَايَةِ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الْإِنْسَانَ من العدم إلى الوجود في الحقيقة، والولدان هُمَا اللَّذَانِ أَخْرَجَاهُ إِلَى عَالَمِ الْوُجُودِ فِي عَالَمِ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ، فَثَبَتَ أَنَّ حَقَّهُمَا أَعْظَمُ مِنْ حَقِّ غَيْرِهِمَا فَلِهَذَا أَوْجَبَ تَقْدِيمَهُمَا عَلَى غَيْرِهِمَا فِي رِعَايَةِ الْحُقُوقِ، ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى بَعْدَ الْوَالِدَيْنِ الْأَقْرَبِينَ، وَالسَّبَبُ فيه أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَقُومَ بِمَصَالِحِ جَمِيعِ الْفُقَرَاءِ، بَلْ لَا بُدَّ وَأَنْ يُرَجِّحَ الْبَعْضَ عَلَى الْبَعْضِ، وَالتَّرْجِيحُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُرَجِّحٍ، وَالْقَرَابَةُ تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ سَبَبًا للتَّرْجِيحِ مِنْ وُجُوهٍ أَحَدُهَا: أَنَّ الْقَرَابَةَ مَظِنَّةُ الْمُخَالَطَةِ، وَالْمُخَالَطَةُ سَبَبٌ لِاطِّلَاعِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى حَالِ الْآخَرِ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُهُمَا غَنِيًّا وَالْآخَرُ فَقِيرًا كَانَ اطِّلَاعُ الْفَقِيرِ عَلَى الْغَنِيِّ أَتَمَّ، وَاطِّلَاعُ الْغَنِيِّ عَلَى الْفَقِيرِ أَتَمَّ، وَذَلِكَ مِنْ أَقْوَى الْحَوَامِلِ عَلَى الْإِنْفَاقِ وَثَانِيهَا: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرَاعِ جَانِبَ الْفَقِيرِ، احْتَاجَ الْفَقِيرُ لِلرُّجُوعِ إِلَى غَيْرِهِ وَذَلِكَ عَارٌ وَسَيِّئَةٌ فِي حَقِّهِ فَالْأَوْلَى أَنْ يَتَكَفَّلَ بِمَصَالِحِهِمْ دَفْعًا لِضَرَرِ عَنِ النَّفْسِ وَثَالِثُهَا: أَنَّ قَرِيبَ الْإِنْسَانِ جَارٍ مَجْرَى الْجُزْءِ مِنْهُ وَالْإِنْفَاقُ عَلَى النَّفْسِ أَوْلَى مِنَ الْإِنْفَاقِ عَلَى الْغَيْرِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ كَانَ الْإِنْفَاقُ عَلَى الْقَرِيبِ أَوْلَى مِنَ الْإِنْفَاقِ عَلَى الْبَعِيدِ[1] كما سمى الله تعالى حق الفقراء خيرا، وحكم بالفلاح والفوز لمن أدى ذلك الحق قال تعالى: (فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الروم: ٣٨) قال الإمام الشوكاني: أشار الله إلى ما ينبغي من مواساة القرابة، وأهل الحاجات ممن بسط الله له في رزقه، فقال: " فَآتِ ذَا القربى حَقَّهُ " والخطاب للنبي ﷺ وأمته أسوته، أو لكل مكلف له مال وسع الله به عليه، وقدم الإحسان إلى القرابة لأن خير الصدقة ما كان على قريب، فهو صدقة مضاعفة وصلة رحم مرغب فيها[2] .

وجدير بالذكر أن كفالة الغني لقريبه الفقير لا تعني مجرد صدقة من الصدقات بين

(١) مفاتيح الغيب للفخر الدين الرازي: ٦ / ٣٨٣، ٣٨٤ بتصرف

(٢) فتح القدير للشوكاني: ٤ / ٢٢٦

الحين والحين الآخر لكن الكفالة هنا لها مفهوم أوسع وأشمل هي أن يتعاهده بصدقاته وأمواله وأن يداوم على بره وإحسانه، وأن يقوم على تلبية حاجاته وذلك بتخصيص نصيب معلوم له يغنيه عن سؤال الناس، فالغني هو أولى الناس بالإحسان لقريبه الفقير وأعطف الناس عليه وأكتمهم لسره .

رابعا: كفالة اليتامى: اليتامى جمع يتيم وهو من الناس من فقد أباه قبل سن البلوغ، وهي السن التي يستغني فيها عن كفالته، وفي عرف الفقهاء من مات أبوه وهو صغير فمتى بلغ زال يتمه، إلا إذا بلغ سفيها فإنه يكون في حكم اليتيم ولا يزال عنه الحجر[1] وقد اهتم القرآن الكريم اهتماما بالغا باليتيم فأمر بكفالته والإحسان إليه وامتدح البارين به المطعمين له رغم قلة الطعام بين أيديهم فقال سبحانه: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان: ٨) وأمر الله بعبادته ونهى عن الإشراك معه غيره ثم أمر بالإحسان إلى الوالدين وبذي القربى واليتامى قال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ...) (النساء: ٣٦) اليتيم بحاجة إلى من يعوله ويرعاه، وإذا قسا أبناء المجتمع عليه وحرموه العطف والرحمة ومنعوه المحبة والمودة وتركوه نهبا للفقر والحاجة فسيقسوا على مجتمعه وتمتلئ نفسه بالحقد والكراهية، وقد يلجأ إلى المسألة والتسول في الطرقات ويصبح نقطة ضعف في المجتمع، ومنظرا يسوء الناظرين ووصمة عار في جبين الأغنياء من المسلمين[2] .

وقد حث الله تعالى على رعاية اليتم؛ لأنه جزء من قوة الأمة، وعنصر من عناصر الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم. قال تعالى: (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح) (البقرة: ٢٢٠) وأمر سبحانه بإكرامهم، ونهى عن قهرهم وإذلال نفوسهم، حتى لا ينفروا ممن حولهم ، ويحقدوا على مجتمعهم ويعادوه قال تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر) (الضحى: ٩) واعتبر الذين يمنعون اليتيم من حقه أو يدفعونه احتقاراً وزجراً أو يستعلون على جانبه الضعيف تسلطاً وامتهاناً

(١) تفسير المنار للأستاذ محمد رشيد رضا: ٤ / ٢٧٨

(٢) ينظر رعاية اليتامى والضعفاء في الإسلام لمحمد شوقي محمد نصار: ص ١٣،١٤ رسالة دكتوراه سنة ١٣٩٩ه ١٩٧٩م.

اعتبرهـم ممن يكـذب بعدل الله ويستخف بجزائه في اليوم الآخر. قـال سبحانه (أرأيت الذي يكـذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم) (الماعون:١، ٢) وهكذا جعل الإسلام بر اليتيم وحسـن تربيته والقيام على شؤونه من معالم الإيمان الكامل، وبوأ فاعل ذلك مكانة عالية في جنات النعيم، قال النبي ﷺ " أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِى الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى"[1]

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الطلاق باب اللعان: ٣ / ٤١٣ حديث رقم (٥٣٠٤)

المبحث الرابع

دور المسجد في معالجة البطالة في ضوء القرآن الكريم

للمسجد منزلة عظيمة في الإسلام، ومزايا جمة، فهو محراب للعبادة، ومدرسة للعلم، وندوة للأدب، وهو مصحة للأرواح كما هو مشفى للأبدان، وقد جعل الله للمساجد قدراً ومكانة، وكفاها فخراً ـ ما جاء بشأنها في القرآن الكريم ـ قول الله جلا وعلا: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن: ١٨) وبين الله سبحانه وتعالى لعباده أن المساجد مكان لعبادته وحده، والاعتراف بألوهيته وربوبيته، فلا يجوز الالتجاء والتوجه والدعاء إلا له سبحانه وتعالى.. وقد مدح الله جل وعلا أولئك الذين يعمرون المساجد بقوله: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (التوبة: ١٨) وفي بيوت الله ترى المؤمنين خشعاً سجداً يسبحون بحمد الله، لا تشغلهم هموم الدنيا وما فيها.

علماً أن دور المسجد لم يكن محصوراً عند أداء العبادات، بل كان له ـ كما هو معروف تاريخياً ـ دور سياسي، وثقافي، واجتماعي، وتنظيمي، وقضائي، فالمسجد يربي أبناء الأمة الإسلامية على روح الجماعة والاتحاد، وأنه بمثابة مؤتمر مصغر لطرح مشاكل الأمة، وإيجاد الحلول لها، وغير ذلك من الأدوار الفعالة.[١]

كان المسجد في صدر الإسلام وفي القرون التي تلته يؤدي خدمات عدة، بالإضافة إلى تأدية العبادات، فكان يؤدي دور أرقى الجامعات من ناحية تخريج القادة المحنكين والعلماء الأفذاذ، وأصحاب المهن والكفاءات، وكذلك كان يقوم بدور المشافي في معالجة المرضى والمعاقين، ويقوم بدور الجمعيات الخيرية لجمع التبرعات والصدقات للفقراء والمساكين،

(١) دور المسجد في تحقيق مفهوم الأمن الاجتماعي أد / عبد الكريم بن صنيتان العمري ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض في ٢/٢١ / ١٤٢٥هـ: الموقع الالكتروني:
http://www.alajman.ws/vb/showthread.php

وكذلك يقوم بدور الكلية الحربية والأركان والتصنيع العسكري، لتخريج الجنود والجنرالات، وكذلك يقوم بدور مراكز الشباب من ناحية التوجيه والتقويم والإرشاد، وبث روح المحبة والألفة، وجمع الكلمة، والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك يقوم بتكوين الأسر، وتربية الأطفال والنشىء، كما يقوم برعاية الشؤون الاجتماعية من جميع النواحي، وكان بمثابة ملجأ وملاذ لمن لا مكان له ولا دار، فيجد فيه المسلم المطعم والمشرب، وهكذا أدى المسجد في القرن الأول والذي تلاه خدمات كثيرة؛ لا يستطيع أن يقوم بها في وقتنا الحاضر إلا جهات متخصصة ومؤسسات عدة، لذلك فلا عجب أن يبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام أولاً ــ عند وصوله إلى (بني عمرو بن عوف) عند هجرته إلى المدينة ــ ببناء مسجد قباء، وهو المسجد الذي أشار الله إليه جلت قدرته وتباركت أسماؤه في قوله: (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فيه فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) (التوبة: ١٠٨)[١]

والمسجد يعمل على ترسيخ مبدأ التكافل الاجتماعي فيساهم في علاج مشكلة البطالة، وذلك من خلال الدور الذي يقوم به إمام المسجد وخطيب المسجد وأسرة المسجد، ويمكن لإمام المسجد وخطيبه أن يقوم بدورٍ حيوي لتحقيق الترابط الأخوي، ودعم أجواء الأمن والسلامة، وصيانة المجتمع من دواعي الأنانية والتعسف، لإيجاد مجتمع فاضل متعاون، من خلال حثّه المصلين على القيام بتوطيد العلاقة بينهم، و تجسيد نظام التكافل الاجتماعي، وشعور كل مسلم بمسؤوليته نحو مجتمعه، فيعمل كل فرد على تعميق معاني الأخوة الإيمانية، بتبادل مشاعر المحبة والود، وتصفية النفوس من الشحناء، وتنقيتها من العداوة والبغضاء، وسعي كل عضو لدفع مظاهر السخرية والاحتقار، والعمل على فك الضائقات وتفريج الكربات، بالبذل والإنفاق، وتفقد المحتاجين من أبناء الحي والتبرع لهم، والعطف على المعوزين والمعدمين، والنظر في أحوال المرضى والمعاقين، والرحمة بهم، ومدّ يد العون لأولئك الذين عضتهم أنياب الفقر، وأصابتهم الفاقة، والعناية بمن يحتاجون إلى رعاية مادية ومعنوية.

(١) المرجع السابق .

كما أن إمام المسجد يستطيع -بما يحظى به من ثقة- أن يستقطب الأثرياء وذوي اليسار من أبناء الحي، ليكونوا مصدر تمويل لإخوانهم المحتاجين، للتخفيف من معاناتهم، ومساعدتهم بما أنعم الله عليهم من المال، وسدّ حاجات الفقراء، وبسط أيديهم للإنفاق على العجزة والأيامى، والمكلومين واليتامى، والعاجزين عن التكسب والعمل، والتخفيف من آلامهم، كلُّ ذلك من أجل إقامة جسور من الرحمة والرأفة مع أفراد المجتمع، الذين أدت بهم الظروف المعيشية إلى الوصول إلى هذه الحالة، وإشباعهم وإكفائهم وانتشالهم من مذلة السؤال ومهانته وهذا كله يساعد في القضاء على البطالة

ولقد جعل النبي ﷺ المسجد بمثابة مكتب للخدمات الاجتماعية وجمع التبرعات ومعاونة المحتاجين ـ إلى جانب أداء الصلاة فيه ـ فعَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (النساء: ١) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: (اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ) (الحشر: ١٨) « تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ r يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ (١)

ويبدو لنا من الحادثة السابقة مدى تأثير الخطبة التي ألقاها الرسول ﷺ في المسلمين والتي يهيب فيها بالمسلمين التبرع ومساعدة المحتاجين، ولم يتأخر أحد في تقديم ما تجود به نفسه استجابة لمطلب الرسول ﷺ ولم تكن هذه الخطبة إلا واحدة من خطب مثيلة لها في التأثير والاستجابة في مختلف شئون الحياة الاجتماعية والدينية والأخلاقية .

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار: ٢ / ٧٠٤ حديث رقم (١٠١٧).

ولئن كانت المؤسسات الاجتماعية "اليوم" تبذل قصارى جهدها للاهتمام بالفئات التي تحتاج إلى الرعاية والعناية الاجتماعية من المعوقين والفقراء والمعوزين والمرضى والغرباء واليتامى ممثلة في دور الرعاية الاجتماعية فإننا نرى المسجد النبوي قبيل خمسة عشر قرناً من الزمان كان يقوم بهذا الدور على أكمل وجه، كما كان مسجد الرسول ﷺ يقوم مقام ... الجمعيات الخيرية في جمع الزكاة والصدقات من الموسرين والمنفقين وتوزيعها على مستحقيها من الفقراء والمساكين وغيرهم من مصارف الزكاة.[1] ولقد وجدت في المسجد النبوي وفي مؤخرته على وجه التحديد "الصفة" يأوي إليها الغرباء والمعدمون ويجدون فيها الطعام والشراب والكساء والمبيت كما كانت الصفة هذه مكاناً لإقامة الذين حبسوا أنفسهم لطلب العلم .[2] وحديث أهل الصفة ومدى حاجتهم ووقوف النبي ﷺ بجوارهم وإمدادهم بالمأكل والمشرب والحاجة وإحاطتهم بالحماية والرعاية مشهور في صحيح الإمام البخاري[3]

من خلال ما سبق يتضح لنا الدور الاجتماعي الذي كان يقوم به المسجد باعتباره جزءاً من دوره التربوي في المجتمع الإسلامي، كما يتضح لنا أن هذا الدور سار جنباً إلى جنب وباتزان بديع مع الأدوار التربوية الأخرى التي كان يقوم بها المسجد في المجتمع الإسلامي.

وفي النهاية أقول: إن المسجد جزء مهم من مكونات المجتمع المسلم ولا يؤدي هذا المجتمع وظيفته في الحياة إلا بالمساجد، وإذا أصبح المسجد على نحو ما ذكرنا وعلى ما كان عليه في العهد النبوي فإن المتوقع بل الأكيد أن تكون حال المجتمع المسلم كله على النحو الأحسن والصورة الأكمل، وإذا كانت الأمة الإسلامية تشكو الآن من انحراف الشباب فيها عن جادة الإسلام فإن عودة هؤلاء الشباب إلى الجادة وتربيتهم على الأخلاق الإسلامية السوية إنما يبدأ من المسجد وإذا كان للأمة الإسلامية مشكلات تعترضها وعلى رأسها مشكلة البطالة فإن أسلوب التغلب على هذه المشكلات إنما يبدأ من المسجد، وأكرر وأذكر أن أول عمل وأهم

(١) دور المسجد في التنمية المهنية والعلمية د . أنور نصار جامعة القدس المفتوحة الموقع الالكتروني: http://islamport.com/w/amm/Web

(٢) «كان أهل الصفة ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ لا منازل لهم، فكانوا ينامون على عهد رسول الله ﷺ في المسجد، ويظلون فيه، ما لهم مأوى غيره» الطبقات الكبرى لابن سعد: ١/ ٢١٩.

(٣) ينظر صحيح الإمام البخاري كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا: ٤ / ١٨٢، ١٨٣ حديث رقم (٦٤٥٢) .

عمل قام به رسول الله ﷺ في المدينة بعد أن انتقل إليها وأسس فيها أول دولة إسلامية عرفتها البشرية هو بناء المسجد ومنه كان الانطلاق .

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أنزل القرآن شِرعة ومِنهاجاً، وتفصيلاً لكلِ شيء، والصلاة والسلام على النبي الأمي محمد r الذي يتلو على عباده المؤمنين آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد:

من أهم المشكلات التي يعاني منها العالم اليوم في هذا العصر وأكثرها ظهوراً، وأشدها خطراً على الأمة، وعلى كيانها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والأمني: مشكلة البطالة، والقرآن الكريم تعرض لهذه المشكلة ووضع لها العلاج المناسب لكل عصر وفي كل مصر، ومن خلال بحثي المتواضع (علاج البطالة في ضوء القرآن الكريم ـ دراسة موضوعية) أذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها :

أولا: أهم نتائج البحث:

وضع وسائل وقائية لتجنب هذه المشكلة العميقة التي تؤرق المجتمعات الإسلامية في كل زمان ومكان .

الدعوة إلي العمل والسعي على الرزق وأنه عبادة تكفر بها الذنوب، والتأسي في ذلك بالأنبياء عليهم السلام .

للتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع آثاره التربوية النافعة في معالجة النفوس وإصلاح القلوب وتهذيب السلوك والطباع وترسيخ التآلف والتعايش الودي الآمن والمعالجة العملية لمشكلة البطالة .

لتفعيل دور الحقوق المفروضة والتطوعية في الأموال دور كبير في حل مشكلة البطالة، وذلك من خلال استغلال هذه الأموال وتوظيفها فيما يعود على المجتمع الإسلامي كله وخاصة على الفقراء منهم والمحتاجين بالخير والنفع .

للمسجد دور كبير ومنزلة عظيمة في الإسلام، وله دور فعال في القضاء على ظاهرة البطالة حيث يربي أبناء الأمة الإسلامية على روح الجماعة والاتحاد، وهو بمثابة المؤتمر المصغر لطرح مشاكل الأمة وإيجاد حلول لها، لذا كان أول عمل وأهم عمل قام به رسول الله ﷺ في المدينة بعد هجرته إليها بناء المسجد ومنه كان الانطلاق .

ثانيا : أهم التوصيات:

عقد ندوات ومؤتمرات يُوضَح فيها البَون الشاسِع بين معالجة المشرع ـ سبحانه وتعالى ـ لبعض المشكلات كالبطالة وبين المعالجة البشرية الوضعية ليظهر الفرق بين معالجة الخالق والمخلوق وصدق الله القائل: (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة: ٥٠).

تكثيف الجهود من الأفراد والجماعات بل والدول للقضاء على مشكلة البطالة وذلك بتوفير فرص عمل حقيقية أمام كل قادر وراغب فيه .

الحرص على تعليم الأبناء بعض الحرف أسوة بالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ حتى لو لم يعملوا بها .

إنشاء هيئة عليا لمعالجة البطالة تضم الوزارات وأهل الخبرة والاختصاص والجهات ذات العلاقة بمشكلة البطالة لوضع الحلول موضع التنفيذ .

وفي النهاية نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما كتبنا، وينفع به المسلمين، وأن يأخذ بنا إلى طريق الخير والصلاح، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم جل من أنزله

٢. الإعجاز التشريعي في علاج مشكلة الفقر من منظور قرآني، محمود عنبر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٠م.

٣. الاقتصاد الإسلامي بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي د/ يوسف القرضاوي مكة المكرمة ١٣٩٦ ه

٤. البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة د. عاطف عبدالفتاح عجوة ط المركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض ١٤٠٦ ه ١٩٨٥ م

٥. البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها دراسة مقارنة د. محمد عبد الله مغازي ط دار الجامعة الجديدة الإسكندرية ٢٠٠٥م

٦. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تحقيق سامي محمد سلامة ط دار طيبة للنشر والتوزيع ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

٧. تفسير المنار المسمى بـ تفسير القرآن الحكيم للأستاذ محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤) ط دار المعرفة ـ بيروت ط الثانية .

٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي ط مطبعة دار السعادة بالفجالة ـ القاهرة

٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ط مؤسسة الرسالة ط ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١٠. الثروة في ظل الإسلام للبهي الخولي ط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ط الثانية ١٣٩١ ه ١٩٧١م

١١. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: عبدالله التركي وكامل الخراط ومحمد معتز ط مؤسسة الرسالة ١٤٢٧ه ٢٠٠٦م

١٢. سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط دار إحياء الكتب العربية

١٣. سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥ ه) طبعة دار ابن حزم بالرياض الطبعة الأولي ١٤١٨ ه ١٩٩٧ م

١٤. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط دار إحياء التراث العربي ط الثانية ١٣٨٨ ه ١٩٦٨ م

١٥. سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي (١٣٧٤) تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ط مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤٠٢ ه ١٩٨٢ م

١٦. صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) تحقيق مجد الدين الخطيب وآخرين طبعة المكتبة السلفية بالقاهرة الطبعة الأولي ١٤٠٠ هـ

١٧. صحيح الجامع الصغير وزيادته لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ ه) طبعة المكتب الإسلامي. بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨ ـ

١٨. ـــ صحيح سنن ابن ماجة لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠ ه) ط مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الأولي ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م

١٩. صحيح سنن ابي داود لمحمد ناصر الدين الألباني(ت ١٤٢٠ ه) ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ الطبعة الأولي ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م

٢٠. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ) تحقيق علي محمد عمر، ط مكتبة الخانجي – القاهرة ط الأولى، ٢٠٠١ م

٢١. ظاهرة البطالة في الأردن، وزارة العمل الأردنية سنة ١٩٨٠

٢٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشيخ محمد بن علي

بـن محمد الشـوكاني (ت ١٢٥٠ ه) ط دار الفكـر للطباعة والنشـر والتوزيع ١٤٣٠ ه ١٩٨٣ م.

٢٣. فقـه السنـة للشيخ السيد سابـق (ت١٤٢٠ ه) ط دار الكتاب العربي ط الأولى ١٣٩١ ه ١٩٧١ م

٢٤. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية لمحمد عمارة ط دار الشروق بيروت ١٩٩٣م

٢٥. لبـاب التأويـل في معـاني التنزيل لعـلاء الدين علي بـن محمد أبو الحسـن المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) ط دار الفكر بيروت / لبنان - ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م

٢٦. لباب النقول في أسباب النزول للحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١ ه) ط مؤسسة الكتب الثقافية ط الأولي ١٤٢٢ ه ٢٠٠٢ م

٢٧. مجموعة الوثائق السياسيـة في العهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله: ط دار النفائس ١٤٠٧ ه ١٩٨٧ م

٢٨. محاسـن التأويل لمحمد جمال الدين بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود ط دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٤١٨ هـ

٢٩. المختصـر في التفسـير ـ مركز تفسير للدراسات القرآنية المملكـة العربية السعودية ـ الرياض ط الثانية ١٤٣٦ ه ٢٠١٤ م

٣٠. مشكلة البطالة وعلاجها بين الفقه والقانون لجمال حسن أحمد السراحنة ط اليمامة للطباعة والنشر ـ دمشق ـ بيروت ط الأولى ١٤٢٠ ه ٢٠٠٠ م

٣١. مشكلة العطالة لعمر محمد علي محمد نشر المجلس القومي للبحوث السودان ١٩٧٤م.

٣٢. المعجـم المفهرس لألفاظ القرآن الكـريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦ م

٣٣. مفاتيـح الغيب لأبي عبـد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخـر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الثالثة - ١٤٢٠ هـ

٣٤. منظمة العمل العربي مكتب العمل الفرعي، مؤتمر العمل العام، الدورة ٧١ لعام ١٩٨٥

٣٥. الموسوعة الاقتصادية د/ راشد البراوي نشر دار الشروق بجدة ١٣٩٩ ه

٣٦. الميراث والوصية والهبة في الشريعة الإسلامية والقانون لبدران أبو العينين بدران ط دار الوفاء بالقاهرة ١٣٨٩ ه ١٩٦٩ م

٣٧. نظرة الإسلام إلى أزمات ومشاكل الاقتصاد الوضعي د / حسين شحاته مجلة الاقتصاد الإسلامي دبي العدد ٣٣ ص ٢٩ شعبان ١٤٠٤ه

(مواقع إلكترونية)

٣٨. دور المسجد في تحقيق مفهوم الأمن الاجتماعي أ.د/ عبد الكريم بن صنيتان العمري ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض في ٢/٢١ / ١٤٢٥هـ: الموقع الالكتروني:

http://www.alajman.ws/vb/showthread.php

٣٩. دور المسجد في التنمية المهنية والعلمية د . أنور نصار جامعة القدس المفتوحة ـ الموقع الالكتروني:

http://islamport.com/w/amm/Web

٤٠. دور المسجد في مكافحة الفقر والبطالة أد / إسماعيل سعيد رضوان ـــ الموقع الالكتروني:

http://www.riyadhalelm.com

عبير بنت مشبب بن محمد بن أحمد آل جعال الأحمري

الاســـــــــــم	عبير بنت مشبب بن محمد بن أحمد آل جعال الأحمري.
مكان الميلاد وتاريخه	أبها- ١٤٠٦/٧/١٨هـ
المـــؤهـــل الـعـلـمـي	ماجستير في التفسير وعلوم القران
مكـان الحـصـول عليه	– كلية الدعوة وأصول الدين – قسم الكتاب والسنة- جامعة أم القرى/ بمكة المكرمة عام ١٤٣٥ه.
الـــدرجـــة الـعـلـمـيـة	محاضر بجامعة تبوك.
التخصص العلمي العام	الدراسات الإسلامية.
التخصص العلمي الدقيق	التفسير وعلوم القرآن.
الـــعـــمـــل الحـــالي	باحثة في التفسير وعلوم القرآن- مرحلة الدكتوراة -بجامعة أم القرى. محاضره بقسم الدراسات الإسلامية -بجامعة تبوك-
الإنـــتـــاج الـعـلـمـي	العفة في ضوء القرآن الكريم- ضمن موسوعة التفسير الموضوعي- مقبول للنشر لدى مركز تفسير. التناسق الموضوعي في سورة النجم - دراسة موضوعية رسالة ماجستير. رحمة النبي ﷺ بأعدائه-دراسة قرآنية، منشور لدى المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام.
الـــعـــنـــوان	العنوان: المملكة العربية السعودية ـ مكة المكرمة. حالياً البريد الإلكتروني:abeeranor23@hotmail.com

النُّشوز بين الزوجين (دراسة قرآنية)

بحث مقدم إلى
المؤتمر الدولي القرآني الأول لتوظيف الدراسات القرآنية في علاج الدراسات المعاصرة
والذي تعقده كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد – أبها – المملكة
العربية السعودية

إعداد
أ. عبير مشبب محمد أحمد آل جعال الأحمري
ماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى
محاضره في قسم الدراسات الإسلامية
جامعة تبوك- كلية التربية والآداب –

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، تبصرة وذكرى لأولى الألباب، وجعل الحمد فاتحة أسراره، وخاتمة تصاريفه وأقداره، والصلاة والسلام الأتمان على من أنار الله ببعثته المسالك والبصائر، وعلى آله وصحابته أولي النهى والأحلام.

أما بعد:

فلا ريب أنّ قضايا الأسرة والعشرة بين الزوجين من القضايا الهّامة والحسّاسة، ولا شك في ذلك وقد حظيت هذه القضية بالعناية والرعاية في الكتاب العزيز وفي السنّة المطهرة، حتى صارت أمور البشرية بعامة وقضايا الأسرة بخاصة في نصابها الصحيح ووضعها المستقيم.

ومن تلك القضايا الحسّاسة في شأن الأسرة والعشرة بين الزوجين مسألة النُّشوز بين الزوجين، هذه المسألة الهامة التي جاء علاجها الناجع واضحاً بيّناً في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

ولهذا فإن الحياة الزوجية القائمة على أساس من التقوى لله ومراعاة ما يجب من الحقوق وحسن العشرة بين الزوجين، لهي حياة السعادة والمودة، حياة الرحمة والألفة والمحبة، وإن الإخلال بهذا المبدأ لهو السبب في سوء العشرة وزرع الفرقة والنفرة بين الزوجين، ومن مظاهر سوء العلاقة الزوجية ما يسمى بالنشوز.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

لما كان هذا الأمر - النشوز - من أسباب فساد العشرة، وزرع الفتنة والعداوة بين الزوجين، بل ربما تعاظم الأمر فأوصلها إلى هدم البيوت التي حث الإسلام على رعايتها.

لخطورة هذا الأمر وأثره على حياة الزوجين أنزل الله بيانه وعلاجه في كتابه الكريم، وفي سنة رسوله ﷺ.

أهداف البحث:

تحديد مفهوم النّشوز ومرادفاته في السياق القرآني.

دراسة الأسباب التي تدفع أحد الزوجين للنشوز، وأمارات وقوعه.

الوقوف على المعالجة الشرعية لحل الخلاف الزوجي في ضوء القرآن الكريم.

خطة البحث:

المبحث الأول: النُّشوز بين الزوجين مفهومه.

- المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي.
- المطلب الثاني: النُّشوز في الاستعمال القرآني.
- المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة.

المبحث الثاني: النُّشوز بين الزوجين أماراته وأسبابه.

- المطلب الأول: أمارات النُّشوز بين الزوجين.
- المطلب الثاني: أسباب النُّشوز بين الزوجين.

المبحث الثالث: النُّشوز بين الزوجين علاجه.

- المطلب الأول: علاج نشوز الزوج.
- المطلب الثاني: علاج نشوز الزوجة.
- المطلب الثالث: علاج نشوز الزوجين.

منهج البحث:

وفيه سرت بحول الله متبعة المنهج الاستقرائي الاستنباطي، بداية بجمع الآيات التي تحدثت عن النّشوز وتصنيفها تصنيفاً موضوعياً، ثم بتعريف مصطلحات هذا البحث، واستخراج أقوال المفسرين والفقهاء فيما يخص الموضوع.

وقد مضيت في كتابته وفق المنهج العلمي الآتي:

جمع الآيات التي لها علاقة بعناوين هذا البحث.

الالتزام بمنهجية البحث في التفسير الموضوعي، والبعد عن الضعيف والإسرائيليات، وربط القرآن الكريم بالواقع.

عـزو الآيات وترقيمهـا؛ بذكر اسم السورة مع رقم الآيـة ووضعها بين قوسين وذلك بعد نهاية الآية المنقولة، هكذا (البقرة: ٥).

تخريـج الأحاديـث الواردة في البحث، ونقل أقوال العلمـاء في الحكم عليها تصحيحاً أو تضعيفاً؛ إذا كان الحديث في غير الصحيحين من غير توسع.

تزويد البحث بالفهارس الآتية: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

والله الرحمـن الرحيـم أسأل أن يجعل هـذا البحث عملاً صالحًا ولوجهـه خالصًا وأن يكتـب لـه القبول والنفع، ويغفـر لي ما كان به من زلـل أو تقصير، ويجزي كل مـن صوّبه أو نصحني فيه خير الجزاء إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول

النُّشوز بين الزوجين مفهومه

النشـوز حالة من حالات الاختلاف بين الرجل وزوجته، وقد تطرق إليها الشارع الحكيم ووضـع آليات لحل هذا النـزاع. لئلا لا تتفكك الروابط الأسرية؛ من أجل الوصول لغاية نبيلة كريمة تضمن استقرار الحياة الزوجية.

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للنشوز.

يتناول هذا المطلب الحديث عن معنى النشوز في اللغة، وعند أهل الاصطلاح؛ من أجل الوصول إلى الأحكام الشرعية التي تبنى عليه.

تعريـف النشـوز لغة: مصدر نَشَزَ، يَنْشُـزُ، بضم الشين وكسرها، وهـو المتن المرتفع من الأرض، وهو أيضًا ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض، وليس بالغليظ، والجمع: أنشاز ونشوز، وقـال بعضهم: جمع النشز نشوز، وجمع النشز: أنشاز ونشاز[1]، ونشزت المرأة تنشز نشوزًا؛ وهـي ناشـز إذا استعصت على بعلها وأبغضته، وفي التنزيـل: ﴿فَٱبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ (النسـاء: ٣٤)، ونشز عليها زوجها: إذا ضربها وجفاها[2]، قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ (النساء: ١٢٨). ويتعـدى النشوز بالهمـزة فيقال: أنشز عظام الميت إنشـازًا إذا رفعها إلى مواضعها، وركـب بعضها على بعض، ومنه قولـه تعـالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ

(١) معجم لغة الفقهاء، قلعجي وقنيبي (ص: ٤٨٠)، لسان العرب، ابن منظور (٤١٧/٥).

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٣١/٥)، المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد (٢٨٧/٧)، القاموس المحيط، الفيروزآبادى (ص: ٥٢٧)، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، القونوي (ص: ٥٧).

ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٩). ويطلق النشوز على النهوض إلى الشيء بقوة، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (المجادلة: ١١) ويقال للدابة: نشزة إذا لم يكد يستقر الراكب عليها ولا السرج على ظهرها[١]، وقد عبَّر ابن فارس عن أصل هذه الكلمة بقوله: "النون والشين والزاء أصل صحيح يدل على ارتفاع وعلو"[٢]. وأصل النشوز في اللغة: التكبر والارتفاع، ومنه قيل للمكان المرتفع من الأرض: نُشز. وقيل: أصله الانزعاج، والعداوة، وقيل: البغض والعصيان. وسميت المرأة العاصية: ناشزًا لما فيها من الارتفاع والعلو عن طاعة زوجها[٣].

وعند الرجوع إلى المعاجم التي تُعنى بذكر هذا المصطلح وضبطه في اللغة اتَّضح أن معناه يدور حول معان عدة: منها: الاستعلاء والتعالي والارتفاع، العصيان، الامتناع، والتمرد، والخروج عن الطاعة، والبغض، والكراهية، والنُّبُوّ، والتعدي، والتكبر، والتباعد.

تعريف النشوز اصطلاحًا: كراهية أحد الزوجين للآخر، أو كل واحد منهما لصاحبه، وسوء عشرته له، وعدم القيام بواجباته، وأداء حقوقه التي وجبت على كل منهما للآخر[٤].

وبناء على ما سبق فإن النشوز يكون من الزوج، و من الزوجة، و منهما معًا. إلا أنه من المرأة أكثر، قال الشرقاوي: "إن النشوز يكون من الزوجة ومن الزوج وإن لم يشتهر إطلاق النشوز في حق الرجل"[٥].

(١) المخصص، ابن سيده (١٠٣/٢).
(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٣٠/٥).
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (٢٤١/١)، زاد المسير في علم التفسير ابن لجوزي (٤٠٢/١)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧٠/٥)، النكت والعيون، الماوردي (٤٨٢/١)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (٦١٣/١).
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧١/٥)، المطلع على أبواب الفقه، البعلي، (ص: ٣٢٩)، المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح (٢٦٣/٦)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم المصري، (٨٢/٤).
(٥) حاشية الشرقاوي على شرح التحرير (٢ / ٢٨٠).

المطلب الثاني: النُّشوز في الاستعمال القرآني. مما تجدر الإشارة إليه بـأن لفظ (النشـوز) ذكر صريحًـا في القرآن الكريم خمـس مرات: بصيغة الفعل ثلاث مرات، وبصيغة الاسم مرتين، وذلك في أربع آيات؛ وهي:

قوله تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ ((المجادلة: ١١)، وفي وجهان: أحدهما: ارتفعوا، مأخوذ من نشز الأرض وهو ارتفاعها[1].

قـال تعـالى: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩ ﴾ (البقرة: ٢٥٩)، أي: كيف نرفعها من الأرض فنردّها إلى أماكنها من الجسد، ونركّب بعضهـا على بعض[2]، والمتأمل في الآيات السابقة يـرى أن النشوز استعمل بمعناه اللغوي؛ أي الارتفاع والعلو الحسي.

نشـوز الـزوج في قولـه : ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ ﴾ (النساء: ١٢٨).

نشـوز الزوجـة في قولـه تعـالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ ﴾ (النساء: ٣٤). والناظر في الآيات آنفة الذكر يرى أن النشـوز مفهـوم مدني؛ بحكم وروده في آيات وسور مدنية، ونصف موارده في سورة النساء التي خصصت مقاطع منها لمعالجة قضايا المرأة والأسرة؛ ولذلك فهو مفهوم نسائي أسري.

(١) النكت والعيون، الماوردي (٤٩٢/٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٦١٦/٤)، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣٤٤/١).

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة. ورد استعمال النشوز في السياق القرآني بمرادفات متعددة؛ منها:

أ- الإعراض: من معاني الإعراض في اللغة: الصد، يقال: أعرض عن الشيء: صد وولى، وفي التنزيل: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٣)، ويقال: أعرضت عنه: أضربت ووليت عنه. قال الراغب: "العرض خص بالجانب، وعرض الشيء: بدا عرضه، وأعرض: أظهر عرضه (أي ناحيته)[١]، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي؛ فالإعراض: هو الانصراف عن الشيء بالقلب[٢]. والصلة بينه وبين النشوز: أن الإعراض يكون أمارة من أمارات النشوز.

ب- البغض: لغة: الكره والمقت، يقال: بغض الشيء بغضًا: كرهه ومقته، قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (المائدة: ٥)، وبغض الرجل بغاضة: أي صار بغيضًا، وبغضه الله إلى الناس تبغيضًا فأبغضوه: أي مقتوه، والبغضاء: شدة البغض، قال البركتي: وهي في القلب[٣]. وفي المفردات: البغض: نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه، وهو ضد الحب[٤]؛ والصلة بين النشوز والبغض هي أن البغض: سبب من أسباب النشوز، وأمارة عليه.

ج- الطاعة: اسم من أطاعه يطيعه طاعة، ويدور معناها في اللغة حول الانقياد والموافقة؛ سواء اكان حسيًّا أو معنويًّا، وفي التهذيب: طاع له: إذا انقاد له، فإذا مضى لأمره فقد أطاعه، فإذا وافقه فقد طاوعه، وطاوعت المرأة زوجها طواعية[٥].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (١٧٦/٧)، تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي (٤١١/١٨)، المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص: ٥٥٩).

(٢) الكليات، الكفوي (ص: ٢٨).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (٦٤/١)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي (٥٦/١)، قواعد الفقه، البركتي (ص: ٢٠٩).

(٤) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص: ١٣٦)، الموسوعة القرآنية، الأبياري (٦٢/٨).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (٥٧٠/٢)، لسان العرب، ابن منظور (٢٤١/٨).

وفي الاصطلاح: الطاعة هي موافقة الأمر طوعًا[1]. قال الراغب: "أكثر ما تقال الطاعة في الائتمار لما أمر والارتسام فيما رسم"[2]. والصلة بين النشوز والطاعة: التضاد.

(١) التعريفات، الجرجاني (ص: ١٤٠)، التعريفات الفقهية، البركتي (ص: ١٣٥).

(٢) قواعد الفقه، البركتي (ص: ٣٦٠)، المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص: ٥٢٩).

المبحث الثاني

النُّشوز بين الزوجين أماراته وأسبابه

لقد أوجب الإسلام على الزوجين أن يعاشر كلٌّ واحد منهما صاحبه بالمعروف؛ وذلك لما للمعاشرة الحسنة من أهمية كبيرة في سعادتهما، واستمرارِ حياتهما الزوجية، ومع هذا فإن الحياة الزوجية قد تصفو أحيانًا وتتعكر تارة أخرى، ومن أمارات سوء العلاقة الزوجية: نشوز أحد الزوجين على صاحبه.

المطلب الأول: أمارات نشوز الزوجين.

أولاً: نُشوز الزوج قد يكون بالقول، أو بالفعل، أو بهما معاً، ومن صور ذلك:

أ- نشوز الزوج بالقول[1]:

أن يهجر زوجته بقطعه كلامه عنها، أو مخاطبتها بكلام خشن وبألفاظ نابية.

تعييرها بعيب حسي أو معنوي.

إساءة الظن بها.

عدم طلبها للفراش ونحو ذلك.

أمرها بمعصية، أو بارتكاب محظور، أو فعل ما حرم عليها، "فعليها أن تمتنع، فإن أدبها على ذلك كان الإثم عليه"[2].

ب- نشوز الزوج بالفعل[3]:

١- ترك جماع الزوجة بدون عذر شرعي، أو سبب فعلي. قال ابن تيمية: "وحصول

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي (٥٣/٧)، المجموع شرح المهذب، النووي (٤٥٢/١٦).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (٣٠٤/٩).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٢٨٠/٩)، كشاف القناع، البهوتي (١٨٤/٥، ٢١٣، ٢٩٠)، مجموع الفتاوى ابن تيمية (٢١١/١٤)، بتصرف.

الضـرر للزوجـة بترك الوطء مقتض للفسخ بـكل حال؛ سواء كان بقصد مـن الزوج أو بغير قصد ولو مع قدرته وعجزه"[1].

٢- تعـدي الزوج بالضـرب والشتم والإهانة لها ولأهلها، أو قصد المضارّة، وقد نهى الله عن مضارَّة الزوجة في قوله تعالى:)وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ((الطلاق: ٦).

٣- امتناع الزوج عن النفقة في مأكل أو مشرب أو ملبس، فقد أجمع علماء الإسلام على وجوب نفقات الزوجات على أزواجهن بشرط تمكين المرأة نفسها لزوجها، والمقصود بالنفقة: توفـير ما تحتـاج إليه الزوجة من طعام ومسكن، فتجب لها هـذه الأشياء وإن كانت غنية[2]، قال تعـالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ (الطلاق: ٧).

٤- إعراضـ الـزوج عنها بسبب مرض فيها، أو وطئهـا في دبرها، وهجرها في الفراش، ونحو ذلك.

٥- التضييق عليها – ظلمًا–؛ لتطلب الافتداء؛ وهو الخلع منه، فيفوت عليها مهرها.

مماطلتـه لهـا في إيفائها لحقهـا في المهر إن كان سلـم بعضه ووعد بتسليـم الباقي مع قدرته على ذلك؛ إمعانًا في إذلالها وأذيتها، قال تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾ (النسـاء: ٤)، وفي تشريـع المهر إظهار لخطر هذا العقد ومكانته، وإعزاز للمرأة وإكرامها.

إثارته لها؛ كأن يذكر محاسن النساء ورغبته في الزواج الثاني – لا رغبة في التمهيد؛ بل رغبة في التنكيد –؛ وقد يدوم هذا لسنوات؛ إمعانًا في إذلالها، وتكبره عليها، وإشعارها بدنو مكانتها عنه، أو بإشغالها عن بعض عيوبه بهذه الطريقة المبتذلة.

وقد يجمع الزوج بين القول والفعل معاً فيما سبق، فيعد ناشزاً بهما معاً، ويمكن القول:

(١) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (٤٨١/٥).
(٢) فقه السنة، سيد سابق (١٦٩/٢).

أن نشـوز الرجل أخطر وأشد على حيـاة الأسرة من نشوز المرأة؛ ذلك أن الرجل له دور كبير ومؤثر داخل الأسرة؛ فهو المفكر والموجه والراعي بما يكتسب من خبرات مجتمعية زائدة عن خبرات المرأة؛ بحكم احتكاكه الدائم والمتكرر لمختلف جوانب الحياة.

ثانيًا: نشوز الزوجة قد يكون بالقول فقط، وقد يكون بالقول والفعل معاً؛ ومن صور ذلك:

نشوزها بالقول[1]:

سوء العشرة في معاملة الزوج، والتسلط عليه بالألفاظ البذيئة، وإغضابه دائمًا لأسباب تافهـة، وإيـذاؤه، ويدخـل في ذلك إيـذاء أهل الـزوج وأقاربه، وقـد فسر ابـن عباس وغيره الفاحشـة في قولـه تعـالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾ (النساء: ١٩)، بما إذا نشزت المرأة.

مخاطبـة الزوج بكلام خشن بعـد أنْ كان لينًا، وعدم إجابته إذا دعاها، وألا تصير إليه إلا وهي كارهة.

رفع صوت المرأة على زوجها، أو مكالمة أجنبي عنها، أو الاتصال به هاتفيًّا، أو عن طريق المراسلة لمقصد غير شرعي.

اتهام الزوجة زوجها بكلام ملفق تريد به فضحه، وتتسبب في إحراجه.
أن تطلب الزوجة الخلع أو الطلاق، أو تدعو عليه ظلماً.
عدم بر الزوجة بقسم الزوج إذا أقسم عليها، فتعد حينئذ ناشزاً.

ب- نشوزها بالفعل[2]:

امتناع المرأة عن المعاشرة في الفراش أو لمسها وتقبيلها دون عُذر، وقد ورد ذم شديد لمن فعلت ذلك، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن

(١) جامـع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري (٥٣٤/٦)، الفتـاوى، البزازية (٢٣٨/٤)، مغني المحتاج، الشربيني (٢٥٩/٣)، المغني، ابن قدامة (٤٦/٩)، كشاف القناع، البهوتي (٢٠٩/٥).

(٢) المغني، ابن قدامة (٢٥٩/١٠)، الكافي في فقه الإمام أحمد، ابن قدامة المقدسي (٩٢/٣)، تفسير المنار، محمد رضا (٥٩/٥).

تجيء؛ لعنتها الملائكة حتى تصبح)[1][2] فيحرم عليها الامتناع عن زوجها إذا دعاها للفراش إلا إذا كانت مريضة أو بها عذر شرعي، ولا يحل لها حينئذ أن تمنعه من الاستمتاع بما دون الفرج.

العبوس في وجه الزوج بعد لطفٍ وطلاقةِ وجهٍ، وغلق الباب دونه.

أن تجيبه متثاقلة متبرمة ونحو ذلك[3]. ولا يجوز للمرأة أن تتبرم، أو تتثاقل وتتباطأ، أو تطلب عوضًا أو تنفره بأي طريقة، وكل ذلك يدخل في معنى النشوز.

مخالفة الزوج وعصيانه فيما نهى عنه، كالخروج بلا إذنه، وإدخال بيته من يكرهه، فقد قال: (ولا تأذن في بيته إلا بإذنه)[4]. أو صيامها صوم تطوع بدون إذن منه، فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: (لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه)[5]. قال الحافظ: "والحديث دليل على أن حق الزوج آكد على المرأة من التطوع بالخير؛ لأن حقه واجب، والقيام بالواجب مقدم على التطوع"[6]. وكذا زيارة من منع منَ زيارته ولو لزيارة أبويها، وقصد الأماكن التي نهى عنها، قال تعالى:﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٣)، ففي الآية دلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيت، منهياتٌ عن الخروج، وفي الحديث: (إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها)[7]، فيفهم من الحديث أنها إذا أرادت الخروج لا بد أن

(١) قال ابن حجر: " ظاهره اختصاص اللعن بما إذا وقع ذلك منها ليلا وليس ذلك بقيد؛ وإنما ذكر ذلك لأن مظنة ذلك غالبا بالليل؛ وإلا فهو عام في الليل والنهار". عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، رقم: (٥١٩٣)، (٧/٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، رقم: (١٤٣٦)، (٢/١٠٦٠).

(٣) الروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي (ص: ٥٥١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه حديث رقم: (٥١٩٥)، (٧/٣٠)، ومسلم في صحيحه كتاب النكاح، باب الوفاء بالشروط في النكاح، رقم: (١٤١٨) (٢/١٠٢٥).

(٥) سبق تخريجه (ص: ٩).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (٩/٢٩٦).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره، رقم: (٥٢٣٨)، (٧/٣٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، وأنها لا تخرج مطيبة، رقم (٤٤٢) (١/٣٢٦).

تستأذن، كما يُفهمُ منه أن للزوج منع زوجته من الخروج إلا ما استثني شرعًا.

ترك طاعة الزوج فيما أمر به وكان من المعروف، كخدمته، والقيام على مصالحه وسائر حقوقه، وتربية ولده، ويدل لذلك حديث علي أن فاطمة أتت النبيّ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، وبلغها أنه جاءه رقيق، فسألته خادمًا، فقال النبي: (ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما- أو أويتما إلى فراشكما - فسبّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم)[1]. والعرف بين الناس: أن الزوجة تقوم بخدمة الزوج، كما تقوم بشؤون البيت الداخلية.

امتناعها عن الخروج معه إلى بيت آخر أو بلد أخرى آمنة ولا مشقة عليها في مصاحبته ما لم يكن قد اشترطت على الزوج في العقد عدم إخراجها من بيتها أو بلدها إلا برضاها، فيجب على الزوجة طاعةُ زوجها وقبول أمره ما لم يكن معصية، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾(النساء: ٣٤)، و عن ابن عباس)(يعني أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها به من طاعته، وطاعته: أن تكون محسنة لأهله، حافظة لماله[2]. وقال: (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها؛ قيل لها: ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت)[3].

هروب الزوجة من بيت زوجها بدون حق شرعي أو مبرر يبيح لها ذلك[4].

خيانة الزوج في نفسها وماله؛ بأن تكشف مستوراً من جسمها، أو تضاحك الأجانب، وتلين في الحديث معهم، قال: ﷺ(إن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه)[5].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: النفقات، باب: عمل المرأة في بيت زوجها، رقم: (٥٣٦١)، (٦٥/٧).
(٢) تفسير القرآن العظيم ابن كثير (٢٥٦/٢).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة، مسند عبد الرحمن بن عوف ، رقم: (١٦٦١)، (١٩٩/٣)، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند.
(٤) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الرحيباني (٢٨٦/٥).
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي، رقم: (١٢١٨)، (٨٨٦/٢).

ترك الزوجة شيئًا من حُقوق الله تعالى؛ كالغسل من الجنابة، أو الصلاة، ونحو ذلك.

ترك الزوجة التزين والتطيب لزوجها إذا أراد ذلك، ففي كل هذه الحالات تعتبر عاصية ناشزة. هذا وقد تجمع الزوجة بين القول والفعل معًا فيما سبق فتكون ناشزًا بهما معًا.

المطلب الثاني: أسباب نشوز الزوجين.

أولًا: أسباب نشوز الزوج: أما نشوز الزوج فله أسبابه أيضًا؛ ومنها أسباب قد تكون طبيعية ومنطقية وأسباب قد تكون غير منطقية، فمن أسباب نشوز الزوج وتمرده على الحياة الزوجية[1]:

١- سوء المعاشرة من قبل الزوجة قال ابن القيم: "وينبغي للمرأة العاقلة إذا وجدت زوجًا صالحًا يلائمها أن تجتهد في مرضاته، وتتجنب ما يؤذيه؛ فإنها متى آذته أو تعرضت لما يكره أوجب ذلك ملالته، وبقي ذلك في نفسه، فربما وجد فرصته فتركها أو آثر غيرها"[2].

٢- انقطاع الحوار والتفاهم بين الزوجين، إذ ينبغي أن يكون ثمة تفاهم وتواد بينهما، وأن يكون بينهما تواصل ومحبة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي: (إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى)، قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: (أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم)، قالت: قلت: أجل، والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك[3].

٣- كبر سن الزوجة وعجزها عن الوفاء بحقوق الزوج، فعن عروة قال: قالت عائشة: يَا ابن أختي، كان لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، كان ما من يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا امرأة امرأة، فيدنو ويلمس من غير مسيس حتى يفضي إلى التي هو يومها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله: يا رسول

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/٣٨٠)، الخلافات الزوجية (الأسباب –الحلول)، بدر هميسه (ص:٤٣)، مفاتيح الغيب، الرازي (١١/٢٣٥).

(٢) عودة الحجاب، محمد أحمد المقدم (٢/٥٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، رقم: (٥٢٢٨)، (٧/٣٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب في فضل عائشة رضي الله عنها، رقم: (٢٤٣٩)، (٤/١٨٩٠).

الله، يومي لعائشة. فقبل ذلك رسول اللهِ منها. قالت: نقول: في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها[1].

٤- الشجار والمشاكسات بين زوجاته: فقد يكون الرجل متزوجاً بأكثر من زوجة فتحدث بينهم المناوشات والمشاكسات التي تجعل الزوج ينفر من البيت، ويكره الحياة الزوجية بكل ما فيها.

٥- أسباب خاصة بالإنجاب: فقد تكون الزوجة عقيمًا أو لديها تأخر في الإنجاب، فلا يرضى الزوج بذلك، ولا يدرك أن الأمر بيد الله؛ كما قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الشورى: ٤٩-٥٠). أو قد ينشز وينفر بسبب حرمانه من الأولاد الذكور، فبعض من لا علم لهم ولا فقه يتضايقون من إنجاب البنات، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته، فقال ﷺ: (من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار)[2].

٦- أسباب ترجع إلى طبيعة الزوج: فبعض الأزواج لديهم نوع من التمرد على الحياة الزوجية، ويرى أن بها قيوداً قد تمنعه من الحركة، وتحد من حريته؛ حريته في الانطلاق والتصرف كما يشاء، حريته في عدم الالتزام بالمسؤوليات التي تلقى على عاتق رب الأسرة، حريته في أن يخرج كما يشاء ويدخل كما يشاء ولا يعرف أهله عنه شيئاً، وهذا التمرد من الزوج يؤدي إلى نشوزه وعصيانه وهجره الدائم للبيت، ومن ثم تقصيره في واجباته وحقوقه تجاه زوجته وأولاده.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، رقم: (٢١٣٥) (٣/٤٧٠)، وقال: عنه حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، رقم: (١٤١٨) (٢/١١٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، رقم: (٢٦٢٩)، (٤/٢٠٢٧).

ثانيًـا- أسباب نشوز المـرأة: قد تنشز المرأة وتتمرد على الحياة الزوجية لأسباب كثيرة؛ منها[1]:

سوء خلق المرأة، وعدم تلقيها قدرًا كافيًا من التربية الصحيحة.

قلـة وعـي المرأة بمكانة الـزوج، وجهلها لحقوقهـا وأهمية طاعته، وربمـا يكون ضعيف الشخصية في بيته لا قيمة له.

وجـود من يحرضها على الخروج عن طاعة الـزوج، أو عيشها في بيئة تشجع المرأة على ذلك.

التباين الاجتماعي والفكري بين الزوجين، ووجود فارق كبير بينهما.

تفوق المرأة على الزوج في شيء من الصفات؛ في المال، أو الجمال، أو الحسب، أو النسب، مما يدفعها إلى الغرور والترفع والتمرد على أوامر الزوج.

رقةُ وضعفُ دين الزوجة؛ ولذا نجد النبي ﷺ أشار إلى ذلك بطريق غير مباشر فقال: (تنكحُ المرأةُ لأربع: لمالها، وجمالها، وحسبها، ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)[2].

تأثر المرأة بالأصوات والأطروحات المتغربة التي تحررها فكريًا من أحكام وآداب الأسرة الإسلامية، وتقنعها بمساواة الرجل وعدم التزام الطاعة له.

وجود مشاكل بين المرأة وزوجها، وعدم تفهمها لنفسية الزوج واحتياجاته الخاصة.

ظلم الزوج وتقصيره بحقوق المرأة، وجفاؤه لها، وعدم مراعاة حدود الله في علاقته بها.

سوء معاشرة الزوج لها، وبخله وتقتيره عليها؛ بحيث لا يفي بضروريات البيت، وقد يكون عكس ذلك مسرفاً مبذراً مما يضيع حقوق البيت والأولاد.

---

(١) تذكـرة الأريب في تفسـير الغريب، ابن الجوزي (ص: ٧٣)، مفاتيح الغيب، الـرازي (٢٣٥/١١)، كشاف القناع البهوتـي (٢٠٩/٥)، رد المحتار على الدر المختار، ابن عابديـن (١٩٠/٣)، تفسير المنار، محمد رضا (٧٦/٥)، مجلة الجندي المسلم (ص: ٧٦-٧٧)، الخلافات الزوجية: صورها -أسبابها -علاجها، الفرماوي (ص٣٨-٤٠)، الطرق الشرعية لحل المشاكل الزوجية، الحميضي (ص٢٥)، بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، رقم: (١٤٦٦)، (١٠٨٦/٢).

غيرة الزوج القاتلة المدمرة: فالغيرة شيء مطلوب في العلاقات الزوجية بحدود إذا تم تجاوزها فستؤول إلى ما لا يحمد عقباه، وإن مما يجب على كل زوجين أن يبتعدا عن مواطن الشبهات؛ لحديث النعمان ابن بشير أن النبي ﷺ قال: (الحلال بين، و الحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه و عرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يوقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله تعالى في أرضه محارمه، ألا و إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، و إذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[1]. والمرأة تمنع الغيرة والريبة عن زوجها إذا تحلتْ بالفضائل، والتزمتْ بأوامر الشرع، والرجل يدفع الغيرة عن زوجته إذا تمسك بأوامر الله، وانتهى عن نواهيه في كل أحواله[2].

خروج الزوجة من بيت ثري مدلل مرفه إلى بيت الزوج، فتريد العيش مع زوجها بنفس المستوى، وهنا تقع المشكلة، تبدأ تنظر إلى زوجها نظرة استعلاء واستكبار، فلا تقيم له وزنًا.

وربما تستعلي المرأة وتنشز لأنها تختلط بجاراتٍ سوء يفسدنها على زوجها، ويتدخلن في كلّ أمورها فيكنّ سبباً لنشوز المرأة على زوجها.

التدخلات الخارجية من أهله، وقد تنشز لأسباب مجهولة ربما لا يدري بها أحد إلا الزوجة فقط.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم: (٥٢)، (١/٢٠).
(٢) الخلافات الزوجية (الأسباب –الحلول)، بدر عبد الحميد هميسه (ص: ٤٣).

المبحث الثالث

النُّشوز بين الزوجين علاجه

شـرع الله تعالى الـزّواج وفق ضوابطَ معيّنة وأحكام؛ لتستمـرّ تلك العلاقة المقدّسة بين الذّكـر والأنثى فغاية الشّـرع هو دوام تلك العلاقة واستمراها؛ لأجـل ذلك حرص على وضع الحلول المناسبة لأيّ مشكلة قد تظهر بين الزّوجين من خلال وسائل حكيمة، وإنّ من المشاكل التي تظهر بين الزّوجين: مشكلة النّشوز، وقد بين القرآن الكريم علاجه عند الخوف من وقوع النشوز، أو وقوعه فعلاً، ولكل حالة من هذه الحالات علاج كما يأتي:

المطلب الأول: علاج نشوز الزوج وإعراضه:

أولًا: محاولة الصلح بـين الزوجين، وذلك بموجب قوله: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ ﴾ ((النسـاء: ١٢٨)، أي: إذا خافـت المـرأة نشـوز زوجها أي: ترفعه عنها، وعدم رغبته فيهـا، وإعراضه عنها، فالأحسن في هذه الحالة أن يصلحا بينهما صلحًا؛ بأن تتنازل المرأة عن بعض حقوقها اللازمة لزوجها على وجه تبقى مـع زوجها، إما أن ترضى بأقل من الواجب لها مـن النفقة، أو الكسوة، أو المسكن، أو القسم بأن تسقط حقها منه، أو تهب يومها وليلتها لزوجها أو لضرتها. وقوله: ﷺ (، يعني: والصلح بـترك بعض الحقّ استدامةً للحُرْمة وتماسكًا بعقد النكاح خيرٌ من طلب الفرقة والطلاق[1]. وقـد فعل النبـي ﷺ ذلك مع سودة بنت زمعة لما كبرت، عن ابـن عباس - رضي الله عنه - قال: "خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ، فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة،

(١) جامـع البيـان عن تأويل آي القرآن، الطـبري (٥٤٩/٧)، تفسير القرآن العظيم، ابـن كثير (٣٧٧/٢)، الجامع لأحـكام القـرآن، القرطبـي (٤٠٤/٥-٤٠٥)، البحـر المحيط في التفسـير، أبو حيـان (٨٦/٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص: ٢٠٦)، بتصرف.

ففعل، فنزلت: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ ﴾ ثانيًا: العدل بين الأزواج وعدم الميل عند التعدد، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾ ﴾ (النساء: ١٢٩) معناه: العدل التام على الإطلاق المستوي في الأفعال والأقوال والمحبة والجماع وغير ذلك[١]. قال أهل التفسير: لن تطيقوا أن تسوّوا بينهن في المحبة التي هي ميل الطباع؛ لأن ذلك ليس من كسبكم، ولو حرصتم على ذلك، فَلا تتميلوا إلى التي تحبون في النفقة والقسم، وقال مجاهد: لا تتعمّدوا الإساءة فتذروا الأخرى كالمعلقة[٢]. وقد دلّت سنته على أن على الرجل أن يقسم لنسائه بعدد الأيام والليالي، وأن عليه أن يعدل في ذلك؛ لا أنه مرخص له أن يجوز فيه، فدل ذلك على أنه إنما أريد به ما في القلوب، مما قد تجاوز اللّٰه للعباد عنه فيما هو أعظم من الميل على النساء[٣].

ثالثًا: أن يفهم الزوج طبيعة المرأة: فهو بطبيعته يحكم عقله قبل عاطفته، أما المرأة فإن عاطفتها تسبق عقلها، ومشاعرها تسبق حكمتها؛ لذا فإنه يصعب على الزوج أن يجد زوجة كاملة في كل شيء كما هو الحال بالنسبة للرجل، قال ﷺ: (إنما الناس كإبل مئة لا تكاد تجد فيها راحلة)[٤]. وقد نبه الرجل إلى ألا يبغض ولا يحتقر زوجته لبعض التصرفات، فهي ليست معصومة من الأخطاء، وقال ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر)[٥].

قال القرطبي: " أي لا يبغضها بغضاً كلياً يحمله على فراقها؛ بل يغفر سيئتها بحسنتها، ويتغاضى عما يكره لما يحب"[٦].

---

(١) اخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء، رقم: (٣٠٤٠)، (٢٤٩/٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١٢٠/٢).

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (٤٨٢/١).

(٤) تفسير الإمام الشافعي (٦٧٣/٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم: (٦٤٩٨)، (١٠٤/٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب قوله : الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة، رقم (٢٥٤٧)، (١٩٧٣/٤).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية في النساء، رقم: (١٤٦٩)، (٦٥٧/٣).

رابعًا: وعظ الزوج: بأن تذكره بما أوجب الله عليه لها من حسن العشرة والمعاملة بالمعروف، كما في قوله تعالى: ﷺ(. أي: وخالقوا أيها الرجال نساءكم، وصاحبوهن بالمعروف، يعني بما أمرتم به من المصاحبة، وذلك إمساكهن بأداء حقوقهن التي فرض الله جل ثناؤه لهن عليكم إليهن، أو تسريح منكم لهن بإحسان[1]. وكما قال [2]: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)[3]. وكان من أخلاقه: أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه؛ حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك[4].

المطلب الثاني: علاج نشوز الزوجة:

من حق الزوج: تأديب زوجته عند نشوزها (أي عصيانها وعدم طاعتها)، وأرادت الشريعة الإسلامية أن يكون علاج نشوز الزوجة من قبل زوجها على مراحل ثلاث، بحيث لا ينتقل من مرحلة إلى أخرى إلا بعد أن يعتقد أنها لم تعد تجدي، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾(النساء: ٣٤). للمفسرين ثلاثة أقوال في معنى خوف النشوز: الأول: الخوف هنا بمعنى: العلم واليقين، أي: اللاتي تعلمون نشوزهن وحجتهم في ذلك: أن الخوف يرد بمعنى العلم إذا كان الخوف مقرونًا برجاء[5].

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩٨/٥).
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٥٣٨/٦)، تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٨٤/٣).
(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء، رقم: (١٩٧٧)، (٦٣٦/١)، والترمذي في سننه، أبواب المناقب عن رسول الله ، باب في فضل أزواج النبي ، رقم: (٣٨٩٥)، (٧٠٩/٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢١٢/٢).
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٦٩٦/٦)، روح المعاني، الألوسي (٢٥/٣)، أحكام القرآن، ابن العربي (٥٣٢/١)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧٠/٥)، النكت والعيون، الماوردي (٤٨١/١).

الثاني: الخوف يعني: الظن، أي: إن ظننتم أيها الأزواج نشوز الزوجات[١].

الثالث: الخوف هنا على بابه، الذي هو خلاف الأمن، أو خلاف الرجاء، أي: إذا رأيتم منهن ما تخافون أن ينشزن عليكم، من نظر إلى ما لا ينبغي أن ينظرن إليه، وكثرة دخول وخروج منهن، واستربتم في أمرهن، فعظوهن[٢]. والقولان الأول والثاني يحتملهما النصّ القرآني؛ لكن القول الثالث هو القول الذي رجّحه الطبري وغيره، وهو ما أميل إليه؛ لأنه ظاهر النص، والله أعلم. قال الرازي: "واعلم أن الخوف عبارة عن حال يحصل في القلب عند ظن حدوث مكروه في المستقبل"[٣]، والوسائل التي ذكرتها الآية لمعالجة مشكلة النشوز تتلخص في ثلاث مراحل هي كالآتي:

١- الوعظ والنصح والإرشاد:

والوعظ هو الحد الأدنى للتأديب، وأولى خطوات علاج نشوز الزوجة، والحد الأعلى للتأديب هو الضرب غير المبرح.

إن الزوج إذا أنس من زوجته ما يخشى أن يؤول إلى عدم قيامها بحقوق الزوجية فعليه أن يعظها، وموعظة الرجل لزوجته: هو أن يذكرها بالله وبما فرض عليها من واجبات، فقد تندم وتعود إلى صوابها، قال الطبري: "ذكروهن الله، وخوّفوهن وعيده، في ركوب الواحدة منهن ما حرم الله عليها، في معصية زوجها"[٤]، وجاء في مغني المحتاج: "لو ظهرت أمارات نشوزها وعظها ندبًا؛ ويبين لها حقوق الزوج وما ورد بالشرع من ذلك"[٥]. والبدء بالموعظة والإرشاد هو البدء بأقرب الحلول وأسهلها، فقد يكون سبب النشوز أمرًا لا علاقة للرجل فيه، فبالوعظ والإرشاد يتبين له سبب هذا النفور. والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة، فمنهن من يؤثر في نفسها التخويف من الله، ومنهن من يؤثر في نفسها التهديد من سوء العاقبة في

(١) أحكام القرآن، ابن العربي (٥٣٢/١)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (٥٦/٥).
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٦٩٦/٦- ٦٩٧)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧١/٥)، أحكام القرآن، الجصاص (٢٣٧/٢)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل (٣٦٣/٦).
(٣) مفاتيح الغيب، الرازي (٧١/١٠).
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٦٩٧/٦).
(٥) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني (٤٢٥/٤).

الدنيا؛ كشماتة الأعداء، والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحلي[1]، ويدخل في الوعظ كذلك العتاب بكلمات رقيقة، والتذكير بما أوجب الله على الزوجة من حسن الصحبة وجميل العشرة للزوج، وبغير ذلك مما يراه الزوج مؤثرًا على مشاعر زوجته، وكفيلاً بإعادة المودة والرحمة إلى حياتهما، ولا يجوز أن ينتقل من هذه المرحلة من الإصلاح إلا بعد أن يعتقد أنها لم تعد تجدي، فلا النصح ولا الإرشاد ولا الموعظة غيرت من نفسيتها شيئًا وحينئذ ينتقل إلى المرحلة الثانية.

٢- الهجر في المضجع: ويتحقق الهجر بهجر في المضجع لا في الكلام؛ ولم يقل: واهجروا مضاجعهن، ولأن الإسلام لا يريد أن يقطع حبل المودة المتين بين الزوجين؛ لتبقى الصلة وثيقة رجاء الإصلاح وعودة الأمور إلى مجاريها.

وقد اختلف في معنى الهجر في المضجع وكيفيته على عدة أقوال: الأول: أنه هجر فراشها، ومضاجعتها، بأن يهجر فراشها وحجرتها ومحل مبيتها؛ زيادة في التأديب[2].

الثاني: أنه ترك الكلام، لا ترك الجماع؛ وعللوا ذلك: بأن المضاجعة حق مشترك بينهما، فيكون في تركها ضرر عليه مثل ما عليها من الضرر، فلا يؤدبها بما يضر بنفسه ويبطل حقه[3].

الثالث: أنه هجر الجماع؛ بمعنى أنه يضاجعها على فراشها ويوليها ظهره ولا يجامعها[4].

والذي يبدو لي أن أولى المعاني هو: أن يهجرها في المكان الذي ينامان فيه؛ بأن يولي ظهره ولا يجامعها ولا يكلمها إلا بقدر قليل؛ لأنه الأقرب لتحقيق الهدف والغاية من استخدام

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٥٩/٥)، بتصرف.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٧٠٣/٦)، النكت والعيون، الماوردي (٤٨٢/١)، تفسير المنار، محمد رضا (٦٠/٥)، روح المعاني، الألوسي (٢٥/٥)، المغني، ابن قدامة (٢٥٩/١٠)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني (٤٢٦/٤)، بتصرف.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني (٣٣٤/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧١/٥)، أحكام القرآن، ابن العربي (٥٣٣/١)، فتح القدير، الشوكاني (٥٣٣/١)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢٥٧/٢)، روح المعاني، الألوسي (٢٥/٥)، تفسير المنار، محمد رشيد (٦٠/٥)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني (٤٢٦/٤)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني (٣٣٤/٢)، الحاوي الكبير، الماوردي (٥٩٨/٩).

هـذه الوسيلـة، ويشهد لذلك ظاهر الآيـة، فلو أراد الهجر لذات المضجـع ومكان النوم لقال: "واهجروا مضاجعهن"، ثم إن هجر الفراش أو الحجرة أو البيت زيادة في العقوبة لم يأذن بهـا الله، ويفوت الحكمة من وراء هذا الإجراء[1]؛ كمـا أن لهذا الهجر حدّاً فطريّاً، وفي هذه المسألة – مدة الهجر- قولان: الأول: أن هذا النوع من الهجر له مدة محددة وهي شهر، ولكن له الزيادة على ذلك إلى أربعة أشهر قياسًا على حكم الإيلاء[2].

الثاني: لا يتقيد هجر الزوج لزوجته بمدة محددة، فله أن يهجرها ما شاء حتى ترجع عن نشوزها وعصيانها[3]، وهذا ما أميل إليه؛ لقوله ﷺ: (ولا تهجر إلا في البيت)[4]، فالرسول ﷺ قيد الهجر من حيث المكان في البيت، ولم يقيده من حيث المدة أو الزمان، ولو شاء لفعل، وكان بإمكانه ذلك.

إلا أن روايـة البخـاري السابقـة تـدل علـى أنـه هجـر نسـاءه في غـير بيوتهـن وخرج إلى مشربة له.

قال الحافظ ابن حجر: "والحق أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال، فربما كان الهجران في البيـوت أشد من الهجران في غيرها، وبالعكـس بل الغالب أن الهجران في غير البيوت ألم للنفوس وخصوصـاً النساء لضعف نفوسهـن"[5]. فإذا أعرض الرجـل عنها في هذه الحالة رجـي أن يدعوها ذلك الشعور إلى سؤاله عن السبب، وكثير من الزوجات سيرتدعن بالهجر حين لم يجد فيهن الوعظ، وحين ترتدع الزوجة وتعود إلى الصواب يجب على الزوج أن يكف عن هجره، وتعود الحياة بينهما كما كانت.

٣- الضـرب: وهذه هي الوسيلة الثالثة مـن وسائل علاج نشوز الزوجة، والدرجة الثالثة من درجات التأديب التي لا يصار إليها إلا بعد فشل الوسائل السابقة.

---

(١) حقوق الزوجين، المودودي (ص: ٤١)، بناء الأسرة في ضوء القرآن والسنة، العِك (ص: ١١٠).
(٢) شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل، عليش (١٧٦/٢)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧٢/٥).
(٣) المبـدع في شـرح المقنع، ابن مفلـح (٢٦٣/٦)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخـلاف، المرداوي (٣٧٧/٨)، حاشية الروض المربع، ابن القاسم (٤٥٤/٦).
(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها، رقم: (٢١٤٢)، (٢٤٤/٢).
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (٣٠١/٩).

وقد اتفق المفسرون على صفة الضرب فقالوا: الضرب في هذه الآية هو ضرب الأدب، ويجب أن يكون ضرباً غير مبرِّح لا يجرحها، ولا يكسر لها عظماً، ويجتنب الوجه، وألا يزيد عدده على الحد[1]، ومهما يكن من أمر فالتأديب بالضرب خير من التأديب بالطلاق لأن أثر الضرب لا يتعدى الزوجة، في حين يتعدى أثر الطلاق إلى جميع أفراد الأسرة[2].

وكما جاء في السنة عن حكيم بن معاوية عن أبيه ﷺ قال: "قلت: يا رسول الله، ما حق زوج أحدنا عليه؟ قال: تطعمها إذا أكلت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت"[3]، وفي الحديث دليل على جواز الضرب تأديباً.

أما حكم الضرب فقد اتفق الفقهاء على إباحة ضرب الزوجة للتأديب ضربًا غير مبرح، وتركه أولى[4]، فعن عبد الله بن زمعة عن النبي ﷺ قال: (لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم)[5]. وجه الدلالة من الحديث: في الحديث دلالة على جواز تأديب الرقيق بالضرب الشديد، والإيماء إلى جواز ضرب النساء دون ذلك، وفي سياقه استبعاد وقوع الأمرين من العاقل: أن يبالغ في ضرب امرأته ثم يجامعها من بقية يومه أو ليلته، والمجامعة أو المضاجعة إنما تستحسن مع ميل النفس والرغبة في العشرة، والمجلود غالبًا ينفر ممن جلده، فوقعت الإشارة إلى ذم ذلك[6].

ولا ريب أن عدم الضرب والسماحة أشرف من الضرب؛ اقتداء بأخلاق نبينا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة ولا خادماً قط، ولا ضرب بيده قط إلا في سبيل الله أو تنتهك محارم الله فينتقم لله"[7]. وقال الدردير: "ولا يجوز الضرب

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧٢/٥)، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان (٦٢٧/٣)، البحر الزخار، البزار (٢٩٩/١٢).
(٢) مدى حرية الزوجين في الطلاق في الشريعة الاسلامية، الصابوني (٧٥٤/٢).
(٣) سبق تخريجه (ص: ١٨).
(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني (٣٣٤/٢)، أحكام القرآن، ابن العربي (٥٣٦/١)، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الرحيباني (٦٥٧/٥).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يكره من ضرب النساء، رقم: (٥٢٠٤) (٣٢/٧).
(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (٣٠٣/٩).
(٧) أخرجه النسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب ضرب الرجل زوجته، رقم: (٩١١٨) (٢٦٢/٨).

المبرح ولو علم أنها لا تترك النشوز إلا به، فإن وقع فلها التطليق عليه والقصاص"[1].

وقد صرح كثير من المفسرين بوجوب الترتيب بين الوسائل الثلاث في التأديب، فيبدأ الزوج أولاً بالوعظ، ثم بالهجر، ثم بالضرب، وإن كان العطف بالواو لا يفيد الترتيب.

وقال بعضهم: دل على ذلك السياق والقرينة العقلية؛ إذ لو عكس كان استغناء بالأشد عن الأضعف، فلا يكون لهذا فائدة، وقال بعضهم: الترتيب مستفاد من دخول الواو على أجزاء مختلفة في الشدة والضعف مرتبة على أمر مدرج؛ فإنما النص هو الدال على الترتيب[2].

وعلى أي حال فالذي يقرر هذه الإجراءات هو الذي خلق، وهو أعلم بمن خلق، وكل جدال بعد قول العليم الخبير مهاترة، وكل تمرد على اختيار الخالق وعدم تسليم به مفض إلى الخروج من مجال الإيمان كله، وهو سبحانه يقررها في جو وفي ملابسات تحدد صفتها، وتحدد النية المصاحبة لها، وتحدد الغاية من ورائها؛ بحيث لا يحسب على منهج الله تلك المفهومات للناس في عهود الجاهلية حين يتحول الرجل جلاداً باسم الدين، وتتحول المرأة رقيقاً باسم الدين، أو حين يتحول الرجل امرأة، وتتحول المرأة رجلاً، أو يتحول كلاهما إلى صنف ثالث مانع بين الرجل والمرأة باسم التطور في فهم الدين، فهذه كلها أوضاع لا يصعب تمييزها عن الإسلام الصحيح، ومقتضيات في نفوس المؤمنين[3]. وهذه الوسائل في الإصلاح ليست وسائل ملزمة لكل المسلمين وعلى كل الأحوال، فقد يرى كل من الزوجين من الوسائل ما يكون أقرب إلى قلب صاحبه، وما يكون أجدى إلى إصلاحه فيتبعها.

المطلب الثالث: علاج نشوز الزوجين.

إن المنهج الإسلامي لا يدعو إلى الاستسلام لبوادر النشوز والكراهية، ولا إلى المسارعة بفصم عقدة النكاح، وتحطيم مؤسسة الأسرة، (فعلى الإمام بعث حكمين، وقد طالب الكثير

(١) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الدسوقي (٢/٣٤٣).
(٢) تفسير المنار، محمد رشيد (٥/٦٣)، روح المعاني، الألوسي (٣/٢٥).
(٣) المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي (ص ٨٣)، بتصرف.

مـن الفقهاء والمحدثين بإرسالهما وجوبًـا[١] في كل شقاق يقع بين الزوجين؛ للحد من أسباب الفرقة، وأعتقد أن القول بحتمية بعث الحكمين سيحد من هذه الظاهرة؛ لاسيما إذا روعيت الشروط المعتبرة في الحكمين، والذي يؤكد ذلك أنه لا شك في أن أحد الزوجين مخطئ، أو هو الذي بدأ بالنشوز، أو قد أساء أكثر مما أُسئ إليه، ونشوز الزوجين وهو الشقاق، وفي تسميته شقاقًـا تأويلان: أحدهما: لأن كل واحد منهما قد فعل مـا شق على صاحبه، والثاني: لأن كل واحد منهما قد صار في شق بالعداوة والمباينة.

والأصـل في ذلك قوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾(النّسَـاء: ٣٥)، وذلك مشاقة كل واحد منهما صاحبه، وهو إتيانه ما يشق عليه من الأمور، فأما ما يكون من الزوجة بنشوزها عنـه وتـرك لزومها لحقـه، ويكون من جهة الـزوج بعدوله عـن إمساك بمعـروف أو تسريح بإحسـان[٢]. عن ابن عباس قال: " فهذا الرجل والمرأة إذا تفاسـد الذي بينهما، فأمر الله أن يبعثـوا رجلاً صالحًـا من أهل الرجل، ومثله من أهل المرأة، فينظـران أيهما المسيء، فإن كان الرجـل هو المسـيء حَجَبوا عنه امرأته وقَصَروه على النفقة، وإن كانت المرأة هي المسيئة قصروهـا علـى زوجها ومنعوها النفقة، فإن اجتمع رأيهما علـى أن يفرّقا أو يجمعا فأمرهما جائز"[٣].

الحكمـان: (، ولنبـدأ بالحاكـم المسلم أو من يقـوم مقامه ولـه أن يسلك في علاج تلك الحالة ثلاثة أمور:

وعظ الزوجين وتذكيرهما بآثار النشوز وأنه لا يجوز.
ضربهما باجتهاده[٤].

ج- إسكانهما بين قوم صالحين، أو بجانب رجل ثقة عدل مسلم ينظر في أمرهما، ويمنع

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل، المواق (٥/٢٦٤).
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٦/٧١٥)، النكت والعيون، الماوردي، (١/٤٨٤)، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، الماوردي (٩/٦٠١)، بحر المذهب، الروياني (٩/٥٦٨)، بتصرف.
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٦/٧٢٢).
(٤) وذلك عند المالكية فقط، انظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الدسوقي (٢/٣٤٣).

الظـالم منهما من الظلـم، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتهمـا بعث الحاكم رجلاً حكمًا ثقة من أهل المرأة، ورجلًا حكمًا ثقة من قوم الرجل، فينظران أيهما المسيء، ويفعلان ما فيه المصلحـة مما يريانه من التفريـق أو التوفيق؛ لأنه إن كان في نفسـي الزوجين رغبة حقيقية في الإصـلاح، وكان الغضب فقط هو الذي يحجب هذه الرغبة؛ فإنه بمساعدة الرغبة القوية في نفس الحكمـين يقـدر الله الصلاح بينهمـا والتوفيق، وهـو الذي جاء به نصـ الآية في ، فهـو الهـدف الأول من بعثهما، فلم يذكر الله في الآية إلا الإصـلاح، ولم يذكر ما يقابله؛ وهو التفريق، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى أنه ينبغي على الحكمين أن يبذلا جهدهما للإصلاح؛ لأن في التفريق خراب البيوت، وتشتيت الأولاد، وذلك مما ينبغي أن يجتنب[1].

٢- شـروط الحكمين: اشـترط الفقهاء في الحكمين بعض الشـروط حتى يصلحا؛ فمن هذه الشروط ما يلي[2]:

كمال الأهلية: وهي العقل، والبلوغ، والرشد، والحرية فلا يجوز تحكيم الصغير والمجنون والسفيه.

الإسلام: فلا يحكم غير المسلم في المسلم؛ لما فيه من الاستعلاء عليه.
العدالة: وهي ملازمة التقوى.
أن يكونا عالمين وعارفين بالجمع والتفريق والاهتداء لما بُعثا به.
أن يكونا من الأهل والأقارب استحباباً.

الذكورة: لأن الحكمين هنا حاكمان، ولا يجوز جعل المرأة عندهم حاكمًا.

٣- حكـم الحكمين: اتفق العلماء على أن الحكمـين يملكان حق الجمع بين الزوجين وان لم يوكلهمـا الزوجان[3]؛ لكنهم اختلفوا في مـدى صلاحية الحكمين في الجمع أو التفريق بين

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/٢٩٦)، روح المعاني، الألوسي (٣/٢٧).
(٢) المدونـة الكبرى، مالـك (٢/٢٦٧)، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، السنيكـي (٣/٢٤٠)، التاج والإكليل لمختصر خليل، المواق (٥/٢٦٤)، بتصرف.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/٢٦٠).

الزوجين إذا حصل نزاع بينهما وخيف الشقاق على قولين[1]: الأول: إنهما حاكمان، ولهما أن يفعلا ما يريان فيه مصلحة للزوجين من جمع أو تفريق، ولا يحتاجان في ذلك إلى توكيل أو رضا من الزوجين.

الثاني: أن التفريق موكول إلى الحاكم بما ينهيه إليه الحكمان، وليس من حقهما أن يوقعانه بإرادتهما، إنما هما وكيلان عن الزوجين، فلا يتصرفان إلا بإذنهما. والذي يبدو لي أن القول الأول هو الراجح؛ خاصة ان كان الحكمان ممن يوثق بهم، وكان غايتهم الإصلاح. والله أعلم.

قال ابن القيم: " والعجب كل العجب ممن يقول: هما وكيلان لا حاكمان، والله تعالى قد نصبهما حكمين، وجعل نصبهما إلى غير الزوجين، ولو كانا وكيلين لقال: فليبعث وكيلاً من أهله ولتبعث وكيلا من أهلها، وأيضًا فلو كانا وكيلين لم يختصا بأن يكونا من الأهل" إلى أن قال: " فإنه جعل الحكم إليهما فقال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (النساء: ٣٥)، والوكيلان لا إرادة لهما، إنما يتصرفان بإرادة موكليهما"[2].

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد (١١٧/٣)، أحكام القرآن لابن العربي (٥٤٢/١).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (١٧٢/٥ - ١٧٣).

الخاتمة

في ختام هذا البحث أحمد الله على نعمه الظاهرة والباطنة، وأشكره على ما منَّ به عليَّ من إتمام هذا البحث، ثم يطيب لي أن أدوِّن –باختصار– أهم ما توصلتُ إليه من النتائج، وما قيَّدتُه من الفوائد، سائلةً الله أن يوفقني للعمل الصالح الذي يرضيه عني:

١. النشوز: هو الامتناع عن تأدية الحق الواجب للطرف الآخر مع الكراهة له.
٢. يتحقق نشوز الزوجة بمنعها للزوج من التمكين؛ سواء كان ذلك منعه من الاستمتاع، أو بمغادرة المنزل.
٣. يتحقق نشوز الزوج بالإضرار بزوجته فيما أوجبه الله لها عليه.
٤. إذا تبادل الزوجان النشوز سمي ذلك شقاقا؛ لأن كلاً منهما يصبح في شق.
٥. أغلب أسباب النشوز ترجع إلى الجهل بحقوق وواجبات كل من الزوجين.
٦. النشوز يكون من الرجل كما يكون من المرأة، وقد يكون منهما معًا.
٧. أفضل العلاجات لمشاكل الزوجين والأسرة على الإطلاق هي العلاجات الربانية؛ لأن الخالق أعلم بما يصلح لمخلوقه.
٨. يجب التدرج في وسائل العلاج كما أمر الله، وعدم التعجل في ظهور نتيجته.
٩. ألا يكون القصد من استخدام وسائل العلاج هو الانتقام والإذلال والتحقير بقدر ما يكون القصد منها هو الإصلاح والحفاظ على الأسرة.
١٠. عدم اللجوء إلى الطلاق إلا بعد استنفاد كل وسائل العلاج، واستحالة استمرارية الحياة الزوجية.
١١. على أهل الزوجين أخذ دورهما في الإصلاح بين الزوجين بكل وسيلة متاحة.
١٢. على الحكمين ألا يدخرا جهدًا في الإصلاح بين الزوجين، وأن يحكما بينهما على وفق منهج الله وشرعه.

والحمد لله على نعمه التي لا تعدُّ ولا تحصى، والصلاة والسلام على النبي المجتبى، وعلى آله وصحبه ومن اصطفى.

فهرس والمصادر المراجع

١. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله بن العربي (ت:٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا السنيكي (ت:٩٢٦هـ)، دار الكتاب الإسلامي- بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دون ذكر الطبعة.

٤. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن سليمان المرداوي (ت:٨٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثانية، دون ذكر التاريخ.

٥. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله القونوي، (ت:٩٧٨هـ)، تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ، دون ذكر الطبعة.

٦. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، إبراهيم بن محمد، ابن نجيم المصري (ت:٩٧٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، الطبعة: الثانية – دون ذكر التاريخ.

٧. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن حيان (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٨. بحر المذهب، عبد الواحد بن إسماعيل الروياني (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م.

٩. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد ابن رشد الحفيد (ت:٥٩٥هـ)، دار

الحديث- القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دون ذكر الطبعة.

١٠. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، مسعود بن أحمد الكاساني (ت:٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١١. بناء الأسرة في ضوء القرآن والسنة، خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ه- ١٩٩٩م.

١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الزَّبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

١٣. التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف العبدري (ت:٨٩٧هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.

١٤. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد الماتريدي (ت:٣٣٣هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٥. تذكرة الأريب في تفسير الغريب، عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: طارق السيد، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

١٦. التعريفات الفقهية، محمد عميم البركتي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٧. تفسير الإمام الشافعي، محمد بن إدريس (ت:٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م.

١٨. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، ١٩٩٠ م، دون ذكر الطبعة.

١٩. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت:٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ه.

٢٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

٢١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت:١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر- مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٣. الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٤. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: أ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الرسالة- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٥. الجندي المسلم، " مجلة شهرية " صادرة عن الشئون الدينية بوزارة الدفاع السعودية، العدد ٣٨- ذو الحجة ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.

٢٦. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد الدسوقي (ت:١٢٣٠هـ)، دار الفكر- بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٢٧. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ت:١٣٩هـ)، الطبعة: الأولى- ١٣٩٧هـ.

٢٨. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، علي بن محمد الماوردي (ت:٤٥٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م.

٢٩. حقوق الزوجين- دراسة نقدية لقانون الأحوال الشخصية، أبا الأعلى المودودي، تعريب: أحمد إدريس. مكتبة القرآن- القاهر ة، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٣٠. الخلافات الزوجية-صورها- أسبابها- طرق علاجها، عبد الحي الفرماوي، مطبعة الأمانة، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٣١. رد المختار على الدر المختار: حاشية ابن عابدين، محمد أمين الحنفي، دار إحياء التراث العربي- بيروت الطبعة: الثانية، دون ذكر التاريخ.

٣٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٣. الروض المربع شرح زاد المستقنع، منصور بن يونس البهوتى (ت:١٠٥١ه)، مؤسسة الرسالة، بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٣٤. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٣٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة- بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

٣٦. سند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٣٧. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٣٨. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت:٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٣٩. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤٠. شرح منح الجليل على مختصر خليل، محمد عليش، مكتبة النجاح، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٤١. الطرق الشرعية لحل المشاكل الزوجية، سليمان بن محمد الحميضي، مطابع التراث- مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.

٤٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بدر الدين العينى (ت:٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٤٣. عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار ابن الجوزي- القاهرة - الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٤. الفتاوى البزازية، محمد بن شهاب البزازي، دار إحياء التراث العرب- بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٤٥. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٤٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩ه، دون ذكر الطبعة.

٤٧. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٨. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٤٩. قواعد الفقه، محمد عميم البركتي، الصدف ببلشرز – كراتشي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ه- ١٩٨٦م.

٥٠. الكافي في فقه الإمام أحمد، عبد الله بن أحمد بن محمد، ابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٥١. كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٥٢. الكتاب: فقه السنة، سيد سابق (ت:١٤٢٠هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

٥٣. كشاف القناع عن متن الاقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: لجنة متخصصة في وزارة العدل، وزارة العدل-المملكة العربية السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٥٤. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، (ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٥٥. اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي النعماني (ت:٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٥٦. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، (ت:٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٥٧. المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد ابن مفلح (ت:٨٨٤هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٥٨. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن

بـن محمد بن قاسم، مجمـع الملك فهد لطباعة المصحف الشريـف- المدينة النبوية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، دون ذكر الطبعة.

٥٩. المجمـوع شرح المهذب، يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ)، دار الفكر- بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٦٠. المحـرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية (ت:٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٦١. المحيـط في اللغة، إسماعيل بن عبـاد الصاحب بن عباد (ت:٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ه- ١٩٩٤م.

٦٢. المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده (ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٦٣. المدونـة، مالك بـن أنس بن مالك المـدني (ت:١٧٩هـ)، دار الكتـب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦٤. مدى حرية الزوجين في الطـلاق في الشريعة الإسلامية، دراسة مقارنة، عبدالرحمن الصابوني، دار الفكر- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م.

٦٥. مسنـد البـزار المنشـور باسم البحـر الزخار، أحمد بـن عمرو البـزار (ت:٢٩٢هـ)، تحقيـق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبـة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م.

٦٦. المسنـد الصحيح المختصـر، مسلم بن الحجـاج النيسابـوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٦٧. المصبـاح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بـن محمد الفيومي (ت: نحو ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية – بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٦٨. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد، الرحيبانى (ت:١٢٤٣هـ)، المكتب الإسلامي- القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦٩. المطلع على أبواب الفقه، محمد بن أبي الفتح البعلي، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤٠١ه — ١٩٨١م.

٧٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧١. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج (ت:٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٧٢. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة، دون ذكر الطبعة والتاريخ.

٧٣. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، دار النفائس، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٧٤. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دون ذكر الطبعة.

٧٥. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت:٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧٦. المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، دار الوراق- بيروت، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م، دون ذكر الطبعة.

٧٧. المغني، عبد الله بن أحمد بن محمد، ابن قدامة (ت:٦٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، عالم الكتب- الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٨. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي (ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

٧٩. المفردات في غريب القرآن، الحسين الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٨٠. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت:١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ، دون ذكر الطبعة.

٨١. النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي (ت:٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية- بيروت، دون ذكر الطبعة والتاريخ

محمد سعيد خلوفه العجلان العُمري

- رقم الجوال: ٠٥٥٩٢٧٥٢٤٠
- البريد الإلكتروني: ALUMARY-M-S@HOTMAIL.COM

المؤهلات العلمية :

- بكالوريوس من جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض. كلية أصول الدين – قسم السنة وعلومها-.
- ماجستير من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. كلية القرآن والدراسات الإسلامية – قسم التفسير وعلوم القرآن-.
- دارس في مرحلة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية .كلية القرآن والدراسات الإسلامية – قسم التفسير وعلوم القرآن-.

ثالثاً : الخبرات العملية :

- معلم لمدة ست سنوات في مختلف مراحل التعليم العام.
- وكيل لمدة ثلاث سنوات لمرحلتي المتوسطة والثانوية.
- مشرف تربوي حالياً لمادة التربية الإسلامية في المدينة المنورة.

رابعاً : البرامج التدريبية :

- برنامج فصلي عن: القيادة المدرسية.
- برنامج فصلي عن: الإشراف التربوي.
- برنامج فصلي عن: التخطيط التربوي.
- عشرات البرامج التربوية والمهنية.

خامساً: المؤتمرات واللقاءات:

- مؤتمر: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز –رحمه الله- في الرياض
- لقاء رؤساء قسم التربية الإسلامية بوزارة التعليم في أبها
- لقاء رؤساء قسم التربية الإسلامية بوزارة التعليم في المدينة المنورة
- لقاء رؤساء قسم التربية الإسلامية بوزارة التعليم في مكة المكرمة
- مؤتمر موهبة الدولي في جدة.

هدي القرآنِ الكريم في معالجة انحراف الأبناء من خلال قصتي ابن نوح وأبناء يعقوب عليهما السلام

إعداد

محمد بن سعيد بن خلوفه العجلان العُمري

مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل: " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" (الإسراء:٩)، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فلما كانت مشكلة انحراف الأبناء مشكلة أسرية اجتماعية؛ تؤرق الكثيرين من الآباء والأولياء، وبخاصة في الأزمنة المتأخرة التي انفتح فيها الفضاء والأرض بما يشيب له الرأس من الفتن والأفكار، والشبهات والشهوات ؛ مما جعل واقعنا المشاهد يضج بأمثلة وصور من الانحرافات المتنوعة والمستغربة في أبناء أمتنا المسلمة الذين يُنتظر منهم الأمل، وخلاص الأمم من شقائها بتوفيق الله وعونه؛ لما كان الأمر كذلك كان لزاماً العودة إلى المعين الصافي، والمنبع الضافي؛ دستور الأمة، ومصدر عزها وسؤددها: القرآن الكريم؛ لنستقي منه ما يساعد على حل تلك المشكلة، أو يخفف منها، فكان لي في قصتَي ابن نوح عليه السلام مثال على الانحراف العقدي (الفكري)، وأبناء يعقوب عليه السلام مثال على الانحراف السلوكي ، كان لي فيهما مستلهم أحاول من خلاله متدبراً متأملاً ومنتفعاً من تفاسير الأئمة؛ أن أضع ما يمكن أن يكون خطوطاً عريضة، ورئيسة في التعامل مع هذه الانحرافات.

سائلاً المولى عزّ وجلّ أن يرزقني الإخلاص والصواب .

أهداف البحث:

استنباط أبرز المعالم للهدي القرآني في التعامل مع انحراف الأبناء العقدي والسلوكي من خلال قصتَي ابن نوح عليه السلام وأبناء يعقوب عليه السلام.

التأكيد على ضرورة الرجوع إلى كتاب الله تعالى؛ للاستفادة من هداياته في أن نحيا حياة طيبة.

الاجتهاد في تقديم نموذج من الارتباط بكتاب الله في حل مشكلاتنا الأسرية والتربوية.

خطة البحث:

وقسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وفق التفصيل التالي:

مقدمة: وفيها: أهمية الموضوع وأهدافه وخطته.

تمهيد: وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: تحرير مصطلحات العنوان: (هدي- معالجة- انحراف)

الثاني: مختصر قصة ابن نوح عليه السلام.

الثالث: مختصر قصة أبناء يعقوب عليه السلام متضمناً الحديث عن نبوتهم من عدمها.

المبحث الأول: هدي القرآن في معالجة انحراف الأبناء العقَدي (الفكري)، وفيه ستة مطالب:

الأول: الصبر. الثاني: قوة الاتصال. الثالث: تصحيح المفاهيم الخاطئة. الرابع: تحيّن الفرصة. الخامس: التثبّت. السادس: البراء.

المبحث الثاني: هدي القرآن في معالجة انحراف الأبناء السلوكي، وفيه سبعة مطالب:

الأول: الوقاية. الثاني: الاعتراض. الثالث: الصبر. الرابع: التحوّط. الخامس: النصح. السادس: العفو. السابع: الدعاء.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

منهجي في البحث:

الاقتصار على قصة ابن نوح عليه السلام والتي جرى ذكرها في سورة هود، وقصة أبناء يعقوب عليه السلام الواردة في سورة يوسف.

استنباط معالم التعامل مع انحراف الأبناء دون الخوض في المعاني التفسيرية أو المسائل الخلافية المحيطة بهذه المعالم.

اختيار أقوال المفسرين التي تؤكد تلك المعالم أو تشير إليها.

وأختم بسؤال الله العون والسداد، ثم الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

تمهيد

المطلب الأول: تحرير مصطلحات العنوان (هدى- معالجة- انحراف)

(هَدْي):

قال ابن فارس: (هدي): الهاء والدال والحرف المعتل، أصلان: أحدهما: التقدم للإرشاد، والآخر: بَعثة لَطَف. فالأول قولهم: هديته الطريق هداية، أي: تقدمته لأرشده، وكل متقدم لذلك هاد[1]).

ثم قال: (والأصل الآخر الهديّة: ما أهديت من لطف إلى ذي مودَّة. يقال: أهديت أُهدِي إهداءً)[2].

فالهَدي المراد به: دلالة القرآن وإرشاده لمعالجة انحراف الأبناء، ولا شك أن تلك الدلالة، وذلك الإرشاد؛ إنما هو في الحقيقة هديّةٌ لكل من يروم معالجة هذا الأمر أو غيره.

(معالجة):

(عالجت الشيء معالجةً وعلاجاً، إذا زاولته، وعالجت الرجل فعَجَلْتُهُ عَلَجاً: غلبته [3].

فالمعالجة: مزاولة ما من شأنه مداواة، وإزالة العلة أو المرض، أو تخفيفهما.

(انحراف):

قال ابن فارس: (حرف) الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول، وتقرير الشيء) [4]. والذي يهمنا هنا هو: (الأصل الثاني: الانحراف عن الشيء. يقال: انحرف عنه

(١) معجم مقاييس اللغة ٤٢/٦، لأحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) المصدر السابق ٤٢/٦.

(٣) الصحاح ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤٢/٢.

ينحرف انحرافاً، وحرّفتُه أنا عنه، أي عدلت عنه) [١]. إذاً الانحراف: العدول عن الحق إلى الباطل، وعن الهدى إلى الضلال، وعن الاستقامة إلى الاعوجاج.

المطلب الثاني: مختصر قصة ابن نوح عليه السلام

(وهـذا الابن هو يام أخو سام وحام ويافـث، وقيل اسمه كنعان، وكان كافراً عمِل عملاً غير صالح، مخالفٌ أباه في دينه ومذهبه، فهلك مع من هلك)[٢].

قال الأمين الشنقيطي رحمه الله: (وتساءلوا حول صحة نسبه، والحق أن الله تعالى قد عصـم نسـاء الأنبياء؛ إكراماً لهـم، وأنه ابنه حقاً؛ لأنه لما قـال: " إن ابني من أهلي" (هود: ٤٦) تضمـن هـذا القـول أمريـن: نسبته إليـه في بُنُوتـه، ثانياً: نسبتـه إليـه في أهله، فكان الجـواب عليـه مـن الله بنفي النسبـة الثانيـة لا الأولى، " إنه ليس من أهلـك" (هود: ٤٦). ولم يقل إنه ليس ابنك، والأهل أعم من الابن، ومعلوم أن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، والعكس بالعكس، فلما نفى نسبته إلى أهله علمنا أن نسبته إليه بالبُنُوَّة باقية، ولو لم يكن ابنه لصُلبـه لـكان النفي ينصب عليها، ويقال: إنه ليس ابنك، وإذا نفـى البُنُوَّة انتفت عنه نسبته إلى أهلـه، وكذلك قوله تعـالى بعدها: (ولا تخاطبني في الذين ظلمـوا) (هود:٣٧) أي: لأن الظالمـين ليسوا من الأهل بالنسبة للدين، لأن الدين يربط البعيدين، والظلم الذي هو بمعنى الكفر يفرِّق القريبين. والعلم عند الله تعالى) [٣].

وقد سأل نوح عليه السلام ربه أن ينجي ابنه لواحد من ثلاثة أسباب:

لكونه من أهله وكان يظن به الإيمان[٤].

---

(١) المصدر السابق ٤٢/٢.

(٢) ينظـر: قصـص الأنبيـاء ١٠٣/١ لأبـي الفداء إسماعيل بـن كثير، تحقيـق: مصطفى عبد الواحـد، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

(٣) أضـواء البيان في إيضاح قواعد القرآن بالقرآن ٣١٥/٨، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥-١٩٩٥م.

(٤) ينظـر: الجامع لأحكام القـرآن ٤٥/٩، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

أو لأنه لم يعلم أن سؤاله هذا محظور عليه مع إصرار ولده على الكفر[1].

أو أن العاطفة الأبوية البشرية هي الحاملة له على ذلك السؤال[2].

وأياً كان الحامل له على ذلك السؤال؛ فإن العبرة بمبادرته عليه السلام إلى التوبة والاستغفار من هذا الخطأ غير المقصود " رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين "(هود:٤٧).

المطلب الثالث: مختصر قصة أولاد يعقوب عليه السلام

(وهب الله ليعقوب عليه السلام اثني عشر ولداً، هم أصول وأجداد بني إسرائيل، منهم ابنه يوسف عليه السلام، وكان أنبههم وأذكاهم وأجملهم، فكان يخصه يعقوب عليه السلام بمزيد من العناية والرعاية والاهتمام؛ لما تقدم، ولصغر سنه، وحاجته إلى ذلك، وهذه مسألة إنسانية معروفة، فأي أب – ولو لم يكن نبياً – يهتم بأولاده الصغار أكثر، ويظهر لهم مزيداً من الحب والرعاية، ولكن أبناء يعقوب عليه السلام الكبار لم يحسنوا فهم وتفسير وتوجيه اهتمام أبيهم بأخيهم الصغير، ونظروا إلى الموضوع بأنانية ووجهوا إلى أخيهم سموم حقدهم، واتهموا أباهم النبي بالانحياز والخطأ والضلال، وتآمروا على أخيهم الصغير، وأرادوا قتله أو التخلص منه)[3] " لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين (٧) إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين (٨) اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين) (يوسف:٤-٩).

ثم توالت بعد ذلك القصة في تفصيل اختصه الله سبحانه وتعالى بسورة كاملة (يوسف) في قالب من الأحداث المليئة بالآيات، والعبر التي انتهت بالتمكين ليوسف عليه السلام، وعودة إخوانه إلى الله سبحانه، وتوبتهم مما اقترفت أيديهم.

---

(١) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص٥٢٢، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القيم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الأولى ١٤١٥هـ.

(٢) ينظر: أضواء البيان ٣١٥/٨.

(٣) مواقف الأنبياء في القرآن (بتصرف) ص١٧٣، لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القيم، دمشق، الأولى ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م.

أما عن نبوتهم من عدمها؛ فأكتفي هنا بنقل كلام لابن حزم -رحمه الله- يحرر المسألة ويجليها فيقول[1]: (إخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء، ولا جاء قط أنهم أنبياء لا من قرآن، ولا من سنة صحيحة، ولا من إجماع، ولا من قول أحد من الصحابة -رضي الله عنهم-، وأما يوسف ﷺ فرسول الله بنص القرآن، قال عز وجل: (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به) إلى قوله (من بعده رسولاً) (غافر: ٣٤) وأما إخوته فأفعالهم تشهد أنهم لم يكونوا متورعين من العظائم فكيف أن يكونوا أنبياء) [2].

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٧/٤، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة .

(٢) لمزيد من التفصيل ينظر: جامع المسائل ٢٩٧/٣، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر عبد الله أبوزيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الأولى ١٤٢٢هـ.

المبحث الأول

هدي القرآن في معالجة انحراف الأبناء العقدي (الفكري)

المطلب الأول: الصبر

إن الصبر سمة بارزة في دعوة نوح علية السلام تظهر بجلاء في المواضع التالية:

مدة دعوته علية السلام (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) (العنكبوت:١٤).

مكابدته التسفيه من قومه، واستهزاؤهم به وبدعوته، ومقابلة ذلك بالحلم والصفح واللين في القول والفعل. (قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين، قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين) (الأعراف: ٦٠-٦١).

امتثاله لأمر ربه في صنع السفينة، وهو ليس له معرفة سابقة بذلك، وفي بلد لا بحر فيه، فكان مثار سخرية قومه منه، ولمزه له بأن تحولت نجاراً بعد النبوة[١]. (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون) (هود:٣٨).

قلة أتباعه بالرغم من طول دعوته واجتهاده في تبليغها حتى إن أعلى تقدير لهم كان ٨٠ نفساً[٢] (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) (هود:٤٠).

فإذا كانت هذه بعض صور صبره عليه السلام مع قومه ودعوتهم، فما بالك وظنك

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٣١٠/١٥، لمحمد بن جرير الطبري، أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) المصدر السابق ٣٢٦/١٥.

بصبره عليه السلام على ابنه وتربيته ودعوته، فلا شك أن الصبر أعظم والمكابدة والمجاهدة أشد؛ إذ إن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بدعوة أقاربهم وأهلهم وعشيرتهم قبل الآخرين. (وأنذر عشيرتك الأقربين) (الشعراء:٢١٤).

فهل مضى عليك أيها الأب المبتلى بانحراف ابنه ما مضى على نوح عليه السلام في دعوة قومه؛ فلِمَ اليأس والضجر والتسخط؟!.

المطلب الثاني: قوة الاتصال

عند الحديث عن الاتصال فإن المعني به: المرسل، الرسالة، المرسل إليه، وقد اقتصرت على المرسل والرسالة؛ لأنهما المرادان بهذا البحث، فالمرسل وهو: نوح عليه السلام برزت في دعوته وحواره مع ابنه مهارات الاتصال التالية:

التنويع وهذه ظاهرة بارزة في عموم دعوته عليه السلام لقومه: (قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً) (نوح:٥) (ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً) (نوح:٨-٩)، وتارة بالترغيب وتذكيرهم بنعمة الله وعظمته، وآياته الدالة على ذلك والتي يرونها ويعيشونها (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً) (نوح:١٠) إلى آخر الآيات، وتارة أخرى بالترهيب (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين، أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) (هود:٢٥-٢٦) وهذا مع قومه فما بالك مع ابنه وأهله، لا شك أن التنويع سيكون أظهر وأقوى، مع أنه داخل في العموم.

حسن اختيار الظرف التربوي والدعوي (وكان في معزل) (هود:٤٢) وسيأتي الحديث عن هذا بإذن الله تعالى في مطلب (تحين الفرصة).

حسن اختيار الألفاظ والعبارات (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) (هود:٤٢).

حسن اختيار نوع الرسالة وطريقة أدائها؛ فقد كانت مباشرة ومختصرة، ومراعية للموقف والحدث.

الاستمرار في المعالجة والتربية والدعوة إلى آخر لحظة، وعدم اليأس منه (وحال بينهما

الموج فكان من المغرقين) (هود:٤٣) وهنا وكأنك تستظهر المشهد بين نوح عليه السلام وابنه في هذا الحوار الأبوي الحاني؛ فلا تكاد تستيقن أيهما أسبق (إلا من رحم) أم الموج من شدة حرصه عليه السلام على استنقاذ ابنه من الهلاك بالرغم من الأجواء المهولة المحيطة (وهي تجري بهم في موج كالجبال) (هود: ٤٢).

أما الرسالة (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) (هود:٤٢) فقد اتسمت بما يلي:

الحميمية وإثارة المشاعر من خلال إبراز علاقة الأبوة والبنوّة (يا بني) ، قال سيد قطب -رحمه الله- (وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم، وليس معهم، ويستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة وراح يهتف بالولد الشارد (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين)[١].

وقال الطاهر ابن عاشور -رحمه الله-: (و "بُني" تصغير "ابن" مضافاً إلى ياء المتكلم، وتصغيره هنا شفقة؛ بحيث يُجعل كالصغير في كونه محل الرحمة والشفقة)[٢].

وظهرت تلك المشاعر الجياشة في قوله (اركب معنا) نحن أهلك ومحبوك الناجون بإذن الله من هذا الهلاك، ولم يقل له مثلاً (اركب في السفينة) ، بل جاء بلفظ المعية إثارة للعاطفة، وإظهاراً للحب، ولعل في قراءة الإدغام أي الباء في الميم[٣] (اركمَّعنا) ما يوحي بهذه المعاني.

اللطف في العبارة : (يا بني) و (اركب معنا) و (لا تكن مع الكافرين) ، وهنا لم يقل له مثلاً (ولا تكن كافراً) أو معانداً، أو مخالفاً لوالدك؛ بل لا تكن معهم (فيصيبك ما أصابهم)[٤].

---

(١) في ظلال القرآن ١٨٧٨/٤، لسيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦٣/١١، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٣) الموسوعة القرآنية المتخصصة ص٣٨١، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٣٨٢، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق د. عبد الرحمن معلا، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

المباشرة في التوجيه والرسالة؛ حيث إن الموقف لا يحتمل غير ذلك.

الاختصار في الرسالة، والاقتصاد في عباراتها؛ مراعاة للمقام؛ فلكل مقام مقال.

(إن السامع ليمسك أنفاسه في هذه اللحظات القصار (وهي تجري بهم في موج كالجبال) ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء، وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة القوية العاتية تحسم الموقف في لحظة سريعة خاطفة، وإن الهول هنا ليقاس بمداه في النفس الحية –بين الوالد والمولود– كما يقاس بمداه في الطبيعة –حيث يطغى الموج على الذرى والوديان وإنهما لمتكافئان، في الطبيعة الصامتة، وفي نفس الإنسان) [1].

المطلب الثالث: تصحيح المفاهيم الخاطئة

(إن ابن نوح عليه السلام لما سمع أباه ينذر الناس بطوفان عظيم؛ ظن هذا الابن أن أرفع الجبال لا يبلغه الماء، وأن أباه ما أراد إلا بلوغ المرتفعات دون الجبال الشامخات)[2].

هذا الفهم الخاطئ صححه نوح عليه السلام لابنه بقوله: (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) (هود:٤٣)

(وأراد بـ "من رحم" من قدر الله له النجاة من الغرق برحمته)[3].

بعض الأبناء الذين يقعون في شَرَك العقائد الفاسدة، والأفكار المنحرفة؛ إنما دفعهم إلى ذلك الشبهات المضللة، والأفهام المغلوطة، والتي تحتاج من الأب أو المربي أو الداعية التصحيح والتجلية والتوضيح؛ حتى تقوم الحجة، ويتم البيان.

وبهذا فإن (تصحيح المفاهيم الخاطئة) يعد معلماً ومحوراً مهماً في معالجة انحراف الأبناء العقدية والفكرية؛ وبخاصة في هذه الأزمنة المتأخرة، والتي انتشرت فيه الشبهات انتشار النار في الهشيم، وتعددت قنواتها ورجالاتها؛ بل ويُسوّق لها بأشكال شتى، وصور بديعة عجيبة؛ فيها من الجذب والإثارة ما فيها؛ حتى يصدق عليها قول القائل:

---

(١) التصوير الفني في القرآن ص٥٨ لسيد قطب إبراهيم، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر.

(٢) التحرير والتنوير (بتصرف يسير) ٢٦٣/١١.

(٣) المصدر السابق ٢٦٤/١١.

يُقضى على المرء في أيام محنته .... حتى يرى حسناً ما ليس بالحسنِ[1]

المطلب الرابع: تحيّن الفرصة

تقدم معنا أن من المهارات التي ظهرت بارزة في الحوار بين نوح عليه السلام وابنه؛ مهارة: اختيار الظرف والزمان التي يتم فيها بث الرسالة التربوية والتوجيهية والدعوية؛ إذ إن حسن الاختيار من عوامل نجاح الرسالة، ووصولها إلى المرسل إليه بشكل قوي ومؤثر؛ بغض النظر عن استجابته من عدمها، والتي لا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى؛ أي: استجابة وهداية التوفيق والإلهام.

(وكان في معزل) (هود:٤٢) كان ابن نوح عليه السلام (في معزل من الكفار كان انفرد عنهم فظن نوح عليه

السلام أن ذلك إنما كان؛ لأنه أحب مفارقتهم)[2]، فوجدها فرصة لدعوته بعيداً عن أصحابه، والمؤثرين في توجهاته ومعتقداته.

إضافة إلى ذلك فإن هذا الحدث الرهيب المحيط بالمكان (وهي تجري بهم في موج كالجبال) كان الحدث فرصة عظيمة استثمرها نوح عليه السلام في دعوة ابنه للركوب معهم والنجاة.

فالتربية وكذلك التوجيه بالحدث أو الموقف، تُعدّ من أفضل الأساليب التي ينبغي للأب أو المربي مراعاتها في معالجة انحراف أبنائه، والسعي للبحث عن الفرص المواتية والظروف المناسبة لتحقيق ذلك.

---

(١) للشاعر الأمير يحيى بن علي باشا الإحسائي المدني الحنفي. ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٤٦٣/٤، لمحمد أمين بن فضل الله المكي الحنفي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢٧هـ.

(٢) مفاتيح الغيب ٣٥١/١٧، لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المطلب الخامس: التثبت

رغم أن الموج حال بين نوح عليه السلام وابنه، فكان الابن من المغرقين الهالكين؛ إلا أن نوحاً عليه السلام لم يقطع الأمل ولم ييأس (رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) (هود:٤٥) وهكذا المؤمن لا يقطع الأمل من صلاح ابنه، وعودته إلى الجادة؛ بل يظل متفائلاً مؤملاً بالله الخير داعياً راجياً إياه أن ينقذ ابنه من الضلال والهلاك إلى أن يثبت له عكس ذلك؛ حينها يردد مع نوح عليه السلام: (رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) (هود:٤٧).

المطلب السادس: البراءة

(إن الإيمان والصلاح لا علاقة له بالوراثة والأنساب، وقد يختلف باختلاف استعداد الأفراد، وما يحيط بهم من الأسباب، وما يكونون عليه من الآراء والأعمال، ولو كان بالوراثة لكان جميع ولد آدم كأبيهم)[١].

وكان نوح عليه السلام يظن ابنه مؤمناً (ولم يكن يقول لربه " إن ابني من أهلي " إلا وذلك عنده كذلك إذ محال أن يسأل هلاك الكفار، ثم يسأل في إنجاء بعضهم، وكان ابنه يُسرُّ الكفر ويظهر الإيمان، فأخبر الله تعالى نوحاً بما هو منفرد به من علم الغيب، أي علمت من حال ابنك ما لم تعلمه أنت)[٢].

فلما تأكد لنوح عليه السلام كفر ابنه تبرأ منه، واستغفر ربه؛ مستعيذاً بالله من أن يسأله ما ليس له به علم، وإلا كان من الخاسرين.

وهذا فعل المؤمن الموفق فالولاء والبراء عنده لله وفي الله؛ مهما كانت العلائق والوشائج التي تجمعه بالآخرين، حتى وإن كان من أقرب الناس إليه، وأحبهم على قلبه.

(١) تفسير المنار ٧٢/١٢، لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤٥/٩.

(والكفـر يقطع الولاية بـين المؤمنين والكافرين من الأقربين، ويوجب براءة بعضهم من بعضـ، كمـا قال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنـة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم) (الممتحنة:٤) [١].

(والأهـل عنـد الله في دينه وميزانه ليسـوا قرابة الدم؛ إنما هي قرابـة العقيدة، وهذا الولد لم يكن مؤمناً، فليس إذن من أهله، وهو النبي المؤمن) [٢].

وهذه البراءة الكاملة والانفصال التام عند موت الابن –لا قدر الله– على كفره وانحرافه العقـدي المخرج عن الملة؛ فإنها براءة منه، ومن فعله؛ وتبقـى في حال حياته مسؤولية دعوته ، والاتصـال به؛ لمحاولة معالجة انحرافه؛ قياماً بالأمانة والواجب المأمور به الأب نحو أبنائه – والله أعلم –.

(١) تفسير المنار ١٢/٧١.
(٢) في ظلال القرآن ٤/١٨٧٩.

المبحث الثاني

هدي القرآن في معالجة انحراف الأبناء السلوكي.

المطلب الأول: الوقاية

إن الأب في الغالب هو أعلم الناس بمثالب أبنائه ومعايبهم، وبالأبواب التي يمكن أن يُدخل عليهم منها فتزيدهم سوءاً، أو تصلح من حالهم.

لذا فإن يعقوب عليه السلام عندما قص عليه ابنه يوسف عليه السلام رؤياه: (يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) (يوسف:٤) قال له: (لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً) (يوسف:٥).

(وإنما قال ذلك لأنه عليه السلام عرف من رؤياه أنه سيبلغه الله تعالى مبلغاً جليلاً من الحكمة، ويصطفيه للنبوة، وينعم عليه بشرف الدارين؛ فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم، فقال له ذلك؛ صيانة لهم من الوقوع فيما لا ينبغي في حقه، وله من معاناة المشاق ومقاسات الأحزان)[1].

(فهذه آية عبرة؛ بتوسّم يعقوب عليه السلام أحوال أبنائه، وارتيائه أن يكف كيد بعضهم لبعض)[2].

وهذا هو الواجب على الأب أن يقي أبناءه ما يغلب على ظنه أنه سيكون سبباً في انحرافهم مع حسن الظن بهم، والثقة فيهم، وبيان أن ما يمنعهم منه ليس لسوء نظر إليهم، أو لشر فيهم، وإنما خوفاً من كيد الشيطان. (إن الشيطان للإنسان عدو مبين) (يوسف:٥).

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٦/٢٧٣، لمحمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

(٢) التحرير والتنوير ١٢/١٨.

المطلب الثاني: الاعتراض

لما جاء إخوة يوسف أباهم عشاء وهم يبكون، وقد أبرموا أمرهم على تلك المؤامرة ، والمكيدة الكبيرة، وادعائهم أن الذئب أكل يوسف عليه السلام بدليل قميصه الملطخ بالدم؛ ما كان من يعقوب عليه السلام إلا أن أبدى اعتراضه على فعلتهم تلك، وتكذيبه لهم تكذيباً صريحاً مفاده: (إن الذئب لم يأكله؛ بل سولت لكم أنفسكم الأمارة بالسوء أمراً إمرا، وكيداً نكرا، وزينته في قلوبكم؛ فطوعته لكم حتى اقترفتموه) [1]، وقد أدرك يعقوب عليه السلام ذلك (من دلائل الأحوال، ومن نداء قلبه أن يوسف لم يأكله الذئب، وأنهم دبروا مكيدة له، وأنهم يلفقون له قصة لم تقع، ويصفون له حالاً لم تكن، فواجههم بأن نفوسهم قد حسنت لهم أمراً منكراً وذللته، ويسرت لهم ارتكابه)[2].

والأب حتى يعالج انحراف ابنه السلوكي لا بد أن يعترض على الخطأ متى ما وقع، ويواجه ابنه بذلك؛ مبيناً عدم رضاه، حتى وإن رأى الأب أن الأصوب الصبر والسكوت بعد ذلك، لكن لا بد من الاعتراض والتبيين.

فهذا يعقوب عليه السلام اعترض على فعلتهم، وبين كذبهم، ثم لم يفعل ما من شأنه كشف الحقيقة، ولم يبالغ في البحث؛ ربما خوفاً منهم ، أو أنه لم يرد هتك أستار سرائر أولاده أو لأي سبب آخر [3].

بل إن الاعتراض قد يعقبه إعراض؛ كما حدث من يعقوب عليه السلام عندما فقد ابنه الآخر (بنيامين) (وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف) (يوسف:٨٤).

قال أبو حيان -رحمه الله-: (وتولى عنهم) أي: (أعرض عنهم كراهية لما جاؤوا به، وأنه ساء ظنه بهم، ولم يصدق قولهم، وجعل يتضجر ويتأسف)[4].

---

(١) تفسير المنار ٢/٢٢٠.

(٢) في ظلال القرآن ٤/١٩٧٦.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب١٨/٤٣١.

(٤) البحر المحيط ٦/٣١٤، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

المطلب الثالث: الصبر

لم يملك يعقوب عليه السلام تجاه هذه المحنة (إلا الصبر (فصبرٌ جميل) فذلك هو عزاؤه عن مصابه في ابنه، وفي بنيه أيضاً)[١].

قال ابن عاشور -رحمه الله-: (عدل به -أي الصبر- عن النصب -فصبراً- لأنه نائب مناب اصبر-، إلى الرفع -فصبرٌ - للدلالة على الثبات والدوام)[٢].

والصبر الجميل هو (الذي لا شكوى فيه ولا جزع)[٣].

وقال الرازي -رحمه الله-: (أما إذا كان الصبر لا لأجل الرضا بقضاء الحق سبحانه بل كان لسائر الأغراض، فذلك الصبر لا يكون جميلاً، والضابط في جميع الأفعال والأقوال والاعتقادات أن كل ما كان لطلب عبودية الله تعالى كان حسناً وإلا فلا)[٤].

ولا يتأتّى الصبر الجميل إلا بعون من الله وتوفيقه؛ لذلك قال يعقوب عليه السلام بعيد إعلان صبره: (والله المستعان على ما تصفون) (يوسف:١٨).

(لأن الدواعي النفسانية تدعوه إلى إظهار الجزع وهي قوية، والدواعي الروحانية تدعوه إلى الصبر والرضا؛ فكأنه وقعت المحاربة بين الصنفين، فما لم تحصل إعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة، فقوله (فصبر جميل) يجري مجرى قوله: (إياك نعبد) (الفاتحة:٥)، وقوله (والله المستعان على ما تصفون) يجري مجرى قوله (وإياك نستعين) (الفاتحة:٥)[٥].

وهكذا المؤمن صابر متصبر يحتسب، ويرضى بقضاء الله وقدره، لا يُكثر من الشكوى والتسخط على أحوال أبنائه وسلوكياتهم السيئة؛ إلا ما كان من قبيل الاستشارة، أو الاسترشاد في حكم شرعي ونحوه؛ بل لا يدعو بالسوء عليهم، فكل ذلك يتنافى مع الصبر

(١) التفسير القرآني للقرآن ١٢٤٧/٦، لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
(٢) التحرير والتنوير ٣٧/١٢ .
(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤٨٠/٢، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ١٤٢٠هـ.
(٤) مفاتيح الغيب ٤٣٢/١٨.
(٥) المصدر السابق ٤٣٢/١٨.

الجميـل؛ بـل يسعى مجتهداً أن يردد مـع يعقوب عليه السلام: (إنمـا أشكو بثي وحزني إلى الله) (يوسف:٨٦).

المطلب الرابع: التحوّط

لمـا أخبر إخوة يوسف عليـه السلام أباهم بأنهم قد منعوا من الكيل مستقبلاً؛ حتى يأتوا بأخيهم من أبيهم (بنيامين)؛ تذكر يعقوب عليه السلام في الحال ما فعلوه بأخيهم يوسف عليه السلام من قبل، فقال: (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخه من قبل) (يوسف:٦٤).

(لقد تمثل له هذا الموقف، فرأى فيما يطلبه أبناؤه منه الآن صورة مشابهة تماماً له، وأن الذي دبروه ليوسف ليس ببعيد أن يدبروا مثله لأخيه)[١].

إلا أنـه عليـه السلام لما رأى الحاجة قائمة، والأمر يستدعي أن يرسل معهم بنيامين، لم يجد بداً من الاحتياط، وأخذ العهود والمواثيق، فقال: (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل) (يوسف:٦٦).

ولعل من هداية الآيات: (أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين)[٢]، فعليه الاحتياط والحذر متـى ما تكررت المواقـف وتشابهت؛ وذلك حتى لا يجعل للنفس الأمـارة بالسوء، أو الشيطان طريقـاً إلى نفـس الابن؛ فيسهل له الوقوع فيما وقع فيه سابقاً، مع الإيمان بأن الحذر لا يغني عن القدر، لكنه من فعل الأسباب المأمور بها.

المطلب الخامس: النصح[٣]

ومـع هذا التحوّط إلا أن المحبة قائمة للابن، والحرص على مصلحته وسلامته حاصلة،

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ١٥/٧.

(٢) أخرجـه مسلـم بلفـظ "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين" مـن حديث أبي هريرة رضـي الله عنه في كتاب الزهد والرقائـق باب لا يلدغ المؤمن من جحـر مرتين ٢٢٩٥/٤ ورقم ٢٩٩٨. المسند الصحيح المختصر لنقل العدل عن العـدل إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج القشـيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) النصـح: تحـري قول أو فعـل فيه صلاح صاحبـه، انظر: التوقيف علـى مهمات التعاريف صـ٦٩٩، لمحمد عبد الرؤوف المناول، تحقيق: محمد الداية، دار الفكر ، بيروت، دمشق، الأولى ١٤١٠هـ.

وهـذا مـا ظهر من شفقة يعقوب عليه السلام على أبنائه وخوفه عليهم عندما أوصاهم: (يا بنـي لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبـواب متفرقة)يوسف:٦٧ مع إيمانه عليه السلام ويقينه بأن ذلك لا يغني من الله شيئاً.

(وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون)يوسف:٦٧.

ورغم المرارة والمعاناة التي عاشها يعقوب عليه السلام بسبب أبنائه إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يبذل ما فيه الخير والصلاح لهم؛ كوصيته السابقة لهم، ثم الوصية الأخرى بأن يذهبوا ليتحسسوا من يوسف وأخيه دون يأس؛ فإن اليأس من رحمة الله لا يقع إلا من الكافرين، ثم إن تلـك الوصايـا يقدمها يعقوب لأبنائه الذين أضنوه وأشبعوه ألمـاً وحزناً بأفعالهم، يقدمها لهم في قالب من الرحمة واللطف بلغ مداه، وذلك حين يُصدِّر كل وصية بذلك بالنداء المعبر والمحبب إلى النفس (يا بَنيَّ).

وهـذا حال المؤمـن رفيق بالآخريـن حريص عليهـم، وفي مقدمة أولئـك الآخرين أهله وأبناؤه، مهما اشتط به الغضب عليهم، وأساءوا إليه.

المطلب السادس: العفو

وبعـد أن أظهر الله يوسف على إخوته، وأدركوا سوء ما فعلوا بأخيهم، ومقدار ما أوقعوا بأبيهـم من الأسى والأذى والحزن، اعتذروا إليه، واعترفوا بذنبهم، وقالوا (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين)يوسف:٩٧ (ومن حق من اعترف بذنبه أن يُصفح عنه، ويُستغفر لـه؛ فكأنهم كانوا على ثقة من عفوه عليه الصلاة والسـلام، ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار، وأدرجوا ذلك في الاستغفار)[1].

فمـا كان منه عليه السلام إلا أن قبل توبتهم وقـال: (سوف أستغفر لكم ربي إنه الغفور الرحيم)يوسف:٩٨.

وذلك (للدلالة على أنه يلازم الاستغفار لهم في أزمنة المستقبل، ويعلم منه أنه استغفر

(١) إرشـاد العقـل السليم، مزايا الكتاب الكريم ٣٠٦/٤، لأبي السعود محمد بن محمد مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

لهـم في الحال بدلالـة الفحوى)[1]، حتـى وإن قلنا أن (سوف أستغفر لكـم) إنما يدل على الوعـد بـه، وليس وقوعـه في الحال إلا أن الأمـور بخواتيمها حيث قبلـت توبتهم، وعفا عنهم أبوهم وأخوهم.

ولنـا في يعقـوب عليـه السـلام أسوة وقـدوة (أولئك الذين هـدى الله فبهداهـم اقتده) الأنعام:٩٠ فالأب المؤمن يقبل ويعفو متى ما جاءه الابن نادماً تائباً، حتى وإن اقترف ما اقترف.

ومـن الرسائـل التربوية التـي يستفيدها الآباء من قـول يعقوب عليه السـلام لبنيه (سوف أستغفـر لكم ربي) ما ذكره عبد الكريم الخطيب -رحمه الله- : (استعمل يعقوب حقه في تأنيب بنيه وتأديبهم، فأمسك عنهم صفحه ومغفرته إلى حين، ولم ير من الحكمة أن يجيبهم إلى طلبهم في الحـال، وأن يُخلـي مشاعرهم من القلق والهم، بـل رأى أن يريهم أن هذا الطلب موضع نظره، وأنه سوف يحققه لهم في الوقت المناسب؛ وفي هذا ما فيه من دروس بالغ في التربية والتأديب)[2].

المطلب السابع: الدعاء

مـن دقائـق لطائف التنزيل في قول يعقوب عليه السـلام لبنيه (سوف أستغفر لكم ربي إنـه هـو الغفور الرحيم)يوسف:٩٨ أن بنيه صرحوا بالذنـوب دون الله (استغفر لنا ذنوبنا) يوسـف:٩٧؛ وذلك لمزيد اهتمامهم بها، وكأنهم غلـب عليهم النظر إلى قهره، وصرح يعقوب بذكر الرب دون الذنوب، إذ لا مقدار لها بالنظر إلى رحمته)[3].

ولعل في أقوال بعض المفسرين[4] من أن سبب إرجاء يعقوب الاستغفار لبنيه؛ أن يتقصد أوقات ومظان الاستجابة من الله سبحانه وتعالى كالسحر ونحوه ليدعو لهم فيها، أو أنه أراد أن ذلـك الاستغفار في الزمان المستقبل، لعل في ذلك ما يدل على حرص يعقوب عليه السلام على الاستغفار لبنيه، والدعاء لهم، والاستمرار في ذلك.

(١) التحرير والتنوير ١١٧/١٢.
(٢) التفسير القرآني للقرآن ٤٨/٧.
(٣) انظـر: محاسـن التأويل ٢١٩/٦، لمحمد بن محمد سعيـد القاسمي، تحقيق: محمد السـود، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٨هـ.
(٤) انظر: مفاتيح الغيب ٥٠٩/١٨.

الخاتمة

إن ممـا يبعـث على تسلية الأب المكلـوم بانحراف أبنائه أو أحد منهـم؛ تلاوته لمثل هذه القصصـ في كتاب الله؛ فها هو نوح عليـه السلام وهو من أولي العزم من الرسل يُبتلى بابن كافـر؛ بـل ويموت علـى كفره -والعياذ بـالله-، وهذا يعقـوب عليه السلام يُفجـع من أبنائه بجرائـم عظيمة أورثتـه الحزن والألم السنين الطوال، فكيف بك أيهـا الأب أو أيتها الأم؛ إن ابتلاءكما بشيء من ذلك أمر وارد وقضاء محتمل.

والمتأمـل لهاتـين القصتين ربما يبرز له ستة معالم قد تعينـه بعد عون الله وتوفيقه على تجاوز مثل هذه المحنة، وعلى معالجة ذلك الانحراف الذي مس أحداً من أبنائه أو جميعهم، ألا وهي:

أولاً: الحب:

وهـذا المعلـم تستشعره بجـلاء وأنت تتلـو الآيات المتضمنـة لتلك القصتـين، تستشعره في الألفـاظ والتعامـل وردود الأفعـال، وفي الصبر والمصابرة، فعلـى الوالدين مراعاة ذلك، والانطـلاق في معالجة هذه القضية من الحـب، ولا شك بأن التربية بالحب من أجدى وأقوى وأنفع أنواع التربية وطرقها.

ثانيا: الرفق واللين:

تعجـب وأنت ترى نوحاً ويعقوب عليهما السلام يناديان أبناءهم بأرق العبارات وألطفها (يا بني) برغم مرارة الألم، وفجيعة الحدث.

تأمـل وأنت تستمع ليعقوب عليه السلام وهو يقول لبنيه: (بل سولت لكم أنفسكم أمراً) وكأنه يعرض ويلمح إلى سوء طريقتهم، وقبح فعلهم.

الرفـق واللـين يحتاجه الأبـوان في تعاملها مـع أبنائهـم عموماً، والمنحرفـين على وجه الخصوص؛ فعليهمـا اصطحابه في مختلـف المواقف والأحـداث؛ وفق مـا تقتضيه الحكمة للتعامل مع الموقف.

ثالثاً : الصبر:

عندما تقف على المدة التي قضاها كلا النبيين الكريمين وهما في هذه المحنة تدرك عظم الصبر ومقداره، فما عشر سنين ونحوها بجوار القرون وعشرات السنين، وما ضلال وانحراف ابن ثم عودته مقابل موت ابن نوح عليه السلام على الكفر (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) (يوسف:١٨).

رابعاً : الثقة بالله :

إن مما يعين على الصبر والمصابرة؛ إنما هو الثقة بالله وبموعوده من الأجر والثواب والعاقبة الحسنة.

ومما قد يضعف هذه الثقة عند الوالد المكلوم:

كثرة التشكي من الأبناء على وجه الجزع والتسخط.

اليأس من صلاحهم وعودتهم إلى الخير.

الاعتماد على الأسباب ونسيان الله سبحانه وتعالى وتوفيقه وتسديده.

(إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) (يوسف:٨٦).

خامساً : الدعاء:

وهذا مظهر من مظاهر الثقة بالله، فالالتجاء إليه، وكثرة سؤاله والإلحاح بين يديه، واليقين بإجابته من أعظم المعالم وأوثقها للخروج من هذا البلاء وغيره.

سادساً : الحوار:

إن كثيراً من ممارسات المعالم السابقة وتطبيقاتها؛ لا يمكن أن تتم إلا وفق حوار بنّاء وفاعل بين الأب وابنه كما هو واضح في قصتي النبيين الكريمين وأبنائهم، على أن يلتزم الأب قدر المستطاع – وهو المعني هنا – بضوابط الحوار الناجح من حسن الإصغاء، ولطف العبارة، وجمال الرد، ومناسبة التوقيت ونحوها.

ثم أختم بالممارسات والتطبيقات التي يمكن أن تستلهم من قصتي البحث، وتعين بإذن الله على تحقيق المعالم السابقة:

١. الوقاية من أسباب الانحراف قدر المستطاع.
٢. التنويع في الطرائق والأساليب المؤثرة.
٣. استثمار الفرص والأحداث للتوجيه والإصلاح.
٤. إثارة المشاعر والعاطفة بالتأكيد على العلاقات والوشائج.
٥. انتقاء العبارات الجميلة، والبعد قدر المستطاع عن العبارات القبيحة التي قد تحجب التأثير.
٦. الاقتصاد في الرسائل المباشرة وعدم الإطالة يساعد على فهمها وتقبلها.
٧. الاعتراض على الخطأ، وإن احتاج الأمر إلى الإعراض أحياناً فليكن ليشعر الابن بالحزم.
٨. تصحيح المفاهيم الخاطئة من خلال الحوارات القائمة والمستمرة.
٩. الاستمرار في المعالجة، وبذل الجهود في سبيل ذلك.
١٠. قبول الاعتذار والعفو متى جاء الابن تائباً نادماً.

هذا ما تيسر تدوينه في هذا البحث المهم، والذي يحتاج إلى مزيد تأمل وتدبر ممن هم أرسخ قدماً، وأمضى فهماً، وأوسع علماً من كاتبه سائلاً المولى القبول والتوفيق. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وأجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم، مزايا الكتاب الكريم ٣٠٦/٤، لأبي السعود محمد بن محمد مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. أضواء البيان في إيضاح قواعد القرآن بالقرآن ٣١٥/٨، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥-١٩٩٥م.

٣. البحر المحيط ٣١٤/٦، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤. التحرير والتنوير ٢٦٣/١١، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥. التصوير الفني في القرآن ص٥٨ لسيد قطب إبراهيم، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر.

٦. التفسير القرآني للقرآن ١٢٤٧/٦، لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

٧. تفسير المنار ٧٢/١٢، لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م .

٨. التوقيف على مهمات التعاريف ص٦٩٩، لمحمد عبد الرؤوف المناول، تحقيق: محمد الداية، دار الفكر ، بيروت، دمشق، الأولى ١٤١٠هـ.

٩. تيسير الكريم الرحمن ص٣٨٢، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق د. عبد الرحمن معلا، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٠. جامع البيان في تأويل القرآن ٣١٠/١٥، لمحمد بن جرير الطبري، أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١١. الجامع لأحكام القرآن ٤٥/٩، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٢. جامع المسائل ٢٩٧/٣، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر عبد الله أبوزيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الأولى ١٤٢٢هـ.

١٣. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٤/٤٦٣، لمحمد أمين بن فضل الله المكي الحنفي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢٧هـ.

١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٦/٣٧٣، لمحمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٥. الصحاح ، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٧، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة .

١٧. في ظلال القرآن ٤/١٨٧٨ ، لسيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة.

١٨. قصص الأنبياء ١/١٠٣ لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

١٩. محاسن التأويل ٦/٢١٩، لمحمد بن محمد سعيد القاسمي، تحقيق: محمد السود، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٨هـ.

٢٠. المسند الصحيح المختصر لنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١. معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢/٤٨٠، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٢. معجم مقاييس اللغة ٦/٤٣، لأحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥) ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٣. مفاتيح الغيب ١٧/٣٥١، لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤. مواقف الأنبياء في القرآن (بتصرف) ص١٧٣، لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القيم، دمشق، الأولى ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م.

٢٥. الموسوعة القرآنية المتخصصة ص٣٨١، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٦. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص٥٢٢، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القيم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الأولى ١٤١٥هـ.

د. عبدالله بن حسين بن محمد العمودي

- أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد، ورئيس قسم الدراسات الإسلامية بالكلية الجامعية بمحافظة أملج- جامعة تبوك
- عضو في الجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان)
- جوال: ٠٥٤٤٦٤٤٦٠٤
- البريد الإلكتروني: aalamodi@ut.edu.sa

الأبحاث العلمية:

١. إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن للإمام عطية الأجهوري (ت ١١٩٠هـ) من أول سورة الشورى إلى نهاية سورة الناس – دراسة وتحقيق، رسالة الماجستير.

٢. الاستنباط عند الإمام ابن الفَرَس الأندلسي (ت٥٩٧هـ) في كتابه أحكام القرآن- دراسة نظرية تطبيقية، رسالة الدكتوراه.

٣. الوسطية في ضوء القرآن والسُنَّة (مفهومها ومجالاتها)، بحث علمي مُحَكَّم من كلية العلوم الاجتماعية بجامعة جاكرتا الحكومية، وقد تم نشره ضمن مجموعة البحوث العلمية المقدمة لأعمال الندوة الدولية الأولى عن الوسطية الإسلامية، التي تم انعقادها في جامعة جاكرتا الحكومية بتاريخ ١٠-١١ يونيو ٢٠١٥م.

٤. تفسير المعوذتين للإمام محمد بن محمد المعروف بالأمير المالكي (دراسة وتحقيق)، بحث علمي مُحَكَّم من مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية.

٥. ترشيد الإنفاق من منظور قرآني، بحث علمي مُحَكَّم من كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد، وقد تمت المشاركة به ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الأول للدراسات القرآنية (دور الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة)، الذي تنظمه جامعة الملك خالد –بمشيئة الله تعالى- شهر محرم عام ١٤٣٨هـ.

ترشيد الإنفاق
من منظور قرآني

إعداد

د. عبدالله بن حسين العمودي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بجامعة تبوك

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، أنزل كتابه المبين وجعله هدىً ورحمةً للمؤمنين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وصفوة المرسلين، نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: فقد جاء الوحي الإلهي إلى نبينا محمد ج شاملاً لكل جوانب الحياة، وحظي الجانب الاقتصادي بعناية بالغة واهتمام كبير، من خلال أحكام وتشريعات تحقق للفرد والمجتمع حياة اقتصادية مستقرة وآمنة.

وإن من المشكلات الاقتصادية التي تحتاج إلى دراسات علمية وجهود إرشادية: مشكلة سوء الإنفاق. وستتضمن هذه الدراسة التعريف بمفهوم ترشيد الإنفاق، والضوابط التي تحقق للأفراد والمجتمعات الترشيد في الإنفاق، وتبين كذلك الآثار الإيجابية لهذا المبدأ الشرعي والاقتصادي.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، فالخاتمة، فالفهارس العلمية، وفق الترتيب التالي:

المقدمة، وفيها بيان أهمية موضوع البحث، وأهدافه، ومشكلته، وحدوده، ومنهجه، وخطته.

التمهيد، وفيه التعريف بمصطلح ترشيد الإنفاق لغةً واصطلاحًا.

المبحث الأول: عناية القرآن والسنة بترشيد الإنفاق، ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: الحث على البذل والإنفاق والنهي عن البخل والتقتير. المطلب الثاني: الدعوة إلى التوسط في الإنفاق.

المبحث الثاني: ضوابط الإنفاق، ويتضمن تسعة مطالب:

المطلب الأول: إخلاص النية. المطلب الثاني: مشروعية مصادر الإنفاق. المطلب الثالث:

مشروعيـة مجالات الإنفـاق. المطلب الرابع: الاعتـدال في الإنفاق. المطلـب الخامس: تجنب التقليـد والمفاخـرة. المطلب السادس: اختـلاف الإنفاق باختلاف الأحـوال. المطلب السابع: الموازنـة بين الدخل والإنفـاق. المطلب الثامـن: الموازنة بين الإنفاق العـام والخاص. المطلب التاسع: مراعاة أولويات الإنفاق.

المبحث الثالث: آثار ترشيد الإنفاق، ويتضمن ثمانية مطالب:

المطلـب الأول: تحقيـق الاكتفاء الذاتي. المطلـب الثاني: القدرة علـى مواجهة الأزمات. المطلب الثالث: زيادة القدرة الادخارية والاستثمارية. المطلب الرابع: التربية الجادة للأفراد والمجتمعـات. المطلـب الخامسـن: تأمين الحيـاة الكريمة للورثـة والذرية. المطلـب السادس: المحافظـة علـى النعم وزيادتهـا. المطلب السابع: التوجيـه الأمثل للمنتجـات والاستثمارات. المطلب الثامن: الحد من غلاء الأسعار.

الخاتمة، وفيها بيان نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس العلمية وهما: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

من أهم نتائج البحث:

١. يتميـز النظـام الاقتصـادي الإسلامي بكمالـه وشموليتـه، وفي العمـل بتشريعاته وأحكامه استقرار وسعادة للفرد والمجتمع.
٢. مـن أكبر أسبـاب سـوء الإنفاق: عـدم مراعـاة أولويـات الإنفـاق، والتقليد للغير والمفاخرة، وعدم الموازنة بين الدخل والإنفاق.

مـن أهم آثار ترشيد الإنفـاق: تحقيق الاكتفاء الذاتي، والقـدرة على مواجهة الأزمات، والتوجيه الأمثل للمنتجات والاستثمارات.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لخير ملة، واصطفانا من بين الأمم فجعلنا خير أُمَّة، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادةً تكون لمن تمسك بها نجاةً وعصمة، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله آتاه الله الكتاب والحكمة، وبعثه للعالمين رحمة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسار على هديهم واتبعه.

أمَّا بعد: فقد جاء الوحي الإلهي إلى نبينا محمد ج شاملاً لكل جوانب الحياة، وحظي الجانب الاقتصادي بعناية بالغة واهتمام كبير، من خلال أحكام وتشريعات تحقق للفرد والمجتمع حياة اقتصادية مستقرة وآمنة، وتنظم كافة شئون وفروع المجال الاقتصادي من: العمل، والتمويل، وعدالة التوزيع، والترشيد في الإنفاق والاستهلاك.

وتعد مشكلة سوء الإنفاق من المشكلات التي يعاني منها عدد من المجتمعات الإسلامية، فالناظر بروية في أسباب المشكلات الاقتصادية وضعف مستويات التنمية في كثير من هذه المجتمعات يجد أن سوء الإنفاق سبب رئيسي لكثير من المشكلات الاقتصادية، بل والأسرية.

وفي المقابل نجد أن ترشيد الإنفاق يأتي في مقدمة الأسباب الداعمة للتنمية والتطور الاقتصادي والاستقرار الأسري والمجتمعي، ومن هنا جاءت رغبتي في المشاركة في المؤتمر الدولي القرآني الأول لتوظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة، والذي تنظمه كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد. وهذه الدراسة الموجزة تتناول موضوع (ترشيد الإنفاق)، ضمن المحور الرابع: توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات الاقتصادية.

أهمية موضوع البحث:

١. ترشيد الإنفاق ليس مبدأً اقتصاديًا فحسب، بل هو عبادةٌ يُؤجر العبد عليها، وهذا ما يغفل عنه البعض.
٢. ترشيد الإنفاق من الجوانب المهمة التي أولتها الشريعة الإسلامية عنايةً واهتمامًا، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية خير شاهدٍ على ذلك.
٣. حاجة المجتمعات الإسلامية لمعالجة مشكلة الإسراف والتبذير؛ لا سيما من الجانب الشرعي.

٤. ترشيد الإنفاق له أهميته الفاعلة في تحقيق حياة اقتصادية مستقرة.
٥. ترشيد الإنفاق وسيلة اقتصادية واجتماعية مؤثرة لمواجهة ما يعترض الأمة الإسلامية من شدائد وأزمات.

أهداف البحث:

١. التعريف بمفهوم ترشيد الإنفاق.
٢. إبراز عناية القرآن والسنة بجانب ترشيد الإنفاق.
٣. بيان الضوابط التي ينبغي مراعاتها لتحقيق ترشيد الإنفاق.
٤. إبراز الآثار الإيجابية لترشيد الإنفاق.

مشكلة البحث:

يجيب هذا البحث عن أربعة تساؤلات:

١. ما المراد بمفهوم ترشيد الإنفاق؟
٢. هل اعتنى القرآن الكريم والسنة النبوية بهذا الموضوع؟
٣. ما هي الضوابط والأسباب التي تُؤدي إلى تحقيق ترشيد الإنفاق؟
٤. ما هي الآثار الإيجابية الناتجة عن ترشيد الإنفاق؟

حدود البحث:

اقتصرت على تناول الآيات القرآنية المتعلقة بجانب الإنفاق المالي، مع الاستشهاد بالأحاديث النبوية ذات الصلة بالموضوع، وما ورد من آثار عن سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن أسلك فيه عدة مناهج:

أولاً: المنهج التأصيلي والاستنباطي: للتعريف بمفهوم ترشيد الإنفاق، وبيان ضوابطه وآثاره.
ثانيًا: المنهج الاستقرائي: بتتبع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار عن السلف الصالح.
ثالثًا: المنهج التحليلي: يتناول جميع المباحث.

خطة البحث:

تتكون من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، فالخاتمة، فالفهارس العلمية، وفق الترتيب التالي:

المقدمة، وفيها بيان أهمية موضوع البحث، وأهدافه، ومشكلته، وحدوده، ومنهجه، وخطته.

التمهيد، وفيه التعريف بمفهوم ترشيد الإنفاق لغةً واصطلاحًا.

المبحث الأول: عناية القرآن والسنة بترشيد الإنفاق، ويتضمن مطلبين:

- المطلب الأول: الحث على البذل والإنفاق والنهي عن البخل والتقتير.
- المطلب الثاني: الدعوة إلى التوسط في الإنفاق.

المبحث الثاني: ضوابط الإنفاق، ويتضمن تسعة مطالب:

- المطلب الأول: إخلاص النية.
- المطلب الثاني: مشروعية مصادر الإنفاق.
- المطلب الثالث: مشروعية مجالات الإنفاق.
- المطلب الرابع: الاعتدال في الإنفاق.
- المطلب الخامس: تجنب التقليد والمفاخرة.
- المطلب السادس: اختلاف الإنفاق باختلاف الأحوال.
- المطلب السابع: الموازنة بين الدخل والإنفاق.
- المطلب الثامن: الموازنة بين الإنفاق العام والخاص.
- المطلب التاسع: مراعاة أولويات الإنفاق.

المبحث الثالث: آثار ترشيد الإنفاق، ويتضمن ثمانية مطالب:

- المطلب الأول: تحقيق الاكتفاء الذاتي.
- المطلب الثاني: القدرة على مواجهة الأزمات.
- المطلب الثالث: زيادة القدرة الادخارية والاستثمارية.
- المطلب الرابع: التربية الجادة للأفراد والمجتمعات.

- المطلب الخامس: تأمين الحياة الكريمة للورثة والذرية.
- المطلب السادس: المحافظة على النعم وزيادتها.
- المطلب السابع: التوجيه الأمثل للمنتجات والاستثمارات.
- المطلب الثامن: الحد من غلاء الأسعار.

الخاتمة، وفيها بيان نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس العلمية وهما: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

سائلاً الله تعالى أن ينفع بهذه الدراسة، ويجعلها ذُخرًا في ميزان الحسنات، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

التمهيد

التعريف بمفهوم ترشيد الإنفاق

الترشيد في اللغة :

مصدر على وزن تفعيل، وأصله من الفعل الثلاثي (رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْدًا)، والراء والشين والدال أصلٌ يدل على استقامة الطريق[1]. والرُّشْدُ والرَّشَدُ بمعنى: الهداية والاستقامة، وهما خلاف الميل والغواية. وفرَّق بعضهم بينهما بأن الرُّشْدَ يُطلق على الأمور الدنيوية والأُخروية، والرَّشَدُ يُقال في الأمور الأُخروية لا غير[2].

في الاصطلاح:

من خلال التعريف اللغوي يمكن تعريف الترشيد اصطلاحًا بأنه: تحقيق صلاح الشيء واستقامته[3]. وقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من المعاني ما يدل على مفهوم الترشيد في الإنفاق:

١- القوام، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾ (الفرقان: ٦٧).

٢- التوسط والاعتدال، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩ ﴾

(١) انظر: مقاييس اللغة ٣١٨/٢. وينظر: لسان العرب ١٥٧/٦، والمصباح المنير ص٨٧، والقاموس المحيط ص٢٨٢.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ٣٧٢/١.

(٣) الرُّشْد عند الفقهاء هو: الصلاح في المال والحفظ له عن الإسراف والتبذير. انظر: القاموس الفقهي ص١٤٨.

٣- الاقتصاد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ج قال: ((إن الهدي الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد: جزءٌ من خمسة وعشرين جُزءًا من النبوة))[١]. ومن دعاءه ج: ((وأسألك القصد في الفقر والغنى))[٢].

الإنفاق في اللغة:

مصدر الفعل الرباعي (أنفق يُنفق إنفاقًا). والنون والفاء والقاف أصلٌ يدل على انقطاع شيء وذهابه[٣]. ولهذه الكلمة معاني لغوية متعددة[٤]، فمن ذلك:

١. النقصان والقلة، ومنه: نفقت الدراهم، أي: نقصت وقلت.
٢. زيادة الرغبة في السلعة، ومنه: نَفَقت السلعة، أي: راجت وغلت ورغب فيها.
٣. الموت، ومنه: نفقت الدابة، أي: ماتت.
٤. الفقر، ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ (الإسراء:١٠٠)، أي: خشية الافتقار.

في الاصطلاح:

عرَّف أهل العلم الإنفاق بتعريفات متقاربة فيما بينها، سأورد بعضًا منها، مع ذكر التعريف المختار. قال المناوي في تعريفه: "صرف المال في الحاجة"[٥]. وفي المعجم الوسيط: "الإنفاق: بذل المال في وجه من وجوه الخير"[٦]. وفي معجم لغة الفقهاء: "الإنفاق: صرف المال في الحاجات الضرورية وغيرها"[٧].

(١) أخرجه أحمد ٤/٤٣١، حديث رقم:(٢٦٩٨)، إسناده حسن.
(٢) أخرجه النسائي ص٢١٣، حديث رقم:(١٢٢٩)، صححه الألباني.
(٣) انظر: مقاييس اللغة (٥/٤٥٤).
(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ٢/٩٠٤، ولسان العرب ١٤/٣٢٦، والمصباح المنير ص٢٣٦، والقاموس المحيط ص٩٢٦.
(٥) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف ص١٠٠.
(٦) انظر: المعجم الوسيط ص٩٤٢.
(٧) انظر: معجم لغة الفقهاء ص٣٢.

ويلاحظ على التعريف الأول أنه قصر جانب الإنفاق على الحاجيات، والتعريف الثاني جعل مجال الإنفاق محصورًا في وجوه الخير؛ لذا فإن التعريف المختار للإنفاق أنه: بذل المال في وجهٍ من الوجوه لتحقيق منفعةٍ ما.

مفهوم ترشيد الإنفاق:

يمكن ممَّا سبق تعريف مفهوم ترشيد الإنفاق بأنه: الاعتدال في إنفاق المال في وجوه المشروعة[1]. أو بمعنى آخر: حسن القيام على المال وتوجيهه في خير سبيل[2].

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ٨٩٤.

(٢) انظر: المعجم الوجيز ص٢٦٥.

المبحث الأول

عناية القرآن والسنة بترشيد الإنفاق

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: الحث على البذل والإنفاق والنهي عن الشح والتقتير

أولاً: الحث على البذل والإنفاق

حثَّ الله عباده المؤمنين على البذل والإنفاق في كتابه العظيم وسنة نبيه الكريم ج بأساليب شتى في مواضع كثيرة، فمن ذلك:

١- بيان أن الإنفاق من أعظم صفات المتقين، كما قال سبحانه في وصفهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾

٢- تذكير المؤمنين بانتفاعهم بأموالهم قبل يوم الجزاء، "وهي الدعوة إلى الفرصة التي إن أفلتت منهم فلن تعود، فهي الفرصة التي ليس بعدها بيعٌ تربح فيه الأموال وتنمو"[1]، قال عزَّ وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾

٣- التحفيز على الإنفاق بضرب المثال الذي يُبيِّن عظم جزاء المنفق ومضاعفة أجر نفقته، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (البقرة:٢٦١). قال ابن كثير: "وهذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف،...وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبع مائة،

(١) انظر: في ظلال القرآن ١/٢٨٥.

فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة يُنمِّيها الله عزَّ وجل لأصحابها، كما يُنمِّي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة"[1]. ويقول ج: ((ما تصدَّق أحدٌ بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلاَّ الطيب، إلاَّ أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كَنف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يُربِّي أحدكم فُلوَّه[2] أو فَصيلَه))[3].

٤- طمأنة المنفقين في سبيله بأن نفقاتهم معلومة ومحفوظة، قال سبحانه:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾(آل عمران:٩٢). قال ابن عاشور:"وهذا تذييل قُصِدَ به تعميم أنواع الإنفاق، وتبيين أن الله لا يخفى عليه شيء من مقاصد المنفقين"[4].

٥- وعد المنفقين بالعوض والخلف منه سبحانه، قال تعالى:﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾(سبأ: ٣٩). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ج: ((ما من يوم يُصبح العباد فيه إلاَّ ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ مُنفقًا خَلَفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممُسكًا تَلَفًا))[5].

٦- تشبيه النفقة في سبيل الله بالقرض الذي يُرد لصاحبه مضاعفًا فضلاً وكرمًا من ذي الفضل العظيم، قال سبحانه:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾(البقرة: ٢٤٥). قال ابن عطية:"واستدعاء القرض في هذه الآية إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه، والله هو الغني الحميد، لكنه شبَّه إعطاء المؤمن في الدنيا ما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبَّه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء"[6].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/٦٩١.
(٢) الفَلُو: المُهر الصغير، وقيل: هو الفطيم من أولاد ذات الحافر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ص٧١٨.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ١/٤٥٠، حديث رقم:(١٠١٤).
(٤) انظر: التحرير والتنوير ٤/٧.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ١/٤٤٩، حديث رقم:(١٠١٠).
(٦) انظر: المحرر الوجيز ٢/٣٤٨-٣٤٩.

٧- تحذير أهل الإيمان من كيد الشيطان الذي يصدهم عن الإنفاق في سبيل الله خشية الافتقار، قال تعالى:﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾(البقرة:٢٦٨).

وهذا الإنفاق المأمور به هو الإنفاق الذي لا يصل إلى حدِّ الإسراف والتبذير، كما قال سبحانه ناهيًا عن الإسراف:) ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾(الأعراف: ٣١)، وقال ج:((كلوا، وتصدقوا، والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة))[1]. قال الصنعاني:"فالسخاء خيرٌ كله، ما لم يخرج إلى حدِّ الإسراف المنهي عنه"[2].

وكذلك ذَمَّ الله تعالى التبذير، وحذَّر منه في قوله جلَّ شأنه:﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾(الإسراء: ٢٦-٢٧). قال ابن عاشور:"ووجه النهي عن التبذير: هو أن المال جُعل عوضًا لاقتناء ما يحتاج إليه المرء في حياته من ضروريات وحاجيات وتحسينات، وكان نظام القصد في إنفاقه ضامن كفايته في غالب الأحوال، بحيث إذا أنفق في وجهه على ذلك الترتيب بين الضروري والحاجي والتحسيني؛ أمِن صاحبه من الخصاصة فيما هو إليه أشد احتياجًا"[3].

ثانيًا: النهي عن الشح والتقتير

وفي مقابل الأمر بالإنفاق والحثِّ عليه جاء النهي عن البخل والتقتير، فقد حذَّر الله عباده من هاتين الخصلتين الذميمتين، ونهى عنهما في مواضع من القرآن الكريم والسنة النبوية، فمن ذلك:

١- التصريح بالنهي عن البخل، قال سبحانه:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾(الإسراء: ٢٩).

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب اللباس ص٨١٦.
(٢) انظر: سبل السلام ٢١٧/٨.
(٣) انظر: التحرير والتنوير ٧٩/١٥.

٢- الإخبار بأن ترك الإنفاق في سبيل الله مهلكةٌ للعبد، قال تعالى:﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾(البقرة: ١٩٥). وهذا ما روي عن حذيفة وابن عباس[١] رضي الله عنهم في معنى الآية.

٣- بيان أن البخل سببٌ لتعسير الأمور، قال سبحانه:﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾٤- تنفير المؤمنين من صفة البخل، والإخبار بأنها من صفات المنافقين، قال تعالى:﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(التوبة:٦٧).

٥- الوعيد للممسكين عن الإنفاق، قال جلَّ وعلا:﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾(آل عمران:١٨٠).

٦- دعاء المَلَك على الممسك عن الإنفاق بالتلف، قال ج:((ما من يوم يُصبح العباد فيه إلاَّ ملكان ينزلان...، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممُسكًا تَلَفًا)).

٧- استعاذة النبي ج من صفة البخل، فمن دعاءه:((اللهم إني أعوذ بك من الهَمِّ والحَزَن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضَلَع الدين، وغلبة الرجال))[٢]. قال ابن القيم:"ثم ذكر الجبن والبخل فإن الإحسان المتوقع من العبد إمَّا بماله وإمَّا ببدنه، فالبخيل مانعٌ لنفع ماله، والجبان مانعٌ لنفع بدنه"[٣].

المطلب الثاني: الدعوة إلى التوسط في الإنفاق

الإسلام دين الوسطية والاعتدال، والأصل في المسلم أن يكون متوازنًا في كل أموره وشؤونه، والشريعة الإسلامية السمحة لبت حاجات الإنسان، وأباحت له الانتفاع بالطيبات

(١) انظر: الدُّر المنثور ٢/٣٢١-٣٢٢.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة ص٧٧٣، باب الحيس، حديث رقم:(٥٤٢٥).
(٣) انظر: مفتاح دار السعادة ١/١١٣.

بلا إفراط أو تفريط؛ لذا نهى الله المؤمنين عن الإسراف والتبذير؛ لِمَا فيهما من الضرر على الفرد والمجتمع، كما نهى عن الشح والتقتير؛ لِمَا فيهما من حبس المال عن الانتفاع به، وفي كلا الأمرين ضررٌ وخللٌ في النظام الاقتصادي تظهر آثاره على الفرد والمجتمع، وهذا من كمال التشريع الإسلامي وعدله.

إن الدعوة إلى التوسط في الإنفاق جاء الحث عليها في عِدَّة مواضع من الكتاب والسنة، فمن وصايا الرحمن لأهل الإيمان في سورة الإسراء ذلك التوجيه الإلهي بقوله جلَّ جلاله:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾(الإسراء: ٢٩). قال الرازي: "لا تُمسك عن الإنفاق بحيث تُضيِّق على نفسك وأهلك في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات، ولا تتوسع في الإنفاق توسعًا مُفرطًا بحيث لا يبقى في يدك شيء"[1].

ويقول عزَّ وجل مُثنيًا على صفوة عباده:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾(الفرقان: ٦٧). قال ابن كثير: "ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خيارًا، وخير الأمور أوسطها"[2].

ومن دعاء النبي ج: ((وأسألك القصد في الفقر والغنى))[3]. والمعنى: أن أكون معتدلاً في الإنفاق حال غناي وفقري؛ لأن الغنى في غالب الأحوال يكون معه إسراف وتبذير، كما أن الفقر يصاحبه بخل وتقتير. قال ابن القيم: "ولمَّا كان الفقر والغنى بليتين ومحنتين يبتلي الله بهما عبده، ففي الغنى يبسط يده، وفي الفقر يقبضهما، سأل الله القصد في الحالتين، وهو التوسط الذي ليس معه إسراف ولا تقتير"[4].

التوسط في الإنفاق خصلة من خصال الفضلاء، وهي دليل على كمال الدين والعقل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ج قال: ((إن الهدي الصالح، والسمت الصالح،

(١) انظر: التفسير الكبير ١٩٦/٢٠.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٢٣/٦-١٢٤.
(٣) سبق تخريجه ص٦.
(٤) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢٩/١.

والاقتصاد: جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءًا من النبوة))[1]. وقال عمر رضي الله عنه: "الخرق[2] في المعيشة أخوفُ عندي عليكم من العوز، لا يقلُّ شيء مع الإصلاح، ولا يبقى شيء مع الفساد"[3].

وقال محمد بن الحنفية: "الكمال في ثلاثة: العفة في الدين، والصبر على النوائب، والاقتصاد وحسن التدبير في المعيشة"[4]. وقال مجاهد بن جبر: "من كان عنده من هذا المال ما يُقيمه ويُصلحه فليقتصد في الإنفاق فإن الرزق مقسوم، ولعل ما قُسِمَ له قليل وهو يُنفق نفقة الموسع عليه، فيُنفق جميع ما في يده، ثم يبقى طول عمره في فقر"[5].

وقال ميمون بن مِهران: "التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف الفقه، ورفقك في معيشتك يُلقي عنك نصف المؤنة"[6].

وقال الثعالبي: "من أصلح ماله فقد صان الأكرمين: الدين، والعرض"[7]. وممَّا قيل: "ما وقع تبذيرٌ في كثيرٍ إلاَّ هدمه، ولا دخل تدبيرٌ في قليلٍ إلاَّ ثمَّره"[8]. وقيل: "حسن التدبير مع العفاف خيرٌ من الغنى مع الإسراف"[9].

إن الدعوة إلى ترشيد الإنفاق دعوةٌ إلى سلوك منهج التوسط والاعتدال الذي هو سمةٌ لهذه الأمة المحمدية في كل شؤون حياتها، كما أثنى الله عليها بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

(١) سبق تخريجه ص٦.
(٢) الخُرْق: الجهل والحمق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ص٢٦١.
(٣) انظر: الحث على التجارة والصناعة والعمل ص٤١.
(٤) انظر: أدب الدنيا والدين ص٣٩٣-٣٩٤.
(٥) انظر: حاشية زاده على تفسير البيضاوي ٧٠٨/٦.
(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥٠٣/٨، باب الاقتصاد في النفقة.
(٧) انظر: التمثيل والمحاضرة ص٤٢٨.
(٨) انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبُلغاء ٥٧٨/١.
(٩) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥١١/٨، باب الاقتصاد في النفقة.

لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (البقرة:١٤٣)، ومقصودها أن يسلك العبد مسلكًا معتدلاً في إنفاقه فلا إسراف ولا تبذير ولا شح ولا تقتير.

والاعتدال في الإنفاق أمارةٌ على الحكمة، وهو من الأخذ بالأسباب، لا كما يظنه البعض شحًا وتقتيرًا. قال ابن القيم: "والفرق بين الاقتصاد والشح: أن الاقتصاد خلق محمود يتولد من خلقين: عدل وحكمة. فبالعدل يعتدل في المنع والبذل، وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه الذي يليق به، فيتولد من بينهما الاقتصاد، وهو وسطٌ بين طرفين مذمومين"[1].

(١) انظر: الروح ص٦٦٦.

المبحث الثاني

ضوابط ترشيد الإنفاق

ويتضمن تسعة مطالب:

وضع الإسلام جملةً من الضوابط التي تحقق حين التزامها ترشيد الإنفاق على مستوى الفرد والمجتمع، ومن هذه الضوابط:

المطلب الأول: إخلاص النية

وهذا الضابط شرطٌ في قبول جميع الأعمال، والأدلة على أهميته ووجوب تحقيقه كثيرة، فمن القرآن الكريم: قوله تعالى في الثناء على المنفقين رجاء ثوابه وابتغاء مرضاته: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾ (البقرة:٢٦٥). وأثنى جلَّ جلاله على عباده الأبرار بقوله:﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩﴾ (الإنسان:٩).

وذمَّ الله المنافقين الذين لا ينفقون بإخلاص وطيب نفس، فقال عزَّ وجل عنهم:﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤﴾ (التوبة:٥٤).

ومن السنة النبوية: قوله ج: ((إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى...))[1]. وقال ج: ((إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقةً وهو يحتسبها كانت له صدقة))[2]. وقال ج لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((ولست تُنفق نفقةً تبتغي بها وجه

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ص٥، باب كيف كان الوحي إلى رسول الله ج، حديث رقم:(١).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ٤٤٧/١، حديث رقم:(١٠٠٢).

الله إلاَّ أُجـرت بها...))[1]. ومن السبعة الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله ((رجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه))[2]. قال الحسن البصري: "ما أنفق رجلٌ على أهله في غير إسراف ولا إقتار فهو في سبيل الله عز وجل"[3].

وإنَّ ممَّا يُفسد الإخلاص ويجعل البعض يُسرف في ماله ولا يعتدل في إنفاقه طلب الرياء والسمعـة، وقد جاء الوعيـد الشديد على ذلك، فعن أبي هريرة رضـي الله عنه قال: سمعت رسول الله ج يقول: ((إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه،...ورجلٌ وَسَّعَ الله عليه وأعطاه مـن أصناف المال كُلَّه، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيـلٍ تحـب أن يُنفَق فيها إلاَّ أنفقتُ فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلتَ ليُقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه، ثم أُلقيَ في النار))[4].

ولو التزم المسلمون بضابط الإخلاص في نفقاتهم؛ لأفضى ذلك إلى الترشيد والاعتدال، إذ أن هنالك صور متعددة من الإنفاق غير الرشيد دافعها طلب الرياء والسمعة.

المطلب الثاني: مشروعية مصادر الإنفاق

مـن الضوابط التي قررها الإسلام لتحقيق الترشيد في الإنفاق أن يكون مصدر المال مـن كسب طيب وحلال، كما قال سبحانه آمـرًا عباده المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ (البقـرة:٢٦٧). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ج: ((أيها الناس إن الله طيبٌ لا يقبل إلاَّ طيبا))[5].

ومـن اعتاد الإسراف لم تزل نفسه تطلب المزيـد، ولا تقف رغباته عند حدٍ معين، وربما ضاقـت طرق الكسب الحـلال عن تحصيل مطلوبه، فيطلب المال مـن مصادر غير مشروعة

(١) المصدر السابق، كتاب الوصية ٢/٧٦٧، حديث رقم:(١٦٢٧).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ص١٩٢، باب الصدقة باليمين، حديث رقم:(١٤٢٣).
(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٨/٤٩٢، باب الاقتصاد في النفقة.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ٢/٩١٩-٩٢٠، حديث رقم:(١٩٠٥).
(٥) المصدر السابق، كتاب الزكاة ١/٤٥٠، حديث رقم:(١٠١٥).

لتحقيق مآربه، فيبؤ بالإثم والخسران في الدنيا والآخرة. قال ابن عاشور: "والإسراف إذا اعتاده المرء حمله على التوسع في تحصيل المرغوبات، فيرتكب لذلك مَذمَّاتٍ كثيرة، وينتقل من ملذة إلى ملذة فلا يقف عند حد"[1].

وقال عند تفسير "فوجه عدم محبة الله إيّاهم أن الإفراط في تناول اللذات والطيبات والإكثار من بذل المال في تحصيلها؛ يفضي غالبًا إلى استنزاف الأموال، والشره إلى الاستكثار منها، فإذا ضاقت على المسرف أمواله تطلب تحصيل المال من وجوهٍ فاسدة؛ ليخمد بذلك نهمته إلى اللذات، فيكون ذلك دأبه، فربُّما ضاق عليه ماله، فشقَّ عليه الإقلاع عن ما اعتاده، فعاش في كربٍ وضيق، وربَّما تَطلَّب المال من وجوهٍ غير مشروعة"[2].

المطلب الثالث: مشروعية مجالات الإنفاق

تتعدد مجالات الإنفاق فمنها المشروع ومنها الممنوع، فالأول مأمورٌ به والعبد مأجورٌ عليه، والآخر منهيٌّ عنه والعبد يأثم على فعله. والنفقات المشروعة بعضها واجب كالنفقة على النفس، والأهل، والوالدين، وبعضها مستحب كصدقة التطوع، والإنفاق في أوجه البر المتنوعة كالنفقة على الفقراء والمساكين، ونحوهم.

وثمَّة صور موجودة في مجتمعاتنا الإسلامية لمجالات من الإنفاق غير الرشيد، فمن ذلك: الإنفاق على تعاطي التدخين، حيث تشكل نسبة متعاطيه في بلدان المسلمين نسبًا عالية، بحسب التقارير الصادرة من الجهات المتخصصة[3]، والإنفاق المالي على هذا الداء يصل إلى أرقام مالية كبيرة، ولو صُرفت هذا الأموال في الوجوه المشروعة لكان في ذلك خيرًا كثيرًا للمجتمع.

ومن مجالات الإنفاق غير الرشيد: المبالغة التي تحصل من البعض فما يتعلق بتكاليف الزواج، فالمهر الذي حثَّ الشرع على تيسيره بالغ فيه بعض الأولياء، حتى اضُطر كثير من

(١) انظر: التحرير والتنوير ٨/١٢٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ٨/١٢٤.

(٣) إضافة إلى مخاطر التدخين وأضراره من الناحية الصحية، فقد ذكرت منظمة الصحة العالمية بأن التدخين يتسبب في وفاة خمسة ملايين ونصف المليون سنويًا على مستوى العالم.

الشباب للاقتراض من البنوك قروضًا طويلة الأجل، يعيش معها ذلك الشاب تحت وطأة الدين، إلى غير ذلك من الصور.

فالواجب على المسلم أن يضبط إنفاقه ويوجهه نحو الأمور النافعة والمهمة، وليكن إنفاقه رشيدًا في المجالات التي ترفع من درجاته وتزيد من حسناته، فإن الإنفاق في الوجوه غير المشروعة تضييعٌ للمال، وضربٌ من ضروب الإسراف.

قال ابن حجر عند بيان قوله ج: ((وكره لكم:...وإضاعة المال)): "الأكثر حملوه على الإسراف في الإنفاق، وقيَّده بعضهم بالإنفاق في الحرام، والأقوى أنه ما أُنفِقَ في غير وجهه المأذون فيه شرعًا سواء كانت دينية أو دنيوية فمُنِعَ منه؛ لأن الله تعالى جعل المال قيامًا لمصالح العباد، وفي تبذيرها تفويت لتلك المصالح، إمَّا في حق مُضيِّعها، وإمَّا في حق غيره"[1].

وقال الحليمي: "وهذا الوعيد من الله تعالى، وإن كان للكفار الذين يقدمون على الطيبات المحظورة، ولذلك قال: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (الأحقاف:٢٠)، فقد يخشى مثله على المنهمكين في الطيبات المباحة؛ لأن من تعودها مالت نفسه إلى الدنيا، فلم يؤمن أن يرتبك في الشهوات والملاذ، كلما أجاب نفسه إلى واحدة منها دعته إلى غيرها، فيصير إلى أن لا يمكنه عصيان نفسه في هوى قط، وينسد باب العبادة دونه، فإذا آل الأمر به إلى هذا لم يبعد أن يقال: (؛ فلا ينبغي أن تُعوَّد النفسُ ما يميل بها إلى الشره، ثم يصعب تداركها، ولتُرَضْ من أول الأمر على السداد، فإن ذلك أهون من أن تَدْرَب على الفساد، ثم يجتهد في إعادتها إلى الصلاح"[2].

المطلب الرابع: الاعتدال في الإنفاق

وهو سببٌ مهم من الأسباب المعينة على تحقيق الترشيد في الإنفاق، فالتوسط والاعتدال مبدأ عظيم من المبادئ العظيمة التي حثت عليه الشريعة في جميع الجوانب، وهو سِمةٌ من

(١) انظر: فتح الباري ٥٠١/١٠.
(٢) انظر: شعب الإيمان ٤٦٢/٧-٤٦٣.

سمات الأمة المحمدية، كما قال سبحانه:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾(البقرة: ١٤٣).

ولقد أرشدنا الله تعالى إلى أهمية أن يُراعي المسلم هذا المبدأ فيعتدل في وجوه إنفاقه كلها؛ لأن الإنفاق دون اعتدال واقتصاد أثره وضرره كبير على الفرد والمجتمع، وجاء التوجيه الإلهي مبينًا المنهج المطلوب سلوكه في باب الإنفاق، فقال سبحانه:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾(الإسراء: ٢٩). قال الرازي"وأمَّا كونه ملومًا فلأنه يلوم نفسه، وأصحابه أيضًا يلومونه على تضييع المال بالكلية، وإبقاء الأهل والولد في الضُر والمحنة، وأمَّا كونه محسورًا فقال الفرَّاء: تقول العرب للبعير: هو محسور إذا نقطع سيره. قال القفال: شبَّه حال من أنفق كل ماله بمن انقطع في سفر بسبب انقطاع مطيته؛ لأن ذلك المقدار من المال كأنه مطية تحمل الإنسان إلى آخر الشهر والسنة، كما أن ذلك البعير يحمله ويُبلِّغه إلى آخر المنزل، فإذا انقطع ذلك البعير بقي في وسط الطريق عاجزًا متحيرًا، فكذلك الإنسان إذا أنفق مقدار ما يحتاج إليه في مدة شهر في أقل منه، بقي في وسط ذلك الشهر عاجزًا متحيرًا، ومن فعل ذلك لحقه اللوم من أهله والمحتاجين إلى إنفاقه عليهم، بسبب سوء تدبيره وترك الحزم في مهمات معاشه"[1].

المطلب الخامس: تجنب التقليد والمفاخرة

إن أحد الأسباب الرئيسية للإسراف في مجتمعاتنا هو التقليد للمسرفين، ويزداد الأمر سوءًا إذا كان هذا التقليد من باب المشابهة لأعداء الأمة من اليهود والنصارى، الذين حذَّر النبي ج من مشابهتهم فقال: ((لتتبعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شِبْرًا بشِبْر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم)) قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: ((فمن؟))[2].

(١) انظر: التفسير الكبير ٢٠/١٩٦-١٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ص١٢٦٠، حديث رقم: (٧٣٢٠).

إن المسلم الحق معتز بشخصيته وثابت على قيمه ومبادئه دون التفاته إلى حال غيره ممن زل أو ضل، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ (المائدة: ١٠٥).

وسببٌ آخر من أسباب الإسراف في مجتمعاتنا وهو الإنفاق بقصد المفاخرة، فالبعض يُبالغ في إكرام ضيفه على الحدِّ المتعارف عليه والمأمور به شرعًا، حتى يُقال في حقه: جوادٌ كريم، والبعض الآخر تقع منه مبالغات فيما يتعلق بحفلات الزواج من استئجار قاعة للاحتفال بمبالغ باهظة لمناسبة ساعاتها محدودة، وما يحصل أيضًا من البذخ والإسراف في إعداد الولائم الزائدة عن حاجة المدعوين، التي يُؤكل بعضها، والباقي منها يُلقى في صناديق المخلفات.

لذلك كان من الواجب أن يكون الإنفاق معتدلاً ورشيدًا، كما أمرنا بذلك نبينا ج: ((كلوا، وتصدقوا، والبسوا في غير إسرافٍ ولا مخيلة))[1]. قال الموفق عبد اللطيف البغدادي: "هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة؛ فإنَّ السرف في كلِّ شيء يضرُّ بالجسد ويضرُّ بالمعيشة؛ فيؤدِّي إلى الإتلاف، ويضرُّ بالنفس إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال، والمخيلة تضرُّ بالنفس حيث تكسبها العجب، وتضرُّ بالآخرة حيث تكسب الإثم، وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس"[2].

المطلب السادس: اختلاف الإنفاق باختلاف الأحوال

تمر بالإنسان في هذه الحياة أحوال متنوعة فسعة الرزق قد يعقبها الضيق والعكس، لذلك كان من يسر الشريعة الإسلامية أنها لم تجعل الإنفاق المأمور به بقدرٍ ثابت لا يتغير، بل إنه يختلف بحسب الحالة المادية والظروف الحالية.

فالمرء الذي أفاء الله عليه من نعمه وأسبغ عليه من فضله، يختلف في إنفاقه عن الآخر الذي لا يكاد دخله يكفي نفقاته الضرورية، والإنفاق في حال الرخاء يختلف عنه في حال

(١) تقدم تخريجه ص٩.

(٢) انظر: فتح الباري ٣١٢/١٠.

الشدة، وفي سورة يوسف عليه السلام درسٌ عملي يبين التدابير اللازمة لترشيد الاستهلاك عند الأزمات، وهو أنموذج يُحتذى به كذلك في ترشيد الإنفاق، يقول القرضاوي: "ويتحتم الاعتدال في الإنفاق ويتأكد إذا قلَّت الموارد، كما في أيام القحط والمجاعات، وهو ما أشار إليه القرآن في قصة يوسف عليه السلام، في إطار الخطة التي وضعها للخروج من الأزمة: من تقليل الاستهلاك في السنوات السبع الخصبة حتى يكون هناك مجال للادخار: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (يوسف:٤٧)، ثم تقليل الاستهلاك مرة أخرى في السنوات العجاف بحكم الضرورة وتوزيع المدخر على سنوات الأزمة جميعًا ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (يوسف:٤٨) "[1].

وإن من باب الأخذ بالأسباب أن يدخر المرء من ماله شيئًا ينتفع به عند وقوع الشدائد الأزمات، ولا يُعارض ذلك التوكل على الله عزَّ وجل، فقد صحَّ عنه ج أنه كان يحبس لأهله قوت سنتهم[2]. قال ابن الجوزي: " فيه جواز ادخار قوت سنة، ولا يقال: هذا من طول الأمل؛ لأن الإعداد للحاجة مستحسن شرعًا وعقلاً "[3].

المطلب السابع: الموازنة بين الدخل والإنفاق

من حكمة الله وتدبيره عز وجل أن فاضل بين عباده في الأرزاق حيث قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (النحل:٧١)، وهذه المفاضلة لحكم جليلة يعلمها المولى سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ (العنكبوت:٦٢).

وأحد الضوابط المهمة لترشيد الإنفاق أن يُوازن المسلم بين دخله وإنفاقه، فلا يُنفق حتى يأتي على كل دخله، بل لابد من الاعتدال والتوسط ليكون إنفاقه في حدود دخله المتاح، ممتثلاً ومراعيًا للتوجيه الرباني.

---

(١) انظر: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص٢٥٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النفقات ص٩٥٦، باب حبس الرجل قوت سنة على أهله، حديث رقم: (٥٣٥٧).

(٣) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين ٩١/١.

قال الشوكاني: " فيه الأمر لأهل السعة بأن يُوسعوا على المرضعات من نسائهم على قدر سعتهم (أي: كان رزقه بمقدار القوت، أو مُضيَّق ليس بموسع،) (أي: ممَّا أعطاه من الرزق ليس عليه غير ذلك،) (أي: ما أعطاها من الرزق، فلا يُكلَّف الفقير بأن يُنفق ما ليس في وسعه، بل عليه ما يقدر وتبلغ إليه طاقته ممَّا أعطاه الله من الرزق "[1].

وفي ذات المعنى يقول سبحانه:﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ (البقرة:٢٣٦) . قال ابن عثيمين: " أي: على الغني قَدَرُهُ، وعلى الفقير قَدَرُهُ، بحسب حال الزوج، فالغني تكون متعته كثيرة، والفقير تكون متعته يسيرة "[2].

ومن المشكلات التي تُواجه كثيرًا من الأفراد والأسر أن إنفاقهم المالي يفوق دخلهم بمراحل كثيرة، ويكون الإنفاق في أول الشهر كبيرًا، فما أن ينتصف الشهر ولا يكاد الواحد منهم يستطيع تأمين متطلبات ونفقات ما تبقى من الشهر، مما يضطره للاستدانة ويوقعه في الحرج، والسبب في ذلك هو عدم الموازنة بين الدخل والإنفاق.

المطلب الثامن: الموازنة بين الإنفاق العام والخاص

حينما حثَّ الإسلام على الإنفاق في وجوه البر والنفع العام لم يكن ذلك ليشمل جميع المال، بل هو إنفاق من بعض المال لا من كله، كما قال سبحانه في وصف عباده المتقين:) .

وهذا الأمر بالإنفاق العام لا يكون على حساب النفقات الخاصة، بل إن المولى عزَّ وجل يرشدنا أن نُراعي عند الإنفاق الأهم والأقرب، فبين لنا سبحانه مراتب الإنفاق ورتبها بقوله:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ (البقرة:٢١٥) .

والإنفاق المأمور به شرعًا هو ما زاد عن النفقات الواجبة، كما قال تعالى:﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا

(١) انظر: فتح القدير ٥/٣٠٠.
(٢) انظر: أحكام من القرآن الكريم ٢/٢٥٥.

يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ (البقرة:٢١٩). قال ابن عاشور: "والعفو: ما زاد على حاجة المرء من المال، أي: فَضلَ بعد نفقته ونفقة عياله بمعتاد أمثاله"[١].

ويقول ج: ((خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول))[٢]. قال ابن حجر: "قوله: ((وابدأ بمن تعول)) فيه تقديم نفقة نفسه وعياله؛ لأنها منحصرة فيه، بخلاف نفقة غيرهم"[٣]. ويقول ج: ((من كان معه فضل ظهرٍ فليَعُدْ به على من لا ظهر له، ومن كان له فضلٌ من زادٍ فليَعُدْ على من لا زاد له))[٤].

المطلب التاسع: مراعاة أولويات الإنفاق

من أهم الضوابط التي تحقق الترشيد في الإنفاق أن يُراعي المسلم الأولويات، ويُقدم الأهم على المهم، فيبدأ بتقديم الضروريات على الحاجيات، والحاجيات على التحسينيات[٥]. فيبدأ المسلم بسد حاجات من تلزمه نفقتهم من الأهل والأولاد، ثم أقاربه، ثم المحتاجين من عموم المسلمين، وهكذا يتدرج في مراتب الإنفاق من الأقرب إلى الأبعد، كما قال ج: ((ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيءٌ فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيءٌ فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيءٌ فهكذا وهكذا))[٦].

قال النووي: "في هذا الحديث فوائد منها: الابتداء في النفقة بالمذكور على هذا الترتيب"[٧].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ٢/٣٥١.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ص١٩٣، باب لا صدقة إلاَّ عن ظهر غنى، حديث رقم:(١٤٢٦).
(٣) انظر: فتح الباري ٣/٣٧٤.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب اللقطة ٢/٨٢٧، حديث رقم:(١٧٢٨).
(٥) الضروريات هي: ما لا تقوم الحياة بدونها. والحاجيات: ما تقوم الحياة بدونها، مع وجود مشقة تلحق المكلف. والتحسينيات: ما تقوم الحياة بدونها، ولا تمس الحاجة إليها، ولا يتأثر المكلف بفقدها. ينظر: الموافقات ٢/١٧.
(٦) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ١/٤٤٥، حديث رقم:(٩٩٧).
(٧) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم ٧/٨٣.

وإن من جوانب الخلل في الإنفاق لدى بعض الأفراد والأسر أن ينفق ماله في الكماليات والتحسينيات على حساب الضروريات والحاجيات، فربما اشترى سيارة جديدة وسيارته التي بحوزته تفي بالمطلوب، وربما غيَّر أثاث بيته دون حاجة، وقد يدخر من ماله لأجل السياحة في مقابل تقصيره في نفقات أخرى ضرورية ومهمة.

وفئةٌ بالغت في أمر المساكن فأسرفت في بنيانها وزخرفتها، وهو أمر مذموم شرعًا، فقد ذَمَّ الله قوم عاد توسعهم في المساكن التي لا حاجة لهم فيها، فقال حكايةً عن نبيه هود عليه السلام: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾(الشعراء:١٢٨-١٢٩). قال ابن عاشور: "قيل: إن المصانع قصور عظيمة اتخذوها، فيكون الإنكار عليهم متوجهًا إلى الإسراف في الإنفاق على أبنية راسخة مكينة، كأنها تمنعهم من الموت، فيكون الكلام مسوقًا مساق الموعظة من التوغل في الترف والتعاظم"[1].

(١) انظر: التحرير والتنوير ١٦٨/٩.

المبحث الثالث

آثار ترشيد الإنفاق

ويتضمن ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تحقيق الاكتفاء الذاتي

مـن أَجلِّ الآثار المترتبة على ترشيد الإنفاق تحقيق الاكتفاء الذاتي وعدم الحاجة للغير، فمـا دام المسلم ملتزمًا بالإنفاق الرشيد؛ فإنـه في الأغلب الأعم سيكون في اكتفاء ذاتي، ولن يمد يده لغيره طالبًا دينًا أو معونة.

والاعتـدال في الإنفـاق يحفـظ المسلم مـن أن يعيش تحت وطـأة الدين، ومـن ثَمَّ يبقى عزيـزًا مستغنيًـا عن الناس، كمـا قال المناوي: "ما افتقـر من أنفق قصـدًا، ولم يتجاوز حد الإسـراف"[1]. أمَّـا المستدين فإنه يعيش حياةً غير مستقرة، مع ما يلحقه من الأذى في نفسه وعرضه من مطالبة الدائنين.

وبتدبير المعيشة والاقتصاد في النفقة ينأى العبد بقلبه عن الهم والغم وشتات الأمر. قال ابن الجوزي: "فينبغي للعاقل أن إذا رُزِقَ قوتًا أو كان له مواد أن يحفظها؛ ليتجمَّع له همه، ولا ينبغي له أن يُبذِّر في ذلك؛ فإنه يحتاج فيتشتت همه، والنفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت"[2].

المطلب الثاني: القدرة على مواجهة الأزمات

لا شـك أن الترشيـد في الإنفاق يجعل المـرء يدخر شيئًا من ماله، ومـن ثَمَّ تكون قدرته أكـبر على مواجهـة الشدائد والأزمات، فمتى مـا أَلمَّ به خطب يحتاج إلى مـالٍ لتخطيه فإن

(١) انظر: فيض القدير ٥/٥٥٤.

(٢) انظر: صيد الخاطر ص٥٠٣.

باستطاعته تجاوز تلك الأزمة. قال ابن الجوزي: "ومن الحزم جمع المال وادِّخاره لعارض حاجة من ذلك، ومن التغفيل إنفاق الحاصل، فربما عرضت حاجة فلم يقدر عليها، فأثَّرَ عدمها في البدن أو العرض بطلبها من الأنذال"[1].

والغنى غنيمة إن أحسن المرء اغتنامه، ومن اغتنامه أن يدخر المرء شيئًا من ماله. قال ابن عاشور: "ووجه النهي عن التبذير هو أن المال جُعل عوضًا لاقتناء ما يحتاج إليه المرء في حياته من ضروريات وحاجيات وتحسينات. وكان نظام القصد في إنفاقه ضَامِنَ كفايته في غالب الأحوال، بحيث إذا أنفق في وجهه على ذلك الترتيب بين الضروري والحاجي والتحسيني؛ أمِن صاحبه من الخصاصة فيما هو إليه أشد احتياجاً"[2].

المطلب الثالث: زيادة القدرة الادخارية والاستثمارية

من ثمرات ترشيد الإنفاق أنه يزيد من معدل الادخار الفردي؛ وبالتالي يزيد معدل الادخار على المستوى الجماعي، وهذا ما يُؤدي إلى زيادة القدرة الاستثمارية الفردية والجماعية، فكلما زادت معدلات الادخار زادت فرص ومعدلات الاستثمار، وهو أثرٌ من الآثار المهمة المترتبة على ترشيد الإنفاق.

ولا شكَّ أن القوة الاقتصادية عاملٌ مهم من عوامل النهضة، وسبيلٌ لرفعة الأمة الإسلامية بين باقي الأمم، وحينما يُرشِّد الأفراد وكذلك المجتمعات في جانب الإنفاق؛ يكون ذلك الترشيد سببًا يحفظ على الأمة قوتها الاقتصادية، ويصونها عن الحاجة لأعدائها، يقول ابن عاشور: "والمقصد الشرعي أن تكون أموال الأمة عُدةً لها وقوة؛ لابتناء أساس مجدها، والحفاظ على مكانتها، حتى تكون مرهوبة الجانب، مرموقة بعين الاعتبار، غير محتاجة إلى من قد يستغل حاجتها، فيبتز منافعها، ويدخلها تحت نِير سلطانه"[3].

(١) انظر: المصدر السابق ص٧٢٣.
(٢) انظر: التحرير والتنوير ٧٩/١٥
(٣) انظر: التحرير والتنوير ٧٩/١٥.

المطلب الرابع: التربية الجادة للأفراد والشعوب

إن حياة الدعة والترف من أقوى أسباب انهيار الأمم؛ لذا فإن الإسلام قد حذَّر من هذه الخصلة الذميمة، وبيَّن خطورتها وآثارها. والمترفون قلَّما ينهض بهم دين، أو تقوم بهم دنيا، أو ترتفع بهم راية، لأن النصر تسبقه ساعات شدة وخشونة عيش لم يعتدها هؤلاء.

ومن آثار الترف والإسراف أن صاحبه لا همَّ له سوى تحصيل شهواته، ولو لم يكن ديننا يدعونا إلى الاقتصاد في النفقة والمعيشة، لكان حال المسلمين البائسين والمحرومين في كثيرٍ من بقاع الأرض وازعًا ودافعًا إلى ترك الإسراف والأخذ بمبدأ الاقتصاد والاعتدال؛ ليعين المسلم إخوانه المسلمين الذين لا يجدون ما يسد حاجتهم، فالمسلم أخٌ للمسلم، والمجتمع الإسلامي كالجسد الواحد، كما قال نبينا ج: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى))[1].

إن أفعال المسلم وتصرفاته ينبغي أن تكون منضبطة بضوابط الشرع، ومن ذلك تصرفه في ماله، الذي جعله الله أمانةً في يد العبد سيسأله الله عنه يوم القيامة، وليس من العقل ولا من الدين أن يُنفق العبد ماله دون اعتدال وترشيد؛ لذلك كان من عدل الشريعة الإسلامية وحكمتها ومراعاتها لمصلحة الفرد والمجتمع جواز الحجر على السفيه، الذي لا يُحسن التصرف في ماله ونُهي عن إعطائه المال؛ لحظِّ نفسه ولحظِّ غيره (، وجاء التعبير القرآني بـ (أموالكم) مع أنها أموالهم الخاصة؛ إشارة إلى أنهم جزء من المجتمع، ولأنها من جنس ما يُقيم به الناس معايشهم[2]، فالمجتمع المسلم يتكامل أفراده فيما بينهم، وليس لهم الحرية ولا الحق في صرف تلك الأموال في وجوه غير مشروعة أو في مجال إنفاق غير رشيد لا يقتصر ضررها عليهم.

والاقتصاد في المعيشة يربي المسلم على سياسة نفسه وضبطها، وتوجيه إنفاقه توجيهًا رشيدًا ونافعًا، وهو أداة قوية ووسيلة فاعلة لتربية أفراد الأمة على الحياة العملية والجادة، التي لا بد منها لنهوض الأمم، وبقاء نهضتها، ودوام حضارتها.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ١٢٠١/٢، حديث رقم: (٢٥٨٥).

(٢) انظر: الكشاف ٢٠/٢.

المطلب الخامس: تأمين الحياة الكريمة للورثة والذرية

إن ترشيد الإنفاق على الوجه الذي بيَّنته الشريعة الإسلامية يتيح للمسلم الفرصة لترك الورثة والذرية في سعة من العيش، وتأمين حياة كريمة لهم، وذلك لِما يترتب على الترشيد من فائض يمكن تركه لهم، وهذا ما أشار إليه النبي ج في توجيهه وإرشاده لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم أن عاده وهو مريض، وقد استشاره في مقدار الوصية، فبيَّن له ج المقدار المناسب بقوله: ((الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس...))[1]. قال القرطبي: "وإنما ذكر النبي ج لسعد هذا الكلام في هذا الموطن؛ تنبيهًا على الفوائد التي تحصل بسبب المال، فإنه إن مات أُثيبَ على ترك ورثته أغنياء من حيث وصل رحمهم، وأعانهم بماله على طاعة الله تعالى"[2].

المطلب السادس: المحافظة على النعم وزيادتها

إن نعم الله لا تدوم إلا بشكرها، ومن شكر النعم إنفاقها في الوجه المشروع والنافع، فطالما كان الأمر كذلك بارك الله في تلك النعم وأدامها، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (إبراهيم:٧). ويقول الله عز وجل: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ (طه:٨١). والمعنى: لا تتجاوزوا الحد فيما أنعم الله به عليكم، وذلك بالإسراف والبطر والغفلة وعدم الشكر، وإلاَّ حل عليكم سخطي وغضبي.

ولقد حذَّرنا المولى عزَّ وجل من عاقبة كفر النعم بأي وجه كان، فقال جلَّ وعلا: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ (النحل:١١٢).

ولا شكَّ أن الاعتدال في الإنفاق من شكر النعمة وسببٌ في زيادتها وبقائها، كما أن سوء الإنفاق من كفر النعمة وسببٌ في زوالها، بل إننا بترشيد الإنفاق ننال محبة الله

(١) أخرجه مسلم في كتاب الوصية ٧٦٧/٢، حديث رقم: (١٦٢٧).
(٢) المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥٤٧/٤.

ومرضاته، فدلَّ مفهوم الآية أنه يحب المعتدلين والمقتصدين.

المطلب السابع: التوجيه الأمثل للمنتجات والاستثمارات

إن المستثمرين والجهات المنتجة إنما يتوجهون إلى السلع التي يُقبل الناس على شرائها، فإذا كان الإقبال على السلع الضرورية والنافعة اتجه المستثمرون نحو إنتاجها، وإن كان الإقبال على غيرها من السلع غير المهمة كان إقبال المنتجين نحوها؛ لذا فإن ترشيد الإنفاق يجعل المستهلك يقتصر في الغالب على شراء السلع الضرورية والنافعة، ويُقلِّل من إنفاقه على الكماليات والجوانب غير المهمة، وهذا ما يجعل المستثمرين والمنتجين يتجهون باستثماراتهم ومنتجاتهم إلى ما يُقبل عليه المجتمع وهي المنتجات الضرورية ذات الفائدة، وهذا أثر إيجابي من آثار ترشيد الإنفاق، فضلاً عن كونه من أكبر عوامل القوة الاقتصادية للمجتمعات في توجيه الاستثمارات نحو الضروري والمفيد، والنأي بالمستثمرين والمنتجين عن السلع والمنتجات قليلة الفائدة.

المطلب الثامن: الحد من غلاء الأسعار

من أهم أسباب الغلاء وارتفاع الأسعار الإسراف الذي يمارسه البعض بإقبالهم على الشراء غير الرشيد ولا المنضبط، وممَّا لا شكَّ فيه أن الزيادة في الطلب تؤدي إلى غلاء السلع وارتفاع الأسعار، أمَّا حينما يُرَّشد الناس في إنفاقهم ويقتصدوا في معاشهم، فإن أسعار السلع والمنتجات ستبقى في الغالب في حدودها الطبيعية، بل وربما كان لترشيد الإنفاق أثرٌ في انخفاض الأسعار.

وقد أدرك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم هذا الأثر وعرفوا أهميته، فهذا الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يُوجِّه الناس نحو السلع البديلة لتلك التي غلا سعرها، فعن رزين الأعرج مولى لآل العباس قال: غلا علينا الزبيب بمكة، فكتبنا إلى علي بن أبي طالب بالكوفة أن الزبيب قد غلا علينا، فكتب أن أرخصوه بالتمر[1].

(١) انظر: تاريخ ابن معين ٨٦/١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد المؤيد بالآيات البينات، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: ففي ختام هذه الدراسة التي تناولت موضوع ترشيد الإنفاق وبينت مفهومه وضوابطه وآثاره، أذكر أهم نتائج البحث، وهي:

١. يتميز النظام الاقتصادي في الإسلام بكماله وشموليته، وفي العمل بتشريعاته وأحكامه تحقيق الاستقرار والسعادة للفرد والمجتمع.

٢. أولت الشريعة الإسلامية موضوع ترشيد الإنفاق عنايةً واهتمامًا، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية دليل على مدى تلك العناية.

٣. مجالات الإنفاق في الإسلام تحفظ حق الفرد وتراعي حق المجتمع، خلافًا لواقع الثقافة الغربية التي تفتح المجال أمام الفرد لإشباع شهواته دون ضوابط ولا قيود، ولو كان في ذلك إضرارٌ بالمجتمع.

٤. تحقيق ترشيد الإنفاق عاملٌ رئيسي في تحقيق النهضة والقوة الاقتصادية لأمتنا الإسلامية.

٥. ترشيد الإنفاق من الأسباب المهمة لتحقيق الاستقرار الأسري والمجتمعي.

٦. من أكبر أسباب سوء الإنفاق: عدم مراعاة أولويات الإنفاق، والتقليد للغير والمفاخرة، وعدم الموازنة بين الدخل والإنفاق.

٧. من أهم آثار ترشيد الإنفاق: تحقيق الاكتفاء الذاتي، والقدرة على مواجهة الأزمات، والتوجيه الأمثل للمنتجات والاستثمارات.

التوصيات:

١. حاجة الموضوع إلى مزيد من البسط والبيان، فقد جاءت هذه الدراسة موجزة ومحدودة الصفحات، بما يُناسب الضوابط المحددة من اللجنة المنظمة للمؤتمر.

٢. ضرورة نشر ثقافة ترشيد الإنفاق والعناية بذلك من جميع جهات المجتمع المعنية؛ لكي تنعم مجتمعاتنا الإسلامية بحياة اقتصادية قوية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. أحكام من القرآن الكريم، لأبي عبدالله محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، الناشر: مدار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٢. أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ)، الناشر: دار الريان للتراث، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٣. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٤. تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، طبعة سنة ١٩٨٤م.

٥. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب = تفسير الرازي، لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت٦٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، طبعة عام ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٧. التمثيل والمحاضرة، لعبدالملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٨. التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبدالرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٩. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٠. الجامع لشُعَب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١١. حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي (ت٩٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٢. الحث على التجارة والصناعة والعمل، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلاَّل (ت٣١١هـ)، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٣. الدُّر المنثور، لعبدالرحمن بن الكمال بن أبي بكر المعروف بجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: دار هجر، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٤. دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، د. يوسف عبدالله القرضاوي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٥. الروح، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل أيوب الأصلاحي، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

١٦. سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، لمحمد بن إسماعيل المعروف بالأمير الصنعاني (ت١١٨٢هـ)، حققه وخرَّج أحاديثه: محمد صبحي حلاَّق، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

١٧. سنن النسائي، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت٣٠٣هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلَّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

١٨. صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، الناشر: دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٩. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٠. صيد الخاطر، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق وتعليق: عامر ياسين، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، الناشر: دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لأبي علي محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٣. فيض القدير، لمحمد عبدالرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ.

٢٤. في ظِلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم (ت١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشرق، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٥. القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٦. الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود و علي محمد معوَّض، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢٧. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: د. علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٨. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥م.

٢٩. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٣٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق وتعليق: السيد عبدالعال إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية.

٣١. مسند الإمام أحمد، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٢. المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ)، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، طبعة سنة ١٩٨٧م.

٣٣. معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٣٤. المعجم الوسيط، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٥. المعجم الوجيز، الناشر: مجمع اللغة العربية، القاهرة، طبعة سنة ١٩٨٩م.

٣٦. معجم لغة الفقهاء، د. محمد رواس قلعه جي و د. حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٧. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨. مفردات ألفاظ القرآن الكريم، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣٩. المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت٦٥٦هـ)، حققه وعلَّق عليه: محيي الدين ديب مستو وآخرين، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٤٠. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبدالسلام هارون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، الناشر: المطبعة المصرية، القاهرة.

٤٢. الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، الناشر: دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٣. الموسوعة الفقهية، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

علي محمد أسمر أبو شحادة

- الدرجة العلمية: ماجستير
- التخصص الدقيق: التفسير وعلوم القرآن
- المؤسسة الأصلية: الجامعة الأردنية
- الدولة: المملكة الأردنية الهاشمية
- رقم الهاتف/ الفاكس: ٠٧٨٨٢٨١٧٥٨
- البريد الإلكتروني: aliasmar1357@hotmail.com

موجز السيرة الذاتية :

الأبحاث والمنشورات: ثلاثة أبحاث منشورة:

- جسر الفجوة بين مخرجات التعليم وحاجات سوق العمل
- الدور الإعلامي لعلماء الشريعة في الأردن
- النفرة في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)
- المشاركة في المؤتمرات والندوات: شارك في عدة مؤتمرات، منها:
- المؤتمر السادس عشر لمركز تدريب طلاب الجامعات العربية/ طنطا ___ مصر / ٢٠١٣م
- المؤتمر الأول لرابطة علماء الشريعة في الأردن / ٢٠١٥م
- المؤتمر القرآني الثالث لجمعية المحافظة على القرآن الكريم / الأردن / ٢٠١٢م.

تحرير مصطلح الجهاد قرآنيا

علي محمد أسمر أبو شحادة

الجامعة الأردنية / الأردن

ملخص البحث

يدرس هذا البحث آيات الجهاد في القرآن الكريم، ليستخرج منها الرؤية القرآنية لمصطلح الجهاد، لمعالجة الإشكالات المعاصرة التي تعرض لها هذا المصطلح، وخلص البحث إلى إثبات أن الوعي والإدراك لمفهوم الجهاد القرآني كفيل بحل الإشكالات التي تدور حوله في هذا الزمن ومعالجتها.

مفاتيح البحث: القرآن الكريم، المصطلح القرآني، الجهاد.

المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وبعد ...

فإن هذا القرآن الكريم كتاب الله الهادي إلى الصراط المستقيم، فيه هدى ونور وتبصرة وذكرى، ومن أعظم ما فيه إرشاده وبيانه للأعمال النافعة للمسلم وأمته، ومن أهمها الجهاد في سبيل الله.

وهذا البحث يحاول بيان المقصود بالجهاد في آيات القرآن الكريم، وفيما يأتي توضيح مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، وأسئلته، ومنهجه، وهيكليته ...

مشكلة البحث

يدرس هذا البحث مصطلح الجهاد في سياقات وروده في القرآن الكريم لاستخلاص الرؤية القرآنية لهذا المصطلح، ولتصحيح ما تعرض له من أخطاء وإشكالات في الاستعمال، لما لهذا الموضوع من أهمية وضرورة في زمننا الحاضر.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من شدة الحاجة إلى قراءة صحيحة لمصطلح الجهاد وتنقيته من بعض الإشكالات التي أدت إلى استعماله في واقع الأمة الإسلامية بطريقة خاطئة أثارت بعض الشبهات حول الإسلام.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى ما يأتي:

١. بيان مفهوم الجهاد كمصطلح قرآني.
٢. ذكر الإشكالات التي تحوم حول مصطلح الجهاد.
٣. توضيح أثر الفهم الصحيح لمصطلح الجهاد كما ورد في سياقه القرآني في تصحيح المفاهيم الخاطئة حوله.

أسئلة البحث:

١. يجيب هذا البحث عن الأسئلة التالية:
٢. ما معنى الجهاد لغة واصطلاحاً.
٣. ما دلالة مصطلح الجهاد في القرآن؟
٤. ما المفاهيم الخاطئة حول مصطلح الجهاد في الاستعمال؟
٥. ما أثر الفهم الصحيح لمصطلح الجهاد في تصحيح المفاهيم الخاطئة حوله؟

منهج البحث

تقتضي طبيعة هذا البحث أن يقوم على منهجي الاستقراء والاستنباط؛ إذ سيقوم الباحث باستقراء ورود مصطلح الجهاد في القرآن الكريم، واستنباط المفهوم القرآني لهذا المصطلح، ومن ثم معالجة المفاهيم الخاطئة حوله ومحاولة تصحيحها.

هيكلية البحث

سيتضمن هذا البحث مقدمة ومبحثين وخاتمة وفق الشكل الآتي:

المقدمة: وفيها مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وأسئلته ومنهجه.

المبحث الأول: مفهوم الجهاد في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الجهاد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: دلالات ورود الجهاد في السياقات القرآنية.

المبحث الثاني: تصحيح الإشكالات حول مفهوم الجهاد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان الإشكالات حول مفهوم الجهاد في عصرنا الحاضر.

المطلب الثاني: أثر المصطلح القرآني في معالجة الإشكالات حول مفهوم الجهاد.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث وتوصياته.

وبعد ...

فهـذه الورقـات جهد المقـل، وطاقة الباحث، فمـا فيها من خير وفضل، فهـو من توفيق الله وتسديـده، فله الحمد والإحسان، وما فيهـا من نقص أو خلل فمن ضعف النفس وتسويل الشيطان، فليعذر القارئ الكاتب، وليرشده إلى الصواب ويدله عليه مشكوراً ممنوناً.

وأسـأل الله سبحانه أن يكون هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزل عليه العطاء والأجر، وأن يغفر التقصير فيه والزلل، وأن يجعله في ميزان حسنات كاتبه وقارئيه، آمين.

المبحث الأول

مفهوم الجهاد في القرآن الكريم

الجهاد مصطلح قرآني ورد في القرآن الكريم (٤١) إحدى وأربعين مرة، في (١٩) تسع عشرة سورة من سور الكتاب العزيز،[١] وفي هذا المبحث بيان أصله اللغوي واستعمالاته في المطلب الأول، ومن ثم الحديث عن معناه في السياق القرآني ودلالاته المستخلصة من مواطن وروده في آيات القرآن الكريم في المطلب الثاني.

المطلب الأول: معنى الجهاد لغةً واصطلاحاً

الجهاد لغة مشتق من الفعل الثلاثي (جَهَدَ)، وهو أصل صحيح يدل على المشقة عند علماء اللغة،[٢] ويدل في معناه على الطاقة وبذل الوسع،[٣] وحول هذا المعنى جاءت استعمالاته الكثيرة، نذكر منها ما يأتي مثالاً لا حصراً:[٤]

١. جَهَدَ دابته: حمّلها في السير فوق طاقتها، وجَهَد المرعى: أُكل عشبه وأجدب.
٢. الجُهد: المرض والتعب، وجَهَدَهُ المرض: أضعفه وأهزله.
٣. جَهَدَ الطعام: اشتهاه وأكثر منه، وجَهَدَ المال: فرقه هنا وهنا حتى أفناه.
٤. جَهَدَ اللبن: مزجه بالماء وأخرج زبده.
٥. أَجْهَدَ الناس وجَهَدُوا: وقعوا في المشقة والقحط، وجَهَدَ العيش: ضاق واشتد.
٦. جاهد العدو مجاهدة: قاتله، وأجهَدَ القوم علينا: جدّوا في العداوة.

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٢٢٤ــــ٢٢٥).
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (٤٨٦/١ــــ٤٨٧) باب الجيم والهاء وما يثلثهما.
(٣) ابن منظور، لسان العرب (١٣٣/٣ــــ١٣٤) حرف (الدال) فصل (الجيم) مادة (جهد).
(٤) / ينظر للاستزادة ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (٤٨٦/١ــــ٤٨٧)، وابن منظور، لسان العرب (١٣٣/٣ــــ١٣٤)، والفراهيدي، العين (٣٨٦/٣)، والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤٦٠/٢ــــ٤٦١)، والمعجم الوسيط (١٤٢/١).

٧. اجتهد في الأمر: بذل ما في وسعه وطاقته في طلبه لأجل تحصيله.

وهكذا ترى مدار هذه الاستعمالات في لغة العرب - وغيرها كثير مما لم أذكره[١] -حول معاني المشقة وبذل الغاية في الطاقة، واستفراغ الوسع في تحصيل أمر ما، ويخلص الفراهيدي[٢] إلى أنَّ معنى (الجَهْدُ) الذي اشتق منه الجهاد يطلق على ما يُجهَد به الإنسان من مرض أو أمر شاق وهو المعنى الذي لا يبعد عن معنى الجهاد في الاصطلاح.

فالجهاد في الاصطلاح بذل الوسع واستفراغ غايته في المدافعة،[٣] وجهد البلاء في الحديث[٤] كثرة العيال والفقر، أو "الحالة الشاقة التي تأتي على الرجل يختار عليها الموت"[٥]، والاجتهاد عند الأصوليين والفقهاء "استفراغ الفقيه الوسع وبذله الطاقة في تحصيل ظن بحكم شرعي، أو لاستنباط حكم شرعي من أدلته"[٦].

والجهاد في اصطلاحات الفلاسفة والمتكلمين يدل على "كل نشاط يبذله الكائن الواعي جسمياً أو عقلياً، ويهدف غالباً إلى غاية"[٧]، وعند جل المفسرين - كما سيأتي - معناه يدور حول بذل الوسع والطاقة، واستفراغ المشقة لتحصيل غاية مرجوة، وتلك هي خلاصة هذا المطلب.

---

(١) ينظر للتوسع في المعاجم الآتية: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (٤٨٦/١ــــ٤٨٧)، وابن منظور، لسان العرب (١٣٣/٣ــــ١٣٤)، حرف (الدال) فصل (الجيم) مادة (جهد)، والفراهيدي، العين (٣٨٦/٣)، باب الهاء والجيم والدال معهما، والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤٦٠/٢ــــ٤٦١)، باب (الدال) فصل (الجيم)، والمعجم الوسيط (١٤٢/١)، باب (الجيم) مادة (جهد).

(٢) الفراهيدي، العين (٣٨٦/٣)، باب الهاء والجيم والدال معهما.

(٣) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (٢٠٨)، والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤٦٠/٢ــــ٤٦١).

(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء"، متفق عليه، رواه البخاري في الصحيح (٦٣٤٧/٧٥/٨)، ومسلم في الصحيح (٢٧٠٧/٢٠٨٠/٤).

(٥) ابن منظور، لسان العرب (١٣٥/٣)، حرف (الدال) فصل (الجيم) مادة (جهد).

(٦) المعجم الوسيط (١٤٢/١)، باب (الجيم) مادة (جهد).

(٧) / المعجم الوسيط (١٤٢/١)، باب (الجيم) مادة (جهد).

المطلب الثاني: دلالات ورود الجهاد في السياقات القرآنية

ورد مصطلح "الجهاد" باشتقاقاته المتعددة في (٤١) واحد وأربعين موضعاً من القرآن الكريم،[١] وبعد الرجوع إليها واستقرائها موضعاً موضعاً،[٢] وتدبر صيغ وسياقات ورودها نلاحظ ما يأتي:

جاء لفظ الجهاد وصفاً للمؤمنين مقترناً بجملة "الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله" في (٧) سبعة مواضع،[٣] كما جاء مقترناً بجملة "في سبيل الله" وحدها في (٧) سبعة مواضع أيضاً،[٤] وفي (٣) ثلاثة مواضع[٥] أخرى مقترناً بجملة "بأموالهم وأنفسهم" فحسب، وورد وصفاً مطلقاً في (٤) أربعة مواضع [٦] من آيات الكتاب العزيز.

وردت "جهد أيمانهم" بصيغة القسم في (٥) خمسة مواضع[٧] من آيات الذكر الحكيم، كما وردت بمعنى قلة المال وضعف القدرة على الإنفاق في موضع واحد.[٨]

وردت صيغة الأمر بالجهاد "وجاهدوا" في (٧) سبعة مواضع؛ ثلاثة (٣) مواضع منها جاءت خطاباً للنبي عليه الصلاة والسلام،[٩] والأربعة (٤) الباقية كانت خطاباً للمؤمنين[١٠]

جاء ذكر الجهاد مقروناً بالاختبار والابتلاء في (٣) ثلاثة مواضع،[١١] كما جاء بصيغة مجاهدة الآباء في (٢) موضعين،[١٢] وجاءت المقارنة بين الجهاد وغيره - كالقعود وسقاية

(١) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٢٢٤-٢٢٥).
(٢) ينظر الملحق (آيات الجهاد في القرآن الكريم) في آخر البحث.
(٣) النساء (٩٥)، الأنفال (٧٢)، التوبة (٢٠، ٤١، ٨١)، الحجرات (١٥)، الصف (١١).
(٤) البقرة (٢١٨)، المائدة (٣٥، ٥٤)، الأنفال (٧٤)، التوبة (١٩، ٢٤)، الممتحنة (١).
(٥) النساء (٩٥)، التوبة (٤٤، ٨٨).
(٦) الأنفال (٧٥)، النحل (١١٠)، العنكبوت (٦، ٦٩).
(٧) المائدة (٥٣)، الأنعام (١٠٩)، النحل (٣٨)، النور (٥٣)، فاطر (٤٢).
(٨) التوبة (٧٩).
(٩) التوبة (٧٣)، الفرقان (٥٢)، التحريم (٩).
(١٠) المائدة (٣٥)، التوبة (٤١، ٨٦)، الحج (٧٨).
(١١) آل عمران (١٤٢)، النساء (٩٥)، التوبة (١٦)، محمد (٣١).
(١٢) العنكبوت (٨)، لقمان (١٥).

الحاج ومتاع الدنيا - في (٥) خمسة مواضع.[١]

وبناءً على دراسة هذه الملاحظات، وتكرار النظر في أقوال المفسرين حول معنى الجهاد في سياق وروده في آيات القرآن الكريم تظهر لنا النتائج الآتية:

تنوعت مدلولات الجهاد في الآيات القرآنية بين مجاهدة العدو بالقتال، ومجاهدة النفس بالأعمال، ومجاهدة الآباء لأبنائهم في الطاعة، كما تعددت مظاهر هذا الجهاد وأنواعه، فهناك جهاد بالمال، وآخر بالنفس، وهناك جهاد للكفار، وجهاد للمنافقين، كما أن هناك جهاداً مطلقاً غير مرتبط بعدو ولا بكيفية، وكل هذا يدل على اتساع مفهوم الجهاد وشموله لأنواع مختلفة من الأعمال.

يمكن توزيع الآيات التي ذكرت الجهاد في القرآن الكريم حسب معناها والسياق التي وردت فيه، وصيغ هذا الورود حسب الشكل الآتي:

آيات تصف المؤمنين أنهم مجاهدون بوصف عام يشمل قيامهم بكل جهد في سبيل طاعة الله (من قتال وغيره)، وتقصد بذلك أنهم يبذلون غاية ما يستطيعون من جهد وتعب في سبيل لله "بالمدافعة والمواجهة والصمود"[٢] وهي (١٧) سبع عشرة آية.[٣]

آيات الأمر بالجهاد، ويشمل جهاد الكفار والمنافقين، والجهاد بالنفس والمال، والجهاد المطلق غير المحدد،[٤] وهي (٧) سبع آيات.[٥]

(١) النساء (٩٥)، المائدة (٥٤)، التوبة (١٩، ٢٠، ٢٤).

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (١٠٣/١٦)، والقاسمي، محاسن التأويل (٤٥٥/٥)، والألوسي، روح المعاني (٣٢٧/٥)، والشعراوي، تفسير الشعراوي (٩/ ٥٣٣٠).

(٣) / البقرة (٢١٨)، النساء (٩٥) مرتين، المائدة (٣٥، ٥٤)، الأنفال (٧٢، ٧٤)، التوبة (١٩، ٢٠، ٢٤، ٤١، ٤٤، ٨١، ٨٨)، الحجرات (١٥)، الممتحنة (١)، الصف (١١)

(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥٩/٣)، ومحمد رضا، المنار (٤٧٣/١٠)، والزحيلي، الوسيط (٨٨٩/١___٨٩٠)، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣٤٤/١).

(٥) المائدة (٣٥)، التوبة (٤١، ٧٣، ٨٦)، الحج (٧٨)، الفرقان (٥٢)، التحريم (٩).

آيات تدل على المجاهدة وبذل الوسع والطاقة في العمل،[١] وهي (١٢) اثنتا عشرة آية[٢]

آيات تدل على شدة القسم وتأكيد الأَيْمَان وإغلاظها،[٣] وهي (٥) خمس آيات.[٤]

بنـاءً على ما تقدم يمكن أن نقول أن الجهاد في القرآن الكريم هو: "بذل الوسع والطاقة لتحصيل غاية مقصودة"، ويمكن الاستدلال على هذا التعريف بالأدلة التالية:

موافقتـه للمعنى اللغوي المعتبر سابق الذكر، ذلك أن القرآن الكريم بلسان عربي مبين: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥.

ارتباطـه بالمال والنفس في كثير مـن الآيات، وهو الذي يدل على اتسـاع معناه وشموله، كذلـك ارتباطـه بقصد عظيم "في سبيل الله" في كثير مـن الآيات؛[٥] والذي يدل على هدف تحصيلـه، وغير خـاف أن سبيل الله سبحانه لا تقتصر على قتال أو دفع مال؛ بل هي متنوعة الأعمال، ومتعددة الوسائل والطرق والأساليب.

الأمـر بـه مـع المنافقـين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ التوبـة: ٧٣، التحـريم: ٩، وجهاد المنافقـين ما كان ولم يكن يوماً بالقتـال، فلم يقاتلهم رسول الله ﷺ مـع أن الله عرفهم له ودله عليهم، لكنه أمر بجهادهم بمعنـى بذل الجهد في إخفاق مقاصدهـم بإقامة الحدود والحجة باللسان،[٦] والإغلاظ لهم بالتضييـق والتجهم والإعراض،[٧] وأما الكفار فجهادهم "بالقتال لنصر الدين"[٨] ولا شك

(١) ابـن عطيـة، المحـرر الوجيـز (٥٩/٣)، والـرازي، مفاتيـح الغيـب (١٠٣/١٦)، والقاسمي، محاسـن التأويل (٤٥٥/٥).
(٢) النساء (٩٥)، المائدة (٥٤)، الأنفال (٧٥)، التوبة (١٩، ٢٠، ٢٤، ٧٩)، النحل (١١٠)، العنكبوت (٦، ٨، ٦٩)، لقمان (١٥).
(٣) الطبري، جامع البيان (٤٠٧/١٠)، والزمخشري، الكشاف (٦٤٣/١)، والرازي، مفاتيح الغيب (١٢/ ٣٧٦).
(٤) المائدة (٥٣)، الأنعام (١٠٩)، النحل (٣٨)، النور (٥٣)، فاطر (٤٢).
(٥) راجع النقطة الأولى في مطلع هذا المطلب، صفحة (٧).
(٦) الزمخشري، الكشاف (٢٩٠/٢)، والرازي، مفاتيح الغيب (١٠٣/١٦)، ودروزة، الحديث (٤٩٧/٩).
(٧) ابن عطية، المحرر الوجيز (٥٩/٣)، وطنطاوي، الوسيط (٣٥١/٦ــــ٣٥٢)، ودروزة، الحديث (٤٩٧/٩).
(٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٦٥/١٠).

في ذلك، إلا أن قصر الجهاد على القتال هو إشكال في فهم مصطلح الجهاد.[1]

ورود الجهاد في مواضع كثيرة مطلقاً بمعنى العمل والاجتهاد وبذل السعة في تحصيل المطلوب[2]: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٩.

ورود ألفاظ أخرى تدل على القتال والغزو تفيد معنى مختلفاً عن معنى الجهاد الذي يشمل القتال وغيره، وسيأتي الحديث عن ذلك في المبحث الثاني.

نزول كثير من آيات الجهاد في مكة المكرمة قبل الهجرة، ولم يكن قد أُمر بالقتال في أثناء نزول القرآن المكي، فهذا يدل على معنى للجهاد مغاير لمعنى القتال الذي اختص به فيما بعد، وهو المتبادر إلى أذهان الناس عند إطلاق لفظ الجهاد.

أحاديث المصطفى ﷺ التي تؤيد ما ذهبنا إليه من المقصود بمصطلح الجهاد، ومنها: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»،[3] فالرسول صلى الله عليه وسلم أرشد إلى أن بر الوالدين وطاعتهما والإحسان إليهما من أعظم أبواب الجهاد.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: «لَكِنَّ أَحْسَنَ الجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ»،[4] وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَأَلَهُ نِسَاؤُهُ عَنِ الجِهَادِ، فَقَالَ: «نِعْمَ الجِهَادُ الحَجُّ»،[5] وهذا يظهر أن الحج باب من الجهاد في سبيل الله.

عَنْ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: « ... وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، ...»،[6] فتعريف المجاهد بأنه من جاهد نفسه في

(١) ينظر المبحث الثاني من هذا المبحث

(٢) ينظر الملحق في آخر البحث (آيات الجهاد في القرآن الكريم).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في الصحيح (٤/٥٩/٣٠٠٤)، ومسلم في الصحيح (٤/١٩٧٥/١٥٤٩).

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٣/١٩/١٨٦١).

(٥) رواه البخاري في الصحيح، (٤/٣٢/٢٨٧٦).

(٦) جزء من حديث رواه أحمد في المسند (٣٩/٣٨٦/٢٣٩٦٥)، والحاكم في المستدرك (١/٥٤/٢٤)، والترمذي في السنن (٤/١٦٥/١٦٢١)، وابن حبان في الصحيح (١١/٥/٤٧٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/٤٥٤/١٠٦١١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/٣٠٩/٧٩٧).

طاعة الله سبحانه يبرز اتساع معنى الجهاد وشموله لكل عمل فيه طاعة لله سبحانه.

أقوال أهل العلم التي تؤكد معنى الجهاد الذي ذكرناه، ومنها :

عـن ابن مسعود رضي الله عنه: "جاهد بيدك، فإن لم تستطع فبلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، فالقهم بوجه عبوس".(١)

يقول الرازي: "الجهاد عبارة عن بذل الجهد".(٢) ويقول البقاعي: "الجهاد بذل الجهد في دفع ما لا يرضى، سواء كان بالقتال أو بغيره".(٣)

بـوّب البخـاري باباً في صحيحه بعنوان"مـن جاهد نفسه في طاعـة الله"،(٤)وهذا دليل علـى سعة مفهوم الجهاد في رأيه، ودلالته على مجاهدة النفس وبذل الوسع والطاقة في أنواع العبادة المختلفة.

يقـول ابْنُ تَيْمِيَّـةَ: "الْجِهَادُ إمَّا أَنْ يَكُونَ بِالْقَلْـبِ كَالْعَزْمِ عَلَيْه، أَوْ بِالدَّعْـوَةِ إلَى الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعـه، أَوْ بِإِقَامَـةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْمُبْطِـلِ، أَوْ بِبَيَانِ الْحَقِّ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَـةِ، أَوْ بِالرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ فِيمَا فِيهِ نَفْعُ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ بِالْقِتَالِ بِنَفْسِهِ. فَيَجِبُ الْجِهَادُ بِغَايَةِ مَا يُمْكِنُهُ."(٥)

يقـول ابن عاشور: "الْجِهَـادُ: مُبَالَغَةٌ فِي الْجَهْدِ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ جَهَـدَ كَمَنَعَ، إذَا جَدَّ فِي عَمَلِهِ وَتَكَلَّفَ فِيهِ تَعَبًا، وَلِذَلِكَ شَاعَ إطْلَاقُهُ عَلَى الْقِتَالِ فِي نَصْرِ الْإِسْلَامِ".(٦)

وهكـذا يظهر لنا أن الجهـاد مصطلح شامل لكل عمل يبذل فيـه صاحبه وسعه وطاقته لأجل تحصيل مرضاة الله سبحانه، وعلى هذا جاء تقسيم أهل العلم للجهاد إلى عدّة أقسام؛ فمنهـم من قسمه إلى قسمين؛ جهـاد أكبر وجهاد أصغر،(٧) فالأصغـر هو جهاد الأعداء من

(١) الطبري، جامع البيان (٣٥٨/١٤)، وابن عطية، المحرر الوجيز (٥٩/٣)، والزمخشري، الكشاف (٢٩٠/٢).
(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (١٠٣/١٦).
(٣) البقاعي، نظم الدرر (٤٥٥/٥).
(٤) البخاري، الصحيح، (١٠٥/٨).
(٥) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (٨٦/٨).
(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢١٠/٢٠).
(٧) ورد بذلـك حديث ضعيـف، ينظر الألباني، ضعيف الجامـع الصغير وزيادتـه (٤٠٨٠/٥٩٥/١)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (٢١٠/٢٠).

الكفـار، والأكبر هو جهـاد النفس والشيطان. ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام؛ جهاد لهوى النفس وشهواتها، وجهاد للشيطان العدو الأكبر للإنسان، وجهاد للعدو،[1] وهكذا.

وخلاصة القول في هذا المبحث أن الجهاد في القرآن الكريم هو "عبادة واجبة تقوم على بـذل الوسـع والطاقة بالنفس والمال لأجل مقصد خالص (في سبيل الله) يعود على صاحبه بالتزكية والأجر العظيم، وعلى أمته بتحصينها والمدافعة عنها".

وتفصيـل هذا التعريف يظهر المقصود بمصطلـح الجهاد في القرآن الكريم؛ فهو عبادة لأن عمل أمر به الله سبحانه ورتب الأجور الجزيلة على القيام به، وواجب لأن الأمر الصريح جاء به في كثير من الآيات.

وهـو عمـل قائم على بـذل الوسـع والطاقة، ففيه المشقـة والجهد والجـد في التحصيل والبـذل، وأما المال والنفس فهي من أنواع هذا العمل وأشكاله، وهو عمل ذو مقصد عظيم إذ هو في سبيل الله، خالص له سبحانه لإعلاء كلمة التوحيد ورسالة الحق ونشر الخير.

وثمرة هذا العمل المرجوة عظيمة على الفرد والأمة؛ فهو يعود على صاحبه بتزكية نفسه والأجـر الكبـير من الله تعـالى، وأثره على الأمـة يتمثل في تحصينهـا وحمايتها من الضعف الداخلي، والمدافعة عنها في وجه أعدائها بكافة أشكالهم وصورهم.

(١) الأصفهاني، المفردات، (٢٠٨)، والموسوعة الفقهية الكويتية (١٢٤/١٦)، مادة (جهاد).

المبحث الثاني

تصحيح الإشكالات حول مفهوم الجهاد

بعد بيان وتوضيح مفهوم مصطلح الجهاد في القرآن الكريم، يجد الناظر البصير والناقد الخبير للمجتمعات المسلمة عدداً من الإشكالات الواقعية في فهم وتطبيق الجهاد كفريضة ربانية تسهم في بناء المجتمع المسلم، وفي هذا المبحث يدرس البحث هذه الإشكالات فيوضحها ويظهر أسبابها ومظاهرها؛ لبيان صورتها وإلقاء الضوء عليها في المطلب الأول، ثم يرد البحث في المطلب الثاني على هذه الإشكالات لحلها مستخدماً الرؤية القرآنية الصحيحة لمفهوم مصطلح الجهاد كما توضحت في المبحث السابق.

المطلب الأول: بيان الإشكالات حول مفهوم الجهاد في عصرنا الحاضر

تدور حول مصطلح الجهاد في زماننا عدة مفاهيم خاطئة، ويستعمله البعض في غير محله، ويدخلون فيه ما ليس منه، كما يخرجون منه بعض ما هو من مكوناته الأساسية، وفيما يأتي عرض لهذه الإشكالات حول مفهوم الجهاد، وبيان لأسبابها، ورصد لمظاهرها في واقع الأمة، ليكون هذا المطلب مقدمة لبيان أثر فهم حقيقة مصطلح الجهاد القرآنية في حل هذه الإشكالات ...[1]

أولاً: قصر مفهوم الجهاد على القتال فحسب، وفي ذلك تحجيم لمفهوم الجهاد العام في القرآن عن عمومه وتخصيصه بجزء واحد منه، وربما تكون هذه الإشكالية هي الأساس في كل ما نبع حول الجهاد من إشكالات في عصرنا الحاضر.

وليس هناك من شك ولا ريب في أن القتال جزء مهم من الجهاد، لا ينكر ذلك إلا جاهل،

(١) هذه الإشكالات لم يرجع الباحث فيها إلى أي مرجع، وإنما هي اجتهاده في استقراء واقع الأمة وأحوالها المعاصرة.

بل إن قتال أعداء الله والدين هو أساس الجهاد وأعلى مراتبه، ولكن أن ينصرف الذهن عند ذكر الجهاد إلى القتال فحسب، وأن يغدو معنى الجهاد هو القتال فحسب؛ فإن تلك مشكلة مفاهيمية تحتاج البيان والتوضيح.

وبالعودة إلى آيات القرآن الكريم نجد أن القرآن الكريم ذكر الجهاد وذكر القتال والغزو والنفرة في سبيل الله، تلك المصطلحات المتقاربة في معناها ومدلولاتها، إلا أنها مختلفة عند التدقيق في مقاصدها وعناصرها، فالجهاد كما سبق تعريفه يشمل في أجزاءه القتال كمكون من مكوناته أو نوع من أنواعه، فإذا أصبح القتال هو الجهاد فقط فقد غمط الجهاد حقه ونقصت منه كثير من المقومات والعناصر الأساسية الأخرى،[1] كمجاهدة النفس، ومدافعة الشيطان، ومواجهة المنافقين، ومثل الإنفاق والبذل العطاء في سبيل الله بانواعه وأشكاله المتعددة.

ولهذا الإشكال أسباب أدت إليه وغذت وجوده وتقريره في الفكر الإسلامي، منها:
نشأة الأمة الإسلامية، والتي قامت في جانب كبير منها على القتال مع أعدائها.
واقع العرب وطبيعتهم التي كانت قائمة على الغزو والقتال والمواجهة فيما بينهم.

اهتمام العلماء والمؤرخين بهذا الجانب من جوانب حياة الامة،[2] وتغليبه على الجوانب الأخرى الاجتماعية والثقافية والفكرية والعلمية ... إلخ.

سيادة الإسلام وامتداد حضارته، والذي أدى إل ظهور نزعة سيطرة سياسية وعسكرية قرنت بمصطلح الجهاد لإيجاد مستند شرعي لها لتأصيلها، فتحول الجهاد رويداً رويداً إلى دالّة للقتال والصراع، ونظرة متأنية في تاريخ الأمة تبين الفرق ما بين جهاد نبينا عليه الصلاة والسلام وصحابته رضي الله عنهم، وما بين الصراع السياسي والنزاع حول السلطة والمصالح الذي نشأ فيما بعد.

(١) ولا يعني هذا بحال إنكار أن القتال جزء أساسي من الجهاد، وأن كثيراً من الآيات التي ذكرت الجهاد جاءت في سياق الحض على القتال وذكر الغزوات، وهذا يدل على مكانة قتال الأعداء ومدافعتهم ومواجهتهم كذروة من ذرى الجهاد في سبيل الله، إلا أن المقصود هنا أن الجهاد لا يقتصر على هذا المعنى فحسب.

(٢) فأنت تجد كتب التاريخ الإسلامي مجرد سرد للوقائع والحروب والمعارك، وقليلاً ما تجد الحديث عن الجوانب الحياتية الأخرى في ثناياها.

دخول الامة في مرحلة الضعف والانحطاط والتخلف، الأمر الذي حدا بها إلى التمسك بالقتال من حيث هو الملجأ الوحيد والحل الأمثل لهذا الوضع المتأزم للأمة.

وهذه الأسباب جعلت القتال هو المتبادر للذهن عند إطلاق لفظ الجهاد، وظهرت عدّة مظاهر إشكالية لذلك؛ ونقرر هنا أن معظم الإشكاليات حول مفهوم الجهاد ترجع في أصلها إلى هذا الإشكال، وفيما يأتي من عرض لهذه الإشكالات تأكيد هذا.

ثانياً: استخدام بعض الجماعات للجهاد كمسوّغ لأعمالهم، وذلك لإيجاد شرعية دينية لها، واستغلال هذه الحركات لمحبة المسلم للجهاد، ومكانة الجهاد في الإسلام، ومن ثم حاول أمثال هؤلاء التسلل عبر استخدام هذا المصطلح لتحقيق مقاصدهم، وتمكين أفكارهم، وتثبيت تأصيل شرعي لهم عبر التنادي للجهاد، وربط أنفسهم به.

والملاحَظ أن هذه الجماعات لا تعرف من الجهاد إلا جانب القتال والقتل، بل إنها زادت على الجانب المشروع من القتال في الإسلام؛ فبالغت في الترويع والإرهاب والقتل باسم الجهاد في سبيل الله، وهذا ما سبب في المقابل تغييم الرؤية حول مفهوم الجهاد، وأدى إلى نفور الناس منه، بل أدى إلى كثير من المضايقات والتصرفات الخاطئة كردة فعل على الإفراط في القتل باسم الجهاد، وهو ما كان سبباً من أسباب إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام، والله المستعان.

ثالثاً: الخلط بين مفهوم الجهاد ومفاهيم أخرى مختلفة عنه، كالخروج على الحكام والحرابة والإرهاب وما إلى ذلك، وغير خاف أن الجهاد بعيد كل البعد عن أن يكون داعياً لشق عصا الطاعة عن حكام الأمة الصالحين، وهو كذلك أبعد ما يكون عن الحرابة التي حد لها الإسلام حدوداً وأوقع بمن يقارفها أشد العقوبات.

وأما الإرهاب فتلك المصيبة العظمى والطامة الكبرى التي يحاول أعداء الإسلام إلصاقها به، وللأسف الشديد فقد أسهمت تصرفات بعض المنتسبين للإسلام وسلوكياتهم الخاطئة في تقرير هذه التهمة، مما كان له أكبر الأثر في واقع الأمة الإسلامية المؤلم.

رابعاً: إلصاق بعض الممارسات الخاطئة بالجهاد، مثل القتل والهرج والتمرد، فقد أمسى كل من يريد أن يجد شرعية لإجرامه أو تخريبه، ومن ابتغى تأصيلاً ومبرراً لإفساده

في الأرض؛ يصف عمله بالجهاد، وتمادى البعض في جعل الجهاد صورة من صور الإجرام والإرهاب لخلق الله الآمنين.

ومما زاد الطين بلة في هذا الصعيد أن واقع الأمة الإسلامية الضعيف في هذه الأزمنة المتأخرة، أدى إلى تقبل الناس لهذا الواقع، كرد فعل على اعتداء العدو علينا، فأصبح العنف تبريراً للعنف المضاد، وصار الإرهاب مسوغاً للإرهاب المقابل، وبهذا زاد التعقيد في واقع الشعوب، واستعرت الحروب والاقتتالات والفتن في أماكن متفرقة من جسم أمة الإسلام.

والمصيبة هنا أن الجهاد أستعمل في هذا السياق كأداة للرد على الإجرام بالإجرام وعلى الفساد بالإفساد، وهكذا غدا الجهاد إذا ذكر مصطلحاً مخيفاً ملوثاً بالهرج والقتل والفتن والتخريب، حتى بتنا نخاف المجاهرة بوجوده في ديننا، وهرب البعض منّا إلى إنكاره وإخراجه من الإسلام، محاولة للالتفاف على النصوص للخروج من هذا المأزق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

خامساً: بعض الأخطاء في فقه شروط تحقيق الجهاد وأسسه ومبادئه، فقد سببت قلة الوعي والإدراك لهذه العناصر إلى بعض التصرفات التي ليست من الجهاد في شيّ؛ من ذلك:

١. ربط حركات التمرد بالجهاد، لمجرد أنها ادعته ونادت باسمه لتحقيق مآربها.
٢. اغتيال العلماء، وقتل الآمنين من المسلمين والمدنيين وتهديدهم، سواء في بلاد المسلمين أو البلاد الأخرى.
٣. التعدي على غير المسلمين باسم الجهاد في سبيل الله.
٤. تفجير المساجد، وتهديم المساكن والمرافق العامة في بلاد المسلمين.

الدعوة إلى التطرف والإرهاب وشق عصا الطاعة والخروج على الحكام باسم الجهاد في سبيل الله.

وكل هذه التصرفات - وكثير غيرها - سببها الرئيس هو قلة الإدراك لمعنى الجهاد، وضعف الوعي لمسوغاته ومقاصده، والقصور في الفقه الصحيح للشروط الموجبة له.

وهكذا تظهر آثار هذه الإشكالات في واقع الأمة، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة نشر الفهم الصحيح للجهاد وتحريره قرآنياً، وذلك كي ننفض عنه ما علق به من غبار هذه الإشكالات، ولتبيينه ناصعاً واضحاً ليحل هذه الإشكالات وينهي وجودها من واقع الأمة، وهو ما سيكون مدار الحديث في المطلب التالي.

المطلب الثاني: أثر المصطلح القرآني في معالجة الإشكالات حول مفهوم الجهاد

من نافلة القول أن للمصطلح القرآني دوراً مهماً وأثراً واضحاً في تقرير حقائق الأمة الإسلامية وتأصيل قواعدها الأساسية، وعليه فإن الوعي لمفهوم مصطلح الجهاد في القرآن ومعرفة عناصره ومقاصده وأنواعه وأشكاله، كل ذلك له أعظم الأثر في تحسين واقع الأمة، وفي حل ما سبق ذكره من إشكالات حول مفهوم الجهاد.

وحيث تبين لنا أن مصطلح الجهاد في القرآن الكريم يقصد به " تلك العبادة الواجبة التي تقوم على بذل الوسع والطاقة بالنفس والمال، لأجل مقصد خالص (في سبيل الله)، يعود على صاحبه بالتزكية والأجر العظيم، وعلى أمته بتحصينها والمدافعة عنها"

ففي ضوء هذا التعريف يمكن معالجة تلك الإشكالات المتعلقة بمفهوم الجهاد، التي تعاني الأمة في واقعها المعاصر من آثارها، وبناءً على التعريف السابق تتضح لنا عدة نقاط مهمة تحدد الإطار العام لمصطلح الجهاد قرآنياً، ومن خلالها نستطيع حل تلك الإشكالات سابقة الذكر.

وفيما يأتي عرض لهذه النقاط الأساسية التي تحدد مفهوم مصطلح الجهاد في القرآن الكريم:

١. الجهاد عبادة لله سبحانه، يقوم بها المسلم بحسب ما أمر به الله.
٢. للجهاد أنواع متعددة،[١] منها: القتال في سبيل الله، مجاهدة هوى النفس، مجاهدة الشيطان، مجاهدة المنافقين بإقامة الحدود، ... إلخ.

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٦/١٣٤).

٣. للجهاد أشكال متعددة،[١] منها: بذل النفس،بذل المال، الدعوة باللسان والحكمة، ... إلخ.
٤. مقصد الجهاد أنه لله، وفي سبيله، ولأجل دينه، فلا يطلب به سواه من مقاصد دنيوية.

للقتال الذي هو جزء مهم من الجهاد حكم تكليفي، وشروط وجوب، وحكمة تشريع، وأحكام تفصيلية للأداء، ومحرمات ومكروهات، وسنن كثيرة بينها الفقهاء وأثبتوها،[٢] فلا تجوز مباشرة القتال إلا بالالتزام بهذه التشريعات الربانية لهذه العبادة.

غاية هذا الجهاد نبيلة، فهو شرع لحماية المجتمع المسلم من أعدائه الخارجيين والداخليين على حد سواء.[٣]

وبمواجهة الإشكالات سابقة الذكر بهذه النقاط المحددة لمصطلح الجهاد في القرآن الكريم يتبين ضعف وركاكة موقف هذه الإشكالات، وتظهر المعالجة الناجعة لها، وفيما يأتي بعض الإشارات الأساسية لحل هذه الإشكالات من خلال الفهم الصحيح لمصطلح الجهاد في القرآن الكريم،:

توعية أفراد المجتمع الإسلامي - والشباب خاصة - بالمعنى الصحيح لمفهوم الجهاد في القرآن الكريم، لما في ذلك من تحرير لهذا المصطلح من دائرة القتال الضيقة التي أخرجته من مضمونه الشامل، وحجزته في نطاق ضيق.

دعوة علماء الشريعة والإعلاميين إلى بيان مفهوم مصطلح الجهاد الصحيح لإظهار الفارق الواضح بينه وبين المصطلحات والمفاهيم الكثيرة الأخرى التي ألصقت به وليست منه، كالخروج على الحكام، والإرهاب، والحرابة، والتمرد، ... إلخ.

العمل - لكل فئات المجتمع الإسلامي، كل بحسب مكانه ودوره من ساسة وإعلاميين

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٦/١٣٥).
(٢) ينظر الموسوعة الفقهية الكويتية (١٦/١٢٤___١٦٤).
(٣) ينظر طنطاوي، الوسيط (٦/٣٥١___٣٥٢).

وعلمـاء وغيرهـم - على المهمـة العظمى الأساسيـة في تجلية مفهوم الجهـاد وتخليصه من المقاصـد الدنيوية مـن مصالح سياسية لبعض الأحزاب والحـركات، ومصالح مادية لبعض المدعـين، وكذلـك تنقية الجهاد وتصفيته من شوائب العصـر الحديث التي خالطته من قتل وهرج وإرهاب وفتن وطائفية، تلك الجرائم التي لا تمت للجهاد الإسلامي بصلة البتة.

الحكـم على الفرق والأحزاب والحركات بحسب أفعالهـا وتصرفاتها، لا بحسب تغنيها وادعائهـا الانتسـاب إلى الإسـلام، واتخاذهـا مصطلـح الجهاد كمـبرر لضلالهـا ومسوغ لإجرامها.

تثقيـف المجتمع المسلم بمعنى الجهاد الحقيقي البعيد كل البعد عن قتل الإنسان وإزهاق روحـه، وعن النهـب والسلب للخيرات والأموال، وعن تدمير المساجـد وتهديم المنازل وترويع النـاس، وعن لعـن الناس وتكفيرهـم واتهامهم، وكل هـذه الممارسات التـي ألحقها البعض بالجهاد والجهاد برئ منها وليس منها في شيء.

واجـب الدعاة وعلمـاء الشريعة في إبراز شـروط وأركان وموجبـات ومحرمات الجهاد في سبيـل الله لأفـراد المجتمع الإسلامي، وذلك للحد من الممارسـات والتصرفات الإشكالية السلبية التي تنتج عن الفهم الخاطئ لمفهوم الجهاد وحيثياته.

وخلاصـة القـول أن الجهاد مصطلح قـرآني محكم، رباني المصـدر والمقصد، إنساني الهدف والغاية، نقي المكوّن والمضمون، واضح الأداء والدور، له الذروة من المكانة في الإسلام، ولئـن شاب مفهومـه بعض الشوائب في زماننا الحاضر، فحري بتدبر آيات الله التي بينته أن يكـون شافيـاً لما اعتراه من علـة. ولقد حاول هذا البحث أن يكـون مبضع الجرّاح في تحريره لمصطلـح الجهـاد قرآنياً، لمعالجة الإشـكالات المعاصرة حوله، فإن نجـح في ذلك ولو بنسبة قليلة؛ فلله الحمد والمنة على توفيقه وهداه، وإن جانبه الصواب فالعلة في هوى النفس وتغرير الشيطـان، فلله الاستغفـار والإنابة، وللقارئ الإرشاد والتنويه، ولله الحمد من قبل ومن بعد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد ..

فقد درس هذا البحث مصطلح الجهاد في القرآن الكريم، وقام بتحليل المقصود به في سياقات وروده، لأجل معالجة الإشكالات التي تدور حوله في هذا الزمن، وخلص البحث إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

الجهاد في القرآن الكريم هو عبادة واجبة تقوم على بذل الوسع والطاقة بالنفس والمال، لأجل مقصد خالص (في سبيل الله)، يعود على صاحبه بالتزكية والأجر العظيم، وعلى أمته بتحصينها والمدافعة عنها.

للجهاد في القرآن الكريم أنواع متعددة وأشكال متنوعة، فمنه الجهاد بالنفس، ومنه الجهاد بالمال والإنفاق، ومنه قتال الأعداء في سبيل الله، ومنه مجاهدة هوى النفس لتزكيتها، ومنه مجاهدة الشيطان لرد كيده، وغير ذلك كثير.

التفريق في الاصطلاح بين الجهاد وغيره من المصطلحات التي اختلط بها، كالقتال مثلاً؛ فهو مصطلح قرآني له عناصره ومكوناته الخاصة، كما للجهاد عناصره ومكوناته.

معظم الإشكالات المعاصرة حول الجهاد نابعة من سوء الفهم والإدراك لمعناه الشرعي الصحيح، وما نراه من قتل وإرهاب وفتن وهرج باسمه؛ ومن وصف للجهاد بالإرهاب والتمرد، ومن استغلال له لأجل أهداف حزبية أو مقاصد دنيوية، إنما كل ذلك دلائل هذا التشويه لمفهوم مصطلح الجهاد.

وفي الختام نوصي بزيادة البحث في المصطلحات القرآنية وتجليتها وإيضاح مقاصدها وعناصرها، لما في ذلك من معالجات وحلول ناجعة لقضايا الأمة المعاصرة والإشكالات التي تعاني منها في بعض الجوانب الحياتية المهمة.

المصادر والمراجع

١. الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط ١ - ١٤١٢ هـ.

٢. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت: ١٤٢٠هـ)، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي.

٣. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ)، تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

٤. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري = الجامع الصحيح، نشر دار الشعب – القاهرة، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (ت: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج ووضع الحواشي عبد الرزاق غالب المهدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت: ٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، نشر مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٧. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت: ٢٧٩هـ)،

سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، النشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٨. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٩. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ ، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

١٠. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

١١. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي الدارمي البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٢. حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٣. دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، نشر دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط ٢ - ١٣٨٣ هـ.

١٤. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط ٣ - ١٤٢٠ هـ.

١٥. رضـا، محمـد رشيد بن علي رضا بن محمـد شمس الدين بن محمـد بهاء الدين بن منـلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

١٦. الزحيلـي، وهبـة بن مصطفى، التفسـير الوسيط، نشر دار الفكـر – دمشق، ط ١ – ١٤٢٢ هـ.

١٧. الزمخشـري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٠٧ هـ.

١٨. السعـدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر مؤسسة الرسالة، ط١ – ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

١٩. الشعراوي، محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي – الخواطر، نشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٢٠. الطبري، ابن جرير أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: ٣١٠هـ)، تفسير الطبري = جامع البيان عـن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

٢١. الطـبراني، أبو القاسـم سليمان بن أحمد بـن أيوب بن مطير اللخمـي الشامي (ت: ٣٦٠هـ)، المعجـم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، نشر مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

٢٢. طنطاوي، سيد محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، نشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.

٢٣. القاسمـي، محمد جمال الدين بـن محمد سعيد بن قاسم الحـلاق، (ت: ١٣٣٢هـ)، تفسير القاسمي = محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١ – ١٤١٨ هـ.

٢٤. ابـن عاشـور، محمد الطاهر بن محمد بـن محمد الطاهر التونسـي (ت: ١٣٩٣هـ)،

التحرير والتنوير« تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، نشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٢٥. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، نشر دار الحديث – القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٦. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٧. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر – بيروت، ط ١، ١٩٧٩م.

٢٨. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: ١٧٠هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٩. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة.

٣٠. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

٣١. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت / ط٣- ١٤١٤ هـ.

٣٢. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ___ الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، ط ___ من (١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ).

عبد الرؤوف احمد عايش بني عيسى

- تاريخ الولادة: ١ / ٢ / ١٩٧٢ م .
- الحالة الاجتماعية: متزوج
- العنوان : أربد .
- هاتف خلوي: (٠٧٧٢٠٥٦٦٦٩).
- البريد الإلكتروني: banyiesa@Yahoo.com

المؤهلات العلمية :

- دكتوراه أصول تربوية / جامعة اليرموك المعدل (٨٧,٥٠) (٢٠٠٧ م) .
- عنوان الرسالة (حقوق الطفل التربوية في الفقه الإسلامي –دراسة مقارنة بالمواثيق الدولية)
- ماجستير أصول تربوية / جامعة اليرموك المعدل (٨٦,٥٠)، (٢٠٠١م-٢٠٠٢ م)
- عنوان الرسالة (المبادىء التربوية للثواب والعقاب في ضوء التربية الإسلامية)
- بكالوريوس شريعة (فقه ودراسات إسلامية) جامعة اليرموك، ١٩٩٨م ،المعدل (٨٠,٢٠)
- شهادة الثانوية العامة الفرع الأدبي ١٩٩٤م ، المعدل (٧٥،٧)

الخبرات العملية :

- استاذ مساعد في جامعة العلوم الاسلامية منذ عام ٢٠١٢م وحتى الآن.
- محاضر غير متفرغ في الجامعة الأردنية، كلية العلوم التربوية، قسم المناهج والتدريس،منذ بداية الفصل الدراسي الصيفي ٢٠٠٨/٢٠٠٩ والعام الدراسي٢٠٠٩/٢٠١٠ ، مدرسا للمواد التالية: قضايا معاصرة في تربية الطفل، اللعب وتربية الطفل، مشكلات طفل الروضة، الأسرة وتربية الطفل.
- محاضر في الجامعة العربية المفتوحة، كلية العلوم التربوية لمواد التربية الإسلامية، منذ بداية الفصل الدراسي الأول ٢٠٠٨/٢٠٠٩ وحتى نهاية الفصل الأول من العام الجامعي ٢٠٠٩/٢٠١٠ أي بواقع ثلاثة فصول دراسية متتابعة.
- . محاضر في جامعة البلقاء التطبيقية/ كلية ابن خلدون/من تاريخ ٢٠٠٤/٩/١٥م إلى نهاية الفصل الأول للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩ .

توظيف الدراسات القرآنية
في الوقاية من التطرف والإرهاب

إعداد

الدكتور عبدالرؤوف أحمد بني عيسى

جامعة العلوم الإسلامية العالمية / الأردن
كلية العلوم التربوية

مقدمة

الحمد لله الذي ارتضى لنا دين الإسلام ، وحث على العدل ، ونها عن الظلم والطغيان، ووعد عباده المؤمنين المتبعين لنهجه بالتمكين في الأرض والأمان، لتهدأ النفوس ويهنأ المسلمون بالتوحيد والعبادة لله سبحانه وتعالى، له النعمة والفضل والثناء الحسن، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فيرزح العالم في الآونة الأخيرة تحت وطأة ضغط الموجات الإرهابية والجماعات المتطرفة، التي رغم تمركزها في بعض الدول إلا أن آثارها السلبية وامتداد وتشعّب عملياتها لم ينجو منها بلد في العالم، ومع زيادة الغلو والبشاعة لهذه العمليات الإرهابية الذي لا يقبله دين أو عرف، و تزايد أعداد ضحاياها لتطال الأبرياء والمدنيين الآمنين ، فإنه يتبين من خلالها أن الإرهاب ليس له دين ولا ذمة، وتتكشف الحقيقة البشعة لهذه الجماعات المضلّة والمضللة، ومن هذا المنطلق فإن من واجب العلماء والدعاة ، أن يكشفوا هذه الظاهرة ويبينوا أبعادها وخطرها على الفرد والجماعة والعالم أجمع.

إن موضوع التطرف والإرهاب ومعرفة أسبابه ودوافعه من أكثر الموضوعات أهمية ؛ وذلك لما يواجهه المسلمون اليوم من تحديات وفتن، أدى بالبعض إلى إصدار أحكاماً تخالف الدين الإسلامي السمح، الذي أمر بالاستقامة والوسطية والاعتدال ونها عن الغلو والتطرف والانحلال، لقوله تعالى :) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ((الأنعام:الآية ١٥٣).

والإرهاب لم يأتِ اعتباطًا بل له أسباب ودوافع ، فقد يكون مرجع هذا الفكر أسبابًا فكرية أو نفسية أو سياسية أو اجتماعية ، وقد يكون الباعث عليه دوافع اقتصادية وتربوية أو الرغبة في الظهور لدى الشخص، ورغم تعدد الأسباب إلا أن النتائج السلبية لها واحدة، فهي تؤدي إلى زعزعة النظام والأمان المجتمعي الذي يعد قاعدة الحاجات الإنسانية .

والتطرف كذلك في حياة المجتمعات الإنسانية ليس أمرًا غريبا ، فقد كان المشركون متطرفين في عقائدهم الوثنية فكذبوا ، وغيروا الحقائق بإيمانهم بالأوهام والخرافات ؛ وراح

بعضهم يصدر أحكامًا ويفعل إجراما يفجّرون ويكفّرون ويعيثون في الأرض فسادا ، ويظهر فيهم العنف والتطرف إفراطا وتفريطا ،والناظر في الغلاة والمتطرفين يجدهم يجمعون على روابط وخصائص تجمعهم ، ويفرقون بأوصاف تكون مطردة فيهم [1](السدلان ،١٤٢٩هـ) ، فقد قال الله تعالى:-) يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ((سورة النساء : الآية ١٧١).

ولا شك أن الظروف المحيطة اليوم وظهور حركات التطرف والإرهاب في مجتمعاتنا الإسلامية على وجه الخصوص؛ الآمنة بطبعها، وبفضل ربها وخالقها، والتي تستهجن التطرف والعنف والغلو والإرهاب اتفاقا مع الشرع القويم، يستدعي الاتحاد والتعاون في القضاء عليها ، والعمل الجاد على اجتثاثها من جذورها كل حسب تخصصه وميدانه (أسماء الحسين،١٤٢٥هـ).

وفي ضل هذه الظروف المحيطة والأسباب المؤدية إلى التطرف ، والنتائج المترتبة عليه على مستوى الأفراد والجماعات ، كان من واجب العلماء بيان آثار التطرف والعنف وبيان سماحة الإسلام وأنه دين الرفق والعدل والإحسان والمحبة والأمن والحرية السامية، وهو دين يحارب العنجهية ، والخروج على الحاكم ما دام قائما بشرع الله تعالى، ويحرم الظلم والاعتداء والطغيان والإفساد في الأرض، لتهدأ النفوس وتقر الأجفان ويهنأ المسلمون بالتوحيد والعبادة لله سبحانه وتعالى، ووعد عباده المؤمنين المتبعين لنهجه القويم وصراطه المستقيم بالتمكين في الأرض، والأمان والاستقرار لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشهر الحرام وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حللتم فاصطادوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (سورة المائدة: آية ٢) وقوله: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (سورة البقرة آية : ١٩٠) .

وذلك لأن المعالجات التأصيلية لقضايا المنهج القويم في الاعتقاد والفكر والفقه والآداب والسلوك ، لم تعد من هوامش الاهتمامات، بل أضحت مطلبًا ضروريًّا ملحًّا ، وحاجةً

(١) اسباب الارهاب والعنف والتطرف، السدلان ، صالح بن غانم ،١٤٢٩هـ.

مصيريـةً لازمـة ، لتوجيه المسيرة وتقويم من الانحراف عن النهـج المستقيم، خاصة في هذا العصـر الذي كثرة فيـه التفرق والانحراف وانتشار الأهواء والمغريات والمفاسد، لأن من شذّ بفكـره وانحـرف فتراه يقوم بارتكاب أفظـع الجرائم باسم الدين، لهـذا كان المسلم في هذا العصـر وفي هذه المرحلة الحرجة بالـذات بحاجة إلى ضوء كاشف ينير له الطريق ويجلي له الأمر في جميع المشكلات والعقبات التي تعترض طريقه ويقدم له الحلول الناجعة والمعالجات الجـادة، لإيجـاد الفرد الصالح النافع لنفسـه وأمته، لأن جنوح الفرد يمينـاً أو يساراً بالغلو والتطـرف،أو اللامبالاة والتهـاون، مؤشر خطير يستوجب صحوة كل مـن يضطلع بمسئولية التربيـة بالمجتمع ،بحث أسباب هـذا التطرف وسبل علاجه للجيل الحاضـر، وإعداد العدة لوقاية الجيل الجديد من استفحال تلك الظواهر فيه (السدلان، ١٤٢٩هـ).

ومثل هذه المؤتمرات والندوات ، إنما هي خير ما تلتقي فيها شخصيات فكرية وعلمية ،تعالـج موضوعـات التطرف والإرهـاب ، وتعنى بتوظيـف الدراسات القرآنيـة للتوصل إلى الحلول المناسبة لمشكلاتها مساهمة في تجاوز أزماتها بإذن الله تعالى.

مشكلة الدراسة وأسئلتها :

يشكل الإرهاب في أي مجتمع تهديداً خطيراً لأمنه ، وفي المقابل هناك، ضعف في الوعي العـام في الطرق والمـبررات التي تستغلها الجماعات المضلّة باسـم الدين الإسلامي الحنيف لإصبـاغ ممارساتهـم المتطرفـة بصبغـة الشرعيـة، -وفي تحديـد مفهوم الإرهـاب وموقف الإسـلام منه ، وما يشكله من خطر، وما يجره من ويـلات على مستوى الأفراد والجماعات، وبالتالي فإن بيان دور القرآن وتوظيفه في الوقاية من التطرف والارهاب و تثقيف المجتمعات وتصحيـح المفاهيم والأفكار التي يحاول المضلـون إشاعتها بينهم من خلال القرآن الكريم ، علـى درجة مـن الأهمية، وبخاصة في تلك الظروف الصعبة التـي تعيشها كثير من البلدان ، ولذا فإن مشكلة الدراسة تتحدد بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

١ . ما المقصود بالتطرف ، والإرهاب ؟

٢.ما أسباب التطرف والإرهاب ؟

٣. ما أهداف الخطاب الديني الإسلامي، وأثره في الوقاية من التطرف والإرهاب ؟

٤. ما دور القرآن في الوقاية من الإرهاب والتطرف؟

أهمية الدراسة :

تتبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع وخطورته ، فالإرهاب ظاهرة قديمة حديثة، وتمس أمن المجتمعات واستقرارها، والدراسات المتعلقة به متعددة ، ومع ذلك فالدراسات التي انبرت بإبراز دور القرآن للوقاية من التطرف والارهاب تعد قليلة في حدود علم الباحث ؛ لذلك فإن الدراسة الحالية تبين دور القرآن الكريم في بيان مفهوم الارهاب لتحقيق الأمن والاستقرار والمحافظة علي النظام، وتطبيق الحدود الشرعية ، لذلك جاءت العقوبات بما يتناسب مع الجرائم التي ترتكب من قبل المخالفين و بما يتناسب مع هذه الجريمة الخطيرة على أمن المجتمع ، للحد من هذه الظاهرة وكافة الظواهر الإجرامية ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لبيان دور القرآن للوقاية من هذه الظاهرة التي أخذت تهدد أمن المجتمع واستقراره ، وتتلخص أهمية الدراسة بما يلي :

١. الكشف عن دور القرآن بإظهار الصورة الصحيحة للدين الإسلامي الحنيف، وانه دين السماحة والاعتدال وليس دين التطرف والإرهاب.
٢. إبراز دور القرآن للوقاية من التطرف والإرهاب.
٣. دعم البحث في مجال التربية الأمنية كأحد مجالات البحث في التربية .
٤. تزويد المؤسسات التربوية التي تعنى بالتربية الأمنية بمعلومات تربوية إسلآمية يمكن الاستفادة منها في مواجهة التطرف والعنف والإرهاب .
٥. الحفاظ علي عقيدة الأمة الإسلامية ، ووحدتها ، واستقرارها ، متماسكة قوية ، لكي ينعم المجتمع بالأمن والسلام بعيدا عن الخوف والاضطراب .

منهجية البحث:

اعتمد الباحث في الكشف عن دور القرآن للوقاية من التطرف والإرهاب ، على منهجيّ البحث: الوصفي التحليلي والاستنباطي ؛ من خلال استقراء وتحليل أهم النصوص القرآنية التي تبين مفهوم الإرهاب والتطرف وبيان نظرة القرآن لهما .

خطة الدراسة :

تمَ تقسيم الدراسة إلى أربعة مباحث حتى تحقق أهدافها :

- المبحث الأول:مفهوم ، التطرف ، والإرهاب .
- المبحث الثاني: أسباب التطرف والإرهاب.
- المبحث الثالث : أهداف القرآن للوقاية من التطرف والإرهاب.

- المبحث الرابع : دور القرآن في الوقاية من الإرهاب والتطرف.
- الخاتمة والتوصيات:

الدراسات السابقة :

دراسة عبدالحليم [1] (٢٠٠٢) بعنوان "السمات المنشودة في الخطاب التربوي الإسلامي" حيث هدفت الدراسة إلى وصف الخصائص المنشودة التي يجب أن يتصف بها الخطاب التربوي الإسلامي المعاصر، وقد أكدت الدراسة على ضرورة تطوير الخطاب التربوي الإسلامي، في ضوء عجز مؤسسات التربية في العالم الإسلامي عن الحيلولة دون وقوع الأمة في ما وقعت فيه من ضعف وتخلف، وفي ضوء عجز الخطاب التربوي الذي قدمته هذه المؤسسات ولا تزال تقدمه عن الاستجابة للتحديات المستجدة التي تواجه الأمة، وأشارت الدراسة إلى تميّز الإسلام في رؤيته الكلية للكون والإنسان والعلم، وبالتالي تميّزه في طبيعة الخطاب التربوي الذي ينشئه في فكره وسلوكه من تلك الرؤية. ثم أورد الباحث إشارات موجزة عن بعض السمات والخصائص المنشودة في الخطاب التربوي الإسلامي وبخاصة فيما يتعلق بلغة الخطاب ومضمونه، وموقع العقل الإنساني فيه، وموقع المتعلم المخاطب به، وموقع البحث التربوي الذي يفترض أن يقود خطاه.

دراسة عبدالرحيم [2] (٢٠٠٣) المتطلبات التربويَّة للخطاب الدِّيني الإسلامي في ظلِّ التَّحديات العالميَّة المعاصرة، وتمثلت مشكلة الدراسة بقلة توفير المتطلبات الوجدانيَّة ؛ والتقصير في التعامل مع الجانب الوجداني ، لذلك يرى الباحث أنَّ توفير المتطلبات الوجدانية من أهم مهام الإعلام الدِّيني الإسلامي المعاصر ، لاسيَّما في ظلِّ هذا الفيض الهائل من أشكال التحديات المعاصرة .

وتضمنت نتائج تحليل محتوى عينة الخطاب الديني الإسلامي المعاصر المأخوذة من إذاعة القرآن الكريم، ومن مجلة الأزهر العديد من المتطلبات التربويَّة التي وُضِعَتْ في استمارة التحليل المحكمة ، حيث احتذى خطاب إذاعة القرآن الكريم أسلوب الوعظ والإرشاد الذي كان يتكرر في الحديث المباشر الذي يتخذ شكل المحاضرة ، كما احتذى كثيراً الأسلوب

(١) السمات المنشودة في الخطاب التربوي الإسلامي عبدالحليم ، أحمد عبد المهدي (٢٠٠٢م)

(٢) المتطلبات التربويَّة للخطاب الدِّيني الإسلامي في ظلِّ التَّحديات العالميَّة المعاصرة عبد الرحيم محمد، إسلام محمود عز الدين.

العلمي الموضوعي الذي اهتمَّ دائماً بتقديم الأمثلة والأدلة والبراهين ، وقد تكرر هذا الأسلوب كثيراً في الحديث الحواري الذي يهتم بتبادل المناقشات أو طرح الأسئلة الحواريَّة .

دراسة الكحلوت[1] (٢٠١٠) وسائل الإقناع والتأثير في الخطاب الديني في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، بين فيها مفهوم الخطاب الديني وماهيته ، وأقسامه وأهدافه التي تتمثل بدعوة المؤمنين إلى ما يقوي إيمانهم، والاستعانة على ذلك بالطاعات كالصبر والصلاة ، ودعوة المؤمنين إلى تكوين المجتمع المسلم، وتهذيب الأخلاق والالتزام، وتذكيرهم بفضل الله الذي ألف بين قلوبهم ، ونهاهم عن الولاء لليهود والنصارى، وغير المؤمنين كافة أو طاعتهم.

دراسة رانيا نظمي [2] (١٤٣٠هـ) بعنوان " جهود علماء المملكة العربية السعودية لمكافحة الإرهاب" والتي بينت رفض الإسلام لكل صور الإرهاب، و إبراز دور المملكة وجهود خادم الحرمين الشريفين حفظه الله لمحاربة الإرهاب إقليميا وعالميا، كما يسعى الإسلام لتحقيق الأمن والاستقرار والمحافظة علي النظام وتطبيق الحدود الشرعية بحيث لم يترك الإسلام أي ثغرة ينفذ من خلالها الإرهابيون والمخربون لتنفيذ أعمالهم ، وتحقيق مأربهم ولذلك جاءت عقوبة الحرابة بما يتناسب مع هذه الجريمة الخطيرة علي أمن المجتمع، ولذلك الشريعة الإسلامي هي الحل الأمثل للحد من هذه الظاهرة وكافة الظواهر الإجرامية كما وضّحت من خلال القرارات الصادرة من هيئة كبار العلماء في المملكة والتي تدين الإرهاب وتبين رفضها للأعمال الإرهابية ، بالإضافة إلى بيان جهود عدد من العلماء والمفكرين والتربويين في المملكة العربية السعودية وموقفهم من الإرهاب ومعالجته.

من خلال عرض الدراسات السابقة ، تبين أن منها ما ركزت على السمات المنشودة في الخطاب التربوي الإسلامي ، ومنها ما اهتم ببيان وسائل الإقناع في الخطاب الديني ، ومنها ما اهتم بدراسة سمات لإعلام الإسلامي ، ومنها ما اهتم بتوضيح مسؤولية الخطاب الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد ، وتتميز هذه الدراسة في أنها بحثت دور الإعلام الديني وأثره في الوقاية من التطرف والإرهاب و النهوض الحضاري للأمة المسلمة.

(١) وسائل الإقناع والتأثير في الخطاب الديني في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، الكلحوت ، عدنان محمود محمد.

(٢) جهود علماء المملكة العربية السعودية لمكافحة الإرهاب، بحث مقدم لمؤتمر الارهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف، رانيا محمد عزيز نظمي .

المبحث الثاني

أهداف الخطاب الديني وأثره في الوقاية من التطرف والإرهاب.

لم يتهاون العلماء وكبار المشايخ من بيان موقفهم الرافض للإرهاب والاعمال الإرهابية، واستنكار الجرائم النكراء التي تمارسها بعض الفرق، والجماعات المنتسبة إلى الإسلام، وتحريمها ؛ لما فيها من هتك للحرمات المعلومة بالضرورة، والتي تأباه الشريعة الإسلامية، والفطرة -بصوره وأشكاله كافة- ، ولطالما أكد العلماء الغايات السامية للإسلام، وتصحيح صورته، باعتبار أن الإرهاب من جرائم العصر، لا دين له، ولا وطن، والإسلام برئ منه فكرا، وسلوك (سعد القويعي، ٢٠١٤، بتصرّف).

فهي رسالة واضحة على أن هذه الفئة من المجتمع، أمامها مسؤولية كبيرة في حفظ المجتمع من الفتن، وذلك بما أُنيط بهم شرعا وعقلا، وما لخطابهم الديني الموجه لأفراد المجتمع من أثر عميق وفاعل في رفع الوعي والوقاية من التطرف والإرهاب وذلك عن طريق:

١. بيان وسطية الإسلام، والعمل على ترسيخ الانتماء لدى الشباب لهذا الدين، وإشعارهم بالاعتزاز بهذه الوسطية، وهذا يعني الثبات على المنهج الحق، وعدم التحوّل عن ذلك، ولن يكون هذا الإظهار إلا عن طريق محاربة الغلو والتطرّف الممقوت، و القضاء عليه، والحد من انتشاره.

لقد ميز الله تعالى هذه الأمة بالوسطية بين الأمم فقال سبحانه: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: ١٤٣).

والوسطية تعني: العدل والخيار وسائر أنواع الفضل، فالأمة الإسلامية أفضل الأمم، وقد وصف الله " عزوجل " المسلمين بأنهم أهل التوسط والاعتدال في كل أمور الدين: عقيدة وعلماً وعملاً وأخلاقاً ومواقفاً، وتوسطاً بين التفريط والإفراط في سائر الأمور (الطبري ، ١، ٢٧٥).

ثـم ميز الله عز وجل أهـل السنة والجماعة بالوسطية بين فرق المسلمين، فقال ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين...) (رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ،١٩٨٦٢)

والمتأمـل لآيـات الله وأحاديث النبـي ﷺ يجد أنَ لتلك النصوص أثـر واضح في إرساء قواعـد التسامح، فلقد اهتما بموضـوع الوسطية اهتماماً بالغاً، وأكدا على أنه من خصائص ديـن الإسلام، فقـال جل شأنه: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَـقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَـا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّيـنِ مِـنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِـن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيـدًا عَلَيْكُـمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَـى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّـلاَةَ وَآتُوا الـزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُـوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْـمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِـيرُ) (الحج: الآية ٧٨)، وقـال في الرسول الكريم ﷺ: (وَنُيَسِّـرُكَ لِلْيُسْرَى) (الأعلى: الآية ٨)، وقال في رسوله الكريم وأتباعه: (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) (الأنفال: الآية ٦٣)، ولذلك اعتبر القرآن الكريم المؤمنين إخوة ووصفهم بهذا الوصف إشاعة لخلق التسامح فيما بينهـم، فقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَـيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات: الآية ٤).

"ثـم إن وصـف الأخوة يستدعي أن تبث بين الموصوفـين به خلال الاتحاد ،والإنصاف ،والمواساة ،والمحبة والصلة ، والنصح، وحسن المعاملة، فيتقبلها جميع الأمة بالصدر الرحب، سـواء في ذلك الشريف والمشروف والقوي والضعيف، فـإذا ارتضت نفوس الأمة على التخلق بالأخـوة بينهـم سهلت على الشريعـة سياستهم، وإنمـا تراض النفوس علـى الأخوة بتكرير غرسها فيها، وبتأكيد الدعوة إليها واجتثاث ما ينافيها" (ابن عاشور ، ١٩٩٥،٨٥).

ولم يقتصر القرآن الكريم على إشاعة هذا الخلق فيما بين المسلمين، بل جعله عاماً بين الناس جميعاً، " فلذلك يحق لنا أن نقول إن التسامح من خصائص دين الإسلام ،وهو أشهر مميزاته، وإنه من النعم التي أنعم بها على أضداده وأعدائه، وأدل حجة على رحمة الرسالة الإسلامية المقررة بقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: الآية ١٠٧).

ولقـد أرسـى القرآن مفاهيم السـلام في السور المتعددة والآيـات المتكررة، حتى أصبح السـلام هو السمـة الأساسية لهـذا الدين ليس في حـال السلم فحسب، بـل وفي الحرب، ومع

الأعـداء، لأن هذا الدين يحرص على كسب أعدائه ودعوتهـم إلى السلم بدلاً من محاربتهم، ولأن الإسلام جاء لهداية الناس كافة إلى سبيل الله تعالى، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فمقصـده الأساسي التآلف والتراحم ،ودفع التنازع ،ونشر المـودة والرحمة والسلام في أرجاء الدنيـا، وذلـك ما دلت عليه الآيات الكثيرة التي تضمنت مـادة (سلم) وما في معناه من الأمن والإصـلاح، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (البقرة: الآية ٢٠٨)، وقال عن منهج القرآن العظيم ورسوله الكريم ﷺ: (يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (المائدة: الآية ١٥-١٦)، فأمر الله المسلمين بأن لا يأنفوا من السلم، وأن يوافقوا من سأله منهم، لأنه أصل منهج الرسالة الخاتمة (ابن عاشور ، ٦/٢).

٢. بيان أهمية العدل وآثاره على الأمة :

يعـدّ العـدل من أهم الأسس والقيـم التي جاءت به جميع الشرائـع السماوية، به أنزل الله تعـالى كتبـه، وأرسـل رسله، قال تعالى " (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: الآية ٢٥)، أي العدل، فما من كتاب أنزل ولا رسـول إلا أمـر أمته بالعدل، فالعـدل من أهم ما يجب على هذه الأمـة، بل هو من أعظم مـا يميزها عـن الأمم، وليس العدل واجباً على هذه الأمة فقط ،بـل أراده الله عز وجل خُلقاً لهـا تتمتـع به، وصفة من صفاتها، وصبغة تصطبغ بها مـن دون الناس، فجاء أمره تعالى أن تكـون قائمـة بالعدل، فلا تحابي فيه قريبـاً لقرابته ولا تضار عدواً لعداوته: (يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـواْ كُونُـواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْـطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَـى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة: الآية٨) قال الإمام الطبري في تفسـيره لهذه الآيـة: (يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنـوا بالله، وبرسوله محمد ﷺ ليكن مـن أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعـدل، في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكـم وأفعالكم فتتجـاوزون ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهـم، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي، وحدودي في أوليائكم لولايته لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي واعملوا فيه بأمري) (الطبري ، ٩٥، ١٠)

٣. الحوار البناء وتكاتف الجهود وتوفّر النيات الصادقة التي تحرص إلى تحقيق الخير، وإشاعة روح الأخوة بين أفراد المجتمع ، لأن مسؤولية إصلاح المجتمع ليست مسؤولية العلماء

والموجّهين خاصة، بل هي مسؤولية كل أفراد المجتمع، من علماء دين ومربّين، وأساتذة وموظّفين، وأكاديميين ، وغيرهم، ولأن مهمّة الإصلاح ليست موجّهة للمنحرفين خاصة، بل هي للصالحين والمنحرفين، للخيريين والفاسدين، فللمنحرف الإصلاح والتقويم، وللصالح التشجيع والحث على التأثير.

٤. تنوير عقول الشباب وذلك باختيار كوادر ذات قدرات في الطرح السليم من خلال الفضائيات "العربية "التي يقع على عاتقها القيام بمسئوليتها الشرعية والأخلاقية ، وذلك بوصفها توجه برامجها إلى أمة ذات عقيدة، وهويّة، وقيم، فعليها أن تمنع إتاحة الفرصة للمجدّين بتهديد المعتقد، وإن لم تقم بواجبها الشرعي الأخلاقي، فلا أقل من أن تؤدي واجبها المهني البحت لاحترام قيم المجتمع السائدة من جهة، ومطالبة ضيوفها والمتحدثين من خلالها بتقديم الحجج على أقوالهم .

٥. نشر العلم الذي يهدف إلى بيان الفكر الصحيح الذي يمنع الانحراف ؛ فإن ما نراه الآن من الإرهاب إنما بسبب سوء الفهم ، بسب نشوء الأفكار المنحرفة التي جعلت الكثيرين من الناس ، يعادون السلطة ويدعون إلى التطرف والفساد .

المبحث الثالث

دور العلماء في الوقاية من الإرهاب والتطرف.

١. تنمية روح المحبة للخير والكره للشر:

قال تعالى :) وَلَكِنَّ اللَّه حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْأيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ((الحجرات : الآية ٧) لذلك فعلى العلماء توجيهه الشباب وتربيتهم تربية سليمة موافقة لمنهج كتاب الله ولنهج النبي ﷺ وسلف هذه الأمة التي جاءت بالوسطية والاعتدال والسماحة واليسر، متوافقة مع فطرة الإنسان وطبيعته ، محذرة من الغلو والتطرف والجفاء و الإفراط والتفريط والتطرف والتشدد ، كما ينبغي عليهم توجيههم نحو السعي إلى الخير، وأساليب الوقوف أمام الشر عن حب ورغبة ، قال صلى الله علية وسلم : " إن الملائكة وأهل السماء والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير " (سنن الترمذي ، ج٥ ،٥٠ ، (٢٦٨٥)).

٢.تنمية روح الأخوة الإنسانية :

يجب أن يغرس العلماء في نفس الإنسان أن إنسانيته تقتضي أن ينظر إلى الناس كما ينظر إلى نفسه، لأن الآخرين أناس مثله لهم حق الحياة وعليه التزامات ومسؤوليات، كما عليهم، ولا فرق بين جنس وجنس وبين لون ولون آخر ، بل كلهم سواسية من حيث أصل الخلق لا فضل لأحد على آخر ، قال –صلى الله علية وسلم- " الناس مستوون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى(مسند الشهاب ، ج١ ، ١٤٥ ، رقم الحديث، (١٩٥)) وقال الإمام الغزالي :" إن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين ، وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياسا بحق النكاح فكذا عقد الأخوة ،فلأخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب والعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء .(الغزالي ،١٩٩٢، ٢/ ٢٥١).

٣.تنمية الوعي بأهمية وحدة الحياة الاجتماعية :

يجب تكوين وعي عند الإنسان بأن المصالح العامة مشتركة بين أفراد المجتمع ،وكذلك

الخسائر، فإن غنى الأفراد إنما هو غنى لأفراد هذا المجتمع بشكل من الأشكال وفقرهم فقر لهم جميعا ،وهذا يقتضي أن يشجع الأفراد بعضهم بعضا لتنمية إمكانياتهم وقدراتهم المادية والمعنوية بدلا من أن يحسد بعضهم بعضا ويعمل ليحول دون بلوغ جاره أو صديقه إلى أهدافه المادية أو الأدبية المعنوية (يالجن ، ٣٦٩) ، قال تعالى :)وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ((المائدة : الآية ٢) وقال – صلى الله علية وسلم - :" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " (صحيح البخاري، ج٢ ، ٨٨٢ ، رقم الحديث ، (٢٣٦١)) ، لذلك يجب تنمية الوعي عند الناشئة بأهمية وحدة الحياة الاجتماعية لأنة " لا يعيش الأفراد في المجتمع منعزلين متباعدين منفردين ، ولكنهم يرتبطون بعلاقات وروابط لا حصر لها تنشأ من طبيعة اجتماعهم ومن تفاعلهم ومن احتكاك بعضهم بالبعض الآخر " . (الخشاب ،٢٠٠،١٩٦٧)

٤. تنمية شخصية الإنسان على الرفق والتسامح :

يجب تربية الإنسان على أن مظاهر التربية الاجتماعية التي يتبناها الإسلام ودعا أتباعه إلى تمثلها الرفق والتسامح ،لأنه لا شيء كالأخلاق يؤثر في الآخرين ، فالمعاملة الحسنة والخلق الكريم يجذب الإنسان الآخرين إليه ويؤثر في نفوسهم ، قال تعالى :)وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ((آل عمران : الآية ١٥٩) ، قال – صلى الله علية وسلم :" وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه ".صحيح مسلم ، ج٤ ، ٢٠٠٤، رقم الحديث (٢٥٩٤))

٥. الحفاظ على ما تنعم البلاد من الأمن نعم عظيمة وأكبرها نعمة الإسلام والإيمان، فبيان الحق لهم بصدق وصراحة دون مجاملة أو تهاون أو تردد وبكل أمانة وإخلاص ومهما كانت الأحوال والملابسات والخلفيات والآثار الخاصة المترتبة على ذلك ، ليبعد ظن هذا أو ذاك من علمائنا الكرام من أنه إذا قام في هذا الأمر وأفتي فيه بالحق فإن الناس سينصرفون عنه ويتكلمون به.

المبحث الثاني

دو القرآن في مكافحة التطرف

نهج القرآن في معالجته للقضايا المرتبطة بالسلوك البشري وتحقيق الأمن للمجتمع منهجا متوازنا ، للمحافظة على الأمن والأمان وحفظ النظام في المجتمعات الإنسانية ، فسن التشريعات والأنظمة التي تكفل حفظ الأمن ومعالجة ما قد يعتري السلوك البشري من اعتلال أو انحراف.

لهذا نجد أن القرآن الكريم تعامل مع ظاهرة الإرهاب في اتجاهين متوازيين يسيران معا في آن واحد ، هما :

الاتجاه الوقائي التربوي : ويقصد به بناء المناعة الذاتية المدافعة للعوامل المسببة لخروج السلوك البشري عن جادة الصواب لتجفيف المنابع التي تولد الإرهاب ، ويتمثل ذلك في غرس الفضائل ، وتربية النفس على الآداب الخيرة ، والالتزام بالأحكام الشرعية ، والتمسك بكل ما يصون محركات السلوك البشري ويمنعها من السير في طريق غير سليم .

وأما الاتجاه الثاني ، فهو اتجاه المعالجة ، ويتمثل فيما شرعه الله من أحكام وتشريعات عقابية رادعة ، وهذه الأحكام تتضمن بعدين أساسيين . بعد تطهير النفس البشرية وتخليصها من عقدة ارتكاب الذنب . أما البعد الآخر ، فيتمثل في ردع من يرتكب جريمة من العودة إلى مثلها وزجر الآخرين من الوقوع في ذلك الخطأ ، وهذا بعد وقائي ؛ كما في قوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة : ١٧٩) ، أي إن في تطبيق حكم القصاص ما يمنع بعضكم من قتل بعض مخافة أن يقتص منه ، فيحييا بذلك معا .

لذا فإن موقف القرآن من الإرهاب يتمثل بـــ :

١- دعوة القرآن إلى السلام :

الإسلام هو دين السلام لجميع البشر ، فلا يجتمع مع العنف والاعتداء ؛ لأنهما ضدان متناقضان ، والمسلمون مأمورون بالبداءة بالسلام لكل من يقابلهم ، وهي كلمة أمان ورحمة

واطمئنـان ، وإشاعة للأمن بين الناس جميعا ، فلا يجتمع الضدان : السلام والعنف ، بل إن المسلمـين مأمورون بالبحث عن السلام والجنوح إليـه إذا جنح العدو إليه ورغب فيه ، وذلك في حـال الحرب المعلنة ، فكيف بغير ذلك قال تعـالى : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)) (الأنفال : ٦١ ، ٦٢) .

ومما امـتن الله بـه على عبـاده نعمة الأمن ، وهـي من أجـل النعم التي أنعـم الله بها عليهم ؛ قال تعالى :(فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) (قريش : ٣ ، ٤) .

٢- بث روح العدل:

العدل من العوامل الرئيسة ، والآداب السامية ، والأخلاق الرفيعة التي تؤدي إلى الوقاية مـن الظلم والطغيان ، وبالتالي تقطع الطريق على التطـرف والإرهاب ؛ لأن عدم العدل بين النـاس هـو من أسس نشأة الإرهـاب ، لأن المظلوم أو المقهـور إن لم يستطع نيل حقه بالطرق المشروعـة ، فقد يعلن عن غضبه بقيامه برد الظلم بمثلـه ، ومن هنا ينشأ الإرهاب المضاد . ولذلـك كان أمـر الله سبحانـه وتعالى بالعـدل صريحا ، حيث قـال : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُـرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَـانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَـى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُـمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل:٩٠) .

(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال:٦١،٦٢)

ولمعنـى العـدل في الإسلام مفاهيم كثيرة ، والمعنى في هـذه الآية هو الحكم المنصف ، أي : أداء كل شـيء إلى مـن هو لـه على وجه الإنصاف ، أو إيفـاء الناس حقوقهم التي تجب عليهـم. ولم يفرق الإسلام بـين الناس في مسألة العدل بسبب الجنـس أو الديانة أو العرق ، فحقـوق الإنسان مكفولـة في الإسلام باعتبار أن كل البشر عنـد الله بمكانة واحدة من حيث العـدل بينهـم ، ولا تمييز بين الناس إلا في مسألة الطاعة لله سبحانه وتعـالى والتقوى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)١٣( ) (الحجرات : ١٣) .

وانطلاقا من مبدأ إنسانية الإسلام وعالميته ، فإن الله يأمر المسلمين بالعدل الشامل الكامل ، حتى مع من يسيئون إليهم ؛ لأنه حق لله ، ولا ينبغي تجاوزه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)٨( ) (المائدة : ٨)

٣- دعوة القرآن إلى التراحم بين الناس :

الإسلام دين الرحمة ، والرحمة من الصفات الفطرية في الخلق عامة ، بل إنها من كمال فطرة البشر ، وقد جعل المولى سبحانه وتعالى الرحمة غاية رئيسة في الإسلام بعد توحيد الله ، قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)١٠٧( ) (الأنبياء : ١٠٧) أي رحمة للبشرية كلها . وجاءت تعاليمه كلها رحمة وشفاء لما في الصدور ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)٥٧( ) (يونس : ٥٧) . وخاطب المولى سبحانه رسوله الكريم بقوله: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)١٥٩( ) (آل عمران : ١٥٩) ، وهذه إبانة أن الشدة والغلظة والعنف سبب رئيس من أسباب التفرق والتشتت وعدم الاجتماع ، وحث رسول الله "ﷺ" الناس على هذا الخلق القويم ، فقال عليه الصلاة والسلام : (من لا يرحم لا يرحم) (رواه البخاري، الأدب (٥٦٥١)) ، فالرحمة تكون لجنس من في الأرض جميعا دون تفريق بسبب من الأسباب .

٤- الحرية وتحمل المسئولية :

الإسلام يحارب الإكراه بكل صوره وأشكاله ؛ لأن الإكراه يؤدي إلى نقيض المطلوب ، وإلى شيوع النفاق الذي هو قاعدة الغدر والخيانة والتربص ؛ لأن الإكراه ضرب من ضروب الإرهاب ، حتى في مسألة اعتناق الإسلام لم يشرع المولى سبحانه إكراه الناس على ذلك ، فقال سبحانه : (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة : ٢٥٦) ؛ لأن الإيمان قناعة وقبول قلبي ، والقلب لا سلطان عليه إلا لخالقه الذي يقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ

وَأَنَّـهُ إِلَيْـهِ تُحْشَرُونَ)٢٤( ) (الأنفال : ٢٤) . والقناعة الذاتيـة وحرية الإنسان في الاختيار تجعلـه طبيعيا يتحمل المسئولية ، ويكون إيمانه قويـا ، يقول الله لرسوله (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُـوَ أَعْلَـمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل : ١٢٥) ، بـل إن المكره لا يحاسب في الإسلام عما يفعل حال الإكراه المؤدي إلى ضرر يلحق به .

٥- خلق التعامل مع غير المسلمين في الإسلام :

لقـد سمـت شريعة الإسـلام في التعامل مع غـير المسلمين سموا لم يـرق إليه قانون من القوانـين البشرية أو نظام مـن الأنظمة ؛ إذ حفظ لهم الإسـلام حقوقهم المالية والأخلاقية والاجتماعية ، كما حفظ أموالهم وأرواحهم وأعراضهم ، ولم يكرههم على ترك دينهم أو ما هـو أدنى من ذلك ، فخاطب القرآن الكريم أهل الكتاب خطابا راقيا بقوله سبحانه وتعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِـذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًـا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَـدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)٦٤((آل عمـران : ٦٤) ، فهذا تشريـع الإسلام في الدعوة ، ذلـك التشريع القائم علـى مبدأ الحوار والإقنـاع بالحجة دون إكراه . وقال عليـه الصلاة والسلام في حق أهل الكتاب : (لهم ما لنا وعليهـم مـا علينا) (مسند أحمد) وقال عمر بن الخطاب رضـي الله عنه حين رأى يهوديا مسنـا يسأل النـاس ما معناه : " والله ما أنصفناه ؛ أخذنا منه في شبيبته ونسناه في شيبته ، اضربوا له من بيت المال " . أي : اجعلوا له خراجا يعيش منه .

ووجـه القرآن الكريم إلى حسـن معاملتهم والتعامل معهم ، بل برهـم والقسط إليهم ، يقول المولى سبحانه وتعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِـنْ دِيَارِكُـمْ أَنْ تَبَرُّوهُـمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِـمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِـينَ)٨( ) (الممتحنة : ٨) ، وأعطـى لهم المولى سبحانه وتعالى حـق الاستجارة بالمسلمين ، قال تعـالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِـينَ اسْتَجَـارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِـكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ)٦( ) (التوبة : ٦) ، ليس لأن تمن عليه أو تستغل ضعفه لأي شيء آخر ، إنما لقصد سماعه كلام الله ، وقـال عليـه السـلام في ذلـك : (ألا من ظلم معاهـدا ، أو انتقصـه أو كلفه فوق طاقتـه ، أو أخـذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يـوم القيامة) (سنن أبي داود) ،

وقال عليه الصلاة والسلام : (من آذى ذميا فأنا خصيمه ، ومن كنت خصيمه خصمته يوم القيامة) . وحرم الله سبحانه وتعالى قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، فحرمة الأنفس على إطلاقها مكفولة في الشريعة الإسلامية ، قال تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّه إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) (الإسراء : ٣٣) ، وقال عليه السلام (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) . (صحيح البخاري) .

٦- الدعوة إلى الوسطية والاعتدال وعدم الغلو في الدين :

الغلو في الدين هو الطريق إلى التطرف الفكري والاعتقادي . والفهم الخاطئ للدين قد يدفع الإنسان إلى محاولة فرض ما يعتقده ويؤمن به بالقوة ، وهذا ما أثبته الواقع المشاهد .

وقد نهت الشريعة الإسلامية عن الغلو في الدين ، وحذرت المسلمين منه حتى لا ينجرفوا وينحرفوا ، فجعل الله هذه الأمة وسطا لأن دينهم كذلك ، قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) (البقرة : ١٤٣) ، ومثل هذا التوجيه جاء صريحا لأهل الكتاب ؛ قال تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة : ٧٧) . فالغلو خلاف الوسطية ، فإذ كانت الوسطية تعني الاعتدال والتوازن في الأمور كلها ، فإن الغلو يعني الشقة والتضييق على النفس باتباع طريق واحد بعيدا عن الوسط ، ووسطية الإسلام توازن بين الأحكام ، فلا غلو وتشدد ، ولا تفلت ولا تسيب ، فلا إفراط ولا تفريط في الإسلام ، وقد ضرب لنا "رسول الله ﷺ" المثل العملي في ذلك مع بعض الصحابة الذين شددوا على أنفسهم بحثا عن المزيد من الطاعة ، فقال أحدهم : أصوم الدهر كله ولا أفطر ، وقال الآخر : أقوم الليل كله ولا أنام ، وقال الثالث : لا أتزوج النساء . فلما بلغ ذلك "رسول الله ﷺ" علمنا درسا عميقا في الوسطية والاعتدال ، حيث قال عليه السلام: (أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) (صحيح البخاري النكاح (٤٧٧٦) ، حيث إن ذلك بعيد عن

روح الإسلام ومبادئه التي بنيت على التيسير وعدم التنفير وما خير رسول الله صل الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن فيه إثم أو قطيعة رحم ، وقد قال سبحانه وتعالى : (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (المائدة : ٦) ، وقال جل شأنه : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (الحج : ٧٨) ، وقال سبحانه : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (البقرة : ١٨٥) . ووسطية الإسلام تحصين للمجتمع من الإفرازات التي يمكن أن توجد بسبب التضييق من المتطرفين الذي يعتمدون على نظرة ضيقة للكون وللحياة ، وينطلقون منها إلى تخطئة كل رأي مخالف لهم باسم الدين ، ويدينون كل فكر مخالف لفكرهم باسم الدين ، الأمر الذي ينتهي بهم إلى تكفير الناس ، بل والنيل من أعراض العلماء ، ووصمهم بصفات غير لائقة ، فالغلو في الدين باب إلى التطرف الذي يقود إلى العنف والسعي إلى إلزام المخالف رأيه بالقوة .

٧- علو مكانة النفس في الإسلام :

إن الإسلام قد كرم ابن آدم وأنزله منزلة رفيعة بما حباه الله من طاقات عقلية ونفسية ، وبما أعطاه من قوام جميل وصورة حسنة لا يماثله فيها أحد من خلق الله سبحانه وتعالى على وجه الأرض .

إن الإنسان هو الكائن المفضل الذي كتب الله له أن يتبوأ الصدارة والمكانة الرفيعة بين الخليقة والكائنات جميعا ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء : ٧٠) .

يقول الفخر الرازي في تعليقه على الآية : " فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم السفلي ، وبدنه أشرف الأجسام الموجودة في العالم السفلي " .

٨- تحريم قتل النفس :

حرم الإسلام قتل النفس وسفك الدم المعصوم ، وجعل ذلك من كبائر الذنوب ؛ قال تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا

فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)

النتائج والتوصيات:

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١. الإسلام دين المحبة والتعاون والتسامح والتآخي يدعو إلى السماحة والاعتدال ، وينهى عن العدوان و التطرف والإرهاب .

٢. يسهم الخطاب الديني في أسسه المختلفة في بناء الشخصية الإنسانية، من خلال تربية الدوافع بإشباعها وتهذيبها، وتنمية جوانب الشخصية الفكرية، والنفسية، والاجتماعية، وطبعها بالصفات التي تحفظ سوءاها واتزانها و تقويم سلوك الإنسان.

٣. توجيه الخطاب الديني الواعي والموحد لكافة فئات المجتمع عن طريق قنوات الاتصال المختلفة سواء سمعية أو بصرية أو مكتوبة، وتقديم الحجة والبرهان من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسيرة السلف الصالح، وسدّ الثغرات أمام الفئات الضالة من خلال بيان بطلان الفتاوى الموضوعة والمنسوبة للإسلام وهو منها براء.

٤. على العلماء أن يبذلوا جهدهم لتحصين الشباب المسلم بالفكر الإسلامي الصحيح ، وحمايته من الأفكار الضالة الهدامة، عبر غرس مبادئ الإسلام المعتدل الوسط، ليكون الشباب عنصر بناء لا تخريب واعتدال لا غلو ، فيساووا الصفوف ويسدّوا الفرج.

فهرس المراجع

١. البخاري، محمد إسماعيل البخاري، ك: النكاح، ب: الترغيب، ج ٦٣/٥، ط ، مؤسسة الرسالة: ١٤٢٩ - ٢٠٠٨.

٢. من أجل انطلاقة حضارية شاملة، بكار، عبد الكريم، دمشق-سورية، دار القلم، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٣. جامع البيان عن تأويل أبي القرآن- تفسير الطبري- أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير الطبري،تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر، ط٢، مكتبة ابن تيمية تصويراً من نسخة دار المعارف، ٦٢٥/١.

٤. أسباب الإرهاب ، أبو يحيى، محمد حسن ، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الثاني لكلية الشريعة والقانون (الإرهاب في ضوء الشريعة والقانون) جامعة أربد الأهلية ٢٤-٢٥ نيسان ٢٠٠٤ .

٥. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشورط٢، الشركة التونسية للتوزيع، المؤسسة الوطنية للكتاب، ،١٩٨٥ص١٩٧.

٦. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، كتاب الغبن، باب الغبن واللام، ٣٨٧/١٩٧٩/٤.

٧. زاد المسير في علم التفسير ،ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي: تحقيق محمد زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ٢٧٩/١.

٨. اقتضاء الصراط المستقيم ،ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، تحقيق ناصر بن عبد الكريم، الناشر موقع الإسلام htt://www.al-islam.com، 1/289.

٩. صحيح البخاري ، محمد إسماعيل البخاري ، كتاب: النكاح، باب: الترغيب، ج ٦٣/٥، ط ، مؤسسة الرسالة: ١٤٢٩- ٢٠٠٨

١٠. ما معنى التطرف ومن هو المتطرف التهامي،محمد علام الدين ،مقال في موقع(الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب) ، بتاريخ١٢/٩/٢٠٠٩ http:// www.wata.cc/forums/showthread.php

١١. أسباب الإرهاب والعنف والتطرف دراسة تحليلية، الحسين،أسماء بنت عبد العزيز ، دراسة المقدمة في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب الذي عقد في جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ،(١٤٢٥هـ).

١٢. الإرهاب الدولي وفقاً لقواعد القواعد النون الدولي العام ، حلمي ، نبيل أحمد ،القاهرة دار النهضة العربية ،(١٩٨٨).

١٣. علم الاجتماع ومدارسة.(د . ط) ، الخشاب ، مصطفى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر،(١٩٦٧م) ، ، وزارة الثقافة.

١٤. الإرهاب بين التجريم والمشروعية، خليل، إمام حسانين (٢٠٠١) دار مصر المحروسة.

١٥. جهود علماء المملكة العربية السعودية لمكافحة الإرهاب، رانيا محمد عزيز نظمي ، بحث مقدم لمؤتمر الارهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف، الجامعة الاسلامية- (١٤٣٠هـ) المدينة المنورة.

٦١. أسباب الارهاب والعنف والتطرف السدلان، صالح بن غانم،،١٤٢٩هـ، http://www. islamhouse.com/p/11685

١٧. عن الإرهاب والإرهابيين، السلطان، عبد الله بن عبد المحسن ،الرياض،(٢٠٠٣) ، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.

١٨. الإعلام الإسلامي - المنهج. الشنقيطي، محمد ساداتي (١٩٩٨) ، الرياض: دار عالم الكتب.

١٩. دور التربية الإسلامية في الإرهاب، الظاهري، خالد بن صالح بن ناهض، رسالة دكتوراه منشورة. الرياض (٢٠٠٢) ، دار عالم الكتب.

٢٠. السمات المنشودة في الخطاب التربوي الإسلامي، عبدالحليم، أحمد عبد المهدي ، إسلامية المعرفة، (٢٠٠٢م) العدد ٢٩.

٢١. المتطلبات التربويَّة للخطاب الدِّيني الإسلامي في ظلِّ التَّحديات العالميَّة المعاصرة ، عبد الرحيم محمد ، إسلام محمود عز الدين .رسالة ماجستير غير منشورة ،(٢٠٠٣م) جامعة سوهاج :القاهرة .

٢٢. إحياء علوم الدين ، الغزالي ، محمد .. ط١ ، دار الهادي للطباعة (١٩٩٢م): بيروت .

٣٢. معالم خطة محاربة الإرهاب في بيان هيئة كبار العلماء ،القويعي، سعد ، مقال في جريدة الجزيرة ، http://www.al-jazirah.com/2014/20141002/ar9.htm -02 10-2014

٤٢. وسائل الإقناع والتأثير في الخطاب الديني في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ،الكلحوت ، عدنان محمود محمد (٢٠١٠م) ، ،كلية الآداب، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، القدس- فلسطين

٢٥. مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر. اللويحق، عبد الرحمن بن معلا (١٩٩٨م)، الجزء الثاني. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٦. الخطاب الإسلامي الحضاري ، ملكاوي، فتحي (١٩٨٠م) ، مجلة أفكار، عدد ١٢٤٢، ص٣٢.

٢٧. سلوك الإنسان بين الجريمة العدوان الإرهاب ،منصور، سيد أحمد والشربيني، زكريا أحمد (٢٠٠٣). القاهرة: دار الفكر العربي.

٢٨. التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة ،يالجن، مقداد (١٩٨٧). مطابع الفرزدق التجارية.

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بوكيلي

- من مواليد ١ يونيو ١٩٦٦ الحاجب بالمغرب
- أستاذ التعليم العالي مؤهل للعلوم الشرعية بمركز تكوين الأساتذة (المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين) بمدينة مكناس
- دكتوراه في الدراسات الإسلامية تخصص القرآن والحديث وعلومهما
- باحث في مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) بفاس
- أستاذ سابق لمادة الرياضيات
- أستاذ سابق بالثانوي التأهيلي ومكلف بالإرشاد التربوي لأستاذة الثانوي الإعدادي والثانوي التأهيلي.
- المستشار الفقهي لمركز (الهدى) ببوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية رئيس رابطة الإمام ورش لخدمة القرآن الكريم بالحاجب والمشرف العام على معهد الإمام ورش للتعليم العتيق.
- خطيب جمعة بمسجد الرحمة بالحاجب وواعظ بالحاجب ومكناس
- مؤطر تابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في إطار برنامج ميثاق العلماء مشارك في عدة ملتقيات علمية وتربوية ودعوية وتكوينية بالمغرب وأوربا وأمريكا ومكة المكرمة والمدينة المنورة مشارك في عدة برامج تلفزية بقنوات مغربية ودولية مشارك في عدة برامج إذاعية نشرت له جملة من الرسائل منها:
  - -مفهوم الجهاد في القرآن والحديث، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي.
  - خطب منبرية في الأسرة والتربية الأساس في الدعوة والخطابة الطبعة الأولى.
  - طريقك إلى الفردوس الطبعة الأولى والثانية مع نبي الرحمة بالعربية والفرنسية
  - المنهج السديد في حفظ القرآن المجيد
  - ورقات في العلاقة بين المسلمين وغيرهم.

الجهاد في القرآن الكريم:
نظرات في المقاصد والعلل

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بوكيلي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان وعمل صالح إلى يوم الدين. ثم أما بعد،

دوافع البحث: تكمن خلف اختيار هذا البحث دوافع متعددة يمكن إجمالها في العناصر الآتية:

الأول: المجال الرحب الذي شغله الحديث عن الجهاد في القرآن الكريم والحديث الشريف، سواء على مستوى التأسيس النظري أو المتابعة الميدانية. مما يستدعي اهتماما يناسب ذلك الاهتمام.

الثاني: الحاجة إلى دراسة علمية لمفهوم الجهاد، تجلي حقيقته، وتبين مفهومه كما هو في القرآن الكريم والحديث الشريف، مما يؤسس للفهم السليم والممارسة الراشدة، في زمن اضطربت فيه المفاهيم وزلت فيه الأقدام، وشُوِّهت فيه تعاليم الإسلام بتحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

الثالث: الناظر في واقع أمتنا اليوم ليلحظ دونما عناء حجم التشويه الذي مس الجهاد مفهوما وقضايا مما انعكس سلبا على صورة الإسلام والمسلمين. ولعل أبرز ما دخله التشويه بهذا الخصوص ما يتعلق بمقاصد الجهاد والأغراض العظيمة التي شرع لأجلها، ثم العلل التي عليها مدار الجهاد في بعده القتالي.

محتوى البحث: لأجل ذلك جاء هذا البحث مكونا من فصول ثلاثة.

الفصل الأول: فصل تمهيدي أساس في تحديد مفهوم الجهاد، جاء مكونا من مبحثين. الأول في ورود مادة الجهاد في القرآن الكريم، الثاني: في تحديد مفهوم الجهاد في القرآن الكريم. أما الفصل الثاني: ففي مقاصد الجهاد في القرآن والحديث وفق ما نطقت به النصوص وما عمل النبي ﷺ على تنزيله. وخصص الفصل الثالث لعلل الجهاد في بعده القتالي (القتال في سبيل الله) مما يميط اللثام عن علل نفيسة حاكمة ضابطة.

المنهـج المعتمـد: أمـا المنهج المعتمـد فهو منهـج الدراسات المصطلحيـة في خطوطه العريضة ومفاصله الكبرى وفق ما يأتي:

أولا: الإحصـاء. وذلـك بغيـة النجاة من مهالك العفوية والعثـور. فتم إحصاء وتتبع جميع النصوص القرآنية التي وردت فيها مادة (الجهاد) حيثما وردت وكيفما وردت[1].

ثانيـا: التصنيـف. ثـم صنفت المادة القرآنية تصنيفات متعـددة، مما يفيد في تبين مفهوم المصطلح، ورصد تطوره الدلالي، والوقوف على جملة من دلالاته.

ثالثـا: الدراسة المعجميـة. درست مادة (الجهاد) في المعاجم اللغوية قصد الإحاطة بمـدار استعمالاتها، والوقوف على مأخذها. ولا سيما في "الصحاح" للجوهري و"المقاييس" لابن فارس و"أساس البلاغة" للزمخشري و"لسان العرب" لابن منظور. كما تمت الدراسة في المعاجـم الاصطلاحية، وخصوصا في "المفردات" للراغـب و"النهاية في غريب الحديث" لابـن الأثير و"التعريفات" للجرجـاني و"الكليات" للكفوي، قصد الوقـوف على ما عرف به مصطلـح الجهاد فيها. رابعـا: الدراسة النصية. درست نصوص المـادة، نصا نصا، دراسة وصفيـة، تفيـد في تبين المصطلح وفي "استخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه، من صفات وعلاقـات وضمائـم، وغير ذلك."[2] معتمـدا على كل ما يعين في بيان ذلـك بدءا بالتفاسير فشروح الأحاديث، فغيرها من كتب الفقه والسير والغزوات....

خامسا: الدراسة المفهومية[3]. بعد دراسة النتائج المستخلصة من نصوص المصطلح، والمقارنـة بينها، صنفت تصنيفـا مفهوميا يجلي خلاصة التصور لمفهـوم الجهاد في القرآن والحديث، ويفسح المجال لتناول القضايا المرتبطة به.

---

(١) كما تم إحصاء النصوص الحديثية المرفوعة الصحيحة التي وردت فيها مادة (جهد) في الكتب التسعة (صحيح البخـاري، وصحيح مسلم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجة، ومسند الإمام أحمد، ومسند الدارمي، وموطأ مالك.)

(٢) نظرات في منهج الدراسة المصطلحية ص ٨ .

(٣) "ويقصـد بها دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت مـن نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفا مفهوميا يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس." (نظرات في منهج الدراسة المصطلحية ص٨)

الفصل الأول
مفهوم الجهاد في القرآن الكريم.

المبحث الأول

ورود الجهاد في القرآن الكريم.

وردت مادة (جهد) في القرآن المكي إحدى عشرة مرة، وذلك في السور الآتية وفق ترتيب النزول[1]. "الفرقان٥٢ ثم فاطر٤٢ ثم الأنعام١١٠ ثم لقمان١٤ ثم النحل٣٨. ١١٠ ثم العنكبوت٥. ٧. ٦٩. أما في القرآن المدني، فقد وردت ثلاثين مرة في السور الآتية: البقرة٢١٦، الأنفال٧٣- ٧٥- ٧٦، آل عمران١٤٢، الممتحنة١، النساء٩٤، محمد٣٢، النور٥١، الحج٧٦، الحجرات١٥، التحريم ٩، الصف١١، المائدة٣٧ – ٥٥- ٥٦، التوبة ١٦- ١٩- ٢٠- ٢٤- ٤١- ٤٤- ٨٠- ٨١- ٨٢- ٨٧- ٨٩.

من خلال تتبع الآيات الكريمة موارد الورود يمكن تسجيل جملة من المستفادات النفيسة الممهدة لبيان مفهوم الجهاد وخصائصه وقضاياه، وعلى رأسها:

الأولى: حجم الورود دالّ على المنزلة؟ إن ورود مصطلح ما في القرآن الكريم مرة أو مرتين، كمصطلح الشورى[2]، دلالة بينة على كونه حاملا لمفهوم أساس في حياة الأمة. فكيف إذا ورد واحدا وأربعين مرة، كما هو شأن مصطلح الجهاد؟ فمفهوم الجهاد من المفاهيم التي حرص القرآن الكريم على إيرادها وبيانها، مما يدل على حجمه المتميز في نسق المفاهيم القرآنية.

(١) الترتيب الذي اعتمده الزركشي في برهانه. (أنظر البرهان ج١ ص ١٣٩ . ١٤٠)
(٢) ورد في القرآن الكريم على مستوى الجذر ثلاث مرات .

إن القـرآن الكـريم (كِتَابٌ احْكِمَت آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَـتْ مِن لَّدُنْ حَكِيم خَبِيرٍ)[١]، فما من مصطلـح ورد فيـه إلا لمقصد التمكين لدلالته. فـإذا تكرر كان ذلك إمعانًـا في بيان أهميته، وحرصا على تنزليه وتمثله.

الثانيـة: مسقـط رأس الجهـاد في القرآن الكريم: إن ميـلاد مصطلح الجهاد كان في سورة الفرقان على صيغة فعل الأمر، وذلك في قوله تعالى: (فلا تطِع الكافرين وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا.)[٢]

فـإذا كان المشركـون، كما تصفهم السـورة، قد اجتهدوا في التكذيـب وبالغوا في العناد وطعنوا في الرسول والكتاب الذي جاء به، أقوى مما كان، وأصرح من ذي قبل[٣]. فقد احتدت المواجهة وعظُم العناد من كفر إلى (كُفُور) إلى (نُفور) ... فإنه لم يعد مناسبا إلاَّ مواجهتهم بجد أكبر، وبحجج لا يقف في وجهها شبهة، وبصبر على ذلك كما صبر موسى ونوح وغيرهم مـن الأنبياء. فعبر القرآن عن هذا المراد من الرسول الكريم ﷺ وأصحابه بمصطلح جديد هو (الجهاد بالقرآن). فالأحوال المحيطة بميلاد مصطلح الجهاد كافية للدلالة على ارتباطه الأصلي بالدعوة إلى الله تعالى.

الثالثـة: الجهـاد وليد المرحلة المكيـة: إن الجهاد لم يكن وليد المرحلـة المدنية، وإنما هو راسخ لفظا ومعنى في القرآن المكي. فالمرحلة المكية وإن لم تكن مرحلة قتال قطعا، فقد كانت مرحلـة جهاد يقينا. فقد أمر فيهـا بالجهاد قائلا: (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهـادًا كَبِيرًا.)[٤]، وأثنى على المجاهدين قائـلا: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...)[٥]. فنستخلص بالقطع أن الجهاد ليس هو القتال فحسب.

الرابعـة: الجهـاد بين الإطـلاق والتقييد الملاحـظ أن لفظ الجهاد في القـرآن المكي ما

(١) هود ١.
(٢) الفرقان ٥٢ .
(٣) أنظر سورة الفرقان ٤ . ٥ . ٥٠. ٥١. ٥٢
(٤) الفرقان ٥٢ .
(٥) العنكبوت ٦٩ .

ورد مضمومـا إلا إلى القـرآن الكريم (... وجاهدهم به جهـادا كبيرا)، أو إلى اسم الجلالة (والذيـن جاهـدوا فينـا)، في حين لم يرد مقترنـا بالضميمة (في سبيـل الله) إلا في القرآن المـدني... وفي ذلكم إشارة إلى ما دعا إليه رب العزة سبحانه من الجهاد العام في طاعة الله تعـالى، حملا للنفس على مراد الله سبحانه، ثم بذلا للجهد في تبليغ كلامه سبحانه والدعوة إليـه. ثم تطور المفهوم واتسعت دلالته ليتضمـن بذل النفس والمال لإعلاء كلمة الله سبحانه، وهو ما دلت عليه الضميمة المدنية (الجهاد في سبيل الله)

المبحث الثاني

تحديد مفهوم الجهاد في القرآن الكريم.

المطلب الأول: في المعاجم اللغوية.

المتتبع لمختلف استعمالات مادة (الجيم والهاء والدال) في اللغة يجدها منبثقة عن استعمال حسي متعلق بإتعاب الدابة وحملها على المشاق. ففي لسان العرب: "وجَهَدَ دابته جَهْداً وأَجْهَدَها بلغ جَهْدها وحمل عليها في السير فوق طاقتها."[١]

أما الأصل، فالناظر في المعاجم اللغوية[٢] يستخلص أن ما تركب من (ج . هـ . د) يدور على أصل واحد هو: بَذْلُ الوُسْع. قال الجوهري: "الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقةُ. وقرئ: (والذين لا يَجِدُون إلا جَهْدَهُمْ)[٣]، و(جُهْدَهُمْ) قال الفراء: الجُهْدُ -بالضم- الطاقةُ، والجَهْدُ - بالفتح- من قولك: اجْهَدْ جَهْدَكَ في هذا الأمر، أي أبلُغْ غايتك... والجَهْدُ: المشقَّةُ. يقال: جَهَدَ دابته وأَجْهَدَهَا، إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. وجَهَدَ الرجلُ في كذا، أي جَدَّ فيه وبالغ."[٤]

وعليه فالجِهادُ في اللغة من جَاهَدَ يُجَاهِدُ جِهادا ومُجاهَدَة[٥]. وزيادة الألف في (جاهَدَ) اقتضت زيادة في معنى (جَهَدَ)، وذلك لأن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى[٦]. بناء على هذا، وعلى كون أصل ما تركب من (ج ه د) بذل الوسع، فإن الجهاد في اللغة هو:

---

(١) لسان العرب مادة (جهد).

(٢) أنظر: مقاييس اللغة ومختار الصحاح وأساس البلاغة ولسان العرب والقاموس المحيط وغيرها / مادة (جهد).

(٣) التوبة ٧٩.

(٤) الصحاح مادة (جهد).

(٥) الصحاح للجوهري مادة (جهد) ولسان العرب مادة (جهد).

(٦) قال ابن جني: "فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به." الخصائص ج ٣ ص ٢٦٨

بذل الوُسْعِ وإفْراغُ الطاقة في طلب المقصود.

ملحوظة: تداول العرب قديما الكثير من الصيغ المشتقة من مادة (جهد)، إلا أن (الجِهاد) بهذا التركيب ما تداولوه إلا بعد نزول القرآن الكريم، حسب ما اطلعت عليه من نصوصهم القديمة. وعليه فمصطلح (الجِهاد بكسر الجيم)، وإن كان من حيث جذره اللغوي أصيلا في لسان العرب، فإنه من حيث المبنى استعمال قرآني ونبوي بامتياز، ما كان مألوفا ولا متداولا من قبل. ولعل السر في ذلك يكمن في حرص القرآن الكريم على قطع الصلة بكل ما اعتادوه من القتال والغارات والحروب، وتقديم نمط آخر يختلف دوافع وغايات وآدابا عن كل ما ألفوه.

المطلب الثاني: تحديد التعريف.

إن تتبع مختلف وجوه ورود مادة (جهد) في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، صحيحه وحسنه، الوارد في الكتب التسعة، مكّن من الخلوص إلى تعريف للجهاد جامع لكل سماته ودلالاته كما يلي: الجهاد هو بَذْل الوُسْع لنصرة دين الله تعالى، تَعَلُّما وتَعْلِيما للإسلام وعملا به ودعوة إليه، ودفعا للصادّين عنه المعتدين على أهله، على النحو الذي أمر به الله سبحانه.

فمن ثَمّ كان مفهوم الجهاد في القرآن والحديث ينبني على خمسة عناصر:

الأول: بذل الوسع. لأنه أصل مادة (جهد) في اللغة، ومن هذا الأصل أخذ الجهاد وعليه تأسس. واعتبارا لعظم هذا العنصر، كان أكثر العناصر حضورا عند المعجميين، وفي كلام المفسرين والمحدثين عن الجهاد... من ذلك ما ورد عند ابن كثير في تفسيره: "بَذلوا مُهَجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه."[1] وعند الطبري: استفراغ الطاقة في.[2]، وعند الزمخشري: تحمل المشاق العظام وبذل الأموال والأرواح في سبيل الله[3]، وعند ابن عاشور:

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٢٠.
(٢) جامع البيان ج ٥ ص ٢٢٧
(٣) الكشاف ج٢ ص ٢٨٦

منتهى الطاقة[١]، وعند ابن حجر: بذل الجهد...[٢].

الثاني: لنصرة دين الله تعالى. وذلك لأن الله سبحانه ميز الجهاد بهذا المقصد الأوحد الرئيس وهو كونه (في الله) و(في سبيل الله)، فقال سبحانه: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[٣]، وقال جل جلاله: (وجَاهِدوا في الله حَقَّ جِهادِه)[٤]. فالجهاد المراد، الذي ينتج عنه ما ذكر من الهداية، ما كان في حق الله ومن أجله ولوجهه خالصا[٥]، وبغرض إعلاء كلمته. وبهذا خرج من الجهاد كل عمل يقصد به إلى دنيا أو جاه أو غلبة أو عصبية، قبلية أو حزبية، أو ما شابه... فهو بذل الجُهد لنصرة دين الله تعالى على مستوى النفس والأسرة والمجتمع والدولة والأمة والعالم، وهو بذل الجهد لنصرة دين الله تعالى في مجالات الحياة كلها، سواء كانت علمية أو تربوية أو إعلامية أو سياسية أو اجتماعية، أو مدنية أو عسكرية...

الثالث: تَعَلُّما وتَعْلِيما للإسلام وعملا به ودعوة إليه. أصل ذلك ما دعا إليه الحق سبحانه وتعالى من الجهاد في مكة المكرمة من مثل قوله تعالى: (فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا.)[٦] أي بالقرآن وذلك ببذل الجُهد في العمل به وتبليغه، قال الفخر الرازي: "المراد بذل الجُهْد في الأداء والدعاء."[٧]، وقال ابن القيم: "فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن."[٨]

وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ.)[٩] فالآية مكية، فما ذكر فيها من الجهاد ينصرف أساسا إلى غير القتال، ويراد به الاجتهاد في العلم

(١) التحرير والتنوير ج ١٩ ص ٥٣
(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٧٧
(٣) العنكبوت ٦٩.
(٤) الحج ٧٦.
(٥) أنظر الكشاف ج ٢ ص ٢٨٦ و ج ٣ ص ١٦٨. ١٦٩ .
(٦) الفرقان ٥٢ .
(٧) مفاتيح الغيب ج ٢٤ ص ٨٧
(٨) زاد المعاد ج ٣ ص ٥ .
(٩) العنكبوت ٦٩.

والعمل والدعوة والبلاغ المبين. وعلى هذا دارت أقوال المفسرين. قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الآية: "هي في الذين يعملون بما يعلمون."[1]، وقال أبو سليمان الداراني: "ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصرة الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين، وعظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر."[2]، ونص الفخر الرازي على أن: (الذين جَاهَدُوا فينا) في الآية هم: "الذين نظروا في دلائلنا."[3]

فهو جهاد التعلم والتعليم وبذل الجهد لحمل النفس على ما تعلمته من الهدى ثم استفراغ الوسع في الدعوة إلى الله وتحقيق البلاغ المبين بكل ما هو متاح من الوسائل السلمية، مع تحمل المشاق والإذاية في هذه السبيل وكف اليد والنأي عن الجنوح إلى القوة والسلاح.... وسيتم التفصيل في هذا بحول الله في أنواع الجهاد.

رابعا: ودفعا للصادّين عنه المعتدين على أهله.

فهذا الدفع يتم بإقامة الحجة عليهم وانشراح صدورهم للإسلام، أو كف أذاهم وعدوانهم على الدين وأهله، أو إزالة شوكتهم والقضاء على خطرهم، أو قتالهم، وقتلهم، وأسرهم، أو ضرب الجزية عليهم... على حسب أحوالهم وواقعهم مع الإسلام وأهله.

هذه المعاني جميعها متضمنة في أول آية أذن الله فيها بالقتال فقال سبحانه: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ. وَلَوْلَا دفاع اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ.)[4]

فالغرض من الجهاد بوضوح هو القضاء على العدوان وتحقيق كرامة الإنسان في الاختيار والتصرف بما لا يضر الآخرين ولا يهدد أمنهم. قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير / ج ٣ ص ٤٢٣
(٢) القرطبي / الجامع لأحكام القرآن / ج ١٣ ص ٣٦٤ . ٣٦٥
(٣) مفاتيح الغيب ج ٢٥ ص ٨٣
(٤) الحج ٣٧ . ٣٨

فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.)[1]

خامسا : على النحو الذي أمر به سبحانه.

والمراد بذلك أمران :

الأول: أن الله سبحانه وتعالى أمر بالجهاد. والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ)[2]. وقوله: (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.)[3]. وقوله عليه السلام: (جاهِدُوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم.)[4]

الثاني: أن القرآن الكريم وما ورد عن الرسول ﷺ حددا النحو الذي ينبغي أن يكون عليه الجهاد. وذلك بسن الأحكام الضابطة والتوجيهات المنظمة للجهاد في الله وفي سبيل الله حتى يحقق أغراضه على مستوى الفرد والمجتمع والأمة والبشرية جمعاء. ولعل من أبرز هذه الضوابط ما تعلق بمقاصده وعلله، وآدابه وأخلاقه.

(١) الأنفال ٣٩ .

(٢) الحج ٧٦.

(٣) التوبة ٤١. وكذلك قوله : وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا. (الفرقان ٥٢) وقوله: يا أيها النبيء جاهِد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم. (التوبة ٧٤)

(٤) أخرجه: أبو داود في سننه / كتاب الجهاد / رقم ٢١٤٣. والنسائي في سننه / كتاب الجهاد رقم ٣٠٤٥. ٣١٤. وأحمد في مسنده / رقم ١١٧٩٨. ١٢٠٩٧. ١٣١٤٦. والحاكم / المستدرك ج ٢ ص٩١. وقال صحيح على شرط مسلم. وكذلك قوله عليه السلام: ...ثم إنها تَخْلُفُ من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهَدَهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهَدَهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهَدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.(أخرجه :مسلم في صحيحه /كتاب الإيمان/رقم ٧. وأحمد في مسنده رقم ٤١٤٨ . ٤١٧٠)

الفصل الثاني
في مقاصد الجهاد في القرآن الكريم

لا يخفى على ذي بصيرة أن "وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا."[1]، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاك إلاَّ رَحْمَة للعالَمين)[2]. قال ابن القيم: "فإن الله أرسل رسله، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض. فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريق كان، فثَمّ شرع الله ودينه ورضاه وأمره."[3]

ولما كان الجهاد من أعظم ما شرع الله تعالى لعباده، كانت المصالح التي يحققها الله تعالى به عظيمة. فالناظر في كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ يعلم أن أعظم مقصد يتحقق بالجهاد في الله هو الهداية إلى سبل الله، لذلك جاء تقريره في القرآن المكي في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّه لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[4]. ثم ورد التأكيد بعد ذلك على مقاصد أخرى عظيمة مندرجة تحت المقصد السالف وتابعة له، وهي: تأمين حرية الدعوة إلى الله، وكف بأس الذين كفروا.

(١) الموافقات للشاطبي ج ٢ ص ٤ .
(٢) الأنبياء ١٠٦ .
(٣) أعلام الموقعين ج ٤ ص ٣٧٣.
(٤) العنكبوت ٦٩ .

المبحث الأول

الهداية إلى سبل الله.

الهداية مقصد الدين الأعظمُ:

إن اهتداء الخلق إلى سبل الله المؤدية إلى مرضاته، مقصد الدين الأعظم وأسمى ما يعمل على تحقيقه في النفس والمجتمع. لذلك كان الدعاء الجامع المتَضمَّن في أم الكتاب هو دعاء الهداية. قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[1]. ويقول الحق سبحانه وتعالى بعد حديثه عن عباده المتقين (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ)[2]. فالهدى جامع للخير كله، فلا فلاح من ثَمَّ بدونه، (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[3]. لذلك كان المهتدون قادة الناس وأئمتهم، قال تعالى بعد حديثه عن عدد من أنبيائه: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ، فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ)[4].

ولما كانت الهداية بهذا القدر، كان القرآن الكريم كتاب الهداية، بل هو الهدى. قال تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ.)[5]؛ فما أمر بشيء وأوجبه، وما نهى عن شيء وحرمه، وما رغب في شيء وحببه، وما كره شيئا ونفر منه، إلا لهداية الخلق إلى ما فيه سعادتهم في العاجلة والآجلة.

الجهاد بكل أنواعه سبيل الهداية:

والجهاد باعتباره مما أمر الله به، هداية إلى ما يحب الله تعالى ويرضى، وطريق لنشر هذه الهداية والتمكين لها في النفس والمجتمع.

فقد بين سبحانه وتعالى أن الجهاد في طاعة الله، سبيل الهداية إلى ما يحب الله من

(١) الفاتحة ٥ .
(٢) البقرة ٤ .
(٣) البقرة ٤ .
(٤) الأنعام ٩١ .
(٥) البقرة ١

الأعمـال والأحوال. فقال: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ.)[1]. قـال البيضاوي في المـراد بسبل الله: "سبل السـير إلينا والوصول إلى جنابنـا، أو لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير، وتوفيقا لسلوكها."[2]

وينصـ القـرآن الكريم على أن قتال أئمة الكفـر وصناديدهم لا يرمي بالأساس إلى إبادتهـم وهلاكهم، وإنما يرجى من ذلك رجوعهم إلى الصـواب، وإقبالهم على الحق الذي علمـوه وأقروا بـه في قرارة أنفسهم، ولكنهـم جحدوه وكفروا به عنادا وكـبرا وغرورا. فقال سبحانـه: (وَإِنْ نَكَثُـوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْـدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُـوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَـانَ لَهُـمْ لَعَلَّهُـمْ يَنتَهُونَ)[3]. فالمقصد هـو الانتهاء عما هم فيه من الكفـر والعدوان. قال الـرازي: "أي ليكـن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد من العظائم، أن تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه من الكفر. وهذا من غاية كرم الله وفضله."[4]

وحتـى إذا لم يهتـد أئمـة الكفـر ورؤوسه، فـإن باب الهداية، بعـد هلاكهم، سيفتح على مصراعيـه لعامتهم. قال الطاهر بن عاشور: "والمعنى: المرجو أنهم ينتهون عن الشرك ويسلمـون. وقـد تحقق ذلك، فإن هذه الآية نزلت بعد فتـح مكة وبعد حنين، ولم يقع نكث بعد ذلك، ودخل المشركون في الإسلام أفواجا في سنة الوفود."[5]

فواضـح، من ثَمَّ، أن الآية الكـريم توجيه للمؤمنين المجاهدين أن لا يكون مقصدهم الانتقام لأنفسهم بالأساس، والسعي نحو الإيقاع بعدوهم إشباعا لغريزة الثأر، وإنما المطلوب أن يكون رجاء هداية عدوهم مقصدهم.

وهـذا المعنى نفسه متضمن في قوله تعـالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُـمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَيُخْزِهِمْ، وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ

(١) العنكبوت ٦٩ .
(٢) أنـوار التنزيـل وأسـرار التأويـل ج ٤ صـ ٣٢٤. وقـال ابـن كثـير: "أي لنبصرنهم سبلنـا أي طرقنـا في الدنيا والآخرة." (تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٢٣) .
(٣) التوبة ١٢ .
(٤) مفاتيح الغيب ج ١٥ ص ١٨
(٥) التحرير والتنوير ج ١٠ ص ١٣١.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.)[1]. ففي الآية الكريمة إشارة إلى ما ينتج عن الجهاد من توبة من يشاء الله تعالى توبته من المُجَاهَدين.

والمتأمل في تاريخ الدعوة الإسلامية يلحظ أن القتال في سبيل الله من أهم أسباب هداية الخلق. فكثير من رؤوس الكفر وقادتهم الذين نجوا من حتفهم في القتال آل أمرهم إلى الإسلام، كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وخالد بن الوليد وغيرهم. وكثير ممن قاتلوا النبي ﷺ وقاتلهم هم الذين دخلوا بعد في دين الله أفواجا: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.)[2]. وذلك لأن أكبر عقبة تحول بين الناس وبين دين ربهم سبحانه هي سلطة الكبار ومصالحهم. فإذا زالت هيمنتهم وخفتت هيبتهم، وكسرت شوكتهم، دخل الناس في دين الله أفواجا. وهذا ما يفسر قول النبي ﷺ لهرقل وتحميله مسؤولية غيره من أتباعه. عن عَبْد اللَّه بْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ وَقَالَ: (فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ.)[3].

والعجيب أن القرآن الكريم كان يتوجه، بعد الملاحم الكبيرة، إلى الكافرين المحاربين المعتدين داعيا إياهم إلى الإيمان والتوبة إلى الله تعالى وعدم التمادي في باطلهم. فيخاطب الذين نجوا بقوله: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ، وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأوَّلِينَ)[4]. ويقول للأسرى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيء قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِن الاسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ. وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[5].

وتبلغ هذه الهداية، التي يحملها الجهاد للناس، أوجها بعد التمكين لدين الله تعالى وقهر الظالمين المعاندين وإقامة الحجة عليهم. فينص الحق سبحانه وتعالى على أن التمكين للمجاهدين الصادقين يحمل الخير والعدل والمعروف للناس فيقول: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي

(١) التوبة ١٤ . ١٥ .
(٢) النصر ١ . ٢ . ٣.
(٣) أخرجه: البخاري/ الجهاد والسير – الإيمان – الشهادات – بدء الوحي/ ٢٧١٩ . ٤٩ . ٢٤٨٤ . ٦ . ومسلم / الجهاد والسير/ ٣٣٢٢.
(٤) الأنفال ٣٨ .
(٥) الأنفال ٧٠ .

الارْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الامُورِ.)[1] قال الطبري: "يقول: إن نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركي مكة أطاعوا الله فأقاموا الصلاة بحدودها (وآتوا الزكاة) يقول: وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له، (وأمروا بالمعروف) يقول: ودعوا الناس إلى توحيد الله والعمل بطاعته أهل الإيمان بالله، (ونهوا عن المنكر) يقول: ونهوا عن الشرك بالله والعمل بمعاصيه الذي ينكره أهل الحق والإيمان بالله."[2]

فالمسلمون بعد تمكنهم ليسوا أمة دنيوية مخربة منكبة على الاستهلاك ونهب الخيرات، وليسوا أمة ظلم وجور، وليسوا أمة نشر الفساد والرذائل ومحاربة الخير والفضائل. وإنما هم أمة العبادة والتقوى والتقرب إلى الله (أقاموا الصلاة)، وأمة العدل والرحمة بالضعفاء (وآتوا الزكاة)، وأمة الدعوة إلى الخير والمعروف والنهي عن المنكر والفساد (وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر). فهي أمة قامت على الخير، ومن أجل التمكين للخير، وقصد المحافظة على الخير.

كما يخبر الحق سبحانه وتعالى أن جهاد الفئة الباغية يرمي إلى إرجاعها إلى ما أمر الله به ورسوله من الخير والهداية. فقال سبحانه: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُومِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا. فَإِنْ بَغَتِ احْدَاهُمَا عَلَى الاُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)[3]. فقوله تعالى: (حتى تفيء إلى أمر الله) أي حتى ترجع إلى حكم الله وهدايته. قال الطبري: "حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه"[4]، وقال الرازي: "(إلى أمر الله) يحتمل وجوها. أحدها: إلى طاعة الرسول وأولي الأمر ... وثانيها:... أي إلى الصلح فإنه مأمور به يدل عليه قوله تعالى: (وأصلحوا ذات بينكم). ثالثها: إلى أمر الله بالتقوى."[5]

(١) الحج ٣٩ .
(٢) جامع البيان ج ١٧ ص ١٧٨ .
(٣) الحجرات ٩ .
(٤) جامع البيان ج ٢٦ ص ١٢٧
(٥) مفاتيح الغيب ج٢٨ ص ١١٠

المبحث الثاني

تأمين حرية العبادة والدعوة.

معلـوم أن إذْنَ الله تعـالى بالقتـال للمسلمـين كان مسبوقـا باضطهـاد الكفار لهم، وفتنتهـم وحرصهم على الحيلولـة بينهم وبين عبادة الله تعالى بشتى الوسائل. قال سبحانه: (أُذِنَ لِلَّذِيـنَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُـوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَـيْرِ حَـقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)[1]. ثم بين الحق سبحانـه وتعالى وظيفة ذلك القتال بكونه العاصـم مـن الظلم، الحامي للتديـن في المجتمعات فقـال سبحانه: (وَلَوْلَا دِفـاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُـمْ بِبَعْضٍ لَهُدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا. وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَـنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيـزٌ)[2]. قال الرازي: "فكأنه قال تعالى: ولولا دفاع الله أهل الشـرك بالمؤمنين من حيث يأذن لهـم في جهادهم وينصرهم علـى أعدائهم، لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان وعطلوا ما يبنونه من مواضع العبادة."[3]

والآيـة الكريمـة صريحة في كون الجهـاد لا يقصد فقط إلى حفظ مؤسسات العبادة عنـد المسلمـين، وإنما يرمي كذلك إلى حفظ غيرها من معابد الديانات الأخرى، من صوامع وبيـع وصلوات، وحفظ حرية التدين للإنسان من أن يعتدى عليها. قال القرطبي: "أي لولا ما شرعـه الله تعـالى للأنبياء والمؤمنين من قتل الأعداء، لاستولى أهـل الشرك وعطلوا ما بنته أرباب الديانات من مواضع العبادات. لكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة. فالجهاد أمر متقدم في الأمم وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات."[4]

إن هذا التوجيه القرآني هو ما جعل البلاد التي دخلها المسلمون فاتحين ما تزال فيها أماكن عبادات الأديان الأخرى قائمة، في فلسطين ولبنان وسوريا ومصر وغيرها من البلاد.

---

(١) الحج ٣٧ . ٣٨ .
(٢) الحج ٣٨.
(٣) مفاتيح الغيب ج ٢٣ ص ٣٥.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٧٠

ومـا دخل غيرهم بـلادا غالبين قاهرين لأهلهـا إلا عملوا على طمس هويتهـا، ومحو مراكز العبـادات فيها. كما فعل النصـارى في أوربا باليهود، وكما فعلت الشيوعية في بلاد المسلمين، وكما فعلوا ببلاد البلقان، من هدم المساجد، وإبادة الساجد وغير الساجد، وكما يفعل اليهود اليوم في بلاد الأقصى من تهويدها والكيد للمسجد الأقصى والعمل على هدمه.

المبحث الثالث

كف بأس الذين كفروا

إنـه لمـا كان بأس الذين كفروا[1] موجها إلى إذاية المؤمنين وظلمهم، والتطاول عليهم، والحيلولة بينهم وبين عبادة ربهم، كان من مقاصد الجهاد التي نص عليها القرآن الكريم كفّ بأسهم وإضعاف قوتهم، وإخماد جذوتهم. قال تعالى: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ، وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا)[2]

فبعد أن أمره سبحانه بالقتال في سبيل الله من كفر بالله، "بين علة ذلك وهي رجاء كف بأس المشركين. ف (عسى) هنا مستعارة للوعد."[3]. قال الطبري: "يقول: لعل الله أن يكف قتال من كفر بالله وجحد وحدانيته وأنكر رسالتك."[4]

وبأسهم هذا يزول إما بإسلامهم وتسخير قوتهم في طاعة الله تعالى، وإما بقتلهم وتطهير الأرض من شرورهم، وإما بقهرهم وفرض الجزية عليهم، وإما بمعاهدتهم ومسالمتهم للمؤمنين.

وقد تحدث القرآن الكريم عن كل حالة من الحالات السالفة الذكر:

أولا: أما إسلامهم ودخولهم في الدين الحق، فقد سبق النص على أن من مقاصد الجهاد توبة الناس إلى ربهم، وإنابتهم إلى رشدهم.

قال تعالى: (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ)[5]. فإذا أسلم القوم توقف القتال ولم يعد له أدنى مبرر. قال الطبري: "تأويل ذلك: تقاتلونهم أبدا إلا أن يسلموا، أو حتى يسلموا."[6]

---

(١) البأس من (بأس). قال ابن فارس: "الباء والهمزة والسين أصل واحد، الشِّدَّةُ وما ضَارَعَها. فالبأس الشدة في الحرب. ورجل ذو بأس وبَئِيسٌ أي شُجاع..." (مقاييس اللغة ج ١ ص ٣٢٨)

(٢) النساء ٨٣ .

(٣) التحرير والتنوير ج ٥ ص ١٤٣.

(٤) جامع البيان ج ٥ ص ١٨٥.

(٥) الفتح ١٦.

(٦) جامع البيان ج ٢٦ ص ٨٤. وقال ابن كثير: "يعني شرع لكم جهادهم وقتالهم، فلا يزال ذلك مستمرا عليهم ولكم النصرة عليهم، أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار." (تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٩١).

وقال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ. فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)[1]. فالآية الكريمة بينت غاية القتال "وهي ألا يوجد شيء من الفتنة في الدين."[2] وقد ساد عند عدد من المفسرين تفسير الفتنة بالكفر والشرك. قال البغوي: "(حتى لا تكون فتنة) أي: شرك. يعني: قاتلوهم حتى يسلموا، فلا يقبل من الوثني إلا الإسلام."[3] ولعل ذلك راجع إلى اعتبار ما يؤدي إليه الشرك والكفر عادة من فتنة المؤمنين واضطهادهم، فإذا أسلم الكافر زالت الفتنة من جهته.

ثانيا: أما قتلهم وتطهير الأرض منهم، فمعلوم أن القتال ينتج عنه القتْل بداهة، لذلك كان من مقاصد القتال في سبيل الله قتل المستحق لذلك:

قال تعالى متحدثا عن قتال المشركين المعتدين المقاتلين آمرا بقتلهم حيث أدركوا: (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ، وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ.)[4] وقال سبحانه، آمرا المجاهدين بما عليهم إذا لقوا الكافرين وهم زاحفون لقتال أولياء الله: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ، حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ، فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)[5].

ثالثا: أما قهرهم وإذلالهم، فيتحقق بأمرين:

أولهما: بالغلبة عليهم وتعذيبهم والتحكم في رقابهم وذلك بما كسبت أيديهم من العتو والظلم، قال تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[6]

---

(١) البقرة ١٩٣.

(٢) تفسير المنار ج ٢ ص ٢١١.

(٣) معالم التنزيل ج١ ص ١٦٢. وقال الزمخشري: "(حتى لا تكون فتنة) أي شرك." (الكشاف ج١ ص ٢٣٤) وقال البيضاوي: "فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي أن لا تكون فتنة وأن يكون الدين لله، وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له. فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله." (أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج١ ص ١٩١)

(٤) البقرة ١٩٠ .

(٥) محمد ٤ .

(٦) التوبة ١٤ . ١٥ .

ثانيهما: بخضوعهم لسلطة المسلمين ودفع الجزية عن يد وهم صاغرون. قال تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)[1]، وذلك "حتى تأمنوا عداوتهم بإعطائكم الجزية في الحالين الذين قيدت بهما. فالقيد الأول لهم: وهو أن تكون صادرة عن يد، أي عن قدرة وسعة فلا يظلمون ويرهقون. والثاني لكم: وهو الصغار. والمراد به خضد شوكتهم والخضوع لسيادتكم وحكمكم."[2]

رابعا: كما أن كف بأسهم قد يتم بجنوحهم إلى السلم، وكف عدوانهم على المسلمين. قال تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.)[3]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإما تخافن من قوم خيانة وغدرا فانبذ إليهم على سواء وآذنهم بالحرب. (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها)، وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب، إما بالدخول في الإسلام وإما بإعطاء الجزية وإما بموادعة ونحو ذلك من السلم والصلح، (فاجنح لها) يقول: فمل إليها وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه."[4]

وصح عنه عليه الصلاة والسلام قوله: (وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ. فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرَ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا. وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ)[5]. فلم يكن مراده عليه الصلاة والسلام، إن لم يؤمنوا به ويتبعوه، سوى أن يخلوا بينه بين الناس، أي أن يسالموه، ولا يعتدوا عليه ويحولوا بينه وبين الناس.

---

(١) التوبة ٢٩ .

(٢) تفسير المنار ج ١٠ ص ٢٨٩. وهذا ما يفسر كون الجزية تضرب على الرجال الأحرار البالغين القادرين على حمل السلاح من المشركين. فلا تضرب على الصغار، ولا النساء ولا الشيوخ، ولا المعذورين بجنون أو عجز، ولا الرهبان المنعزلين للعبادة. قال ابن العربي: "ومحلها من المشركين الأحرار البالغون العقلاء، دون المجانين، وهم الذين يُقاتلون، دون النساء والصبيان" (أحكام القرآن ج٢ ص ٤٧٩)

(٣) الأنفال ٦٢ .

(٤) جامع البيان ج ١٠ ص ٣٣ .

(٥) أخرجه: البخاري / الشروط – الحج – المغازي / ٢٥٢٩. ١٦٨٣. ٣٨٤١. والنسائي / مناسك الحج / ٢٧٢١ وأبو داود / المناسك – الجهاد / ١٤٩١. ٢٣٨٤ . وأحمد / ١٨١٥١. ١٨١٦٠.

الفصل الثالث
علـــــــل القتال

المبحث الأول

في كون السلم هو الأصل

إن الناظـر في كتـاب الله تعالى يخلص إلى أن العلاقة بـين المسلمين وغيرهم في أصلها هـي علاقـة قوامها المسالمة والدعـوة. فقد كانت الأوامر من الله تعـالى تتنزل داعية رسوله ﷺ إلى دعوة الناس بكل ما يمكن من الحكمة والرفق. من ذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُـمْ فَأَنذِرْ)[1]، وقوله جل جلالـه: (أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ.[2])

كمـا كانت الآيات تدعو النبي ﷺ ومن معه إلى الصبر والتحمل، وتعتبر صعوبة استجابة الكثـير سنـة الله في خلقه، وذلك لأن إصلاح القلوب التـي تشربت الضلال لا يمكن أن يحصل بكلمة أو كلمتين، ولا في يوم أو يومين. من ذلك قوله تعالى: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ.)[3]، وقوله: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا.)[4]

كما حرصـ القرآن الكريم على بيان عدم الإكراه على الإسلام والاستجابة، قال تعالى: (وَقُـلِ الْحَـقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُومِـنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر)[5]، ولكـن إذا لم يستجب المدعو، فليسـ من حقـه الحيلولة بين الناس وبين كلمـة الله أن يسمعوها ويستجيبـوا لها. فلذلك ما فتـئ القرآن الكريم يعيب على الكافرين صدهم الناس عن سبيل الله، ومنعهم من الاستماع

(١) المدثر ١ . ٢ .
(٢) النحل ١٢٥
(٣) القلم ٤٨ .
(٤) المزمل ٩ .
(٥) الكهف ٢٩. وقوله: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُومِنِينَ. (يونس ٩٩)

لهـا والاهتداء بهديها، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّـذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي. وَمَنْ يُرِدْ فِيـهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيـمٍ.)[1]، وقال تعالى وهو يصف بعض رؤوسهـم: (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ)[2]. وقد صح عن النبيﷺ دعوة قريش، وقد كفروا، إلى الحياد وأن يخلوا بينه وبين الناس فقال: (وَإِنَّ قُرَيْشًا قَـدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَـرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ. فَإِنْ شَـاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَـيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَـرَ فَـإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا. وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ.)[3]

لكـن المشركين لم يكتفوا بالكفر بالرسولﷺ وبرسالته، وإنما شمروا على ساعد الجد لمحاربته واضطهاد أتباعه. فما تركوا وسيلة من وسائل الاعتداء إلا سلكوها. فاتهموه وافتروا عليه الأباطيل لصد الناس عنه، وتعرضوا له بالإذاية البليغة، وعزموا على قتله. أما أصحابه فأغلبهـم كان بين مقهور محبوس معذب، أو مقتول، أو مهجر في الأرض... وما وقف كيدهم عند هذا الحد، فسعوا يؤلبون الكافرين على حرب المسلمين قصد إبادتهم واستئصالهم...

حينهـا أذن الله تعـالى لنبيه بالقتال في سبيله، ثم أمرهم بـه وحرضهم عليه. فقاتلهم النبـيﷺ، وأودى برؤوسهـم وصناديدهـم، واستمر ذلك إلى أن فتـح الله عليه مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا.

ومـع هذا كله، وحتى لا يغيب الأصـل الأصيل الذي هو المسالمة والدعوة حرص كتاب الله تعالى على بيانه والنص عليه في آيات كثيرة منها:

قولـه تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِيـنَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.)[4]

فالآية الكريمة واضحة الدلالة في أمرها ببِرٍّ غير المقاتلين والإحسان إليهم وتأمينهم،

(١) الحج ٢٣.
(٢) القلم ١١ . ١٢ .
(٣) سبق تخريجه.
(٤) الممتحنة ٨ .

سواء كانوا نساء أو أطفالا أو شيوخا، أو غيرهم. قال ابن جرير بعد ذكره لأقوال المفسرين: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عني بذلك (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) من جميع أصناف الملل والأديان، (أن تبروهم) وتصلوهم (وتقسطوا إليهم)، لأن الله عز وجل عم بقوله: (الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) جميع من كان ذلك صفته فلم يخصص به بعضا دون بعض. ولا معنى لقول من قال ذلك منسوخ، لأن برَّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينه وبينه غير محرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح..."[1]

ومثل الآية السالفة قوله تعالى: (فَإِن اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا.)[2].

ومن الآيات البينات المثبتة لهذا المعنى قوله تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.)[3]. ففيها دعوة صريحة من الله تعالى إلى الميل نحو المهادنة والمسالمة كلما مال إليها الآخر، فالنبي عليه الصلاة والسلام والمسلمون أولى بالسلم من غيرهم. وقد نص على هذا المعنى كثير من العلماء، بعد جزمهم بعدم نسخها[4]. قال ابن جرير: "وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب، إما بالدخول في الإسلام وإما بإعطاء الجزية وإما بموادعة ونحو ذلك من السلم والصلح، (فاجنح لها) يقول: فمل إليها وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه."[5]. وقال ابن كثير: "يقول تعالى: إذا خفت من قوم خيانة فانبذ إليهم عهدهم على سواء، فإن استمروا على حربك ومنابذتك فقاتلهم (وإن جنحوا) أي مالوا (للسلم) أي المسالمة والمصالحة والمهادنة (فاجنح لها)، أي فمل إليها واقبل منهم ذلك. ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله ﷺ تسع سنين أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر."[6]

(١) جامع البيان ج ٢٨ ص ٦٦. وقال ابن عاشور: "إستثنى الله أقواما من المشركين غير مضمرين للعداوة للمسلمين، وكان دينهم شديد المنافرة مع دين الإسلام." (التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ١٥١)

(٢) النساء ٨٩.

(٣) الأنفال ٦٢.

(٤) أنظر جامع البيان ج١٠ص٣٤، وأحكام القرآن ج ٢ص٤٢٧، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٣٢٣. ٣٢٤

(٥) جامع البيان ج ١٠ ص ٣٣. أنظر كذلك: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج ٣ ص ١١٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٢٣

المبحث الثاني

علل القتال

وبعد، فإذا كان الأصل هو السلم، والدعوة بالتي هي أحسن، فمتى يشرع القتال؟ وما هي الدوافع والعلل التي تضطر المسلمين إلى خوض غمار الحرب؟

إنه بعد التأمل والاستقصاء، يمكن حصر ذلك في الاعتداء والإذاية والتهيؤ لذلك

بيان ذلك من القرآن الكريم.

لقد حرص القرآن الكريم على تعليل ما يأمر به ويفرضه على المسلمين، خصوصا إذا كان ذلك مما يترتب عليه الأثر البليغ على المال أو النفس أو العرض... فلذلك كان بيان ما أحدثه الأعداء ليبيح ويوجب مقاتلتهم وكف بأسهم، ظاهرا وصريحا لا يتخلله غموض ولا تعتريه شبهة، فقال تعالى في أول آية نزلت في القتال: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ. وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ.)[1]

فالآية الكريمة نص في كون الظلم الذي لحق بالمسلمين هو سبب إذن رب العزة لهم سبحانه في القتال والدفع عن أنفسهم. وقد لخصت الآية الكريمة هذا الظلم في الإخراج من الأرض والموطن، لا لشيء سوى الإيمان بالله تعالى. وقد نبه جملة من المفسرين على كون ما ذكر من الاعتداء سبب القتال. قال الزمخشري: "والمعنى: أذن لهم في القتال (بأنهم ظُلموا) أي بسبب كونهم مظلومين، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا، وكانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: (إصبروا فإني لم أومر بالقتال.) فأنزلت هذه الآية. وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية."[2]

---

(١) الحج ٣٩ . ٤٠ .

(٢) الكشاف ج ٣ ص ١٥٦. وقال ابن العربي: "ففي فتح التاء بيان سبب القتال، وقد كان الكفار يتعمدون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالإذاية، ويعاملونهم بالنكاية." (أحكام القرآن ج ٣ ص ٣٠٢).

وقد جلى الحق سبحانه هذه الحقيقة في آيات كثيرة، من ذلك حسب النزول:

قوله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[1] ففي الآية الكريمة أمر وخبر ونهي. فهي تأمر المؤمنين بمقاتلة المشركين، وتخبر بأن البادئ بالقتال هم الآخرون، وتنهى عن الاعتداء بإطلاق. وعلى هذا دار كلام المفسرين بعد أن جزم بعدم نسخها كثير منهم[2]. فاتفقوا على النهي عن قتال النساء والصبيان والشيوخ وغيرهم من العجزة والرهبان، لكنهم اختلفوا في غيرهم:

قال الطبري: "وأمرهم تعالى ذكره بقتال من كان منه قتال من مقاتلة أهل الكفر دون من لم يكن منه قتال، من نسائهم وذراريهم فإنهم أموال وخول لهم إذا غلب المقاتلون منهم فقهروا. فذلك معنى قوله (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم)، لأنه أباح الكف عمن كف فلم يقاتل من مشركي أهل الأوثان، والكافين عن قتال المسلمين من كفار أهل الكتاب على إعطاء الجزية صغارا. فمعنى قوله (ولا تعتدوا)، لا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتابين والمجوس. (إن الله لا يحب المعتدين) الذين يجاوزون حدوده فيستحلون ما حرمه الله عليهم من قتل هؤلاء الذين حرم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم."[3]

نعم، إنه لا لبس في كون من ذكروا، من النساء والصبيان والشيوخ والعجزة والرهبان ومن ليس من شأنهم أن يُقاتلوا عادة، لا يقاتَلُون ولا يُقْتَلون إلا ما استثني ممن بدا منه أثر في القتال. خصوصا وقد صح عن الرسول ﷺ من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ."[4].

لكن اللبس في قتال غير من ذكروا ممن لا يقاتلنا، فلا هو من النساء ولا هو من

(١) البقرة ١٨٩ .

(٢) أنظر الكلام بعدم نسخ هذه الآية: جامع البيان ج ٢ ص ١٩٠. أحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ١٤٤. ومفاتيح الغيب ج ٥ ص ١١٠. وابن كثير ج ١ص ١٢٧. وغيرهم.

(٣) جامع البيان ج ٢ ص ١٩٠.

(٤) أخرجه: البخاري / الجهاد والسير / ٢٧٩١ . ٢٧٩٢ . ومسلم / الجهاد والسير / ٣٢٧٩ . ٣٢٨٠)

الصبيـان ولا من العجزة ... ولكنـه كفَّ يده ورفض أن يقاتل المسلمين. فظاهر الآية الكريمة دخوله فيمن لا يُقاتَلُ، كما أن ظاهر حديث رسول الله ﷺ الذي نهى فيه عن قتل المرأة يفيد أن عدم قتلها لكونها ما كانت لتقاتِل، أي إذا قاتلت قُتِلَت. كما يفيد نص كلامه ﷺ في النهي عـن قتـل العسيف. فلذلـك فسر عدد من المفسرين قولـه تعالى: (ولاَ تَعْتَـدوا) بقوله: "أي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السَّلَم وكف يده."[1]

وقولـه سبحانـه على لسان الملأ من بني إسرائيل وقد قالوا لنبي لهم: (ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِـلْ فِي سَبِيـلِ اللَّه)[2]، فلمـا استبعد قيامهم بالجهاد لما يعلمـه منهم من الجبن والخيانة قائـلا: (هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَـالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا؟)[3]، فقَالُوا موضحين الدواعي الواقعة للقيـام بالقتـال وعدم التردد فيـه: (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِـلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَـا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَـا.)[4] قـال الرازي: "وأتبعوا ذلك بعلة قويـة توجب التشدد في ذلك، وهو قولهم (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا). لأن من بلغ منه العدو هذا المبلغ، فالظاهر من أمره الاجتهاد في قمـع عدوه ومقاتلته."[5]، وقال رشيد رضا: "أيّ وأيُّ داع لنا يدعونا إلى أن لا نقاتل وقد وجد سبـب القتال، وهو إخراجنا مـن ديارنا بإجلاء العدو إيانا عنهـا، وأفردنا عن أولادنا بسببه إياهم واستبعاده لهم؟"[6]

وقولـه تعـالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُـونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِـنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيًّا، وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا.)[7]

فالآية الكريمة بيان لما من شأنه الدفع بالمسلمين إلى القتال والجهاد، وذلك لما عليه المشركـون من الظلم والاعتداء على الضعفاء من المؤمنين، واستعبادهم وأسرهم، والحرص

(١) روح المعاني ج ٢ ص ١١٢. أنظر كذلك تفسير المنار ج ٢ ص ٢٠٩، والتحرير والتنوير ج ٢ ص ٢٠٠ . ٢٠١) .
(٢) البقرة ٢٤٤ .
(٣) البقرة ٢٤٤ .
(٤) البقرة ٢٤٤ .
(٥) مفاتيح الغيب ج ٦ ص ١٤٥.
(٦) تفسير المنار ج ٢ ص ٤٧٥
(٧) النساء ٧٤.

علـى فتنتهم عن دينهم. قال الطـبري: "وما شأنكم لا تقاتلون في سبيل الله وعن مستضعفي أهل دينكـم وملتكم، الذين قد استضعفهم الكفار فاستذلوهـم، ابتغاء فتنتهم وصدهم عن دينهم من الرجال والنساء والولدان."[1]

وقولـه تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُومِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنْ بَغَت احْدَاهُمَا عَلَـى الاُخْـرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَإِنْ فَـاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.)[2]

فبغي طائفة من المؤمنين على أخرى يوجب إعلان الحرب لرفع الظلم وإحلال العدل، وذلـك إذا لم تجد مساعـي الصلح والسلم. فهؤلاء لا يقاتَلون باعتبارهم كفارا، فهم مؤمنون بنص الآية الكريمة، وإنما يقاتلون باعتبارهم معتدين.

(١) جامـع البيـان ج٥ ص١٦٧. وقال ابن كثير: "يحرضـ تعالى عباده المؤمنين على الجهـاد في سبيله وعلى السعي في استنقـاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين من المقام بها." (تفسير القرآن العظيم ج١ص ٥٢٦)

(٢) الحجرات ٩.

الخاتمة

لعل أهم ما يجدر بنا تسجيله في هذه الخاتمة هو ما أثبته الفصل الأول التمهيدي من عمق مفهوم الجهاد في القرآن والحديث وشموله والدلالة على هويته الأصلية المتمثلة في بذل الجهد لنصرة دين الله تعالى على مستوى النفس والمجتمع... مما يخرج به من مضايق الجانب العسكري ليستوعب الحياة كلها والمجالات جميعها.

أما الفصل الثاني فقد بين بجلاء المقصد الأجمع الأعمق للجهاد بمختلف أنواعه ألا وهو تحقيق الهداية وما يتبع ذلك ويستلزمه من القضاء على الفتنة وعدم الحيلولة بين الناس وبين كلمة الله أن يسمعوها ويتبعوها، كما تقتضي الهداية بذل الجهد لكف بأس المعتدين وتعطيل قدراتهم على الظلم والعدوان والبطش.

ويأتي فصل العلل ليبين أن العلاقة بين المسلمين وغيرهم مؤسسة في الأصل على الدعوة والمسالمة والتواصل، وأن القتال ليس دائرا على الكفر والدين، وإنما مرجعه إلى العدوان والظلم الواقع على الدين وأهله.

ولا يخفى أن هذه نظرات أولية مختصرة حسب ما يسمح به المقام، والحاجة اليوم واقعة إلى المزيد من دراسة الموضوع والوقوف على قضاياه وضوابطه مما يعيد للجهاد فاعليته ويجدد رسالته التي لأجلها شرعه الله تعالى.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي، راجعه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا، دار الفكر.

٢. أسباب نزول القرآن الكريم، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق ودراسة كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل بيروت، ١٩٧٣م.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، محمد الشيرازي البيضاوي، دار الفكر بيروت، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

٥. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، ١٣٩١هـ ١٩٧٢م.

٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

٧. تحفة الأحوذي، محمد المباركفوري ، دار الكتب العلمية . بيروت .

٨. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، دار الفكر، الطبعة الثانية.

٩. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير، دار الفكر،١٤٠١ هـ.

١٠. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر بيروت. لبنان، الطبعة ١، ١٤٠٥هـ.

١١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، دار الشعب القاهرة، الطبعة ٢، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني.

١٢. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب بيروت.

١٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، قرأه وصححه محمد حسين العرب، دار الفكر، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.

١٤. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني ، دار الفكر بيروت ، المحقق فؤاد عبد الباقي.

١٥. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث ، دار الفكر ، المحقق محيي الدين عبد الحميد.

١٦. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي بيروت، المحقق أحمد محمد شاكر وآخرون

١٧. سنن الدارمي، عبد الله الدارمي، دار الكتاب العربي بيروت، المحقق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ

١٨. السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز مكة المكرمة، المحقق عبد القادر عطا، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

١٩. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، المحقق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٢٠. شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي. بيروت، الطبعة٢، ١٣٩٢هـ

٢١. الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م

٢٢. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي البستي، مؤسسة الرسالة. بيروت، الطبعة ٢، المحقق: شعيب الأرنؤوط.

٢٣. صحيح ابن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٠هـ.

٢٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير بيروت، الطبعة ٣، المحقق مصطفى ديب البغا، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٢٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي بيروت، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٦. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة ٢، ١٤١٥ هـ.

٢٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – محب الدين الخطيب.

٢٨. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة.، مؤسسة الرسالة، الطبعة ٥، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٢٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري ، دار الكتب العلمية بيروت ، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .

٣٠. كيف نتعامل مع القرآن ، يوسف القرضاوي ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.

٣١. لسان العرب، ابن منظور، إنتاج : المستقبل للنشر الإلكتروني. بيروت، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، الإصدار ١، ١٩٩٥م

٣٢. مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، المكتبة الأموية بيروت، ١٣٩١ هـ.

٣٣. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، دار الكتب العلمية بيروت، المحقق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ١٩٩٠م.

٣٤. المسند ، أحمد بن حنبل، دار الفكر، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م.

٣٥. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق خالد العك – مروان سوار، دار المعرفة بيروت، الطبعة ٢ ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.

٣٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠هـ.١٩٨١م

٣٧. معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مَرْعشلي، دار الفكر.

٣٨. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل. بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٣٩. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى،١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٤٠. مفهوم الجهاد في القرآن والحديث دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، الدكتور عبد الرحمن بوكيلي، مطبعة طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى ١٤٣٧ه ٢٠١٦م.

٤١. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزقاني، دار الفكر، الطبعة الثالثة.

٤٢. الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٤٣. موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، بسيوني زغلول، عالم التراث للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى، ٣ محرم ١٤١٠ هـ ١٥ غشت ١٩٨٩م.

٤٤. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي مصر، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٥. نحو منهج لدراسة مفاهيم الألفاظ القرآنية، الشاهد البوشيخي، عرض ألقي في ندوة "القرآن المجيد وخطابه العلمي في الدورة التدريبية لفائدة الأساتذة الباحثين

في الدراسات الإسلامية بجامعة سيدي محمدبن عبد الله كلية الآداب ظهر المهراز بفاس، أيام ١٤...١٩ محرم ١٤١٨هـ ٢١ ... ٢٦ ماي ١٩٩٧م.

٤٦. ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، أيام ٨ . ٩ . ١٠. جمادى الثانية ١٤١٤ هـ الموافق ٢٣. ٢٤ . ٢٥ . نونبر ١٩٩٣م. بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، مطبعة المعارف الجديدة الرباط.

توفيق علي علي زبادي

- العمل الحالي: باحث في مركز تفسير للدراسات القرآنية بالرياض – حي الغدير .
- تاريخ الميلاد : ١٢من فبرا ير ١٩٦٧ م.

الجنسية : مصري.

الخبرات العلمية :

- تمهيدي ماجستير(الفرح في ضوء الكتاب والسنة) جامعة أم درمان الإسلامية.
- ماجستير في التفسير وعلوم القرآن(منهج القرآن في مدح القلة وذم الكثرة) جامعة أم درمان الإسلامية.
- دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن(الإصلاح والإفساد في ضوء القرآن) جامعة أم درمان الإسلامية.
- تحكيم بحوث لموسوعة التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

الخبرات العملية :

- عضو هيئة تدريس بمعهد الإمام الشاطبي (طلاب – طالبات) في تدريس التفسير وعلوم القرآن.
- عضو هيئة تدريس بالمركز العلمي الأول التابع لجامعة أم القرى في تدريس التفسير وعلوم القرآن.
- رئيس وحدة التوثيق والمعلومات بالمركز الدولي للبحوث والدراسات "مداد".
- باحث في مركز تفسير لتطوير الدراسات القرآنية.

المشاركة في مشاريع خدمة القرآن الكريم :

أولاً : عضو اللجنة العلمية في مشروع التفسير الموضوعي للموضوع القرآني التابع لكرسي الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود.

ثانيـاً : المشاركة بكتابة مجموعة من البحوث المحكمـة (١٤ بحثاً) في موسوعة التفسير الموضوعي للموضوع القرآني ، منها :

- الفسـاد في ضوء القرآن- البشـرى في القرآن الكريم- الكرامـة في ضوء القرآن- الظلمات في ضوء القرآن.
- الافـتراء في ضوء القرآن -الكذب في ضوء القـرآن - الصد عن سبيل الله في ضوء القرآن- الماء في ضوء القرآن.
- الإنـذار في ضـوء القرآن- الإيمان في ضوء القرآن -التوبة في ضوء القرآن - الشكر في ضوء القرآن.
- النصر في ضوء القرآن الكريم- النعم في ضوء القرآن الكريم-

علاج القرآن الكريم لسَفْكِ الدماءِ المعصومة

دراسة موضوعية

الدكتور

توفيق بن علي زبادي

الأستاذ المساعد

والباحث في مركز تفسير للدراسات القرآنية

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)(آل عمران: ١٠٢)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(النساء:١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) الأحزاب: (٧٠ – ٧١)، أما بعد[1]،

فمن دلائل العناية بحفظ الدماء والتغليظ فيها: أنَّ ذِكْرها، والتنويه بها وقع قبل أن تنفخ الروح في آدم عليه السلام، وقبل أن تجري دماؤه في عروقه؛ فالملائكة عليهم السلام، وهم من أعْلم الخلق بالله تعالى وبما يرضاه وما لا يرضاه من الأقوال والأفعال، لما أخبرهم سبحانه وتعالى أنه جاعل في الأرض خليفة:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة:٣٠)، ولولا عظمة الدماء عند الله تعالى لما نوَّه الملائكة بذكرها من بين سائر وجوه الإفساد.

ولما خلق الله تعالى آدم، وجرت عليه المحنة والبلاء والتكليف، ثم أهبط إلى الأرض، وتناسل بنوه من صلبه؛ كان أول ذنب عظيم وقع من بنيه: قتلَ أحدهم أخاه، في قصة عجيبة

(١) تُسمى هذه خطبة الحاجة، وكان رسول الله يفتتح بها كلامه، والحديث أخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ من حديث ابن مسعود : ٣٩٢/١، ط. المكتب الإسلامي، ورواه أبو داود، في كتاب النكاح، باب: في خطبة النكاح: ٢٤٥/٢ ح (٢١١٨) ط. دار الريان للتراث، دار الحديث القاهرة ١٤٠٨هـ، وذكر فيه جزءًا من آية النساء، وقدمه على آية آل عمران، وأخرجه الترمذي، في كتاب: النكاح، باب: ما جاء في خطبة النكاح: ٤١٣/٣ ح (١١٠٥) بنحوه، وزاد بعد قوله: "ونعوذ بالله من شرور أنفسنا"، قوله: "وسيئات أعمالنا" وقال عنه الترمذي: حديث عبد الله حديث حسن.

ذكرت في القرآن؛ لأهميتها، وأهمية ما تضمنته من تأريخ أول دم سفك على الأرض ظلمًا وعدوانًا، وعقب ذكر هذه القصة العظيمة تأتي الآيات؛ لتبين منزلة الدماء عند الله تعالى؛ حتى إن سافك دم واحد قد شُبِّه بمن سفك دم الناس جميعًا: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (المائدة:٣٢)، وليس في الشريعة ذنب يكون مرتكبه في حق واحد من الناس كمن فعله في جميع الناس غير هذا الذنب العظيم.

قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى:" مَنِ اسْتَحَلَّ دمَ مُسْلم فَكَأَنَّمَا اسْتَحَلَّ دِمَاءَ النَّاسِ جَمِيعًا، وَمَنْ حَرَّمَ دَمَ مُسْلِمٍ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ دِمَاءَ النَّاسِ جَمِيعًا"(١).

ومن شناعة هذا الفعل أن الله قرنه بالكفر به في عدد من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ (آل عمران:٢١).

وفي القتل ترك تعظيم أمر الحق، وترك الشفقة على الخلق، وهما ملاك الدين.

والمتتبع بمنهج التفسير الموضوعي للآيات التي تحدثت عن سفك الدماء سواء كان باللفظ كقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (البقرة:٣٠)، أو بالمعنى كقوله تعالى: : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ (البقرة:٦١)، وجد عناية القرآن بهذا الموضوع عناية فائقة؛ لأن سفك الدماء هدم لمُرَاد الله من خلق البشرية، وهو إعمار الأرض، وتطبيق الشرع.

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ٩٣.

أهداف البحث:

- تأصيل مفهوم سفك الدماء المعصومة في اللغة والاصطلاح والاستعمال القرآني.
- بيان أهمية التفسير الموضوعي وخطواته.
- الدراسة التطبيقية للتفسير الموضوعي في علاج سفك الدماء المعصومة.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائي في جمع الآيات المتعلقة بسفك الدماء لفظًا ومعنى، ثم المنهج الاستنتاجي في محاولة الوصول إلى صورة واضحة عن خطوات منهج التفسير الموضوعي في علاج مشكلة سفك الدماء المعصومة.

أسباب اختيار الموضوع:

- انتشار موضوع سفك الدماء بصورة شنيعة؛ أدت إلى التهاون في إزهاق الأرواح البريئة.
- حل مشكلات المسلمين المعاصرة، وتقديم الحلول لها على أسس حث عليها القرآن الكريم.
- حاجة طلاب العلم الماسة للدراسات التطبيقية للتفسير الموضوعي في علاج القضايا المعاصرة.

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات البحث وأهمية التفسير الموضوعي وخطواته

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث

أولًا : علاج:

علاج في اللغة :

(عَلَجَ) :

العين واللام والجيم أصل صحيح؛ يدل على تمرس ومزاولة، والعلاج: مزاولة الشيء ومعالجته[1].

فالعلاج بمعنى: التمرس، والمزاولة، والمعالجة.

العِلاج في الاصطلاح:

المداواة لدفع المرض[2].

ثانيًا : القرآن الكريم:

كلام الله، المنزل على محمد -ﷺ- المتعبد بتلاوته[3].

ثالثًا : سفك الدماء المعصومة :

سَفْك الدم في اللغة:

سَفَكَ:

السين والفاء والكاف كلمة واحدة. يقال: سَفَكَ دمه يسفكه سفكًا، إذا أَسَالَهُ [4].

(١) مقاييس اللغة: ١٢٢/٤.

(٢) معجم لغة الفقهاء: ٣١٩.

(٣) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان: ١٧

(٤) معجم مقاييس اللغة:٣/ ٧٨.

والسَّفْكُ في الدّم: صَبُّهُ[١].
وسَفَكَ الدَّمَ وَالدَّمْعَ: هَرَاقَهُ[٢].
والسَّفّاكُ للدِّماءِ: هُوَ السَّفّاحُ[٣].

فالسفك في الدم صَبُّهُ وإسَالَتُه، وإراقته، وإجْراؤه، والسَّفّاكُ للدم هو السَّفّاحُ.

في الاصطلاح:

إراقة الدم بغير حق من الحقوق المُحِلَة للسّفْك، أو هو القتل بظلم.

المعصومة في اللغة والاصطلاح:

عَصَمَ في اللغة:

العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة. والمعنى في ذلك كله معنى واحد. من ذلك العصمة: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه. واعتصم العبد بالله تعالى، إذا امتنع. واستعصم: التجأ. وتقول العرب: أعصمت فلانًا، أي هيأت له شيئًا يعتصم بما نالته يده أي يلتجئ ويتمسك به[٤].

في الاصطلاح:

معصوم:

المَعْصوم: اسم مفعول من عصم إذا منع.

ومعصوم الدم: من لا يجوز قتله، فليس هو حربيًا، ولم يأت بما يوجب هدر دمه[٥]، والدماء معصومة بعصمة الدين أو عصمة العهد.

رابعًا: دراسة موضوعية:

المقصود بها الدراسة التفسيرية الموضوعية أي (التفسير الموضوعي).

والتفسير الموضوعي: مركب يتكون من لفظتين، نعَرِّف كلًّا منهما، ثم نعَرِّف المركب:

(١) مفردات غريب القرآن: ٤١٣.
(٢) مختار الصحاح: ١٤٩.
(٣) تاج العروس:٢٧/ ١٩٨.
(٤) مقاييس اللغة: ٣٣١/٤.
(٥) معجم لغة الفقهاء: ٤٤١/١.

التفسير من فَسَرَ:

الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه[١]، والفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول[٢].

والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[٣].

الموضوعي من وَضَعَ: الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطه. ووضعته بالأرض وضعًا، ووضعت المرأة ولدها[٤].

فالموضوع من الوضع في مكان ما، وهو الحط والخفض، وهو الإلقاء والتثبيت في المكان، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي؛ لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به[٥].

الموضوع في الاصطلاح: قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم[٦]

والتفسير الموضوعي في الاصطلاح " هو علم يتناول القضايا بحسب المقاصد القرآنية في سورة أو أكثر[٧].

المطلب الثاني: سفك الدماء في الاستعمال القرآني

ورد مركب سفك الدماء بلفظه في القرآن في موضعين في سورة البقرة:

(١) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٥٠٤.
(٢) مفردات غريب القرآن: ٦٣٦.
(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/ ٣.
(٤) مقاييس اللغة لابن فارس: ٦/ ١١٧.
(٥) انظر المدخل إلى التفسير الموضوعي: ٢٠، ٢٣.
(٦) مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم: ١٦.
(٧) المرجع السابق.

الموضع الأولى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة:٣٠). وإيثار استعمال "على "يقتل"؛ لأن السَّفْك هو القتل بظلم، ومن القتل ما هو جهاد في سبيل الله،.. وأما الدماء فتأكيد لما في السفك من الدم؛ لتشديد شناعة القتل[١].

الموضع الثاني:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (البقرة:٨٤). أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، وقيل: معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم، فكأنكم أنتم سفكتم دماء أنفسكم[٢]؛ وذلك أن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة[٣]، وجعل قتل الرجل غيره قتل نفسه؛ لاتصاله نسبًا أو دينًا، أو لأنه يوجبه قصاصًا[٤].

ألفاظ ذات صلة:

ورد سفك الدماء بمعناه في القرآن بمعنيين: القتل بغير حق، وقتل النفس بغير نفس.

(١) إشارات الإعجاز: ١/ ٢٣٦.
(٢) تفسير الخازن:١/ ٥٨.
(٣) تفسير ابن كثير: ١/٢١١.
(٤) روح المعاني:١/٣١٠.

أولًا: القتل بغير حق:

المعنى اللغوي:

جاء في كتب اللغة: قَتَلَه يَقْتُلُه قَتْلًا وتَقْتَالًا، وَرَجُلٌ قَتيل: مَقْتول، وامرأَة قَتيل: مَقْتولة، وقتل فلان فلانًا أي أماته، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (البقرة:٢٥١)[1].

المعنى الاصطلاحي:

قال السيوطي رحمه الله: أنه "فعل في مَحل يتعقبه زهوق روح الْمَقْتُول بِهِ"[2].

والقتل بغير الحق: يعني قتل النفس التي حرَّم الله قتلها، نفسَ مؤمن أو مُعاهد، (وبغير حق) يعني بما أباح قتلها به: من أن تقتل نفسًا فتقتل قَوَدًا بها، أو تزني وهي محصنة فترجم، أو ترتدَّ عن دينها الحقِّ فتقتل، فذلك "الحق"[3].

ثانيًا: قتل النفس بغير نفس:

قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (المائدة:٣٢).

وقال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (الكهف:٧٤).

وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (المائدة:٤٥).

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٣٣٢/٦)، لسان العرب، لابن منظور (٥٤٧/١١) مادة (قتل) بتصرف، معجم لغة القرآن (٨٦٧/٢) بتصرف في الجميع.

(٢) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للسيوطي (ص٨٥).

(٣) جامع البيان للطبري (٢٢١/١٢-٢٢٢) بتصرف.

المطلب الثالث: أهمية التفسير الموضوعي وخطواته

التفسير الموضوعي يحقق للمسلمين فوائد عديدة من حيث صلتهم بالقرآن، وتعرفهم على مبادئه وحقائقه، وتشكيل تصوراتهم وتكوين ثقافتهم، ومن حيث عملهم على إصلاح أخطائهم وتكوين مجتمعاتهم، والوقوف أمام أعداء الإسلام.

وتبرز أهمية التفسير الموضوعي في:

حل مشكلات المسلمين المعاصرة، وتقديم الحلول لها على أسس حث عليها القرآن الكريم.

تقديم القرآن الكريم تقديمًا علميًا منهجيًا لإنسان هذا العصر، وإبراز عظمة هذا القرآن وحسن عرض مبادئه وموضوعاته، واستخدام المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة أداة لهذا الغرض.

بيان مدى حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين عمومًا وإلى الإسلام خصوصًا، وإقناعه بأن القرآن هو الذي يحقق له حاجاته ومتطلباته

يقوم العلماء والباحثون بالوقوف أمام أعداء الله وتفنيد آرائهم وأفكار الجاهلية.

عرض أبعاد ومجالات آفاق جديدة لموضوعات القرآن، وهذه الأبعاد تزيد إقبال المسلمين على القرآن.

إظهار حيوية وواقعية القرآن الكريم، حيث إنه يصلح لكل زمان ومكان، فلا ينظر الباحثون إلى موضوعات القرآن على أنها موضوعات قديمة نزلت قبل خمسة عشر قرنًا، وإنما يعرضونها في صورة علمية واقعية تناقش قضايا ومشكلات حية.

التفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ويحقق هذه المقاصد في حياة المسلمين.

التفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنية وعرضها أمام الباحثين عرضًا قرآنيًا منهجيًا وتصويب هذه الدراسات وحسن تخليصها مما طرأ عليها من مشارب وأفكار غير قرآنية.

عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجود إعجاز القرآن الذي لا تنقضي عجائبه.

تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها.

بالتفسير الموضوعي يُنَفِّذ الباحثون أمر الله بتدبر القرآن الكريم، وإمعان النظر فيه، وإحسان فقهه، وفهم نصوصه[1].

خطوات التفسير الموضوعي:

أولًا: تحديد الموضوع القرآني المراد بحثه تحديدًا دقيقًا من حيث المعنى.

ثانيًا: اختيار عنوان له من ألفاظ القرآن الكريم ذاته، أو عنوان منتزع من صميم معانيه القرآنية.

ثالثًا: جمع الآيات الكريمة المتعلقة بالموضوع.

رابعًا: تصنيفها من حيث المكي والمدني، وترتيبها من حيث زمن النزول ما أمكن.

خامسًا: فهم الآيات الكريمة بالرجوع إلى تفسيرها، ومعرفة أحوالها؛ من حيث أسباب النزول، وتدرج التشريع والنسخ، والعموم والخصوص، وغير ذلك مما يتقرر به المعنى.

سادسًا: تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة منتزعة من الآيات نفسها، ورد الآيات إلى عناصرها وموضعها من البناء الكلي للموضوع، مع تفسير موجز لما يحتاج منها إلى تفسير، واستنباط حقائقها القريبة من غير تكلف، ورد الشبهات عن الموضوع ذاته.

سابعًا: التقيُّد التام في كل هذه الخطوات بقواعد التفسير الموضوعي، وضوابطه العلمية[2].

ثامنًا: تحديد الحقيقة القرآنية في الموضوع، وتحديد الفكرة العامة التي قصد إليها القرآن في الموضوع القرآني.

تاسعًا: تنزيل الحقيقة القرآنية في الموضوع على الواقع، والمقارنة بين حقيقة القرآن المعصومة والخالدة ونظرية[3] البشر التي تُخْطئ وتفنى.

---

(١) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح الخالدي،،ط١، الأردن: دار النفائس،١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، ٤٨-٤٩.

(٢) انظر المدخل إلى التفسير الموضوعي للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد: ٥٧.

(٣) النظرية: قضية تثبت ببرهان(المعجم الوسيط: ٢/ ٩٣٢)، وهي تصور عام لقضية أو موضوع في علم من العلوم، يقوم على أسس ثابتة من الحقائق جزئية أو مطلقة، وعلى جميع النتائج والأبحاث والتجارب، وعلى ترتيب النتائج، حتى يجمع تصور القصية التي يراد ممارستها في الواقع البشري ويبين مداها وخصائصها؛ ليقوم على هذا التصور النهج والتخطيط لتنمو النظرية من خلال الجهد البشري والممارسة والتطبيق (انظر التربية الإسلامية في الإسلام بين النظرية والتطبيق)، ص١٧.

المبحث الثاني

دوافع سفك الدماء المعصومة

الناظر في حالات سفك الدماء التي انتشرت على مر الأزمان نظرة تأمل وتبصر يجد أنَّ لها دوافع حملت سفاكي الدماء على إسالتها وإراقتها، سنبينها فيما يلي:

المقصود بالدوافع: ما يحمل على الفعل من غرائز وميول[1].

فمن الدوافع التي تدفع سفَّاك الدماء لإراقتها:

أولًا: وسوسة الشيطان:

الوسوسة: الكلام الخفي الذي لا يسمعه إلا المُدَاني للمُتَكلم[2].

قال موسى عن السبب الذي دفعه لقتل القبطي: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾(القصص:١٥). أي: " هذا القتل من تسبب الشيطان لي بأن هيج غضبي حتى ضربت هذا فهلك من ضربتي، إن الشيطان عدو لابن آدم مُضِل له عن سبيل الرشاد بتزيينه له القبيح من الأعمال، وتحسينه ذلك له[3]، وإنما قال موسى ذلك؛ لأن قتل النفس مستقبح في الشرائع البشرية فإن حفظ النفس المعصومة من أصول الأديان كلها.

ولما كان الشيطان عدوًا للإنسان، وكانت له مسالك إلى النفوس استدل موسى بفعله المؤدي إلى قتل نفس أنه فعل ناشئ عن وسوسة الشيطان، ولولاها لكان عمله جاريًا على الأحوال المأذونة.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/ ٧٥٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٨- ب/ ٥٦.

(٣) تفسير الطبري:١٨/ ١٩٠.

وفي هذا دليل على أن الأصل في النفس الإنسانية هو الخير وأنه الفطرة، وأن الانحراف عنها يحتاج إلى سبب غير فطري، وهو تخلل نزغ الشيطان في النفس[1].

فكل سفك للدماء تجد باعثه الشيطان بوسوسته ونزغه، فحق على كل مسلم عداوته، وعداوته أن يعاديه بطاعة الله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ (فاطر:٦)، أي: بالمباينة والمقاطعة والمخالفة له باتباع الشرع[2]؛ لأن من علم أن له عدوًا لا مهرب له منه وجزم بذلك؛ فإنه يقف عنده ويصبر على قتاله والصبر معه الظفر، فكذلك الشيطان لا يقدر الإنسان أن يهرب منه فإنه معه، ولا يزال يتبعه إلا أن يقف له ويهزمه، فهزيمة الشيطان بعزيمة الإنسان [3]، الذي يتحفز بكل قواه وبكل يقظته وبغريزة الدفاع عن النفس وحماية الذات، يتحفز لدفع الغواية والإغراء، ويستيقظ لمداخل الشيطان إلى نفسه، ويتوجس من كل هاجسة، ويسرع ليعرضها على ميزان الله الذي أقامه له ليتبين، فلعلها خدعة مستترة من عدوه القديم![4].

وإن الاستجابة لغواية الشيطان وإغرائه نتيجتها جهنم وعذابها المخزي.

وإن العلاج لوسوسة الشيطان: هو الاستعداد الدائم للمعركة بأسلحتها المُردية للشيطان ولأوليائه، والتي يجب على الإنسان اليقظ أن يلبس لها لأمته، ولا يضع سلاحه ولا يغفل عنه طرفة عين؛ لأنها معركة لا تهدأ لحظة ولا تضع أوزارها في هذه الأرض أبدًا.

ثانيًا: الحسد:

الحسد: تمنّي زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها[5].

قد يلجأ المرء إلى قتل غيره ظلمًا وعدوانًا بسبب الحسد له على نعمة أوتيها، أو منزلة بلغها، أو فضل تحصَّل عليه، وهذا من قبح الصنيع وسوء الطوية، ولقد كانت أول جريمة قتل بَاءَ بها أحد من بني آدم على ظهر الأرض بسبب الحسد، ألا وهي جريمة قتل قابيل لهابيل

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٠/ ٩٠. بتصرف.
(٢) المحرر الوجيز: ٤/ ٤٣٠.
(٣) تفسير الرازي: ٢٦/ ٢٢٣.
(٤) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٩٢٦.
(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٣٤.

التي وردت في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۖ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢ ﴾ (المائدة: ٢٧ - ٣٢).

وخلاصة القصة ما نصّت عليه آيات القرآن الكريم، أن ابني آدم قدم كل واحد منهما قربانًا فتُقُبِل من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر، فحسد المرفوض قربانه أخاه المقبول فقتله[1].

ولذلك فإن فرط الحسد قد يدفع بالحاسد إلى إيقاع الشر بالمحسود، فإنه يتبع المساوئ، ويطلب العثرات، وقد قيل: إن الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء والأرض، فحسد إبليسُ آدمَ حتى أخرجه من الجنة، وأما في الأرض فحسد قابيل بن آدم لأخيه هابيل حتى قتله" [2].

فهذه كانت أول جريمة سفك دم على ظهر الأرض؛ ولهذا يتحمل القاتل جزءًا من كل جريمة قتل تقع على الأرض بعد ذلك، ويُصَدِّق هذا ما رواه البخاري بسنده عَنْ عَبْد اللَّه رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا» [3]؛لأنَّه أول مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ، وهتك حرمة الدماء، وجرأ الناس على ذلك.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري(١٠/٢٠٢-٢٠٤)، بحر العلوم، للسمرقندي (١/٣٨٣-٣٨٤)، الكشف والبيان، للثعلبي(٤/٤٨)، النكت والعيون، للماوردي(٢/٢٨-٢٩)، المحرر الوجيز، لابن عطية(٢/١٧٨).

(٢) النكت والعيون، للماوردي(٦/٣٧٧)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(٢٠/٢٥٩) بتصرف فيهما.

(٣) أخرجه البخاري رقم(٦٨٦٧) في كتاب الديات، باب: ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا.

وقوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (المائدة:٣٠)

أي سَهَّلت نفسه عليه الأمر، وشجعته وصوَّرت له أن قتل أخيه طوع يده سهل عليه[١]، "والتعبير عن ترجيح داعية الشر المتولدة من الحسد العارض على عاطفة حب الأخوة ورحمة الرحم " بالتطويع " من أبلغ تحديد القرآن لدقائق الحقائق باللفظ المفرد، فإن معنى صيغة التفعيل التكرار والتدريج في محاولة الشيء كترويض الفرس الجموح، وتذليل البعير الصعب، فهي تدل على أن قابيل كان يجد من نوازع الفطرة في نفسه الأمارة بالسوء مانعًا يصدها عما زينه له الحسد من قتل أخيه، وأنها ما زالت تأمره ويعصيها حتى حملته على طاعتها بعد جهد وعناء"[٢].

وحكمة التصريح بأخوته:

"لكمال تقبيح ما سوّلته نفسه، أي: الذي حقه أن يحفظه من كل من قصده بالسوء بالتحمل على نفسه[٣].

"وقد وقع مثل هذا الحسد من إخوة يوسف: حيث كبر عليهم إقبال أبيهم يعقوب بكل وجهه وكل نفسه على هذا الابن الصغير-يوسف-، الذي لم يبلغ أن ينفعه أو ينفع الأسرة بخدمة ولا حماية ولا غيرها من مواضع آمال الآباء في الأبناء، وإعراضه عنهم على قوتهم، وقيامهم بكل ما يحتاج إليه الأب والأسرة، فزين لهم الحسد أن يقتلوه أو يغربوه [٤]، قال تعالى: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (يوسف:٩).

فالحسد دافع عظيم من دوافع سفك الدماء.

ومن الأدوية القرآنية لعلاج الحسد: الاستعاذة من شرّ كلّ حاسد، قال تعالى:﴿ وَمِن

(١) فتح القدير للشوكاني:٢/٣٧.
(٢) تفسير المنار لرشيد رضا: ١٠/٢٠٥.
(٣) تفسير القاسمي:٤/١١٠.
(٤) تفسير المنار لرشيد رضا: ١٠/٢٠٥.

شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ (الفلق:٥)، فإن لم يستعذ العبد بالله ويتحصن به، ويكون له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله والإقبال عليه، بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على الله، وإلا ناله شر الحاسد ولا بد[١].

وتقييد الاستعاذة من شره بوقت: ؛ لأنه حينئذ يندفع إلى عمل الشر بالمحسود حين يجيش الحسد في نفسه فتتحرك له الحيل والنوايا لإلحاق الضر به[٢].

وقد ذكر الله تعالى الشر في سورة الفلق ثم ختمها بالحسد؛ ليظهر أنه أخس طبع.

ثالثًا: الاستكبار على الحق والاستنكاف عن اتباعه:

الاسْتِكْبارُ يقال على وجهين:

أحدهما: أن يتحرّى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرًا، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب فمحمود.

والثاني: أن يتشبّع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم[٣]. وهذا هو موضع حديثنا.

والاستنكاف: التكبر والامتناع بأنفة، فهو أشد من الاستكبار[٤].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ (آل عمران:٢١).

"هذا ذَم من الله تعالى لأهل الكتاب؛ بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله، قديمًا وحديثًا، التي بلغتهم إياها الرسل استكبارًا عليهم، وعنادًا لهم، وتعاظمًا على الحق، واستنكافًا على اتباعه، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم، إلا لكونهم دعوهم إلى الحق، ويقتلون الذين

(١) التفسير القيم لابن القيم: ٦٣٦.
(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٣٠.
(٣) المفردات في غريب القرآن: ٦٩٧.
(٤) التحرير والتنوير: ٦/ ٥٩.

يأمرون بالقسط من الناس، وهذا هو غاية الكبر[١]، كما قال النبي ﷺ: « الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[٢].

"والآية توبيخ للمعاصرين لرسول الله ﷺ بمساوئ أسلافهم وببقائهم أنفسهم على فعل ما أمكنهم من تلك المساوئ؛ لأنهم كانوا حريصين على قتل محمد عليه السلام[٣].

قال الحسن –رحمه الله –:" تدل الآية على أن القائم بالأمر بالمعروف تلي منزلته في العظم منزلة الأنبياء"[٤].

والآية: تعم كل من كان بهذه الحال[٥]، من المسلمين والكافرين، وفي الآية،" تهديد دائم لكل من يقع منه مثل هذا الصنيع البشع [٦]، وهم كثير في كل زمان، وفي كل مكان، و الواقع يشهد بذلك، والمطلوب الأخذ على أيديهم حفظًا للدماء المعصومة، وحفظًا للمجتمع من الفوضى.

علاج القرآن للاستكبار:

معرفة المتكبر لحقيقته ومصيره:

لا بد للمتكبر أن يعلم بأنه مخلوق من مخلوقات الله جل جلاله، خلقه من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين حقير، فأصله من تراب منه خُلق وفيه يعود، ونسله من ماء مهين، يخرج من حيث يخرج البول، لذا فإن الله تعالى ذكّر هذا الإنسان بأصله لما تكبّر وتمرد على طاعة الله، وذهب إلى أهله يتمطى، فقال:﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ (القيامة:٣٧-٣٩)، كما ذكّره كذلك بأصل خلقته لما ضرب هذا المتكبر مثلًا حين قال: مَن يحيي العظام بعد أن تصبح رميمًا، قال : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا

(١) تفسير ابن كثير:٢/ ٢٢.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب: بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ،(٩١)، (بطر الحق) هو دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا، (غمط الناس) احتقارهم.

(٣) المحرر الوجيز:١/٤١٤.

(٤) البحر المحيط: ٣/ ٧٦.

(٥) المحرر الوجيز:١/٤١٤.

(٦) في ظلال القرآن:١/ ٣٨٢.

مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ (يس:٧٨-٧٩).

الوعيد الشديد للمتكبرين:

أعد الله للمتكبرين عذابًا شديدًا، فقال: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الزمر:٦٠)، وفي حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[١]، وقد سبق حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (قال الله - سبحانه وتعالى - :الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار)[٢].

رابعًا: البغي:

وهو الظلم والاعتداء على حق الغير[٣]، وإباء الصلح[٤].

قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجرات:٩).

سبب النزول:

روى البخاري بسنده عن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قيلَ للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أُبَيٍّ، «فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكِبَ حِمَارًا، فَانْطَلَقَ المُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ[٥]»، فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ

(١) أخرجه مسلم، رقم (٩١)، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، عن عبد الله بن مسعود.
(٢) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، عن أبي هريرة عن هناد. قال الشيخ الألباني: صحيح.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٤٠.
(٤) الكشاف للزمخشري: ٤/ ٣٦٤.
(٥) أرض تعلوها ملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

وَاحِد مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَالِ، فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ (الحجرات: ٩[1]).

بَغَتْ: طلبت العلو بغير الحق، ومدافعة الفئة الباغية متوجه في كل حال، وأما التهيؤ لقتالها فمع الولاة[2].

خامسًا: حب الرئاسة:

الرئاسة: من رأس: صار رئيسًا، أي كبير قومه مطاعًا فيهم[3].

الفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله هو الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له وتعظيم النفس والسعي في حظها، فإن الناصح لله المعظم له المحب له يحب أن يطاع ربه فلا يعصى، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره، مجتنبين نواهيه، فقد ناصح الله في عبوديته، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إمامًا يقتدي به المتقون كما اقتدى هو بالمتقين.

وهذا بخلاف طلب الرياسة فإن طلابها يسعون في تحصيلها؛ لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض وتعبد القلوب لهم وميلها إليهم، ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم، مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا المطلب من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والفتنة والحمية للنفس دون حق الله، وتعظيم من حقره الله واحتقار من أكرمه الله، ولا تتم الرياسة الدنيوية إلا بذلك، ولا تنال إلا به، وبأضعافه من المفاسد[4].

فحب الرئاسة من أعظم شهوات النفس، ويسميها العلماء الشهوة الخفية، وهي التي

(١) صحيح البخاري: كِتَابُ الصُّلْحِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِصْلاَحِ بَيْنَ النَّاسِ،(٢٦٩١).
(٢) المحرر الوجيز: ٥/ ١٤٨.
(٣) معجم لغة الفقهاء: ٢١٧.
(٤) الروح لابن القيم: ٢٥٢- ٢٥٣.

تدفع صاحبها للأنفة من أن يكون من الأتباع، ويرتكب في سبيل هذه الشهوة المآثم العظيمة من أعظمها سفك الدماء، ومن أمثلة هؤلاء فرعون عليه لعنة الله، وكل من حذا حذوه، وفعل مثل فعله وهم كُثُر في كل زمان ومكان.

إن فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر، وعلا أهلها وقهرهم، حتى أقروا له بالعبودية[1].

أي: الرَّاسخينَ في الإفسادِ؛ ولذلكَ اجتراَ على مثل تلك المفسدة العظيمةِ من قتلِ المعصومينَ "[2]، وجَعَل أهل مصر شيعًا، كل طائفة في شأن من شؤونه، ووقع أشد الاضطهاد والبغي على بني إسرائيل؛ لأن لهم عقيدة غير عقيدته هو وقومه، فهم يدينون بدين جدهم إبراهيم وأبيهم يعقوب، ومهما يكن قد وقع في عقيدتهم من فساد وانحراف، فقد بقي لها أصل الاعتقاد بإله واحد، وإنكار ألوهية فرعون، والوثنية الفرعونية جميعًا.

وكذلك أحس الطاغية أن هناك خطرًا على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة في مصر، ولم يكن يستطيع أن يطردهم منها، وهم جماعة كبيرة أصبحت تعد مئات الألوف، فقد يصبحون إلبًا عليه مع جيرانه الذين كانت تقوم بينهم وبين الفراعنة الحروب، فابتكر عندئذ طريقة جهنمية خبيثة للقضاء على الخطر الذي يتوقعه من هذه الطائفة التي لا تعبده ولا تعتقد بألوهيته، تلك هي تسخيرهم في الشاق الخطر من الأعمال، واستذلالهم وتعذيبهم بشتى أنواع العذاب، وبعد ذلك كله تذبيح الذكور من أطفالهم عند ولادتهم، واستبقاء الإناث؛ كي لا يتكاثر عدد الرجال فيهم، وبذلك يضعف قوتهم بنقص عدد الذكور وزيادة عدد الإناث، فوق ما يصبه عليهم من نكال وعذاب[3].

وفي الآية "بيان أن القتل من فعل أهل الإفساد" [4].

وقال تعالى واصفًا فرعون: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (يونس:٨٣)، وقال تعالى: ﴿ مِن

(١) تفسير الطبري: ١٨/ ١٥٠.
(٢) تفسير أبي السعود: ٧/ ٣.
(٣) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٦٧٧.
(٤) فتح القدير للشوكاني: ٤/ ١٨٣.

فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الدخان:٣١).

"وإنه لمن المتجاوزين الحقّ إلى الباطل؛ وذلك كفره بالله وتركه الإيمان به، وجحودُه وحدانيــة الله، وادّعــاؤه لنفسه الألوهيــة، وسفكه الدماء بغير حلِّهــا"(١)، فكان –لعنه الله– "كثير القتل، كثير التعذيب لمن يخالفه في أمر من الأمور"(٢).

وهذا حال الطغاة والمستبدين على مر العصور.

ولقد بلغ بفرعون الإسراف أن أراد قتل نبي من أنبياء الله أراد له ولقومه الخير في الدنيا والآخــرة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (غافر:٢٦).

والآيــة تشير إلى أن فرعون كان " قتالًا سفــاكًا للدماء في أهون شيء، فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه"(٣).

بــل ألصــق فرعون بموسىu ومن معــه كل نقيصة، فكلما نزلت بهــم مصيبة بما عملت أيديهم تشاءموا وردوها إلى موسى ومن معه؛ حتى يهيج عليهم الناس، ويبغضوهم، ويطالبوا بسفــك دمائهم، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ ويجيــب الله تعــالى في وعيــد مخيف يزلزل القلوب أي أن الشؤم الذي يتشاءمون به هو شؤمهم هم، وأنهم شؤم وعاقبتهم شــؤم، وهــو عند الله، أي نــازل بهم لا محالة، لا حيلــة لهم في دفعه أو النجــاة منه، ثم ذكر الله تعــالى بعضًا من حال شؤمهم وما أنزله بهم فقال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (الأعراف:١٣٣)

سادسًا: استيلاء العدو على الأوطان:

الاستيلاء: من ولي، وضع اليد على الشيء(٤).

(١) تفسير الطبري: ١٥/ ١٦٧.
(٢) تفسير الرازي: ١٧/ ٢٨٩.
(٣) انظر: تفسير الكشاف: ٤/ ١٦٠.
(٤) معجم لغة الفقهاء: ٦٧.

والمقصود بها: وضع يد العدو على خيرات الأوطان عنوة بالقتل والهدم والتخريب.

قال تعالى على لسان ملكة سبأ: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (النمل:٣٤). قال ابن عباس –رضي الله عنهما-: إذا دخلوها عنوة خربوها"[١]، بالهدم والحرق والقطع، وأذلوا أعزة أهلها بالقتل والنهب والأسر، "وأشاعوا فيها الفساد، وأباحوا ذمارها، وانتهكوا حرماتها، وحطموا القوة المدافعة عنها، وعلى رأسها رؤساؤها، وجعلوهم أذلة؛ لأنهم عنصر المقاومة، وأن هذا هو دأبهم الذي يفعلونه[٢].

أي: "وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير؛ لأنها كانت في بيت الملك القديم، فسمعت نحو ذلك ورأت، وقيل: هو تصديق من الله لقولها.

وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية، ويجعلونها حجة لأنفسهم، ومن استباح حرامًا فقد كفر، فإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين"[٣].

ونحن نرى على القنوات الفضائية، ومواقع التواصل الاجتماعي صِدْق ذلك.

سابعًا: السفه والجهل:

السَّفَهُ: خفّة في البدن، واستعمل في خفّة النّفس لنقصان العقل[٤].

وهي عند الفقهاء والأصوليين عبارة: "عن خفة تعتري الإنسان فتبعثه على العمل بخلاف موجب العقل والشرع"[٥]. وهذا المعنى هو المُراد.

قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (الأنعام:١٤٠).

(١) تفسير الطبري: ١٨ / ٥٢.
(٢) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٦٤٠.
(٣) تفسير الزمخشري: ٣/ ٣٦٥.
(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن: ٤١٤.
(٥) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:١/ ٩٥٨.

"وقتل الولد إنما يكون للخوف من الفقر، والفقر وإن كان ضررًا إلا أن القتل أعظم منه ضررًا، وأيضًا فهذا القتل ناجز، وذلك الفقر موهوم، فالتزام أعظم المضار على سبيل القطع؛ حذرًا من ضرر قليل موهوم لا شك أنه سفاهة [١].

وأي سفه أعظم من إضاعة مصالح جمة، وارتكاب أضرار عظيمة، وجناية شنيعة؛ لأجل التخلص من أضرار طفيفة قد تحصل وقد لا تحصل، ولو كانوا يزنون المصالح والمفاسد لما أقدموا على فعلتهم الفظيعة.

والمقصود من الإخبار عن كونه بغير علم، بعد الإخبار عنه بأنه سفه؛ التنبيه على أنهم فعلوا ذلك ظنًا منهم أنهم أصابوا فيما فعلوا، وأنهم علموا كيف يرأبون ما في العالم من المفاسد، وينظمون حياتهم أحسن نظام، وهم في ذلك مغرورون بأنفسهم، وجاهلون بأنهم يجهلون ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الكهف: ١٠٤)[٢].

وقد روى البخاري بسنده عن عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "... سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٣].

أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ: صغار الأسنان، صغار العقول[٤].

قال المهلب –رحمه الله– وغيره: أجمع العلماء أن الخوارج إذا خرجوا على الإمام العدل، وشقوا عصا المسلمين، ونصبوا راية الخلاف؛ أن قتالهم واجب، وأن دماءهم هدر، وأنه لا يتبع منهزمهم، ولا يجهز على جريحهم.

وقال مالك –رحمه الله–: إن خيف منهم عودة أُجْهِزَ على جريحهم وأتبع مدبرهم، وإنما يقاتلون من أجل خروجهم على الجماعة[٥].

(١) تفسير الرازي: ١٣/ ١٦١.
(٢) التحرير والتنوير: ٨-أ/ ١١٥.
(٣) صحيح البخاري: كِتَاب: اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ: بَابُ قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالْمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، (٦٩٣٠).
(٤) شرح النووي على مسلم:٧/ ١٦٩.
(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٨/ ٥٨٤.

المبحث الثالث

منهج القرآن في علاج سفك الدماء

نهج القرآن منهجًا في علاج سفك الدماء سنبينه فيما يلي:

- المطلب الأول: التربية الوقائية التي ترعاها المؤسسات في البيت والمدرسة والمسجد والإعلام بكل صوره وألوانه.
- المطلب الثاني: التشريع الحكيم الزاجر والعقوبة الرادعة.

المطلب الأول: التربية الوقائية

والمقصود بالتربية الوقائية: " مجموعة الوسائل والأساليب المتخذة لحماية الفرد والمجتمع عن المساوئ، وتحذيرهم من الوقوع في المهالك، من خلال عملية إصلاح، وتنمية، وتهذيب، وتوجيه شاملة"[1].

ولقد سلك القرآن الكريم للوقاية من سفك الدماء مجموعة من الوسائل والأساليب، منها:

أولًا: النهي عن القتل:

تعريف النهي لغة:

النهي: خلاف الأمر، نهاه ينهاه نهيًا، فانتهى وتناهى: كف، وتناهَوْا عن الأمر وعن المنكر: نهى بعضهم بعضًا[2].

تعريف النهي شرعًا:

هو كل فعل طلب الشرع تركه، أو ذمَّ فاعله، أو لعنه [3].

(١) التربية الوقائية في القرآن الكريم، حازم حسني حافظ زيود، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩، ص ١٥

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: ن هـ ي.

(٣) النهي في القرآن الكريم، المصري، ص ١٧.

وسوف نتناول النهي عن القتل في محورين:

المحور الأول: قتل الغير:

من أعظم القواعد الكلية للشريعة الإسلامية حفظ النفوس؛ ولذلك كان النهي عن قتل النفس من أهم الوصايا التي أوصى بها القرآن المسلمين، في الآية نَهَي عن قتل النفس؛ لأنه فساد عظيم، والنفس: "هي: النفس المسلمة، من ذكر وأنثى، صغير وكبير، بر وفاجر، والكافرة التي قد عصمت بالعهد والميثاق"[1].

ووصفت النفس بتأكيدًا للتحريم بأنه تحريم قديم، فإن الله حرَّم قتل النفس من عهد آدم، ويجوز أن ي جعلها الله حَرَمًا أَيْ شَيْئًا مُحْتَرمًا لا يُعْتدى عليه [2].

أي لا تقتلوها في أية حالة، أو بأي سبب تنتحلونه إلا بسبب الحق، والحق ضد الباطل، وهو الأمر الذي حق، أي ثبت أنه غير باطل في حكم الشريعة وعند أهل العقول السليمة البريئة من هوى أو شهوة خاصة، فيكون الأمر الذي اتفقت العقول على قبوله، وهو ما اتفقت عليه الشرائع، أو الذي اصطلح أهل نزعة خاصة على أنه يحق وقوعه، وهو ما اصطلحت عليه شريعة خاصة بأمة أو زمن، وقد فصل الإسلام حق قتل النفس بالقرآن والسنة، وهو قتل المحارب والقصاص، وهذان بنص القرآن، وقتل المرتد عن الإسلام بعد استتابته، وقتل الزاني المحصن، وقتل الممتنع من أداء الصلاة بعد إنظاره حتى يخرج وقتها، وهذه الثلاثة وردت بها أحاديث عن النبي ﷺ، ومنه القتل الناشئ عن إكراه ودفاع مأذون فيه شرعًا؛ وذلك قتل من يقتل من البغاة وهو بنص القرآن، وقتل من يقتل من مانعي الزكاة وهو بإجماع الصحابة، وأما الجهاد فغير داخل، ولكن قتل الأسير في الجهاد إذا كان لمصلحة كان حقًا[3].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الإسراء:٣٣). متضمنة تحريم قتل

(١) تفسير السعدي: ٢٧٩.
(٢) التحرير والتنوير:٨-أ/١٦١.
(٣) التحرير والتنوير:٨-أ/١٦٢.

النفس المسلمة، والمعاهد[1].

فسفك الدماء، مُحَرَّم شريعة، مرفوض فطرة، غير مستساغ عقلًا.

المحور الثاني: قتل الإنسان لنفسه:

يكثر الانتحار عندما يقل الإيمان، ويفشو الكفر والإلحاد، وقد انتشر بسبب البؤس الذي يعيشه الناس، وتسلط الظلمة على رقاب العباد، والمؤمن مطالب بالصبر على ما يلاقيه محتسبًا الأجر من الكريم، فيكون وقع المصيبة على نفسه أخف، وثواء الحزن في قلبه أقل، فتكون المصيبة في حقه رحمة، وتتحول النقمة فيها نعمة، بما يستفيد فيها من الاختبار والتمحيص، وكمال العبرة والتهذيب.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ (النساء:٢٩)

عن الحسن- رحمه الله-: لا تقتلوا إخوانكم، أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة[2].

وأجمع المتأولون أن المقصد بهذه الآية: النهي عن أن يقتل بعض الناس بعضها، ثم لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل، أو بأن يحملها على غرر ربما مات منه، فهذا كله يتناوله النهي[3].

والتعبيرُ عنهم بالأنفس؛ للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورةِ ما لا يكاد يفعلُه عاقلٌ[4]، وتأنف منه الفطرة السليمة.

وروى مسلم بسنده عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) تفسير السعدي: ٤٥٧.
(٢) الكشاف: ١/ ٥٠٢.
(٣) المحرر الوجيز: ٢/ ٤٢
(٤) تفسير أبي السعود:٢/ ١٧٠

وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ[1] بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ[2] فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى[3] مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»[4].

فالاعتداء على النفس اعتداء على صنع الله، ولا يملك الإنسان نفسه حتى يتصرف فيها بما يهوى.

حكمة النهي عن سفك الدماء:

فالمتدبر لكلام الله يهْتَدي إلى أن الله أوجد الإنسان؛ ليُعَمِّر به الأرض، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (هود:٦١)، أي: "استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتتنعمون بمنافعها، وتستغلون مصالحها"[5].

فمن أقدم على إتلاف نفس عصمها الله تعالى فقد أقدم على هدم لما أراد الله تعالى بناءه.

ثانيًا: المدح لمن حَفظ الدماء:

مدح الله عباد الرحمن؛ لحفظهم للدماء المعصومة فقال: : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الفرقان:٦٨).

أي: حرم قتلها إلا بالحق أي: بما يحق أن تقتل به النفوس، من كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس[6]،

(١) يتوجأ بها في بطنه: يطعن.
(٢) يتحساه: يشربه في تمهل ويتجرعه.
(٣) يتردى: ينزل.
(٤) صحيح مسلم: بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ،(١٠٩).
(٥) تفسير السعدي: ٣٨٤.
(٦) فتح القدير للشوكاني:١٠٢/٤

ويدخل في هذا التهديد "العصاة من المؤمنين، ولهم من الوعيد بقدر ذلك [1].

وحكمة مدح من حفظ الدماء والثناء عليهم:

أن يتخذهم المسلمون أسوة وقدوة.

إعلام الإنسانية جميعًا بحفظ الدين الإسلامي للدماء المعصومة.

ثالثًا: العاقبة السيئة لمن سفك الدماء:

العاقبة في الدنيا:

قال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (المائدة:٣٠)، أي: حصلت له خسارة الدنيا والآخرة، وأصبح قد سنَّ هذه السنة لكل قاتل، "...وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا"[2]، وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ دَمِهَا- لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ أَوَّلًا»[3].

العاقبة في الآخرة:

قال تعالى:﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (النساء:٩٣).

المتعمد: في لغة العرب القاصد إلى الشيء،... وصفة "المتعمد" في القتل: كل من قتل بحديدة كان القتل أو بحجر أو بعصا أو بغير ذلك، وهذا قول الجمهور[4].

هذا هو حكم قاتل المؤمن عمدًا.. لا يقبل منه تحرير رقبة مؤمنة، ولا دية مسلّمة إلى أهل القتيل، ولا صيام شهرين متتابعين.. إن فعلته تلك أكبر من أن يكون في هذه الدنيا ما يقوم لها، ويسوّى حسابها. وليس غير العذاب، والخلود في هذا العذاب، مصحوبًا بغضب

(١) المحرر الوجيز:٤/٢٢٠

(٢) سنن ابن ماجه: كِتَاب الْمُقَدِّمَة: بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً، (٢٠٣)، قال الألباني: صحيح، انظر صحيح الجامع الصغير وزياداته: ٢/١٠٨١، (٦٣٠٦).

(٣) صحيح البخاري: كِتَاب الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: باب: بَابُ إِثْمِ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً، (٧٣٢١).

(٤) المحرر الوجيز: ٢/ ٩٤.

الله ولعنتـه- ليـس غير هـذا جزاءً وفاقًا لهذا الجـرم العظيم... لكن إذا عفـا ولي الدم، أو قبـل الدية، أو اصطلح على مال فلا يجب القصاص، فهو صاحب الحق، إن شاء اقتص، وإن شاء قبل الدية، وإن شاء عفا عفوًا تامًا بلا دية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ ﴾ (البقرة:١٧٨).

وعلى قدر ما كانت رحمة الله وعفوه عن القاتل خطأ، بقدر ما كانت نقمة الله، وغضبه، ولعنته، على القاتل عمدا! ولهذا كان إهلاك هذه النفس المجرمة، والقصاص منها في الدنيا، هـو الحكم الـذي يؤخذ به قاتل النفس المؤمنة عمدًا، وإنـه لا وجه لاستبقائه في هذه الحياة، ولا داعيـة لاستصلاحـه، فقد وقع عليه غضب الله ولعنتـه، منذ أول قطرة دم سفكها من دم هذا المؤمن البريء[1].

وحكمة ذكر العاقبة: الزجر والردع لمن تسول له نفسه فعل ذلك.

رابعًا: ذم سفاكي الدماء وتعظيم فعلهم:

ذم الله سفاكـي الدمـاء قـال تعـالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢ ﴾ (المائدة:٣٢).

أي من قتل نفسًا بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جنايـة، فكأنمـا قتل الناس جميعًا؛ لأنه لا فرق عنده بين نفـس ونفس، ومن أحياها، أي حرم قتلها واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار[2].

"وخصـ بنـو إسرائيل بالذكـر، وإن كان قبلهـم أمم حرَّم عليهم قتـل النفس وكان القصاص فيهـم؛ لأنهـم على مـا روي أول أمة نـزل الوعيد عليهـم في قتل النفـس، وغلظ

(١) التفسير القرآني للقرآن: ٣/ ٨٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٨٣.

الأمر عليهم بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء؛ ولتظهر مذمتهم في أن كتب عليهم هذا، وهم مع ذلك لا يرعوون ولا يفقهون، بل هموا بقتل النبي ﷺ ظلمًا[1].

ومن حكم ذم سفاكي الدماء:

أنَّ مَنْ قتل وجب على المؤمنين معاداته، وأن يكونوا خصومه، كما لو قتلهم جميعًا؛ لأن المسلمين يد واحدة على من سواهم، ومن أحيا وجب موالاته عليهم، كما لو أحياهم[2].

عصمة الدم الإنساني كله، ويعتبر من يعتدي على نفس واحدة، فكأنما قد اعتدى على الناس جميعًا[3].

تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب؛ ليشمئز الناس عن الجسارة عليها، ويتراغبوا في المحامـاة على حرمتها؛ لأنّ المتعرّض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعًا عظم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها[4].

خامسًا: اقتران سفك الدماء بالكفر بالله:

قرن الله سفك الدماء بالكفر بالله في غير ما آية في كتاب الله؛ لعظمها عند الله كعظم الكفر به.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (البقرة:٦١)، قال قتادة- رحمه الله-: "اجتنبوا المعصية والعدوان فإن بها أهلك من كان قبلكم من الناس"؛ وذلك أن الله استدرج بني إسرائيل فعاقبهم على العصيان والاعتداء بالمصير إلى الكفر وقتل الأنبياء، وهو الذي يقول أهل العلم: إن الله تعالى يعاقب

(١) البحر المحيط:٤/ ٢٣٧.
(٢) تفسير القاسمي:٤/ ١١٤.
(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي:٨/ ٣٤٣
(٤) تفسير الكشاف: ١/ ٦٢٧.

على المعصية بالإيقاع في معصية، ويجازي على الطاعة بالتوفيق إلى طاعة، وذلك موجود في الناس إذا تُؤمل[1].

فالإسلام " دين الحياة ودين السلام، فقتل النفس عنده كبيرة تلي الشرك بالله، فالله واهب الحياة، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي يرسمها، وكل نفس هي حَرَم لا يُمَس، وحَرَام إلا بالحق، وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه، وليس متروكًا للرأي، ولا متأثرًا بالهوى "[2].

سؤال: قال الله هاهنا: ذكر الحق بالألف واللام معرفة، وقال في آل عمران: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (آل عمران: ٢١)، نكرة، وكذلك في هذه السورة: ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٢- ١١٣) فما الفرق؟

الجواب:

الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل، قال عليه السلام: " لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ "[3]، فالحق المذكور بحرف التعريف إشارة إلى هذا.

وأما الحق المنكر فالمراد به تأكيد العموم أي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره ألبتة[4].

(١) انظر: المحرر الوجيز: ١/ ٤٩١.
(٢) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٢٢٥
(٣) صحيح البخاري: كتاب الدِّيَات: بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ) (المائدة: ٤٥): (٦٨٧٨).
(٤) تفسير الرازي: ٣/ ٥٣٥.

سؤال: خاطب الله في عدد من الآيات أمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، بأفعال أسلافهم، فما فوائد نُسبَتها إليهم؟

الآيات:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾(آل عمران:٢١).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ (آل عمران:١٨١)

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ ﴾ (النساء:١٥٥)

وقال تعالى: ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (آل عمران:١١٢).

فوائد نسبة الأفعال لبني إسرائيل المعاصرين للنبوة:

منها: أنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم، ويزعمون فضلهم على محمد ومن آمن به، فبين الله من أحوال سلفهم التي قد تقررت عندهم، ما يبين به لكل أحد منهم أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق، ومعالي الأعمال، فإذا كانت هذه حالة سلفهم، مع أن المظنة أنهم أولى وأرفع حالة ممن بعدهم، فكيف الظن بالمخاطبين؟

ومنها: أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافل وتتساعد على مصالحها، حتى كان متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد، وكان الحادث من بعضهم حادثًا من الجميع؛ لأن ما يعمله بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع، وما يعمله من الشر يعود بضرر الجميع.

ومنها: أن أفعالهم أكثرها لم ينكروها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي[1].

المطلب الثاني: التشريع الحكيم الزاجر والعقوبة الرادعة

أولًا: شريعة القصاص:

شرع الله تشريعَ القصاص؛ وقاية للمجتمع من تفشي جريمة القتل، إذ فيه وقاية من الاستهانة بحرمة الدماء والأنفس، وترويع الآمنين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ (البقرة:١٧٨).

وقال تعالى: وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾ (البقرة:١٧٩).

وفي المقصود بكلمة "حياة" في الآية معان وعِبَر ذكرها المفسرون:

منها: أنَّ معناه بقاء يحجز بعضكم عن بعض، يعني من كان لَهُ لب أَوْ عقل فذكر القصاص فيحجزه الخوف عن القتل، يعني لكي تَتَّقُوا الدماء مخافة القصاص[2].

ومنها: أنَّ معناه في إيجاب القصاص حياة؛ لأنَّ من همّ بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سببًا للحياة.

ومنها: أنَّ معناه جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لكم، كم من رجل قد هَمّ بداهية فمنعه مخافة القصاص أن يقع بها! وإن الله قد حجز عباده بعضهم عن بعض بالقصاص[3].

ثانيًا: الإصلاح بين المقتتلين أو قتال الفئة الباغية:

قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ ﴾ (الحجرات:٩). أي: " أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم

(١) تفسير السعدي: ٥٣.
(٢) تفسير مقاتل: (١٥٩/١).
(٣) جامع البيان، للطبري: (٣٨٢/٣).

ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم تقبل الصلح، ولا دخلت فيه، كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى"[1].

وفي هذه الآية دليل على قتال الفئة الباغية إذا تقرر بغيها على الإمام، أو على أحد من المسلمين، وعلى فساد قول من قال بعدم الجواز مستدلًا بقوله ﷺ: «قِتَالُ المسلم كُفْر»[2]- إن استحل قتاله- فإن المراد بهذا الحديث وما ورد في معناه قتال المسلم الذي لم يبغ.

قال ابن جرير- رحمه الله-: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين فريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل لما أقيم حق، ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سببًا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم، ولكف المسلمين أيديهم عنهم، وذلك مخالف لقوله ﷺ: « خُذُوا عَلَى أَيْدِي سُفَهَائِكُمْ» [3].

قال ابن العربي –رحمه الله-: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، وعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملة، وإياها عنى النبي ﷺ بقوله: «تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»[4]، وقوله ﷺ في شأن الخوارج: «يخرجون على حين فرقة من الناس، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»[5].

(١) فتح القدير للشوكاني: ٥/ ٧٤.

(٢) مسند أحمد: مسند سعد بن أبي وقاص،(١٥١٩)، قال الألباني: صحيح، انظر السلسلة الصحية(٢٢٩٧).

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٥/ ٧٤، والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن النعمان بن بشير، برقم (٩٥)، وقال الألباني ضعيف انظر ضعيف الجامع الصغير وزيادته،(٢٨٢٠).

(٤) صحيح مسلم: كِتَاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه،(٢٩١٦).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي: ٤/ ١٥٠.

وهـذه الآيـة: "قاعدة تشريعية عمليـة؛ لصيانة المجتمع المؤمن مـن الخصام والتفكك، تحـت النزوات والاندفاعات... ومن مقتضيات هـذه القاعدة ألا يجهز على جريح في معارك التحكيم هذه، وألا يقتل أسير، وألا يتعقب مدبر ترك المعركة، وألقى السلاح، ولا تؤخذ أموال البغـاة غنيمـة؛ لأن الغرض من قتالهم ليس هو القضـاء عليهم، وإنما هو ردهم إلى الصف، وضمهم إلى لواء الأخوة الإسلامية.

والأصـل في نظام الأمة المسلمة أن يكون للمسلمين في أنحـاء الأرض إمامة واحدة، وأنه إذا بويـع لإمام، وجب قتـل الثاني، واعتباره ومن معه فئة باغية يقاتلهـا المؤمنون مع الإمام، وعلـى هـذا الأصل قام الإمام علـي- رضي الله عنه- بقتال البغـاة في وقعة الجمل وفي وقعة صفين وقام معه بقتالهم أجلاء الصحابة رضوان الله عليهم"[1].

وقيـل لعلـي بن أبي طالب رضي الله عنـه: أمشركون أهل صفـين والجمل؟ قال: لا. من الشـرك فـروا. قيل أفمنافقون ؟ قـال: لا. لأن المنافقـين لا يذكرون الله إلا قليـلا. قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا[2].

في الآية فوائد[3]:

منها: أنهم لم يخرجوا بالبغي عن الإيمان، وأنه أوجب قتالهم، وأنه أسقط عنهم التبعة فيما أتلفوه في قتالهم، وإجازة كل من منع حقّا عليه.

ومنهـا: وجـوب معاونـة من بُغِـيَ عليه،، وعلـى وجوب تقـديم النص، وعلـى السعي في المصالحة.

ومنهـا: وجوب الصلح بين أهـل العدل والبغي، وقتال البغاة، وأن من رجع منهم وأدبر لا يُقَاتل.

ومنها: إن اقتتلت طائفتان لعصبية، أو طلب رئاسة، فهما ظالمتان؛ لأن كل واحدة منهما

(١) في ظلال القرآن: ٦/٣٣٤٣.
(٢) المحرر الوجيز: ٥/ ١٤٨.
(٣) ينظر: تفسير القاسمي: ٨/٥٢٨.

باغية على الأخرى، وتضمن كل واحدة منهما ما أُتْلف على الأخرى.

ومنهـا: الإصلاح بـين الناس واجب على الأئمـة وعلى من ولاه الله أمـور المسلمين. قال المهلـب: إنما يخـرج الإمام ليصلح بين النـاس إذا أشكل عليه أمرهم وتعـذر ثبوت الحقيقة عنـده فيهم، فحينئذ ينهضـ إلى الطائفتين، ويسمع من الفريقين ومـن الرجل والمرأة، ومن كافة الناس سماعًا فاشيًا يدله على الحقيقة، هذا قول كافة العلماء[1].

ومن منهجية التفسير الموضوعي رد الشبهات وتفنيدها إن وجدت:

شبهة وردها:

يُقـال: أنتـم تعلمون أنه لا شيء بعد الكفر بالله أفظـع ولا أقبح من سفك الدماء، فكيف تردعون عن سفك الدم بسفكه؟

وإذا كان إراقـة الدم الأول مفسدة، فكيف زالت تلـك المفسدة بإراقة الدم الثاني؟ وهل هذا إلا مضاعفة للمفسدة وتكثير لها؟

قال ابن القيم – رحمه الله-: فالجواب من طريقين: مجمل، ومفصل.

أمـا المجمل: فهـو أن من شرع هذه العقوبات ورتبها على أسبابها جنسًا وقدرًا فهو عالم الغيب والشهادة، وأحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، ومن أحاط بكل شيء علمًا، وعلم ما كان ومـا يكـون وما لم يكن لو كان كيـف كان يكون، وأحاط علمه بوجـوه المصالح دقيقها وجليلها وخفيهـا وظاهرها، ما يمكـن اطلاع البشر عليه وما لا يمكنهـم، وليست هذه التخصيصات والتقديرات خارجة عن وجوه الحكـم والغايات المحمودة، كما أن التخصيصات والتقديرات الواقعـة في خلقـه كذلك، فهذا في خلقـه وذاك في أمره، ومصدرهمـا جميعًا عن كمال علمه وحكمته، ووضعه كل شيء في موضعه الذي لا يليق به سواه، ولا يتقاضى إلا إياه.

أما قوله: "كيف تردعون عن سفك الدم بسفكه؟

سـؤال في غايـة الوهن والفساد، وأول مـا يقال لسائله: هل تَـرَاهُ رَدَعَ المفسدين والجناة

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال:٨/ ٧٩.

عن فسادهم وجناياتهم وكف عدوانهم مستحسنًا في العقول موافقا لمصالح العباد أو لا تراه كذلك؟

فإن قال: "لا أراه كذلك " كفانا مؤنة جوابه بإقراره على نفسه بمخالفة جميع طوائف بني آدم على اختلاف مللهم ونحلهم ودياناتهم وآرائهم، ولولا عقوبة الجناة والمفسدين لأهلك الناس بعضهم بعضًا، وفسد نظام العالم، وصارت حال الدواب والأنعام والوحوش أحسن من حال بني آدم.

وإن قال: "بل لا تتم المصلحة إلا بذلك"؛ قيل له: من المعلوم أن عقوبة الجناة والمفسدين لا تتم إلا بمؤلم يردعهم، ويجعل الجاني نكالًا وعظة لمن يريد أن يفعل مثل فعله، وعند هذا فلا بد من إفساد شيء منه بحسب جريمته في الكبر والصغر والقلة والكثرة.

ومن أجل ذلك فأوقع العقوبة تارة بإتلاف النفس إذا انتهت الجناية في عظمها إلى غاية القبح كالجناية على النفس أو الدين أو الجناية التي ضررها عام؛ فالمفسدة التي في هذه العقوبة خاصة، والمصلحة الحاصلة بها أضعاف أضعاف تلك المفسدة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (البقرة:١٧٩)، فلولا القصاص لفسد العالم، وأهلك الناس بعضهم بعضا ابتداء واستيفاء، فكان في القصاص دفعًا لمفسدة التجرؤ على الدماء بالجناية وبالاستيفاء.

وقد قالت العرب في جاهليتها: "القتل أنفى للقتل" - وانتشرت عادة الأخذ بالثأر-، وكم كانت سببًا في هدر الدماء المعصومة، وتيتيم الأطفال، وترميل النساء، وضياع الأموال-.

وإذا لم يكن بد من موت القاتل ومن استحق القتل فموته بالسيف أنفع له في عاجلته وآجلته، والموت به أسرع الموتات وأوحاها وأقلها ألمًا، فموته به مصلحة له ولأولياء القتيل ولعموم الناس.

...فكم لله سبحانه على عباده الأحياء والأموات في الموت من نعمة لا تحصى، فكيف إذا كان فيه طُهْرَة للمقتول، وحياة للنوع الإنساني، وتشفٍ للمظلوم، وعدل بين القاتل والمقتول؛ فسبحان من تنزهت شريعته عن خلاف ما شرعها عليه من اقتراح العقول الفاسدة، والآراء

الضالة الجائرة[1].

فالحقيقة القرآنية والفكرة العامة التي قصد إليها القرآن من موضوع سفك الدماء، أنه بسفك الدماء قصاصًا؛ تُحْقَن الدماء.

والمطلوب من العلماء بيان ذلك للناس وتوضيح أثر تنفيذ شرع الله، والمطلوب من الحكام والأمراء تنفيذ حكم القصاص؛ لحقن الدماء.

(١) إعلام الموقعين لابن القيم:٢/ ٧٧-٨٠.

الخاتمة والتوصيات

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه وتعالى القبول الحسن.

وكانت النتائج التي توصل إليها البحث ما يأتي:

١. ليس في الشريعة ذنب يكون مرتكبه في حق واحد من الناس كمن فعله في جميع الناس غير سفك الدماء المعصومة.

٢. في سفك الدماء المعصومة ترك تعظيم أمر الحق، وترك الشفقة على الخلق، وهما ملاك الدين.

٣. قرن الله سفك الدماء المعصومة بالكفر به في عدد من الآيات؛ لشناعة هذه الجريمة.

٤. سفك الدماء المعصومة هدم لمُـرَاد الله من خلق البشرية، وهو إعمار الأرض، وتطبيق الشرع.

٥. من دوافع سفك الدماء: وسوسة الشيطان، الحسد، الاستكبار على الحق والاستنكاف عن اتباعه، البغي، حب الرئاسة، استيلاء العدو على الأوطان، السفه والجهل.

٦. نهج القرآن منهجًا في علاج سفك الدماء تكون من طريقتين: الأولى: التربية الوقائية التي ترعاها المؤسسات في البيت والمدرسة والمسجد والإعلام بكل صوره وألوانه، والطريقة الثانية: التشريع الحكيم الزاجر والعقوبة الرادعة.

٧. الحقيقة التي أبرزها منهج التفسير الموضوعي أن سفك الدماء قصاصًا يحقن الدماء المعصومة.

التوصيات:

١. أوصي بتدريس هذا الموضوع في المدارس والجامعات والمساجد، وأجهزة الإعلام؛ لتربية المهابة في قلوب الناس من الإقدام على مثل هذه الأفعال الشنيعة التي تعطل مراد الله في أرضه.

٢. ونشره في أوصي العلماء وطلاب العلم بضرورة الاهتمام بمنهج التفسير الموضوعي وإنضاجه وتيسير فهمه على المسلمين؛ لأهميته في تناول القضايا المعاصرة وعلاجها.

٣. وضع مناهج ميسرة لتعليم منهج التفسير الموضوعي في الجامعات والمعاهد ودور تعليم القرآن الكريم.

٤. الاهتمام بموسوعة التفسير الموضوعي للموضوع القرآني التي أعدها مركز تفسير للدراسات القرآنية.

المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله، ابن العربي المعافري الأندلسي، تحقيق: علي البجاوي، مطبعة الحلبي، ١٩٥٨م.

٢. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، المحقق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، عناية الشيخ: زهير جعيد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٥. تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٦. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ١٩٩٧م.

٧. التربية الوقائية في القرآن الكريم، حازم حسني حافظ زيود، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩.

٨. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٢، مصر، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٩. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط٤، بيروت،

لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٠. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥ه.

١١. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي،ط٣، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٢. تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٣. تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٤. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٥. تفسير القاسمي(محاسن التأويل)، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيوب السود، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٨ ه.

١٦. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

١٧. التفسير القرآني للقرآن، الدكتور عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٨. التفسير القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، ط١، بيروت، ١٤١٠ه.

١٩. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح الخالدي، ط١، الأردن: دار النفائس، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٠. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، الفجالة، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢١. تفسير مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٢٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٣. الروح، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٢٤. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق بشار عواد معروف، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٥. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق: عزت الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.

٢٦. شرح النووي على مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، حققه وفهرسه: عصام الصبابطي، وحازم محمد، وعماد عامر، دار أبي حيان، ط١، القاهرة، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

٢٧. شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط٢، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

٢٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة السلطانية ١٣١٣هـ.

٢٩. الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تقديم حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٣٨٦م.

٣٠. فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تعليق: الشيخ هشام البخاري، والشيخ خُضر عكاري، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، صيدا، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م.

٣١. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط١٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٢. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٣٤. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم،ط٣، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٥. المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٣٦. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٧. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، والدار النموذجية، ط٥، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٨. المدخل إلى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٣٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله r، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار المغني،ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٠. المسند، الإمام أحمد بن حنبل بن جلال بن أسد الشيباني مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤١. معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة: ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.

٤٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤٣. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٤. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.

٤٥. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم، ط٤، دمشق، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٤٦. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٧. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.

٤٨. النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، ط١ ، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٩. النهي في القرآن الكريم، جمال الدين المصري، دار القلم العربي، ط١ ، ٢٠٠٠م.

عزة عابس محمد الشهري

المؤهـــلات العلـــمية

- دكتوراه:الأصول الإسلامية للتربيةممتاز مع مرتبة الشرف الأولى
- (مـع الحصول علـى المركز الأولى علـى كليـة التربية)١٤٣٥هـ/١٤٣٦هـجامعة أم القرى
- ماجستيرأصول التربية الإسلاميةممتاز مع مرتبة الشرف ١٤٣١هـ/١٤٣٢هـجامعة الملك خالد
- دبلوم تربويدبلوم عام في التربيةممتاز١٤١٩هـ/١٤٢٠هـكلية التربية للبنات بأبها
- البكالوريوسأصـول الدين شعبة القرآنجيد جداً١٤١٧هـ/١٤١٨هـمن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المؤلفات والأبحاث العلمية والتربوية، منها :

١. مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة.
٢. الحـوار من منظـور إسلامي ودوره في مواجهـة بعض المشـكلات الأسرية (دراسة ميدانية).
٣. التوجيه الإسلامي للتفكير العلمي.
٤. تربية الجنين النفسية في ضوء الإسلام.
٥. علم النفس من منظور إسلامي.
٦. قواعـد تربويـة لتعديل السلـوك المنحرف في ضـوء الكتاب الكـريم والسنة النبوية المطهرة.
٧. الوقاية والعلاج النفسي من منظور إسلامي.
٨. تعزيـز مفهوم الفطنة في الإسـلام لدى طلاب وطالبات المرحلـة الثانوية (برنامج تدريبي مقترح للوقاية من الانحرافات الفكرية).
٩. دور المدرسة في تعزيز الأمن الفكري من منظور التربية الإسلامية (تصور مقترح).

الإرهاب بين الدفع والطلب والاعتداء في ضوء القرآن الكريم

إعداد

د. عزة بنت عابس محمد الشهري

مستخلص البحث باللغة العربية :

يهدف البحث إلى تحقيق القول في مصطلح الإرهاب تحقيقاً رصيناً قائماً على آيات الله عـز وجل ومعتمدا على أحاديث الرسول وأقوال المفسرين؛ حتى إذا ما تبدى مفهومه وعرفت دلائله وأحكامه بصورة واضحة أعقب ذلك نظرة في مدى انطباق بعض المصطلحات القرآنية علـى مشكلـة الإرهاب وممارساته المتداولـة في هذا العصر، يليه إيضـاح لبعض المعالم التي قدمهـا القرآن الكـريم لتحقيق الأمن في المجتمعات ومن ثم تقـديم بعض الأساليب التربوية لتحصين الشباب من الانحرافات الفكرية والسلوكية لمواجهة إشكالية الإرهاب.

وستنتظم الدراسة ثلاثة فصول يعنى أولها بالوقوف على مفهوم الإرهاب وضبط المراد به في القرآن الكريم، وبيان دلالته والحكم فيه، وسيتصدى الفصل الثاني لبعض المصطلحات القرآنيـة المقابلة لمشكلة الإرهاب وممارساته المتداولة في هذا العصر، ومن ثم إيضاح بعض المعـالم القرآنيـة لتحقيـق الأمن في المجتمعـات، أما الفصـل الثالث فسيكـون طرحاً لبعض الأساليـب التربوية المستنبطة من القرآن الكريم لتحصين الشباب من الوقوع في الانحرافات الفكرية والسلوكية، يعقب ذلك الخاتمة التي ستشتمل على نتائج البحث و التوصيات وبعض المقترحات، وستوظف الدراسة المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي في نسيج خيوطها والربط بين فقراتها وموضوعاتها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدوان إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد

فإن الإسلام دين الله عز وجل الذي ارتضاه لنفسه واختاره لخلقه؛ ليحققوا عبادته في الأرض قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (آل عمران: ١٩) ولن يقبل سبحانه وتعالى من البشر ديناً سواه قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران: ٨٥).

وذلك لأن الإسلام دين تميز بالكمال والشمول والصلاح لكل زمان ومكان وإلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها وهو منهج شامل للحياة، يحقق للإنسانية الصلاح، ويبين الطريق الأمثل للسير في هذه الدنيا وهو الضامن والكفيل لتحقق السعادة في الدارين، قال تعالى: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (طه: ١٢٣، ١٢٤)

وإن تحقق السعادة المرجوة في هذه الحياة يقتضي خضوع كيان الإنسان للإسلام ديناً، بحيث يشبع العقل يقيناً ويتفاعل القلب وجداناً وتسير الجوارح برضا تام لتقبّل نظمه وأحكامه شرعةً ومنهاجاً، ويعتقد المسلم اعتقاداً جازماً أن هذه الشريعة آتيةٌ من عند الله وأنها الحق كما أخبر سبحانه وتعالى وما سواها باطل قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) (محمد: ٢ - ٣).

وبأن القرآن الكريم هو مصدر الدين الإسلامي الأول، أنزله الله سبحانه وتعالى على محمد ﷺ تبياناً لكل شيء قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل: ٨٩)، فأخرج الله عز وجل به الناس من ظلمات الوثنية إلى نور العقيدة الصحيحة الصافية، ومن عبادة غير الله عز وجل إلى عبادة الله سبحانه وتعالى

وحـده قال تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِـنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (المائدة: ١٥، ١٦). وهـو السيـاج المنيع الذي يحمـي المجتمعات المسلمة من التبـدد والاضمحلال وهو القـوة التي تقف في وجه تحديات كل عصر بل وتعالج مشـكلات الإنسانية جمعا، وهو المنهج الذي يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام.

مشكلة البحث:

يعد الإرهاب ظاهرة تاريخية ضاربة الجذور في الزمن، وقد عرفتها المجتمعات البشرية عامة، وإذا كانت هذه الظاهرة في تزايد مطرد بفعل عوامل مختلفة، إلا أنه يمثل اليوم تحديّا عالميّاً وإقليميّاً، فقد رصد مؤشر الإرهاب العالمي، تصاعد غير مسبوق للعمليات الإرهابية في العـام الجـاري، وحصدت أكثر من ٥٩ ألف قتيل و٨٥ ألف جريح، وتدمير نحو ٣ آلاف منشأة عامة وخاصة، وكلفت العالم خسائر بلغت نحو ٥٢,٩ مليار دولار، خاصة بعد سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية المعروف بـ "داعش" في سوريا والعراق، وبوكو حرام في نيجيريا. [١]

ومما يزيد الأمر سوءً أن الممارسـات الإرهابية التي تبناها بعض الضالين من المسلمين -ممـن أخـذوا الفتيا الشرعية من غير أهلهـا وحرفوا النصوص الأصليـة فرأو في الجريمة جهـاداً وفي الانتحـار استشهـاداً وفي قتـل الأبرياء واجباً دينيـاً يثابـون عليه- أعطت فرصة للمغرضـين المتربصـين بالإسـلام أن يطعنـوا في الدين القـويم ويتهموا أتباعـه بجرم هذا الفصيل السفيه الذي لا يمثل الإسلام بأي حال من الأحوال. وقد أسهم هذا إلى حد كبير في رسم صورة قاتمة عن الإسلام والمسلمين وإيجاد علاقة شكلية بين الإرهاب والإسلام.

وهـذا ما جعل الحاجة قائمة لمعالجة تأصيلية لتلك الإشكالية؛ لذا فقد دعت العديد من المؤتمـرات الإسلامية واللقـاءات العلمية والدراسات التربويـة إلى تشكيل منظومة إسلامية تأصيليـة تتصدى لإشكالية الإرهاب وتدرأ خطره العظيم على أمتنا وعلى العالم أجمع وترفع تشويهه لصورة الإسلام والمسلمين[٢].

(١) انظر: تقرير مؤشر الإرهاب العالمي لعام ٢٠١٥ (الإصدار التاسع) والصادر عن معهد الاقتصاد والسلام (IEP)

(٢) انظـر: المؤتمر الإسلامي العالمي "الإسلام ومحاربة الإرهاب" والذي نظمته رابطة العالم الإسلامي تحت رعاية خـادم الحرمـين الشريفين الملك سلمان بن عبـد العزيز آل سعود حفظه الله المنعقـد في مكة المكرمة في الفترة من٣-١٤٣٦/٥/٦هـ الموافق ٢٢-٢٠١٥/٢/٢٥م

وتأسيساً على ما سبق، وكون حركات العنف وجرائم الإرهاب أصبحت ظاهرة عالمية ومشكلة خلفت وراءها خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات وتطاول الأمر لاستغلال الشباب المسلم والتغرير بهم وزجهم في منظمات إرهابية وحثهم على تدنيس المقدسات وقتل الأهل والأقارب، وخطف وتهديد الأبرياء، والتَعَدّي على المجتمعات المسلمة على وجه الخصوص الآمنة بطبعها وبفضل ربها وخالقها والتي تستهجن العنف والغلو والإرهاب اتفاقا مع الشرع القويم الذي يدعوا إلى تحية السلام ودار السلام، ويحث عباده على العدل والإحسان، وينهى عن الظلم والاعتداء والطغيان، ويعد عباده المؤمنين المتبعين لنهجه القويم وصراطه المستقيم بالتمكين في الأرض والأمان؛ واستجابة لدعوة كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد لعقد المؤتمر الدولي القرآني الأول لتوظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة، فقد ارتأت هذه الدراسة تحقيق القول في مصطلح الإرهاب تحقيقا رصيناً قائماً على آيات الله عز وجل ومعتمداً على أحاديث الرسول وأقوال المفسرين؛ حتى إذا ما تبدى مفهومه وعرفت دلائله وأحكامه بصورة واضحة أعقب ذلك نظرة في مدى انطباق بعض المصطلحات القرآنية على الأعمال الإرهابية المتداولة في هذا العصر، ومن ثم عرض عدد من المعالم القرآنية لتحقيق الأمن مع تقديم بعض الأساليب التربوية المستنبطة من القرآن الكريم لتحصين الشباب من الانحرافات الفكرية والسلوكية لمواجهة إشكالية الإرهاب.

أسئلة البحث:

يطرح البحث سؤالاً رئيساً هو:

ما المقصود بالإرهاب بين الدفع والطلب والاعتداء في ضوء القرآن الكريم؟

وينطلق من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

س١-ما مفهوم الإرهاب ودلالته في القرآن الكريم؟

س٢-ما موقف القرآن الكريم من مشكلة الإرهاب وممارساته المتداولة في هذا العصر وما طرق التصدي لها؟

س٣-كيف حقق القرآن الكريم الأمن داخل المجتمعات المسلمة.

س٤-كيف يمكن وقاية الشباب من الانحرافات الفكرية والسلوكية.

أهداف البحث:

تحديد مفهوم مصطلح الإرهاب ودلالاته في ضوء القرآن الكريم.

توضيح موقف القرآن الكريم من مشكلة الإرهاب وممارساته المتداولة في هذا العصر وطرق التصدي لها.

بيان بعض المعالم التي جاء بها القرآن الكريم لتحقيق الأمن داخل المجتمعات المسلمة.

عرض بعض الأساليب التربوية المستنبطة من القرآن الكريم والتي يمكن من خلالها وقاية الشباب من الانحرافات الفكرية والسلوكية.

أهمية البحث:

تنبع أهمية أي بحث من قيمته العلمية النظرية بالإضافة إلى فائدتها العملية التطبيقية ومن هنا يمكن القول بأن أهمية البحث الحالية تمثلت فيما يلي:

تكمن أهمية البحث في ارتباطه بالقرآن الكريم المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي؛ والمنهج القويم لحياة المسلم فهو نظام متكامل يرشد الإنسان إلى الطريق الصحيح وإلى السلوك الأمثل الموصل لطريق السعادة في الدارين، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (الإسراء:٩). فهذا بحث تأصيلي يقوم على أسمى المعالجات التربوية المستنبطة من القرآن الكريم لمواجهة المشكلات المعاصرة

يتزامن هذا البحث مع الممارسات الإرهابية والأحداث المؤلمة التي اجتاحت العالم بشكل عام والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة.

تكمن أهمية هذا البحث في أنه كشف النقاب في مواطن عديدة عن تصور خاطئ اعتقده الكثير -ممن لا معرفة لهم بتراث الأمة الإسلامية – يكمن في أن مصطلح الإرهاب في الإسلام مرادف لمفهوم العنف والقتل بينما مشتقات مصطلح الإرهاب في القرآن الكريم لم تشتمل على أدنى دلالة على ممارسة فعلية للقتل العشوائي والتدمير الشامل والتخويف غير المنضبط.

يفيد هـذا البحث في كشف الزيف والتشويه الذي لحـق بالمفاهيم والدلالات والمضامين الإسلاميـة ومن ضمنها مفهوم الإرهاب الذي نسب للإسلام وربط بثقافته، وبناء القناعات الفكرية التي تمثل سياجاً يحمي المسلم من اتباع الأساطير المعاصرة.

أهميـة الأساليـب التربوية المستنبطة من القرآن الكـريم والتي تناولها البحث في مجال وقايـة الشباب من الانحرافـات الفكرية والسلوكيـة، والتي يمكن عند الالتـزام بها من قبل المربين سد الفجوة وردم الخلل.

يساعد هذا البحث في إمداد مكاتب التوجيه والإرشاد التربوي بأساليب تربوية مستنبطة مـن القرآن الكـريم يمكن تضمينها برامج توجيـه وإرشاد الشباب في ضـوء ما يقابلونه من تحديات تستهدفهم.

منهج البحث:

بمـا أن هذه الدراسة قائمة في الأساس علـى آيات القرآن الكريم فقد اتبعت الباحثة في الدراسة:

المنهـج الاستنباطي وهو: " بذل أقصـى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخـراج مبادئ تربويـة مدعمة بالأدلة الواضحة "[1]، وقد وظفـت الباحثة هذا المنهج من خـلال استنباط المعـالم القرآنية التي يمكـن أن يتحقق من خلالها الأمـن، كذلك استنباط الأساليب التربوية التي تحمي الشباب من الانحرافات الفكرية والسلوكية.

والمنهـج الوصفي وهو الذي "يعتمد على دراسـة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتـم بوصفهـا وصفاً دقيقـاً، ويعبر عنها تعبيراً كيفيـاً أو تعبيراً كميـاً"[2]، حيث تم وصف دلالات مصطلـح الإرهـاب في القرآن الكريم، وبالتـالي عرض للمصطلحـات القرآنية التي تقابـل الممارسات الإرهابيـة المتداولة في هذا العصر ومن ثمّ وصف طـرق التصدي لها كما جاءت في القرآن الكريم.

(١) فـودة، حلمي وصالـح، عبد الرحمن. المرشـد في كتابة الأبحـاث، ط٦. جدة، دار الشـروق، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م، ص٤٣.

(٢) عبيدات، ذوقان وآخرون. البحث العلمي النوعي و الكمي، ط(١)، (د:ن)، ١٤٢٣ه/٢٠٠٢م.، ص ٩٥.

مصطلحات البحث:

أولاً: الإرهاب.

عـرّف المجمـع الفقهـي الإسلامي الإرهـاب بأنـه: " العدوان الـذي يمارسه أفـراد أو جماعـات أو دول بغياً علـى الإنسان (دينه وماله وعقله وعرضـه) ، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديـد بالقتل بغير حق، ومـا يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد به يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقـاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أموالهم للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض كما قال تعالى: ولا تبغي في الأرض الفساد"[1].

وورد في الموسوعة العربية العالمية أن الإرهاب هو: "استخدام العنف أو التهديد به لإثارة الخوف والذعر، يعمل الإرهابيون على قتل الناس أو اختطافهم، كما يقومون بتفجير القنابل واختطـاف الطائـرات وإشعـال النيران وارتكاب غـير ذلك من الجرائم الخطـيرة، كما أن معظم الإرهابيين يرتكبون جرائمهم لدعم أهداف سياسية معينة"[2].

وتقصـد الباحثة بالإرهاب في تعريفها الإجرائي: كل سلوك عنيف يخالف الشرع لفظياً كان أو فعليـاً ينتـج عنه إثارة الفـزع والرعب بين الناس أو يتعدى علـى الممتلكات الخاصة أو العامة يصدر من أفراد أو جماعات ويهدف لتحقيق اطماع خاصة أو مقاصد سياسية.

(١) المجمع الفقهي أصدره بتاريخ ١٥-١٠-١٤٢١ه الموافق ١٠-١-٢٠٠١م.

(٢) مجموعـة من العلماء والباحثين. الموسوعة العربيـة العالمية. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩ه – ١٩٩٩م.

الفصل الأول
مفهوم الإرهاب

تمهيد :

يجد الباحث في المصادر العقدية وفي تراث الفكر الإسلامي في العصور الأولى أنها لم تتعرض لتعريف منضبط لمصطلح الإرهاب يتوافق والصور التي يتم عرضها وتداولها وترددها في وسائل إعلام هذا العصر، وذلك لأن مفهوم الإرهاب وإشكاليته مرتبط بالأزمنة والأمكنة والأحوال والمنفذين والمتضررين، لذا كان من الضروري الوقوف على مفهوم هذا المصطلح في اللغة والاصطلاح وبالتالي الوقوف على دلالاتها كما جاءت في القرآن الكريم ومدى توافقها مع المشاهد اليوم من صور الرعب والإفزاع، من خلال التالي:

أولاً: الإرهاب في اللغة :

قال الراغب الأصفهاني: الرهبة والرهب: مخافة مع تحرز واضطراب؛ يقول تعالى: (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) (القصص: ٣٢)، وقُرِئَ من الرهب؛ أي: الفزع.[١] والإرهاب: مصدر أرهب؛ أي: أخاف، ومرادفاتها أفزع وروع، ونحو ذلك، وأرهبه واسترهبه؛ أخافه وفزعه[٢]، والراهب: المتعبد ومصدره الرهبة والرهبانية بفتح الراء فيهما. والترهب: التعبد[٣]، ومن ثم قيل للراهب راهب لأنه يديم الخوف، والخوف أصله من قولهم جمل رهب

(١) الحدادي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين. التوقيف على مهمات التعاريف. القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص: ١٨٢.

(٢) مرتضى الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. الرياض، دار الهداية، د.ت، ج٢، ص: ٥٣٨، وانظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. مختار الصحاح، ط٥. صيدا، الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م. ص: ١٣٠. ٨٧. وابن منظور، محمد بن مكرم بن على. لسان العرب، ط٣. بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م، ح١، ص: ٤٣٦. ١٠٤. والهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري. تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب. بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٤٢١ه-٢٠٠١م، ج٦، ص: ١٥٥.

(٣) مختار الصحاح، المرجع السابق، ص: ١٣٠.

إذا كان طويل العظام مشبوح الخلق.[1]

والمتأمل في لفظ الإرهاب من حيث لغويته يجد أن جذره (رهب) يعني الخوف والفزع ومن حيث الإجراء فهو يعني مباشرة الإفزاع والترويع والتخويف، ومن حيث الحال فهو يأخذ صفة الدوام.

ثانياً: الإرهاب في الاصطلاح:

ورد في الموسوعة العربية العالمية: " الإرهاب هو استخدام العنف أو التهديد به لإثارة الخوف والذعر، يعمل الإرهابيون على قتل الناس أو اختطافهم، كما يقومون بتفجير القنابل واختطاف الطائرات وإشعال النيران وارتكاب غير ذلك من الجرائم الخطيرة، كما أن معظم الإرهابيين يرتكبون جرائمهم لدعم أهداف سياسية معينة"[2].

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "مجموع أعمال العنف التي تقوم بها منظمة أو أفراد قصد الإخلال بأمن الدولة وتحقيق أهداف سياسية أو خاصة أو محاولة قلب نظام الحكم "[3].

مما سبق يتضح أن مصطلح الإرهاب في الاصطلاح يطلق على أعمال العنف والتخويف وكل ما يثير الفزع والفوضى والاضطراب والخراب وقد تباينت أشكاله وتنوعت صوره يمارسه أفراد أو منظمات بهدف تحقيق مطامع سياسية معينة، أو غيرها، ومن نتائجه الفوضى والاضطراب واختلال الأمن والتخلف وهذا كله من صور الفساد في الأرض قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصص: ٧٧).

---

(١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. معجم الفروق اللغوية. قم، مؤسسة النشر الإسلامي،١٤٢١ه، ص: ٢٦١.

(٢) السلومي، محمد بن عبد الله. القطاع الخيري ودواعي الإرهاب، سلسلى كتاب البيان، الرياض، مجلة البيان، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م، ص١١٠، وانظر: السائح، عبد الحميد. الإرهاب أنواعه وأخطار. عمان، دار الصباح، ص١٨.

(٣) عمر، أحمد مختار عبد الحميد. معجم اللغة العربية المعاصرة. بيروت، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م، ج٢، ص: ٩٤٩.

ثالثاً : دلالات مصطلح الإرهاب في القرآن الكريم.

وردت مادة رهب ومشتقاتها التي تحمل معاني الخوف والفزع في اثنتي عشر آية من آيات القرآن الكريم والمتأمل في سياقها القرآني يجد أنها لم تشتمل على أدنى دلالة على ممارسة فعلية للقتل العشوائي والتدمير الشامل والتخويف غير المنضبط، بل له معاني متعددة وفق السياقات التي جاءت فيها؛ بل أن بعضها يدل على معانٍ عظيمة مرغوب فيها، ويمكن سرد تلك المعاني على النحو التالي:

معاني للدلالة على الخشية والخوف من الله تعالى والخضوع له، وهذه المعاني من أجل عبادات القلوب وأعمالها المطلوبة شرعاً، ومن الآيات الدالة على هذا المعنى: قوله تعالى: (يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (البقرة: ٤٠)، قال أبو جعفر: وتأويل قوله تعالى: "وإياي فارهبون" وإياي فاخشوا "[١]، وقوله تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) (الأعراف: ١٥٤)، جاء في تفسير الطبري رحمه الله "ورحمة للذين هم لربهم يرهبون"، يقول: للذين يخافون الله ويخشون عقابَه على معاصيه"[٢]. ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (للذين هم لربهم يرهبون) ضمن الرهبة معنى الخضوع؛ ولهذا عداها باللام.[٣]، وقوله تعالى: (يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (البقرة: ٤٠)، وتأويل قوله: "وإياي فارهبون"، وإياي

(١) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م. ج١، ص: ٥٥٩.

(٢) تفسير الطبري. مرجع سابق. ج١٣، ص: ١٣٨. وانظر: الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ ه - ٢٠٠٢م، ج، ص: ١٥٨. والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة، دار الكتب المصرية ،١٣٨٤هـ -١٩٦٤ م، ج٧، ص: ٢٩٣. وانظر: ابن عباس، عبد الله. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى. لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨ه-١٩٩٢ م، ص: ١٣٨.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري. تفسير القرآن العظيم، ط٢، المحقق: سامي بن محمد سلامة. الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، ج٣، ص: ٤٧٨. وانظر: تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٥/ ٤٨)

فاخشون، وخافون "[1]، وقوله تعالى في نعت أنبيائه عليهم السلام: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء: ٩٠). (وَرَهَبا): يعني "رهبة منهم من عذابه وعقابه"[2]، وعن ابن جريج في قوله: ويدعوننا رغبا ورهبا قال: رغبا: طمعا وخوفا، وليس ينبغي لأحدهما إن يفارق الآخر"[3]. وقال ﷺ: "اللهم إني أسلمتُ نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك"[4]. ومن جملة الدعاء الذي كان يقوله النبي عليه الصلاة والسلام: " رب اجعلني لك شكارا، لك ذكارا، لك رهابا"[5]، وقوله تعالى: (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (النحل: ٥١)، (فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) يقول: فإياي فاتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتموني وعبدتم غيري، أو أشركتم في عبادتكم لي شريكا[6].

وهذه الرهبة من الخالق عز وجل والتي أمر الله بها واجبة في حق المسلم لأنها تصله إلى مرضاة الله عز وجل، فعلى قدر قوته من البصر بالله يدرك تقوى الله ورهبته. فعن عبد الله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله

(١) تفسير الطبري. مرجع سابق، ج ١، ص: ٥٥٩. وانظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم.ط٣. المحقق: أسعد محمد الطيب المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م، ج١، ص: ٩٦. والثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: محمد بن عاشور. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠٢ م، ج١، ص: ١٨٧.

(٢) تفسير الطبري. مرجع سابق، ج١٨، ص: ٥٢١.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم. مرجع سابق. ج٨، ص: ٢٤٦٦.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه -صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ج١، ص: ٥٩.

(٥) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. الجامع الكبير سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف. بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٤١٨ه-١٩٩٨ م، ج، ص: ٥٥٤.

(٦) تفسير الطبري. مرجع سابق، ج ١٧/ ٢٢٠)، وانظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة، دار الكتب المصرية ،١٣٨٤هـ -١٩٦٤ م، ج١٠، ص: ١١٣. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس. مرجع سابق. ص: ٢٢٥.

وتثنوا عليه بما هو له أهل وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين"[1].

معاني للدلالة على الرهبانيين والرهبانية: وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس في قوله تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (المائدة: ٨٢)، وقوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبة: ٣١)، وقوله تعالى: (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد: ٢٧)، "ورهبانية" أي مبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة إلى (الرهبان) وهو المبالغ في الخوف، من رهب كالخشيان من (خشيَ)[2]. فالصلة بين الرهبة والرهبانية جلية واضحة، فالمبالغة في الخوف من الله عز وجل رفعت أتباع سيدنا عيسى عليه السلام إلى المبالغة في العبادة والابتداع في الدين والخروج عن حدود ما جاء به عيسى عليه السلام.

معاني للدلالة على الخوف والفزع، كقوله تعالى: (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) (القصص: ٣٢)، والرهب: مثل الرهبة ومعناهما الخوف والرعب"[3]، وهناك خوف وفزع ناتج عن تأثير البشر في بعضهم وهذا الإرهاب له جانبين:

جانب محمود: يتمثل في إرهاب الدفع والطلب، أما الدفع فهو: الردع والمقاومة واستخدام

(١) تفسير ابن أبي حاتم. مرجع سابق. ج٨، ص: ٢٤٦٦.

(٢) تفسير ابن كثير. مرجع سابق. ج٤، ص: ٣١٦، وتفسير الطبري. مرجع سابق. ج١٩، ص:٥٧٥

(٣) البصري، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى. مجاز القرآن. القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٣٨١ هـ، ج٢، ص: ١٠٤. وانظر: تفسير الطبري مرجع سابق. ج١٩، ص: ٥٧٥، وتفسير ابن أبي حاتم. مرجع سابق، ج٩، ص: ٢٩٧٥.

القـوة مـن قبل المؤمنين لصد المعتدي وقد أمر الله عز وجل به في الآية الأخيرة من ست آيات تحـدث فيها القـرآن الكريم عن الذين كفروا ولم يجيبوا دعـوة الله ، بل حاربوا الله ورسوله ولم يحترموا العقود والمواثيق؛ قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُـمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِـمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَـا تُنْفِقُوا مِنْ شَـيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُـوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (الأنفـال: ٦٠) "تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ" أي تخيفـون وترعبون [١] ، (ترهبون به عـدو الله وعدوكم) ، يقول: تخيفون بإعدادكم ذلك عدوَّ الله وعدوكـم من المشركـين"[٢] ، (تُرْهِبُونَ بِهِ) تُخَوِّفُـونَ (عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُـمْ وَآخَرِينَ) أَيْ: وَتُرْهِبُونَ آخَرِينَ، (مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) ، فبالرغم من أن القرآن الكريم ينهى عن العنف اعتداءً وظلماً، إلا أنه في ذات الوقت ينهى المؤمنين أن يقفوا أذلاء أمام أعداءهم؛ فالغايـة من الإعـداد إرهاب الأعداء، وهـذا الإرهاب لا يعني بأي حال مـن الأحوال شرعية الترويـع والقتل وإراقة الدماء والهدم والاختطاف، إنما المقصود منه كف الاعتداء ومقاومة العـدو ومنعه مـن السيطرة على بلاد المسلمـين وهذا عمل مشروع ومطلـوب من المؤمنين أن يحشـدوا ما يستطيعـون من أسباب القوة حتـى يكونوا مرهوبين في الأرض لتكون كلمة الله هـي العليا، الإسلامة وحقوق محفوظة فبي الدولي والمحـالي ينكرة الإسلام ويتلرا منه وقد طبـق النبـي ﷺ مفهوم (الإرهاب) وفق المدلول القرآني سابق الذكر فقد أمر عليه السلام عمه العباس رضي الله عنه في فتح مكة أن يحبس أبا سفيان في شعب وأن يوجه كتائب جنود المسلمين لتمر أمامه كتيبة كتيبة [٣] فكان من نتائج ذلك الإرهاب فتح مكة ولم تزهق أي روح ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ملمحا إلى معنى الردع الذي نتج عنه كف أيدي الكفار عن المسلمـين وعـدم نشوب الحرب في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُـمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْـنِ مَكَّـةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) (الفتح: ٢٤) ، وانتهى فتـح مكة بتطبيق النبي عليه السلام للمفهـوم السلمي للإرهاب عندما خاطب قريش قائلاً:

(١) مجاز القرآن. مرجع سابق. ج١، ص: ٢٤٩.

(٢) تفسير الطبري مرجع سابق. ج١٤، ص: ٣١. وانظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، المحقق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي،١٤٢٠ ه-٢٠٠٠م، ج ٣، ص: ٣٧٣.

(٣) انظـر: ابـن أبـي شيبة، عبد الله بـن محمد بن إبراهيم بـن عثمان بن خواستـي العبسي. الكتـاب المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت. الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٩ه-١٩٨٩م، ج٧، ص ٣٩٩.

اذهبوا فأنتم الطلقاء" فلم يمارس عليه السلام حقه المشروع في العقاب بالمثل.

وأما إرهاب الطلب: فلم ترد مادة رهب ومشتقاتها في القرآن الكريم للدلالة عليه؛ وهو جهاد شرعه الله للمسلمين ضد الكفارَ إذا لم يقبلوا الإسلام أو يخضعوا لحكمه حتى ينتشر الإسلام، ويسود الأمن ويعم السلام، وهو جهاد تمتزج فيه روح التسامح والعفو في كثير من الأحيان، فليس الغرض منه التسلط على الناس، أو أخذ أموالهم أو سفك دمائهم، إنما الغرض هو إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ونشر هذا الدين؛ لأنه دين البشرية الذي ارتضاه الله لخلقه قال تعالى:)وَقَاتِلُوَهُمْ حَتّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ((الأنفال : ٣٩)، ومن متطلبات إرهاب الطلب ما يلي:

أولاً: الدعوة أولاً إلى الإسلام، فلا بد أن يسبق الجهاد الدعوة إلى الله عز وجل، فقد ثبت عنه ﷺ الحرص على عرض الإسلام والدعاء إليه قبل القتال، فعن ابن عباس قال: ما قاتل النبي ﷺ قوما حتى يدعوهم.(١)

ثانيًا: أن يكون بأمرٍ من ولي أمر المسلمين، فما كان المسلمون يقاتلون بدون أمر الرسول ﷺ، وكذلك الخلفاء من بعده، وكان ﷺ هو الذي يقود الجيوش بنفسه، وأحيانًا يخلف عليها قادة من المسلمين.

ثالثًا: القدرة على القتال والاستعداد له، فإذا لم يكن هناك قوة ولا استطاعة لدى المسلمين، فإنه يجب عليهم تأجيله، حتى لا يلحقهم انتكاسة ويتمكن منهم الأعداء ولهذا كان الله عز وجل يأمر نبيه في أول دعوته في مكة المكرمة بالعفو والصفح وانتظار أمره سبحانه وتعالى، وذلك لضعفهم وعدم استطاعتهم؛ فالجهاد يحتاج إلى قوة وتمكين.

رابعاً: الالتزام بتعاليم الإسلام المرتبطة بإرهاب الطلب، ومن تلك التعاليم النهي عن العدوان وترويع الآمنين وقتل الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال أو تتبع الفارين المستسلمين أو إيذاء غير المحاربين العدوانيين، فقد قرر القرآن الكريم أن قتال الذين لا

(١) الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. مرجع سابق. ج ٣، ص ٤٨٦. مصنف ابن أبي شيبة. مرجع سابق. ج ٦، ص ٤٧٦.

يشتركون في القتال ولا يَقدرون عليه هو نوعٌ من الاعتداء الذي ذَمَّه وحرَّمه، وعدَّه الإسلام من الجرائم الحربيَّة، قال تعالى:) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّه لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ((البقرة: ١٩٠)، ولم يقتصر النهي عن الاعتداء على البشر؛ وإنَّما تجاوز ذلك ليشمل النهي عن الإتلاف، وقطع الشجر، وقتل الحيوانات، وتخريب الممتلكات بغير مصلحة، أو ضرورة تقتضي الإقدامَ على ذلك، وقد كان من وصايا أبي بكر رضي الله عنه لأمراء الجند" لا تقتلن شيخا فانيا ولا ضرعا صغيرا ولا امرأة ولا تهدموا بيتا ولا تقطعوا شجرا مثمرا ولا تعقرن بهيمة إلا لأكل ولا تحرقوا نخلا ولا تقصر ولا تجبن ولا تغل"[١]. وهذا سُمُوٌّ أخلاقي لم تعرفْ له البشرية مثيلاً في تاريخها قديمًا وحديثًا. بل وحث القرآن الكريم على الجنوح للسلم وقبوله عند عرضه، قال تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الأنفال: ٦١).

جانب مذموم: وهو الإرهاب الذي يُصرف لغير الله وهو أحق به أو الإرهاب الذي فيه اعتداء على الغير، ومثل الأول قوله تعالى: (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) (الحشر: ١٣)، يقول تعالى ذكره للمؤمنين: (لأنتم) يا معشر المسلمين (أشد رهبة) أي خوفا وخشية (في صدورهم من الله) يعني صدور بني النضير. وقيل: في صدور المنافقين. ويحتمل أن يرجع إلى الفريقين، أي يخافون منكم أكثر مما يخافون من ربهم ذلك الخوف"[٢]، والثانية كقوله تعالى: (قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) (الأعراف: ١١٦)، "واسترهبوهم، يقول: واسترهبوا الناس بما سحروا في أعينهم، حتى خافوا من العصيّ والحبال، ظنًّا منهم أنها حيات"[٣].

مما سبق نلاحظ أن دلالات الإرهاب كما جاءت في القرآن الكريم لا تدعوا إلى العنف أو القتال ولا تحض الناس عليه وأن مصطلح الإرهاب المتداول اليوم على المستوى الدولي

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى). د،ن،د.ت، ج٢٤، ص ٤٠٥.

(٢) تفسير القرطبي. مرجع سابق.ج١٨، ص ٣٥. وانظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس. مرجع سابق. ص: ٤٦٥. والرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٣. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ه -٢٠٠٠م، ج ٢٩، ص: ٥١٠.

(٣) تفسير الطبري. مرجع سابق. ج١٣، ص ٢٧.

والمحلي المتضمن للقتل والترويع وإفزاع الناس وانتهاك حقوق المعصومين في دمائهم أو أعراضهم أو أموالهم أو غير ذلك مما كفلته الشريعة لهم أو الفساد في الأرض، ينكره الإسلام ويتبرا منه، وهذه الأفعال تقابل مصطلحات في القرآن غير مصطلح الإرهاب تم عرضها في الفصل التالي.

الفصل الثاني

الممارسات الإرهابية المتداولة في هذا العصر وموقف القرآن الكريم منها

تمهيد :

صنف القرآن الكريم أعمالاً ضمن أشد الأعمال جرماً وأعظمها إثماً وهي تصنف في القوانين المعاصرة ضمن الأعمال الإرهابية، وقدم معالجات وحلول صارمة للتصدي لها ومكافحتها وهذا يدل على سبق القرآن وتقدمه في مكافحة هذه الآفة المتضمنة للأعمال الشنيعة والعنف المنبوذ ، كما أنه وضع معالم لتحقق الأمن والسلام تم إيضاحها من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول

مصطلحات قرآنية تقابل الممارسات الإرهابية المتداولة في هذا العصر وطرق مكافحتها

في القرآن الكريم الفاظ شرعية محددة ومنضبطة تعطي مفهوماً واضحاً للأعمال الإرهابية المتداولة في هذا العصر وقد أنكرها القرآن وتصدى لها وقدم معالجات صارمة للقضاء عليها على النحو التالي:

أولاً: مشكلة الإفساد في الأرض، وتشمل كل صور الإفساد من ترويع للآمنين وقطع للطريق ونهب وتدمير وإخلال بالأمن...الخ، وقد أنكر الله عز وجل على بني إسرائيل فسادهم في الأرض وسعيهم فيها بنيران الحروب فقال الله تعالى: (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (المائدة: ٦٤)، وقال تعالى: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) (البقرة: ٢٠٥)، عن ابن جريج في قوله: "سعَى في الأرض ليفسد فيها: يعني قطع الرحم، وسفك الدماء، دماء المسلمين، فإذا قيل: لم تَفعل كذا وكذا؟ قال أتقرب به إلى الله عز وجل"[1]، وهذا هو الحاصل اليوم من الفئات الإرهابية الضالة، وعقوبة هذا الإفساد مغلظ في القرآن الكريم كما قال تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة: ٣٣)، فهذه الآية تبين الجزاء الشرعي للإرهابيين المحاربين الساعين في الأرض بالفساد.

ثانياً: القتل: سواءً قتل المسلمين أو المعاهدين فقد نهى القرآن عن قتل النفس التي حرم الله، قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

(١) تفسير القرطبي. مرجع سابق. ج ٤، ص: ٢٣٩.

تَعْقِلُونَ) (الأنعام: ١٥١) وهذا محرم مؤكد التحريم وجرم عظيم في الإسلام يستوجب القتل في الدنيا والخلود في النار مع حلول غضب الله ولعنته على الجاني، قال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (النساء: ٩٣)، وأي وعيد عظيم بعد هذا الوعيد! الذي تنخلع من هوله القلوب وتقشعر منه الجلود وترتدع منه النفوس عن التعدي على الغير وإزهاق نفوسهم ظلماً وعدوانا، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) (الفرقان: ٦٨، ٦٩)، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة، لقي الله عز وجل مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله"(١). وقال ﷺ: " لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق"(٢). وقد جعل الله قتل نفس واحدة بغير حق كقتل الناس جميعاً، وإحياءها كإحياء الناس جميعاً، قال تعالى: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) (المائدة: ٣٢)، وعظم الإسلام الكريم حق المقيم في ديار المسلمين وجعل له حرمة شرعية تحفظ له حقه في الحياة أمناً وتوعد عليه الصلاة والسلام من يسفك دمه بالحرمان من الجنة وريحها فقال النبي -ﷺ: "من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما "(٣)، وجعل القرآن الكريم قتله خطأ كقتل المؤمن خطأ سواءً بسواء تجب فيه الدية والكفارة، لقوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء: ٩٢).

(١) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. بيروت، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩ م، ج ٢، ص ٨٧٤.

(٢) سنن الترمذي. مرجع سابق. ج٣، ص: ٦٨. وانظر: سنن ابن ماجه. مرجع سابق. ج٢، ص: ٨٧٤. والبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني. السنن الكبرى، ط٣، المحقق: محمد عبد القادر عطا. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م، ج ٨، ص: ٤٢.

(٣) صحيح البخاري. مرجع سابق. ج٤، ص: ٩٩.

ثالثـاً: الحرابة: وهـي الاعتداء والسلـب وإزالة الأمـن وإخافة النـاس وإرهابهم وقطع الطريق والخروج عن النظام بل عن تعاليم الإسلام الذي جاء ليحقق الأمن من جميع جوانبه، وتتحقق الحرابة بترويع الأمنين وبث الرعب في نفوس الضحايا وإرهابهم وقد يتحقق بطرق الحيلـة والإكراه أو باستخدام الوسائل المادية كالسلاح وهـذه أعمال مميزة للعمل الإرهابي حتـى أن الشافعية عرفوا الحرابة بأنها:" هو البروز لأخذ مال أو لقتل أو إرهاب مكابرة"[1]، وقـد جعل الإسلام الحرابة من الكبائر ورصد لها أشد العقوبات، ولهذا أطلق القرآن الكريم على المتورطين في ارتكابها أنهم محاربون لله عز وجل وساعون في الأرض فسادا، قال تعالى: (إِنَّمَـا جَـزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَـهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُـوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّـعَ أَيْدِيهِـمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِـنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِـنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِـزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِـرَةِ عَذَابٌ عَظِيـمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِـمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المائدة: ٣٣، ٣٤)، وجمهور العلماء قالوا: أن الآية نزلت في بيان حكم الذين يسعون في الأرض فسادا، وذلك بالقتل ونهب الأموال، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[2].

رابعاً: البغي: وهو : مجاوزة الحد، يقال: بغى بغياً: تجاوز الحد واعتدى، والبغي مجاوزة الحد، والظلم، والخروج على النظام، والتعدي، والعدول عن الحق، والاستطالة على الناس، والفسـاد[3] والممارسات الإرهابية التي تتداول عـبر وسائل الإعلام اليوم تعد من أبشع صور البغـي التي نهى عنها القرآن الكريم قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُـرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَـى وَيَنْهَى عَـنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْـيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّـرُونَ) (النحل: ٩٠)، وقال تعـالى: (قُلْ إِنَّمَا حَـرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَـرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْـيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (الأعراف: ٣٣) وقال تعالى:(قَـالَ مَعَـاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّـا إِذًا لَظَالِمُونَ) (يوسف: ٧٩) ويؤكـد القـرآن الكريم علـى أن اختـلاف الأمم السابقة وتفرقهم وابتعادهـم عن الحق كان

(١) الرملي، محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين. شرح المنهاج. بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٨، ص: ٣.

(٢) حسانـين، إمـام. الجرائـم الإرهابية. ص٤٧ وانظـر: عبد الخالق، محمـد. المنظور الدينـي والقانوني لجرائم الإرهاب

(٣) لسان العرب. مرجع سابق، ج ١٤، ص: ٧٨ مادة (بغي).

بسبب البغي بينهم قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (آل عمران: ١٩)، والقرآن الكريم يجبر الفئة الإرهابية المعتدية على إيقاف اعتدائها ومعاقبتها على ذلك عند خروجها على الحاكم المسلم الشرعي بغرض إزالته أو عند قتالها جماعة أخرى من المسلمين فيأمر القرآن الكريم بقتال الفئة الباغية حتى تكف قبغيها قال تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الحجرات: ٩).

خامساً: الاعتداء: حذَّر القرآن الكريم من الاعتداء ونهى عنه؛ لأنَّها صفة مذمومة ومقيتة، ومن المعلوم أن في الإرهاب اعتداء على أنفس بريئة وحقوق محفوظة في الإسلام، قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة: ١٩٠)، قال السعدي: "واللّه قد نهى عن الاعتداء فقال: (وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك"[1]. وقال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة: ٢)، (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (المائدة: ٨٧) و قال تعالى: (وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (المائدة: ٦٢)، قال ابن كثير: "أي: يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم والاعتداء على الناس، وأكلهم أموالهم بالباطل (لبئس ما كانوا يعملون) أي: لبئس العمل كان عملهم وبئس الاعتداء اعتداؤهم"[2]، وقال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت، دار الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، ص: ٢٤٢.

(٢) تفسير ابن كثير. مرجع سابق. ج٣، ص: ١٤٤.

(البقـرة: ١٧٨)قال ابن جرير: "يعنـي : فمن تجاوز ما جَعله الله له بعدَ أخذه الدّية، اعتداءً وظلمًـا إلى مـا لم يُجعل له من قتـل قاتِل وليه وسفك دمه، فله بفعله ذلـك وتعدِّيه إلى ما قد حرمته عليه، عذابٌ أليم"[١].

مما سبق يتضح أن القرآن الكريم حرم كل الممارسات الإرهابية، ولم يسمح بأي نوع من أنواع التعنيف؛ بل إن الإسلام وضع أحكام شرعية توجب معاقبة من يمارس تلك الأفعال بما يتناسـب مع الجريمة التي اقترفها، وكلُّ جريمة من هذه الجرائم لها عقوبتها المناسبة، وقد تكـون هذه العقوبة حدًّا منصوصًا عليه، وقد تكون تعزيـرًا متروكًا تقديره لولي الأمر، ثم إن القرآن قبل ذلك وضع عدة معالم وقائية للتصدي لتلك الممارسات الإرهابية تم توضيحها في المبحث التالي:

(١) تفسير الطبري. مرجع سابق، ج٣، ص: ٢٧٥.

المبحث الثاني

معالم قرآنية لتحقيق الأمن

يتعرض الإسلام والمسلمون للاتهام بالإرهاب والعنف والتطرف، بل إن بعض وسائل الإعلام اليوم أصبحت تبرز الإرهاب وكأنه صفة ملازمة لهذا الدين ولمعتنقيه، فالصقوا تهمة الإرهاب بالأمة الإسلامية ودينها وتُراثها، لتشويه سمعة الإسلام، وإعاقة انتشاره ، وهو بريء من كل ما يلصق به أو يقال عنه، فالإسلام إنما جاء لصيانة النفس وحفظ الأمن فقد جمعت تشريعاته العظيمة المحاسنَ كلّها، فصانت الدينَ وحفظت العقول وطهَّرت الأموال وصانت الأعراض وأمَّنت النفوس، ونشرت الأمن بين الناس وقررت حرمة المعاهَدين، وإذا صدرت أفعالٌ تخالف الشريعة السمحة من جهال مُغَرّر بهم فإن الإسلام بريء من تلك الأفعال وذلك أن القرآن الكريم من خلال آياته العطرة قد وضع معالم واضحة للتصدي للأعمال الإرهابية والوقاية منها وتحقيق الأمن وهي على النحو التالي:

المعلم الأول: الوسطية والاعتدال ونبذ الغلو والتطرف: الدين الإسلامي مبني على الوسطية وينكر الغلو والتطرف ، واستخدام العنف والتخويف بمختلف أشكاله وتجلياته يعد ظاهرة مرضية مجانبة للوسطية التي تعد خاصية متميزة نعت الله بها الأمة الإسلامية، فقال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) (البقرة: ١٤٣) ، ونهى القرآن الكريم عن الغلو في أكثر من موضع في القرآن منها قوله تعالى: (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة: ٧٧) وقد أمر الرسول ﷺ بالوسطية ونهى عن الغلو والتشدد فقال ﷺ: "أيها الناس، إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان

قبلكم الغلو في الدين"[١]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "خير الناس هذا النمط الأوسط يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي"[٢]. يقول ابن قيم الجوزية:" إن الله تعالى لم يأمر بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان، إما تفريط وإضاعة، وإما إفراط وغلو"[٣]. قال ﷺ إياكم والغلو" وقال عليه السلام: هلك المتنطعون"[٤].

المعلم الثاني: تقرير كرامة الإنسان: كرم الإسلام ابن آدم وأنزله منزلة رفيعة بين الخليقة والكائنات جميعا، وفضله سبحانه عليهم، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٧٠)، جاء عن أهل التفسير تكريمهم وتفضيلهم بأشياء متعددة فعلى سبيل التمثيل لا على الحصر "ما روي عن ابن عباس أن التفضيل بالعقل وعن الضحاك بالنطق. وعن عطاء بتعديل القامة وامتدادها، وعن زيد بن أسلم بالمطاعم واللذات، وعن يمان بحسن الصورة..."[٥]، وفي المجمل فهذه الآية تفيد تكريم الإنسان مطلقاً، البرُّ والفاجر، والمطيع والعاصي، التكريم الذي يوجب احترامه وتقديره وحفظ حقوقه الإنسانية بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى.

المعلم الثالث: التيسير والتسهيل: فالآيات القرآنية تتبع منهج التسهيل والتخفيف والبعد عن التعمق في فروع المسائل والقضايا حتى لا يتجاوز اليسر إلى العسر والتألف إلى التناحر والخروج من السعة إلى الحرج الذي نهى الله عنه في قوله تعالى: (هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا

(١) سنن ابن ماجه. مرجع سابق. ج٤، ص: ٢٢٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة. مرجع سابق. ج٧، ص ١٠٠.

(٣) الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م، ج٥، ص ٢٩٨.

(٤) مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري. صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، المجلد ٤. بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج٤،ص: ٢٠٥٥.

(٥) ابن حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل. بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م، ج٧، ص ٨٤، وتفسير ابن كثير. مرجع سابق. ج٥، ص: ٩٧.

بـاللَّه هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِير) (الحـج: ٧٨) وقال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُـوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُـمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّه عَنْهَا وَاللَّه غَفُورٌ حَلِيمٌ) (المائدة: ١٠١)، ويؤكد ذلك ما ورد عن أبي هريرة.." إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا ..."[١]. وعن عائشة رضي الله عنها قالـت: ما خير رسـول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرها مالم يكـن إثما فإن كان إثما كان أبعـد الناس منه، وما انتقم ، وقـال ﷺ: عليكم هديا قاصدا. قالها ثلاثا فإن من يشاد هـذا الدين يغلبه"[٢]. وقـال رسول الله ﷺ قال: "لا تشددوا علـى أنفسكم، فإنما هلك من كان قبلكم بتشديدهم علـى أنفسهم، وستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات"[٣]، فدلت الآيـات القرآنية والأحاديث النبويـة السابقة على أن اتباع منهـج التسهيل والتخفيف والبعد عـن التعمق في فروع المسائل والقضايا حتـى لا يقع الخلاف والتناحر فلا يتم تجاوز التيسير والتسهيل إلى العسر والخروج من السعة إلى الحرج الذي نهى الله عنه في قوله تعالى : (وَمَا جَعَـلَ عَلَيْكُـمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُـمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِـينَ مِنْ قَبْلُ) (الحج: ٧٨).

المعلـم الرابع: الدعوة للرحمة ونبذ الغلظة في القول والعمل: والرحمة ضد القسوة، وقد جعلهـا الله عـز وجل غاية في الإسلام بعـد توحيد الله، قال تعالى: (وَمَـا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِـينَ) (الأنبيـاء: ١٠٧) أي رحمـة للبشرية كلها. وخاطب المولى سبحانـه رسوله الكريم بقولـه: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِـنَ اللَّه لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْـبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُـمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَـوَكَّلْ عَلَى اللَّه إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمـران: ١٥٩)، وفي هـذا دليل علـى أن الشدة والغلظة والعنف سبـب رئيس من أسباب التفـرق والتشتت وعدم الاجتماع، وجاءت تعاليم الإسلام كلها رحمة وشفاء لما في الصدور، قـال تعـالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِـينَ) (يونـس: ٥٧)، وحـث رسول الله ﷺ الناس على هذا الخلـق القويم، فقال عليه

(١) صحيح البخاري. مرجع سابق. ج١، ص: ١٦.

(٢) أبـو داود، سليمان بن داود بن الجـارود الطيالسي البصري. مسند أبي داود الطيالسي، المحقق: محمد بن عبد المحسن التركي. مصر، دار هجر، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م، ج٢، ص: ١٥٤.

(٣) المعجم الكبير للطبراني. مرجع سابق. ج٦، ص: ٧٣.

الصلاة والسلام: "من لا يرحم لا يرحم"[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"[2]، والرحمة هنا عامة لكل جنس في الأرض.

المعلم الخامس: السلام والجنوح له: ويكفي لإبراز أهمية السلام في الإسلام أن لفظ (الإسلام) نفسه مشتقة منه، فالدين الإسلامي الحنيف دين المحبة والسلام ولا يجتمع الضدان: السلام والعنف، تشهد بذلك تعاليم هذا الدين العظيم وأحكام شريعته السمحة وتاريخ المسلمين الصادق النزيه قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة: ٢٠٨)، ثم إن الله عز وجل يدعوا إلى دار السلام قال تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (يونس: ٢٥)، وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قالوا يا رسول الله، أي الإسلام أفضلُ؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه، ويده"[3]. والإسلام دين يدعوا للتعايش السلمي وحماية الحق الإنساني وحسن التعامل مع غير المسلمين دون ربط هذ الحق بدين أو عرق أو لون، ولا يأتي الإسلام بالحرب إلا للضرورة القصوى ورد الظلم وقمع الاعتداء.

المعلم السادس: الأمر بالعدل والإنصاف: انطلاقا من مبدأ إنسانية الإسلام وعالميته، فإن الله يأمر المسلمين بالعدل حتى مع من يسيئون إلى الإسلام والمسلمين؛ لأن العدل حق لله، ولا ينبغي تجاوزه، قال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة: ٢). وقال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء: ١٣٥)، ومن المعلوم أن العمليات الإرهابية تقوم على الظلم والعدوان الذي ينافي العدل الذي جاء الإسلام ليحققه ويدعوا له.

(١) صحيح البخاري. مرجع سابق. ج٨، ص: ١٠.
(٢) سنن أبي داود. مرجع سابق. ج٤، ص: ٢٨٥.
(٣) صحيح البخاري. مرجع سابق. ج١، ص: ١٢.

المعلـم السابع : إقرار الاختلاف بقبـول الآخر ونفي الاعتداء عليه: يقرر القرآن الكريم أن الاختـلاف سنـة كونية لا سبيـل إلى تجاوزها بل لابـد من فهمها واستيعابهـا قال تعالى: (وَلَـوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُـمْ وَتَمَّتْ كَلِمَـةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (هود: ١١٨، ١١٩) وقال تعـالى: (لِـكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَـةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَـاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِـنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَـا آتَاكُـمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَـيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُـمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (المائدة: ٤٨)، وإذا تم التأكيد على سنة الاختلاف مع الآخر تم الإقرار بقبوله والاعتراف به لـذا سن الإسلام قوانـين تنظم سبل التعامل مع الآخر وحمايتهم من كل الاعتداء وإشراكهم في المواطنـة مع احتفاظهـم بأديانهم. وهذا يحول دون ممارسة العنف والاعتداء عليه فيكون هنـاك من التسامح وعدم التعصب للرأي أو المواقف مـا يدعو للتفاهم والتعاون على تقريب شقة الخلاف والتوفيق بين الآراء والمواقف.

الفصل الثالث

أساليب تربوية مستنبطة من القرآن الكريم لحماية الشباب من الانحرافات الفكرية والسلوكية

أشارت العديد من الدراسات والوقائع والمؤشرات المشهودة أن أغلب من يقوم بالممارسات الإرهابيــة هم من الشباب المغرر بهم، وقد سلكوا سبيل الإرهاب عن قناعة ورضى ولو هيئت لهم حواضن متزنة ووسطية في الفكر والدين قادرة على جذبهم ومحاورتهم وإشباع حاجاتهم واستخــدام أساليب الإقناع المناسبة لهــم لتحولوا عما هم عليه، وندموا على فعلهم؛ لذا لابد على التربويين والمسؤولين استخدام أساليب تربوية وقائية تكون بمثابة الحصن المتين والسد المنيع ضد أي دعوات قد تغويهم ومن تلك الأساليب:

أولاً: بناء الهوية الإسلامية السمحة في نفوس الشباب والاعتزاز بها:

لكل إنسان هوية، وهوية المسلم تعني: إيمانه بالعقيدة الإسلامية، واعتزازه بها، والتمسك بالشعائر الإسلامية واحترام قيم الأمة الإسلامية قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير قوله تعــالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْــنُ لَهُ عَابِدُونَ) (البقرة: ١٣٨): "فسمى الديــن صبغة استعارة ومجازاً حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب"[١]. والدين الإسلامي يصبغ المسلم بصبغة مميزة تظهر في فكره وسلوكه سماحةً ويسراً ووسطيةً واعتدال.

وقــد بين القــرآن الكريم كل ما يجب ومــا يستحب للمكلف القيام به مــن سلوك ورسم مخططاً تصاعدياً لبناء هويته الإسلامية يجدر بالآباء والمربين مساعدة الشباب للسير وفقه على النحو التالي:

(١) القرطبــي، أبــو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). مرجع سابق. ج٢، ص ١٤٤.

قاعدة البناء وأساسه: وهي أصول وعقائد الدين الإسلامي الثابتة التي تعد القاعدة التي يجب على المكلف أن ينطلق منها ويؤسس حياته عليها قال تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (البقرة: ٢٨٥)، وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -قال: أن جبريل عليه السلام سأل النبي -ﷺ- عن الإيمان، فقال له: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"(١).

فهذه الأمور مسلمات أو أصول وثوابت للعقيدة الإسلامية لا تقبل الجدال ولا المناقَشة؛ دلت عليها آيات متعددة من كتاب الله العزيز، وبعث الله بها رسوله محمدًا -ﷺ-وهذه الأصول لها تأثير على فكر المسلم وسلوكه(٢).

الصور التطبيقية للهوية الإسلامية: كالصلاة والزكاة والصوم وحج البيت وبر الوالدين والأمانة وترك الغيبة والنميمة وغض البصر...الخ قال تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الأنعام: ١٥١)، وقال رسول الله -ﷺ-: "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وغفل عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها"(٣)، وكل الممارسات الإرهابية تخالف الصور التطبيقية الرائعة للهوية الإسلامية

(١) مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري. صحيح مسلم. مرجع سابق. ج١، ص ٣٧.

(٢) انظر للإستزادة عن مفهوم العقيدة وأثرها على سلوك المسلم: الكركي، وجدان خليل. "العقيدة الاسلامية عقيدة عقلية تدفع إليها الفطرة الانسانية وتدعو إلى الاستقرار النفسي." مؤتة للبحوث والدراسات -العلوم الانسانية والاجتماعية -الاردن، مج ٢٦، ع ٣، (١٤٣٢ه-٢٠١١م): ص١٣، وانظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد. الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٥، عمان، المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ج٣، ص٢٧.وملكاوي، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم. الأردن، مكتبة دار الزمان،١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، ص ٢٠.وابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، العقيدة الصحيحة وما يضادها. المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية،١٣٩٥ هـ-١٩٧٥ م، ص ص٣-٤. العقل، ناصر بن عبد الكريم. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة. مرجع سابق.ص٩ وضميرية، عثمان جمعة. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط٢.جدة، مكتبة السوادي، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص ٣٦.

(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. المعجم الكبير. مرجع سابق. ج٢٢، ص ٢٢٢.

الأعمال التطوعية: وهي التي تزين البناء الإسلامي وتجمله وتنسجم مع قواعده وصوره التطبيقية كالمستحبات والنوافل وترك المكروهات، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ١١٤) وعن أبي ذر – رضي الله عنه– عن النبي –ﷺ–، قال: "يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة، تسليمه على من لقي صدقة، وأمره بالمعروف صدقة، ونهيه عن المنكر صدقة، وإماطته الأذى عن الطريق صدقة، وبضعته أهله صدقة قالوا: يا رسول الله يأتي شهوة، وتكون له صدقة؟ قال: أرأيت لو وضعها في غير حقها أكان يأثم؟"(١).

وكون الشباب يمرون بالعديد من التغيرات والتحولات الجسمية والنفسية والانفعالية التي تؤثر في سلوكهم – كالتقليد الأعمى والحماس، وقوة العاطفة، مع قلة التجربة ...بالإضافة إلى ما يحيط بهم خاصة في هذا العصر من صور الإغراء والإغواء والثقافات والأفكار المتعارضة مع الدين الإسلامي –لذا فهم في أمس الحاجة إلى التمسك بالهوية الإسلامية المتميزة ومن هنا فالقرآن الكريم يضع المسؤولية على الآباء والمربين ويقدم لهم عدة تدابير تربوية تحصن الشباب وتحميهم من أي انحرافات فكرية وسلوكية وهي على النحو التالي:

غرس العقيدة الصحيحة في نفس الشباب قولاً وتطبيقاً قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة: ٥).

تربيته الشاب على وجود ضوابط أو أصول ثابته ومحدودة يستطيع المراهق أن يحاكم المواقف والاحداث المستجدة بناء عليها، فقتل النفس كبيرة، وترويع الأمنين حرام، والغي والعدوان ظلم... فمن أخطر الانحرافات أن ينشأ المراهق بهوية مضطربة او متعددة، وهو طريق يؤدي إلى الانحراف السلوكي، والاضطراب النفسي، وبناء المواقف وفق الدوافع الشخصية، لا وفق المبادئ الثابتة، ومن جهة أخرى لابد أن يوجه الشباب إلى وجود أمور

(١) أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري. مسند أبي داود الطيالسي. مرجع سابق. ج٤، ص ٣٦٢.

فرعيـة غير ثابته ومرنـة وسّع الإسلام فيها رحمـة بعبادة وتيسيراً لهم بحيـث ينشأ الشاب بهوية ثابته قوية تحميه من التيه والضياع والانجراف مع الدعوات المغرضة، وفي ذات الوقت تساعده على التكيف مع الواقع المعاصر.

لابـد أن يرشد الآبـاء والمربين الشباب إلى خطـورة الانقياد وراء الدعـوات المغرضة أو الانضمـام لجماعات متطرفـة لأن ذلك يـؤدي إلى فقدان هوية المسلـم وشخصيته المتميزة وقـد نفى القرآن الكريم أن تتصف الهوية السوية بالسلبية أو الجمود أو التميع في الدين قال تعـالى: (وَالَّذِيـنَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَـا صُمًّا وَعُمْيَانًا) (الفرقان: ٧٣)، مع تحذير الشاب من أن يكون في مهب الريح تتجه به أنى اتجهت وتذكيره بأن صفة التمييع يعد عيبـاً في شخصية المسلم فعن حذيفة قال: قال رسول الله -ﷺ- : " لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا "[(١)].

ثانيـاً: نشر العلم الشرعـي الصحيح: المستمد مـن نصوص الكتـاب والسنة، وفق فهم سلـف الأمة، مـن الصحابة والتابعين وأئمـة المسلمين، فهو الهـادي إلى الصراط المستقيم، قـال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَـا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَـاهُ نُـورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِـنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِـرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّـذِي لَهُ مَا فِي السَّمَـاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) (الشورى: ٥٢-٥٣) وقال تعالى: (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُـدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (آل عمران: ١٠١) ويمكن نشر العلم الشرعي من خلال مناهج التعليـم ومـن خلال العلماء والدعـاة، ومن خلال وسائـل الإعلام المتعددة، ذلـك أن الفهم المنحـرف والتفسير الخاطئ للآيات القرآنيـة والأحاديث النبوية أو الاعتماد على الجهال في تبيـان بعض المصطلحات الشرعية كالجهاد، والتكفـير، والشهادة، والولاء والبراء، والسمع والطاعة، أوقعت الممارسين للأعمال الإرهابية في جرائم عظيمة ومخاطر كبيرة .

(١) الترمـذي، محمـد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. الجامع الكبير سنن الترمذي. مرجع سابق. ج٤، ص٣٦٤.

ثالثـاً: القضاء على البطالـة: وهي خطوة مهمة لتفويت الفرصة على أعداء الإسلام من استهداف الفقـراء واستغلالهم فكرياً وجسدياً وغزو الأمـة الإسلامية من خلالهم ومشكلة البطالة لدى الشباب تؤدي إلى أن يعيش الشاب حالة من الفراغ، وقد يؤدي هذا إلى كثير من المفاسـد والأمراض النفسية، والانحرافـات السلوكية لتحصيل العيش، يقول علي بن عثام:" ما أحب إلى من أن يكون المسلم محترفا، إن المسلم إذا احتاج أول ما يبذل دينه"[1].

وقـد نهى القرآن الكريم عن البطالة وحث على روح المبادرة للأعمال التطوعية الخيرية التـي ينفـع بهـا الناس، علـى أن يتواضع الشـاب فلا يأنف مـن أي عمل بـل يستشعر أنه في عبـادة لله وأن يجعـل رجـاءه في الله ويتوجه لـه بالدعاء، فموسى عليه السـلام لما قام بعمل خـير وبإخلاص وتجـرد لله -سبحانه وتعالى- وتوجه لـه داعيـاً : (رَبِّ إِنِّي لِمَـا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِـنْ خَـيْرٍ فَقِيرٌ) (القصص: ٢٤) كان التيسـير والعطاء من الله عظيـم -سبحانه وتعالى -قـال تعالى:(فَجَاءَتْـهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِـي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَـا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَـرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) (القصص: ٢٥، ٢٦)، لذا فمنهـج القرآن الكريم يوجه الشاب إلى ضرورة العمل وأهميته ويحثه أن ينطلق في بحثه عن العمـل الجـاد من منطلق عقدي يستحضر فيه النية وطلب الأجـر من الله، قال تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُـمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة: ١٠٥)، فالقرآن الكريم يدعوا المسلم للعمل والجد وينهى عن الكسل والبطالـة ويشهد على ذلك عامة النصوص التي تحث على السعي والضرب في فجاج الأرض واستخـراج مـا فيها من خيرات، قال تعـالى: (هُوَ الَّذِي جَعَـلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُـولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك: ١٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال:" إن الله يحب المحترف وفي رواية:

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني. شعب الإيمان، حققه: عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٣م باب: التوكل بالله عز وجل والتسليم لأمره تعالى في كل شيء ص: ٨٩، برقم ١٢٤٠.

" الشاب المحترف"[١]. وقد سئل عروة بن الزبير: " ما شر شيء في العالم؟ قال البطالة"[٢]. وقال الإمام أحمد إذا جلس الرجل ولم يحترف دعته نفسه إلى أن يأخذ ما في أيدي الناس[٣].

وكثيراً ما يقع الشباب في مصيدة المنظمات الإرهابية نتيجة فقرهم وقد أشارت العديد من الدراسات التربوية والنفسية إلى أن الفقر يشكل بيئة مناسبة للجنوح والانحراف الفكري والسلوكي والانسياق وراء دعاوي الإرهاب، ولذلك دعا القرآن الكريم إلى تداول الثروة بين الأغنياء والفقراء ومحاربة العوز والفاقة كوسيلة لسد الثغرة أمام أعداء الدين لاستغلال المعوزين والمعدومين قال تعالى:" ما أفاء الله على رسوله...الخ" فيتوجب على المسلمين إشاعة روح التكافل الاجتماعي والاقتصادي فيشعر الغني منهم بالمحتاج ويألم لألمه وينشط لسد حاجته وتفريج كربته وسد الباب في وجه من يتربص بأفراد الأمة الإسلامية شرا.

رابعاً: شغل أوقات الشباب بالمفيد النافع وتوجيه كفاءتهم: فمن أراد حماية فكر الشباب واستقامة سلوكهم فعليه تبني أفكارهم البناءة وتحقيق مشروعاتهم المبتكرة وشغل أوقات فراغهم والاستفادة من قدراتهم فقد أودع الله -سبحانه وتعالى- في البشر قدرات ومواهب موزعة على جميع الأفراد حتى يكمل بعضهم البعض، قال تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (الزخرف: ٣٢)، ومن الحكمة البحث عن قدرات الشاب واكتشاف مواهبه، ومن ثم مساعدته لتوجيه هذه الطاقات الوجهة الصحيحة وتوظيف ما يتسم به من سمات في مجالها الطبيعي بعيداً عن سائر أشكال الانحرافات الفكرية والسلوكية وذلك لحمايته من السقوط في وحل الدعوات المغرضة والممارسات الإرهابية، إذ إن الأفراد الذين يمارسون العنف على المجتمعات الإنسانية بأفعالهم القبيحة وتصرفاتهم الشائنة يستخدمون قدراتهم العقلية في التوصل إلى أعقد الأساليب وأكثرها تطوراً في سبيل تنظيم مؤامراتهم وتنفيذ مخططاتهم وتحقيق نزواتهم.

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. المعجم الكبير. مرجع سابق. ج١٢، ص: ٣٠٨.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان. مرجع سابق. ج ٤، ص: ٤٢٩

(٣) الخلال، أبي بكر محمد هارون. الحث على التجارة والصناعة والعمل. الرياض، دار العاصمة، ١٤١٠ه، ص ١٦٠.

ويقع العبء الأكبر في توجيه الشباب على الوالدين والمربين، وقد كان من حكمته ﷺ أن أكتشف تلك المواهب في الفتيان ووجها الوجهة الصحيحة، ومن ذلك اكتشافه لنداوة صوت أبي محذورة ثم تعليمه الأذان، وتكليفه القيام بذلك عند البيت الحرام، قال أبو محذورة: خرجت في عشرة فتيان مع النبي ﷺ وهو أبغض الناس إلينا، فأذنوا فقمنا نؤذن نستهزئ بهم، فقال النبي ﷺ " ائتوني بهؤلاء الفتيان فقال: أذنوا فأذنوا فكنت أحدهم، فقال النبي ﷺ--: نعم، هذا الذي سمعت صوته، اذهب فأذن لأهل مكة، فمسح على ناصيته[1]. لقد تعامل عليه السلام مع سلوك الفتيان البالغين بحكمه ورفق فلم يعنفهم على صنيعهم بل اكتشف الموهبة ووجها الوجهة الصحيحة.

خامساً: تقدير ذات الشاب واحترامه. يحتاج الشاب إلى إشباع حاجته للحصول على قدر كافٍ من التقدير الاجتماعي الذي يتناسب مع قواه وإمكانياته سواء في بيئته الأسرية أو التعليمية أو المحيط الاجتماعي العام، وهو مطلب نفسي مهم للشاب، ناتجة عن التحولات الجسمية والنفسية والاجتماعية التي يمر بها، ولهذا فإن بعض الشباب يبذلون جهد أكبر من طاقاتهم أحيانا لمجرد الظهور الاجتماعي حتى يكونوا محط أنظار الناس، وبؤرة اهتمامهم.

وتعتبر الذاتية من الاعتبارات المهمة التي يجب أن تلحظ عند التعامل مع الشباب أو معالجة انحرافاتهم، فقد تكون هي منبع الارتماء في أحضان الجماعات المتطرفة التي يجد في احضانها من التقدير مالا يجده عند سواهم، القرآن يحث على ضرورة إشباع حاجة الشاب لتحقيق ذاته من خلال توجيهه ومنحه فرص لتحمل المسؤولية وقد قدم القرآن الكريم العديد من النماذج الدالة على تحمل المسؤولية في وقت مبكر من حياة الإنسان فقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يواجه الباطل ويدحضه وتحمله مسؤولية الدعوة وهو في سن فتيه دليل على ذلك قال تعالى: (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) (الأنبياء: ٥٩ -٦٠)

(١) الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. مرجع سابق. ج٢٤، ص٩١. وانظر: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. المعجم الكبير. مرجع سابق. ج٧، ص ١٧٣. والدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي. سنن الدارقطني. مرجع سابق.ج١، ص٤٣٩. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني. السنن الكبرى. مرجع سابق. ج١، ص٥٧٩.

وقد كان الصحابة إذا دخلوا سن التكليف حملوا هم الإسلام وتحملوا مسؤولية الجهاد فضلاً عن تحمل مسؤولية الحياة المعيشية، فقد أوكل الرسول - ﷺ -إلى علي وهو فتى حديث السن عند هجرته إلى مكة ليؤدي عن رسول الله الودائع التي كانت عند الناس[1]، وذا أسامة بن زيد شاب يافع يشترك في غزوة الخندق وهو ابن خمسة عشر سنة وقد حمله رسول الله - ﷺ -مسؤولية مهام كبيرة في الدولة الإسلامية، فقد اختاره الرسول قائداً لأكابر الصحابة ولأبطال من بدر وأحد والخندق... ومنحه الفرصة ليثبت جدارته ...وكان من وصاياه - ﷺ -" أنفذوا جيش أسامة"[2].

وقد أكدت دراسات تربوية ونفسية كثيرة أن " ظاهرة الإحساس بالمسؤولية في مرحلة الشباب، والعوامل التي تدفع إليها حاجة يسندها إحساس داخلي، واستعداد نفسي، إلى جانب العوامل الاجتماعية والبيئية التي تعزز الاتجاه إلى المسؤولية وممارستها أو تثبيطها"[3]، لذا لابد على الآباء والمربين عدم إغفال هذا الجانب المهم حتى لا ينعكس الأثر على سلوكيات البالغ فتصبح انحرافات أو اضطرابات سلوكية.

سادساً: تجنب أساليب الضغط والسيطرة واستبدالها بالحوار والحب: يحتاج الشاب إلى أن يشعر بأنه محبوب من المحيطين به وهي حاجة لازمة لصحته النفسية فتوافق الإنسان مع ذاته ومع الآخرين إنما يكمن وراء إشباع حاجته للحب فالشخص المشبع بالحب أكثر احساساً بمشاعر الأخرين وأكثر حرصا على عدم جرح مشاعرهم فضلاً عن أذيتهم.

وإن استخدام أساليب الشدة والضغط والسيطرة على الشباب تربي أجيال مهزوزة تعاني من اضطرابات في سلوكياتها تنصاع للمربي تحت تأثير الضغط وتنقلب إذا رفع عنها حبال السيطرة، وإذا كانت السيطرة جائرة، فعادة يكون رد الفعل قوياً من جانب الشباب أو أن يتحول رد الفعل إلى خضوع واستكانة وفي كلا الحالتين هذه مؤشرات على اضطراب النمو النفسي السوي، كما أن التسلط والسيطرة المبالغ فيه على الشباب وتقييد حريتهم هو

(١) ابن هاشم، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافر. السيرة النبوية لابن هشام. مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ -١٩٥٥ م، ص ٤٨٥.

(٢) انظر: الصلابي، علي محمد محمد. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث. بيروت، دار النشر، ١٤٢٩ه، ص٨٨٣.

(٣) للاطلاع على هذه الدراسات انظر: قشقوش، إبراهيم. سيكولوجية المراهقة، ط٢. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م، ص ٣١٨-٣٢٢.

في الحقيقة وأد تربوي لشخصياتهم، وهدم لروح الابداع لديهم، وإذا كان الضغط والإكراه في مسألة الدين منهي عنها في الإسلام قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة: ٢٥٦)، فكل ما كان دون ذلك أولى.

وقد اثبتت الدراسات الميدانية أن " القسوة والتسلط التي يتعرض لها الأبناء تجعل فريقاً منهم يضمر الحقد والكراهية لعوائلهم وبيوتهم فلا يرغبون في البقاء في تلك البيوت مع ذويهم لذا يهربون منها إلى أماكن تخلو من تلك القسوة والصرامة والتسلط، بحيث يتمتعون بحرية أوسع، فيتعرضون إلى ألوان كثيرة من السلوك المنحرف"(١).

وجدير بالآباء والمربين عند توجيه الشباب أن يكون ذلك بأخذ الرأي والاستشارة في الحلول والبدائل المختلفة للمواضيع والمشاكل المطروحة دون ضغط أو اصدار أوامر، مع محاولة الإقناع بالحلول السليمة، وإظهار مميزات وعيوب البدائل، ثم جعل الشاب يختار، ولو اختار الحل غير السديد فلا بأس أن يخرج بدروس من نتائج ذلك الاختيار إذا كان الأمر يتحمل ذلك.

والمربي الناجح يستطيع بالحب أن يصنع في نفوس من هم تحت يديه الطاعة والانقياد برضى تام مع القدرة على غرس الضبط الذاتي في نفس الشاب؛ حينها ينمو لديه أساس حقيقي للسلوك المناسب دون حاجة لمراقبة الكبار وتسلطهم أو حتى دون أن يكون الكبار على مقربة منهم ومن شأن ذلك أن يزيد من ثقتهم في أنفسهم، والمتأمل في قصة زيد بن حارثة يلمس أثر محبة زيد رضي الله عنه للنبي ﷺ وتأثير ذلك في سلوكه حتى أنه فضل البقاء معه على الرجوع لوالديه وأهله وقبيلته، وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعًا شديدًا، وبكى عليه حين فقده ثم قدم عليه وهو عند رسول الله ﷺ- فقال له رسول الله ﷺ-: "إن شئت فأقم عندي وإن شئت فانطلق مع أبيك" فقال: يا رسول الله، والله لا أختار عليك (٢).

من خلال ما سبق يتضح أن الأساليب التربوية تعد حصناً منيعاً إذا ما فعلت مع الشباب بالطرق التي جاء بها الإسلام؛ لذا من الضروري تنبيه الأباء والمربين لذلك وحثهم على إدراك حاجات الشباب وخصائص نموهم.

(١) محمد، يوسف خطار. التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية. دبي، دار الفقيه، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م، ص١٦٩.

(٢) الفالوذة، محمد إلياس عبد الرحمن. الموسوعة في صحيح السيرة النبوية -العهد المكي. مكة، مطابع الصفا، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.ص ٤٠٥.

الخاتمة

الحمـد لله الذي أتم نعمـه، ووالى مننه وأعان سبحانه على إكمال هذا البحث والصلاة والسـلام على رسول الله ﷺ - وعلى آلـه وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

ففي خاتمة المقام فإن موضوع الإرهاب موضوع ذو أبعاد كثيرة لكن ضيق الوقت وشروط الطـرح المتاح للباحثة جعله بهذا القدر ويبقى الطموح معقود على الباحثين والتربويين في أن يغنوا البحوث المستقبلية المرتبطة بموضوع هذا البحث.

وترجـو الباحثـة أن ينال هذا القدر من البحث رضـى الله أولاً ثم تأمل أن يثري المكتبة الإسلاميـة ثانيـاً، من خلال إبـراز موضوع الإرهاب بـين الدفع والطلـب والاعتداء في ضوء القـرآن الكـريم، والتي تم الوقوف عليه من خلال فصول البحث، نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينـا بالقرآن للتي هـي أقوم وأن يجعله ربيع قلوبنا وجلاء همومنا وأحزاننا وأن يردنا إليه نظما وشعوباً وتنظيمات رداً جميلاً إنه سميع مجيب.

نتائج الدراسة :

توصلت الباحثة من خلال معالجة موضوع الدراسة إلى مجموعة من النتائج على النحو التالي:

أولاً: النتائـج التي تم التوصـل إليها من الإجابة على السـؤال الأول: ما مفهوم الإرهاب ودلالته في القرآن الكريم؟ وهي:

أن مصطلـح الإرهـاب في الاصطلاح يطلق علـى أعمال العنف والتخويـف وكل ما يثير الفـزع والفوضـى والاضطراب والخـراب وقد تباينـت أشكاله وتنوعت صـوره، ومن نتائجه الفوضى والاضطراب واختلال الأمن والتخلف.

أن مادة رهب ومشتقاتها في القرآن الكريم لم تشتمل على أدنى دلالة على ممارسة فعلية للقتل العشوائي والتدمير الشامل والتخويف غير المنضبط، بل أن بعضها يدل على معانٍ عظيمة مرغوب فيها.

ثانياً: النتائج التي تم التوصل إليها من الإجابة على السؤال الثاني: ما موقف القرآن الكريم من مشكلة الإرهاب وممارساته المتداولة في هذا العصر وما طرق التصدي لها؟ وهي:

أن في القرآن الكريم الفاظ شرعية محددة ومنضبطة تعطي مفهوماً واضحاً للممارسات الإرهابية والتي تصنف في القوانين المعاصرة ضمن الأعمال الإرهابية كالإفساد في الأرض، والقتل، والحرابة، والبغي، والاعتداء.

أن للقرآن الكريم السبق في مكافحة الأعمال الشنيعة والعنف المنبوذ، وفي وضع العقوبات المناسبة لكل عمل إرهابي.

ثالثاً: النتائج التي تم التوصل إليها من الإجابة على السؤال الثالث: كيف حقق القرآن الكريم الأمن داخل المجتمعات المسلمة؟ وهي:

أن الإسلام جاء لصيانة النفس وحفظ الأمن فقد جمعت تشريعاته العظيمة المحاسنَ كلّها، فصانت الدينَ وحفِظت العقول وطهَّرتِ الأموال وصانت الأعراض وأمَّنت النفوس، ونشرتِ الأمن بين الناس وقررت حرمة المعاهَدين.

أن القرآن الكريم من خلال آياته العطرة وضع معالم واضحة للتصدي للأعمال الإرهابية والوقاية منها وتحقيق الأمن داخل المجتمعات المسلمة.

رابعاً: النتائج التي تم التوصل إليها من الإجابة على السؤال الرابع: كيف يمكن وقاية الشباب من الانحرافات الفكرية والسلوكية؟ وهي:

أن أغلب من يقوم بالممارسات الإرهابية هم من الشباب المغرر بهم، ولو هيئت لهم حواضن متزنة ووسطية في الفكر والدين قادرة على جذبهم ومحاورتهم وإشباع حاجاتهم

واستخدام أساليب الإقناع المناسبة لهم لتحولوا عما هم عليه، وندموا على فعلهم.

أن استخدام أساليب الشدة والضغط والسيطرة على الشباب تربي أجيال مهزوزة تعاني من اضطرابات في سلوكياتها وقد تدفعهم للهروب إلى بيئات منحرفة.

ثانياً : التوصيات:

تكثيف البرامج التوعوية والحوارية والرسائل الإعلامية المثمرة حول وسطية الإسلام واعتداله وسماحته.

نشر البرامج التربوية والدورات التدريبة التي تستهدف الآباء والمربين لتعزيز الأساليب التربوية عند التعامل مع الشباب وطرق احتوائهم والتعرف على أهم حاجاتهم النفسية.

تكثيف الدورات العلمية للشباب والمرتبطة بطرق التحصن بالعلم الشرعي الصحيح ضد أي دعوات مشبوهة مع نشر ثقافة الحوار مع الآخر.

ثالثاً: المقترحات.

إجراء المزيد من الدراسات التأصيلية بعدة لغات لرد الشبه التي تثار حول الإسلام وتعريف الشعوب غير المسلمة بحقيقة الإسلام باعتباره ديناً سماوياً عالمياً تسوده قيم المحبة والسلام والعدالة والحرية والتسامح واستيعاب الآخر.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابـن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بـن المنذر التميمي. تفسير القرآن العظيـم لابن أبي حاتم.ط٣. المحقق: أسعد محمد الطيـب المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م

٢. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي. الكتاب المصنـف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت. الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٩ه-١٩٨٩م.

٣. ابـن حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسـف. البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل. بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م.

٤. ابـن عباس، عبد الله. تنويـر المقباس من تفسير ابن عباس، جمعـه: مجد الدين أبو طاهـر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى. لبنـان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨ه-١٩٩٢ م، ص: ١٣٨.

٥. ابـن كثير، أبو الفـداء إسماعيل بن عمر بـن كثير القرشي البصـري. تفسير القرآن العظيـم، ط٢، المحقق: سامي بن محمـد سلامة. الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

٦. ابـن ماجـه، أبو عبد الله محمد بـن يزيد القزويني. سنن ابن ماجـه، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. بيروت، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩ م.

٧. ابـن منظور، محمد بن مكرم بن على. لسان العـرب، ط٣. بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م.

٨. ابـن هاشم، عبـد الملك بن هشام بـن أيوب الحميـري المعافر. السـيرة النبوية لابن هشام. مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ -١٩٥٥ م.

٩. أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري. مسند أبي داود الطيالسي، المحقق: محمد بن عبد المحسن التركي. مصر، دار هجر، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م.

١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه -صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. بيروت، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١١. البصري، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى. مجاز القرآن. القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٣٨١ هـ.

١٢. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، المحقق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي،١٤٢٠ ه-٢٠٠٠م.

١٣. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني. السنن الكبرى، ط٣، المحقق: محمد عبد القادر عطا. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م.

١٤. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني. شعب الإيمان، حققه: عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٣م.

١٥. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. الجامع الكبير سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف. بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٤١٨ه-١٩٩٨ م.

١٦. الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: محمد بن عاشور. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠٢ م.

١٧. الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ ه — ٢٠٠٢م

١٨. الحدادي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين. التوقيف على مهمات التعاريف. القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٩. الخلال، أبي بكر محمد هارون. الحث على التجارة والصناعة والعمل. الرياض، دار العاصمة، ١٤١٠ه، ص ١٦٠.

٢٠. الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. مختار الصحاح، ط٥. صيدا، الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

٢١. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٣. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ه -٢٠٠٠م.

٢٢. الرملي، محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين. شرح المنهاج. بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٣. السائح، عبد الحميد. الإرهاب أنواعه وأخطار. عمان، دار الصباح،د.ت.

٢٤. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت، دار الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٥. السلومي، محمد بن عبد الله. القطاع الخيري ودواعي الإرهاب، سلسلى كتاب البيان، الرياض، مجلة البيان، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م

٢٦. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م.

٢٧. الصلابي، علي محمد محمد. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث. بيروت، دار النشر، ١٤٢٩ه.

٢٨. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م.

٢٩. عبيدات، ذوقان وآخرون. البحث العلمي النوعي و الكمي، ط(١)، (د:ن)، ١٤٢٣ه/٢٠٠٢م .

٣٠. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. معجم الفروق اللغوية. قم، مؤسسة النشر الإسلامي،١٤٢١ه.

٣١. عمر، أحمد مختار عبد الحميد. معجم اللغة العربية المعاصرة. بيروت، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م.

٣٢. الفالوذة، محمد إلياس عبد الرحمن. الموسوعة في صحيح السيرة النبوية -العهد المكي. مكة، مطابع الصفا، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

٣٣. فودة، حلمي وصالح، عبد الرحمن. المرشد في كتابة الأبحاث، ط٦. جدة، دار الشروق،

١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

٣٤. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة، دار الكتب المصرية ،١٣٨٤هـ -١٩٦٤ م.

٣٥. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة، دار الكتب المصرية ،١٣٨٤هـ -١٩٦٤ م.

٣٦. الكركي، وجدان خليل. "العقيدة الاسلامية عقيدة عقلية تدفع إليها الفطرة الانسانية وتدعو إلى الاستقرار النفسي." مؤتة للبحوث والدراسات -العلوم الانسانية والاجتماعية -الاردن، مج ٢٦، ع ٣، (١٤٣٢ه-٢٠١١م).

٣٧. مجموعة من العلماء والباحثين. الموسوعة العربية العالمية. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩ه — ١٩٩٩م.

٣٨. محمد، يوسف خطار. التربية الإيمانية والنفسية للأولاد في ضوء علم النفس والشريعة الإسلامية. دبي، دار الفقيه، ١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.

٣٩. مرتضى الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. الرياض، دار الهداية، د.ت.

٤٠. مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري. صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، المجلد ٤. بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٤١. الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري. تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب. بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٤٢١ه-٢٠٠١م.

إسماعيل طاهر محمد عزام

مكـان الـولادة : الرصيفة / الأردن ٤/ ٤/ ١٩٧٧م

الـمـؤهـــلات :

- دكتـوراه فقه وأصوله، تخصص (أصول فقـه)، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، سنة ٢٠١٠م.
- ماجستير فقه وأصوله، جامعة البلقاء التطبيقية، سنة ٢٠٠٦م.
- بكالوريوس دعوة وأصول دين، جامعة البلقاء التطبيقية، سنة ٢٠٠٠م.
- الثانوية العامة، الفرع الأدبي، سنة ١٩٩٦م.

الأبحاث المحكمة المنشورة :

- بحث في أصول الفقه بعنوان . (القياس في الحدود).
- بحث في الفقه وأصوله بعنوان . (التعزير بالقتل).
- بحـث في الفقه وأصوله بعنوان . (دية الجنين /أدلة مشروعيتها وحكمها ومقدارها –دراسة فقهية –)
- بحـث في أصول الفقه بعنوان . (تخصيـص عام النّص بالشّرط وأثره في استنباط الأحكام الشّرعيّة)
- بحث في أصول الفقه والبلاغة .(المسائل البلاغية في كتاب التّمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب الكلوذانيّ الحنبلي دراسة تحليلية نقدية) .

الخبرات العملية :

- استاذ مشارك في جامعـة نجران– كلية العلوم والآداب بشرورة– قسم الدراسات الإسلامية ٢٠١١وما زلت على رأس عملي
- معد و مقدم برنامج دين و دنيا بقناة الحقيقة الدولية الاخبارية٢٠١١.
- معد و مقدم برنامج ابن البلد بقناة الحقيقة الدولية الاخبارية ٢٠١١.
- معد و مقدم برنامج تزكية النفوس بقناة الحقيقة الدولية الاخبارية ٢٠١٠.
- مأذون شرعي،(عقد الأنكحة) منذ سنة ٢٠٠٤ – ٢٠١١ .

أسباب الإرهاب والعلاج القرآني لها

د. إسماعيل طاهر محمد عزام

كلية العلوم والآداب بشرورة –جامعة نجران

المبحث الأول

مفهوم الإرهاب

إن الحديث عن الإرهاب يتطلب منا الحديث عن مصطلحات مرادفة له لا يمكن فصلها عنه، و إن كان هذا المصطلح هو الأبرز عالميا، لكن ثمة اتصال وثيق بينه وبين مصطلحات أخرى كالتطرف والغلو والتعصب.

والحقيقة أن الإرهاب بدأت تظهر ملامحه و تتجذر بعد الحرب العالمية الثانية، وإن كان له بدايات قبل ذلك، ومنذ بدء الخليقة، ولعل أبرز حالة تمثل ذلك: قتل أحد ابني آدم لأخيه، واليوم غدا الإرهاب هو الحدث الأبرز في العالم، وذلك لما يوقعه من ألم نفسي و مادي في المجتمعات التي يصيبها، لأجل ذلك تداعت الأمم جميعها للوقوف على حقيقته ومسبباته، فعقدت المؤتمرات والندوات، وألفت الكتب، ودُرِست النتائج، للحيلولة دون وقوعه في الدول.

مع العلم أن هذه اللفظة حمّالة أوجه، وقد اختلفت الأمم في تعريف الإرهاب ووصفه، وهذا ما سنعرض له في بحثنا هذا، من عرض بعض التعريفات ومقارنتها مع فهم القرآن لهذه اللفظة التي استخدمها.

ونحن في بحثنا هذا سنبيّن كيف أن الإسلام – ومن خلال النصوص القرآنية – عالج الإرهاب من قبل وقوعه.

المطلب الأول: معنى الإرهاب لغة

جاء في معجم الصحاح "الرهب، بالكسر، يرهب رهبةً ورهباً بالضم، ورهباً بالتحريك، أي خاف. ورجل رهبوتٌ. يقال: "رهبوتٌ خيرٌ من رحموت" أي: لأن ترهب خيرٌ من أن ترحم. وتقول: أرهبه واسترهبه، إذا أخافه. والراهب: واحد رهبان النصارى، ومصدره الرهبة والرهبانيّة. والترهّب: التعبّد. قال الأصمعي: الرهب: الناقة المهزولة. والرهب أيضاً: النصل الرقيق من نصال السهام، والجمع رهابٌ "[1].

(١) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م. مادة (رهب).

وقيل: الراء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدلّ على خوف، والآخر على دقّة وخفّة. فالأوّل الرّهبة: تقول رهبت الشيء رهبًا ورهبًا ورهبةً. والتّرهّب: التّعبّد. ومن الباب الإرهاب، وهو قدع الإبل من الحوض وذيادها.

والأصل الآخر: الرّهب: النّاقة المهزولة. والرّهاب: الرّقاق من النّصال؛ واحدها رهبٌ. والرّهاب: عظمٌ في الصّدر مشرفٌ على البطن مثل اللّسان[١]. ويفهم من هذه القراءة المعجمية أنّ مادة (ر ه ب) تأتي لمعانٍ منها الخوف والتعبد والخفة .

المطلب الثاني: التعريفات المعاصرة للإرهاب

عرفه المجمع الفقهي الإسلامي بأنه :

"العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان: دينه ودمه وعقله وماله وعرضه"، كما أكد العلماء أن تعريف الإرهاب "يشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد"... ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر[٢].وعّرف بأنّه: "مجموع أعمال العنف التي تقوم بها منظّمة أو أفراد قصد الإخلال بأمن الدّولة وتحقيق أهداف سياسيّة أو خاصّة أو محاولة قلب نظام الحكم"[٣].

وفي قاموس أكسفور نجد كلمة إرهاب Terrorism تعني سياسة أو أسلوب يعد لإرهاب المناوئين أو المعارضين لحكومة ما وإفزاعهم. فالإرهابي Terrorist هو الشخص الذي يحاول أن يدعم آراءه بالإكراه أو التهديد أو الترويع[٤].

أما الإرهاب عند الأمم المتحدة، فيقصد به: أعمال العنف الخطيرة التي تصدر من

(١) القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، أبو الحسين (: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. مادة (رهب) ٤٤٧/٢.

(٢) ينظر زكي علي أبو غضة، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر - المنصورة، مصر، ٢٠٠٢م، ص ٣٧.

(٣) أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، مادة (ر هب)، ص٢٢٠٧.

(4) William little etal، The Shorter Oxford English Dictionary (london: Oxford University press، 1967)

فـرد أو جماعة بقصد تهديـد الأشخاص أو التسبب في إصابتهـم أو موتهم، سواء كان يعمل بمفرده أو بالاشتراك مع أفراد آخرين، ويوجه ضد الأشخاص أو المنظمات أو المواقع السكنية أو الحكوميـة أو الدبلوماسيـة أو وسائل النقل والمواصلات، وضد أفـراد الجمهور العام دون تمييز، أو الممتلكات، أو تدمير وسائل النقل والمواصلات بهدف إفساد علاقات الود والصداقة بين الدول، أو بين مواطني الدول المختلفة، أو ابتزاز أو تنازلات معينة من الدول في أي صورة كانت. لذلك فإن التآمر على ارتكاب أو محاولة ارتكاب أو الاشتراك في الارتكاب أو التحريض على ارتكاب الجرائم يشكل جريمة الإرهاب الدولي"[1].

التعريف الأمريكي للإرهاب: ورد في التقرير الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية في أكتوبر سنة ٢٠٠١ م أن الإرهاب يعني:

"العنـف المتعمـد ذو الدوافع السياسية، والذي يرتكب ضد غير المقاتلين، وعادة بغية التأثـير علـى الجمهـور، حيث إن غـير المقاتلين هـم المدنيـون، إلى جانـب العسكريين غير المسلحين، أو الذين هم في غير مهماتهم وقت تعرضهم للحادثة الإرهابية، أو في الأوقات التي لا توجـد فيهـا حالة حرب أو عداء. أما الإرهاب الـدولي، فهو الذي يشترك فيه مواطنون، أو يتم على أرض أكثر من دول واحدة"[2]

إنـه باستعراض التعريفـات السابقة لمفهـوم الإرهاب وغيرها مما يطـول ذكره، يتبين أن الإرهـاب هـو استخدام العنف والقسوة والغدر، حيث إنّ الـكل مجمع على أن الإرهاب هو استعمـال القوة بمختلف أشكالها ؛ قصـد ترويع الآمنين اتجاه الأهداف سواء كانت مدنية أو عسكرية.

أو العسكرية في غير حال الحرب المعلنة بين طرفين بهدف بث الرعب ودون إنذار سابق.

فالحاصـل أن لفظـة إرهاب في اللغـات الأخرى تأتي بمعنى الرعـب terror وتعني خوفا أو قلقـا متناهيـا، أو تهديد غير مألـوف أو محتملا، والإرهابي هو من يلجـأ إلى العنف غير

(١) نبيل لوقا بباوي، الإرهاب صناعة غير إسلامية، دار البباوي للنشر – القاهرة ، ٢٠٠١م، ص ٥٨.

(٢) طـه عبد العليم طه، خطيئـة التعريف الأمريكي للإرهاب، جريدة الأهرام، ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٢م، (ملحق الجمعة)، ص٣٦.

القانـوني أو التهديد به لتحقيق أهـداف سياسية سواء من الحكومـة أو الأفراد والجماعات الثورية المعارضة.

وقد بلغـت أهمية تعريف ظاهرة الإرهاب حدا" كبيرا"دفع الـدول إلى إقامة المؤتمرات والندوات لتحديد مفهومه وعناصره ومسبباته.

يتضـح لنـا مما سبـق وفي مقارنـة سريعة بـين لفظة الإرهـاب في الإسـلام وغيره من الاعتقـادات، أن لفظـة الإرهاب في الإسلام تعني الشعور بالخـوف، وهذا يحصل لمن تحدثه نفسـه بارتكاب العدوان نتيجـة إحساسه بوجود قوة مرعبة رادعة، تصده كلما هم أو فكرّ في ارتكاب جريمة، وهذا المعنى مأمور به شرعا دعما لاستتباب الأمن والاستقرار.في حين رأينا مـن خلال التعريفـات السابقة عند غير المسلمين أن معناه: استخـدام القوة المطلقة والعنف اتجـاه الآخرين. والمستقرئ للمعجمات العربية والأجنيبة يجد أنّ لفظة إرهاب تحكمها ثلاثة أبعاد : نفسية ودينية وسلوكية .

وسنتعرضـ لهـذا بشيء من التفصيل عنـد تناول الآيات التي تتحـدث عن الإرهاب في مبحث كيف عالج القرآن هذه الظاهرة.

المطلب الثالث: مفهوم الإرهاب في القرآن

لفظة الإرهاب في القرآن أتت في دلالات مختلفة لا صلة لها بالإرهاب: بمفهومه الغربي .

لقد اشتقت كلمة "إرهاب" من الفعل المزيد (أرهب). ويقال أرهب فلان فلانا أي خوفه وأفزعه، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعّف (رَهّب). أما الفعل المجرد من المادة نفسهـا وهو (رهب) يرهـب رهبة ورهبا ورهبا فيعني خاف، فيقال: رهب الشيء رهبا ورهبة أي خافـه، أمـا الفعل المزيد بالتاء وهـو (ترهب) فيعني انقطع للعبـادة في صومعته (رهبان النصـارى)، ويشتـق منه الراهـب والرهبانية...إلـخ. وكذلك يستعمل الفعـل ترهب بمعنى توعـد إذا كان متعديـا فيقال: ترهب فلانـا: أي توعده، وكذلك تستعمـل اللغة العربية صيغة

"استفعل" من المادة نفسها فتقول: (استرهب) فلانا أي رهبه [1].

ويلحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل مصطلح "الإرهاب" بهذه الصيغة وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق من المادة اللغوية نفسها بعضها يدل على الإرهاب والخوف والفزع، وبعضها الآخر يدل على الرهبنة والتعبد.

وهكذا وردت مشتقات المادة (رهب) سبع مرات من مواضع مختلفة في الذكر الحكيم لتدل على معنى الخوف والفزع كما يأتي:

يرهبون: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الأعراف: ١٥٤)

فارهبون: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ (البقرة: ٤٠).

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ (النحل: ٥١).

ترهبون: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الأنفال: ٦٠)

استرهبوهم: ﴿ قَالَ ٱلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١١٦)

رهبة: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحشر: ١٣)

رهبا: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ٩٠)

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ه، مادة (رهب)، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) المعجم الوسيط، دار الدعوة، مادة (رهب)، والفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت، مادة (رهب).

ووردت مشتقات المادة نفسها (رهب) خمس مرات في مواضع مختلفة لتدل على الرهبنة والتعبد (رهبان- رهبانهم - رهبانية). بينما لم ترد مشتقات مادة (رهب) كثيرا في الحديث النبوي. ولعل أشهر ما ورد هو لفظ (رهبة) في بعض الأحاديث النبوية منها حديث الدعاء (وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك)[1].

المطلب الرابع: أقوال المفسرين في لفظة الإرهاب

منها قول الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾(الأنبياء: ٩٠).

قال ابن كثير في تفسيره: (وإياي فارهبون) (أي: فاخشون، ترهيبٌ، والرهبة من أجل الرجوع إلى الحق، والاتعاظ بما عسى أن ينزل بهم من العقاب)[2].

وبمثل ما تقدم، فسر قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّىَٰ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾(النحل: ٥١) (أي ارهبوا أن تشركوا بي شيئًا وأخلصوا لي الطاعة)[2].

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأنبياء: ٩٠). قال ابن كثير: (رغبا فيما عندنا، ورهبة مما عندنا، خائفين، الخشوع هو

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ه، مادة (رهب)، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) المعجم الوسيط، دار الدعوة، مادة (رهب)، والفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت، مادة (رهب).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩ه، ١ /٧٩-٨٠.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٥٥.

الخـوف المستمر، خاشعين أي متواضعين)[1] وفسر قوله تعالى:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾(الأنفـال: ٦٠). فسرهـا بقوله: (ترهبون أي تخوّفون به عدو الله وعدوكم، هم المنافقون)[2]

قـال صاحـب المنار: ثـمّ إنّ الله تعالى ذكر مـا لأجله أمـر بإعداد هـذه الأشياء فقال: ترهبـون بـه عدوّ الله وعدوّكم وذلـك أنّ الكفّار إذا علموا أنّ كون المسلمـين متأهّبين للجهاد ومستعدّين له مستكملـين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم، وذلك الخوف يفيد أمورًا كثيرةً: (أوّلهـا) أنّهم لا يقصـدون دار الإسلام. (وثانيها) أنّه إذا اشتـدّ خوفهم فربّما التزموا من عنـد أنفسهم جزيةً. (وثالثها) أنّه ربّمـا صار ذلك داعيًا لهم إلى الإيمان (ورابعها) أنّهم لا يعينون سائر الكفّار. (وخامسها) أن يصير ذلك سببًا لمزيد الزّينة في دار الإسلام.ويستفاد مـن كلام محمد رشيد رضـى أنّ الإرهاب المشروع في الآية لغاية الدفـاع عن النّفس وحماية الدّيار ، فالأرهاب المقصود من الآية هو لردع المنافقين ودفع أذاهم ؛ فهو أقرب إلى التخويف لصـدّ كيد الأعـداء . فالعدّة العسكريـة والنّفسية من موجبـات الاستقـرار النّفسيّ وتثبيت الإيمان وتوحيد صفوف المؤمنين.

ثمّ قال في تفسير الآخرين من دونهم: والمراد أنّ تكثير آلات الجهاد وأدواتها كما يرهب الأعـداء الّذين نعلـم كونهم أعداءً، كذلك يرهب الأعداء الّذين لا نعلـم أنّهم أعداءٌ، ثمّ فيه وجـوهٌ الأوّل وهـو الأصحّ أنّهم هم المنافقـون - وبيّنه من وجهـين: (الأوّل) أنّهم إذا شاهدوا قوّة المسلمـين وكثرة آلاتهم وأدواتهم انقطع طمعهم مـن أن يصيروا مغلوبين، وذلك يحملهم علـى أن يتركـوا الكفر في قلوبهـم وبواطنهم ويصـيروا مخلصين في الإيمـان. (الثّاني) أنّ المنافـق مـن عادته أن يتربّص ظهـور الآفات، ويحتـال في إلقاء الإفسـاد والتّفريق فيما بين المسلمين، فإذا شاهد كون المسلمين في غاية القوّة خافهم، وترك هذه الأفعال المذمومة[3].

(١) المصدر السابق ٣ /١٨٨.

(٢) المصدر السابق ٢ /٣٠٨.

(٣) القلموني، محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ١٠/٥٦، ٥٧.

فالحاصل هو من أجل منع العدوان والظلم، ولحماية أمة الإسلام التي أمرت بالتزام الحق والعدل، وأمرت بتحصل القوة لتثبيتهما إزاء الناس كافة، ولأن الاستعداد المستمر والجاهزية للجهاد عند الاقتضاء يدفع الحرب ويمنع وقوعها بسبب خوف من يعتزم نقض العهود، ويبيت الاعتداء، ويضمر الخيانة والغدر، وإرهابه إرهابٌ مشروع، ولا يتحقق له ذلك، ويحصل له الخوف والرهبة الزاجرة إلا متى علم بشدة قوة المسلمين. فالآية التي تأمر المسلمين بوجوب تحصيل القوة، وتوفير أسبابها ومقوماتها، بما يتناسب مع كل عصر، إنما لتكون رادعًا وزاجرًا يرهب كل من تسول له نفسه مباغتتهم بالحرب، فيتضرر المسلمون، وتتعطل رسالة الإسلام الذي يسعى إلى تحقيق السلام، ويأمر بالجنوح له ، وفي تحصيل القوة سدٌّ لأبواب المفاسد والحروب، وحفظ للأمن، وجلب مصالح ومنافعهم، فيهنأ الجميع باتقاء الفتن، ويسعد الجميع بانفتاح أبواب التعاون وتنمو روابط المودة ويزدهر العمران في الأرض، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (الممتحنة: ٨)، ويتمحص من ذلك أن الإرهاب المأمور به الوارد في القرآن الكريم، إنما هو خاص، يتعلق بالمعتدين، لصدهم عن عدوانهم متى حصل منهم، وليس هو إرهابًا عدوانيًّا بالمعنى المعاصر، المرفوض إسلاميًّا.

المبحث الثاني

أسباب الإرهاب

من المسلم به اليوم أن علاج أي ظاهرة تنشأ في مجتمع ما هو بدراسة هذه الظاهرة دراسة استقصائية وتشخيصها تشخيصا صحيحا، والوقوف على ملابساتها، وبيان الأسباب والنتائج والآثار المترتبة على نشوء هذه الظاهرة، ولعل من أبرز طرق العلاج الحديث للظواهر الناشئة، سواء كانت اعتقادية فكرية، أو جرمية محضة، إنما هو بدراسة الأسباب دراسة معمقة، لأن في معرفة الأسباب ومحاولة إيقافها أفضل علاج لجذور الظاهرة، وليس المقصود علاج الظواهر والنتائج.

وهنا أود بيان الأسباب التي أدت إلى الإرهاب، فالمرء لا يولد إرهابيا، وإنما هناك مجموعة عوامل تدفع المرء للعنف والتطرف والغلو والقسوة، وتنتهي بالإرهاب، وقد تكون هذه الأسباب بيئية أو اقتصادية أو سياسية أو موروثا فكريا، إلى غير ذلك.

المطلب الأول: الأسباب السياسية[1]

١- اليأس والإحباط السياسي: وهذا يكون نتيجة ما تمارسه الدول الكبرى من إزدواجية في التعامل، والتنكر لكل قيم الإنسانية والعدالة والحرية حينما تتعارض مع مصالحها، وبالتالي يقع الظلم على الدول الفقيرة والضعيفة مما يجعل ردة الفعل عنيفة عند أفرادها.

ومن ناحية أخرى تهميش الأنظمة في الدول العربية للجماعات الإسلامية، والوقوف في وجهها، ومصادرة حرياتهم في العمل الحزبي، وبالتالي هذا يؤدي إلى ردة فعل عنيفة.

(١) انظر: أكاديمية نايف للعلوم الأمنية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩ م . أبحاث الندوة العلمية حول تشريعات الإرهاب . د / محمد مؤنس محب الدين في بحثه : الإرهاب على المستوى الإقليمي "الاستراتيجيات الأمنية" . العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي ط المعهد العالمي للفكر ، د / عبد الحميد أحمد أبو سليمان . حصاد الإرهاب د / ناصر بن مسفر الزهراني مكتبة العبيكان بالرياض.

٢- الاعتماد على مصادر مغايرة لشريعة الله: وذلك بأن يترك التحاكم إلى العقول والفهوم القاصرة الفاسدة، وترك التحاكم إلى شريعة الله.

٣- إهمال الرعية وعدم النظر لما يصلح شأنهم: فالواجب على من ولاه الله أمر الأمة أن يؤدي الأمانة، ويحفظ الديانة، ويسوس دنيا الناس بدينهم.

٤- ظهور تجمعات سياسية: وهذه التجمعات ظهرت نتيجة حتمية للتهميش وعدم المحاورة، والعنف في مجابهتها وقمعها، وبالطبع نشأت في ظل قراءات ومفاهيم خاطئة بعيدة عن الشريعة والدين.

المطلب الثاني: الأسباب الفكرية والأخلاقية[١]

١- الانقسام في المجتمعات المسلمة فكريا إلى تيار علماني مادي، يبني الحياة على أساس دنيوي بحت لا علاقة له بالشرع أو التقاليد والمخزون الاجتماعي.

وآخر ديني يأخذ أقصى اليمين، يعارض المدنية ويرفض الحضارة الغربية بكل ما فيها، لأن كل ما فيها شرّ حسب رأيه.

٢- الجهل بأمور الدين، كالجهل بمقاصد الشريعة و مآلات الأمور، والنظرة السطحية للأمور، وهذا ما أشار له النبي ﷺ في قوله عن الخوارج: " يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم "[٢]، والمعنى أنهم إنما يقرؤون القرآن دون أن يفقهوه ويتعلموه ويتدبّروه ، لذلك فهو لا يصل إلى القلب. وهذا يعود كذلك إلى تقصير من أخذ الله عليهم الثبات من أهل العلم ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ

(١) انظر: رابطة العالم الإسلامي (المجمع الفقهي الإسلامي) بمكة المكرمة، الإرهاب أسبابه ووسائل العلاج . ظاهرة التكفير تاريخها خطرها ، أسبابها ، علاجها ، إعداد الأمين الحاج محمد أحمد مدرس المواد الشرعية بمعهد اللغة العربية جامعة أم القرى مكة، مكتبة دار المطبوعات الحديثة. عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة الشيخ خالد عبد الرحمن العك المدرس في دار الإفتاء بدمشق.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (ت: ٢٥٦) ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة العالمية - دمشق، ط١ (١٤٣٢هـ، ٢٠١١م) ، حديث رقم (٦٩٣٤) .

بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨٧) فأهل العلم هم الواسطة بين الله وخلقه، هم ورثة الأنبياء، وصمام الأمان يبيّنون للناس ما خفي عليهم.

٣- ضعف دور العلماء في بيان الحق وتوضيح الشريعة، وحينها فإن الناس سيأخذون عمن تصدر للعلم من غير أهله فيضلّوا و يضلّوا.

المطلب الثالث: الأسباب الاجتماعية(١)

١- اختلال تصورات بعض الأفراد وتناقضها وهذا ناتج عن القطيعة بين ما اكتسبه الفرد وواقعه المعيشيّ.

٢- ضعف الشعور بالمسؤولية الجماعية، حيث يظن كل فرد أنه مسؤول عن نفسه ولا علاقة له بباقي المجتمع، فتظهر الأنانية ويسود حب النفس، وتنعدم روح الأخوة بين أفراده.

٣- عدم ملء فراغ الشباب بالعمل المناسب، من خلال إكسابه المهارات والخبرات، وتوفير فرص العمل الجيد، فإن الفراغ داء وبيل، وبالتالي فإن هذا الفراغ لا بد له من أن يملأ، فإن لم تملأه أنت جاء غيرك وملأه من أصحاب الأفكار الهدّامة.

أضف إلى هذا كله أسبابا اقتصادية، حيث إنّ قلة ذات اليد تؤثر في حياة الفرد النفسية، وتوقعه في مهالك وأخطار، فانتشار البطالة، وعدم تكافؤ الفرص، وكذلك الأسباب التربوية من اختفاء القدوة الناصحة، وغياب التربية القويمة، وذلك لتقاعس الآباء والمربين عن أداء واجبهم، وانهماكهم في مشاغل الحياة.

كل هذه الأسباب تذكي وتشعل ظاهرة الإرهاب، حيث يجد المروّجون له بيئة خصبة ومعينا لا ينضب.

(١) انظر: آل رشود، عبد الله بن سعد، ظاهرة الانحراف الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٢٢هـ) عدد ٣٦. بيومي، جلال محمد سليمان، التطرف وعلاقته بمستوى النضج النفسي الاجتماعي لدى الشباب، (رسالة دكتوراه) كلية التربية، جامعة الأزهر – القاهرة. مجلة الأمن عدد (٢) د / أحمد جلال عز الدين (جمادى الآخرة ١٤١١ه) بحث الإرهاب وسائله وأسبابه. مجلة الدعوة عدد١٨٩٥ الخامس من ربيع الآخر ١٤٢٤ / ٥ يونيو ٢٠٠٣م . ذياب البداينة، الأسرة ومشكلات الأبناء، دار الشروق – عمان/ الأردن (٢٠٠٥م).

المطلب الرابع: الأسباب التربوية[1]

لا شك فيه أن الأمم باتت تدرك أهمية تربية الأجيال وتنشئتهم النشأة التربوية السليمة واستخدام كل الأساليب والطرق للارتقاء بالمستوى التعليمي والتربوي للأجيال ذلك أن رقي أي أمة يبدأ من هذا الجانب أي الجانب التربوي لمن يعول عليهم في المستقبل النهوض بالأمة، من هنا فالواجب علينا في تربية أبنائنا أن نعيد تقويم العملية التربوية، لأنه الأسلوب التربويّ الأمثل، إما أن تكون دافع للطالب على حب العلم والإقدام على النهل منه، وإما أن تكون صادة له عن التعلم وإحداث انتكاسة عنده بسبب تلك الطرائق التقليدية المجردة.

ويمكننا حصر هذه الأسباب في :

١. ضعف التربية الإيمانية القائمة على أساس متين كنصوص الوحي ودراسته.

٢.اختفاء القدوة والأسوة.

٣.غياب التربية الجادة والقويمة، ويعزى ذلك لتقاعس المربين ، وانهماكهم في شؤون الحياة.

(١) انظر: البرعي، وفاء محمد، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ط١ (٢٠٠٢م). الحارثي، قباس وصل الله، دور المدرسة الثانوية في تحقيق منهج الوسطية الفكرية لطلابها من وجهة نظر القادة التربويين في منطقة مكة المكرمة، (رسالة ماجستير) جامعة أم القرى – مكة المكرمة (١٤٢٧هـ). مفهوم الغلو في الكتاب والسنة، د / صالح بن غانم السدلان بحث مقدم لندوة : أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو في الفترة من ٣ : ١١ / شعبان ١٤٢٤هـ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مكة المكرمة . السعيدين، تيسير بن حسين، دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف، مجلة البحوث الأمنية، العدد (٣٠)، (١٤٢٦هـ).

المبحث الثالث

كيفية تعامل القرآن مع أسباب الإرهاب، وآليات معالجتها

إن الله عز وجل أنزل القرآن كتاب هداية ورحمة للناس جميعا، و هذا ما يجعل رسالة القرآن رسالة عالمية أي أنه لم ينزل فقط لأهل الجزيرة العربية أو لأمة العرب، بل للأمم جميعا، وهذا يعني أن شريعة الله تضم في خفاياها المسلم وغير المسلم، دونما تغوّل من أحدهما على الآخر. فاحترام إنسانية الإنسان وآدميته، واحترام فكره حتى وإن خالف، فله دينه الذي اتّبع مادام ضمن إطار الدولة، يؤدي الحقوق ويأخذ الواجبات.

ثم إن احترام النفس الإنسانية مقدّس في الشريعة الإسلامية، فالإنسان هو خليفة الله في الأرض وعليه فقد تكفل الإسلام بالدفاع عن المنظور الإنساني العالمي، وحمى هذا الإنسان من أن يمس بسوء.

وقد قال الله عز وجل: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (المائدة: ٣٢)

فانظر، قال الله في الآية (نفساً) أي نفس، وهذا يبيّن تكريم الله للإنسان بوصفه إنساناً، ولذلك فأي اعتداء على هذه النفس يكون عملاً مرفوضاً شرعاً.

وهكذا نلحظ أن القرآن يعالج هذه الظاهرة المتوقعة قبل حدوثها، فيقعّد القواعد ويبيّن الطرق التي يجب أن يسلكها الفرد، حتى إذا ما ظهرت هذه الأمور على السطح كان الفرد المسلم محصنا من الوقوع في الزلل والخلل.

ومن الواضح أن القرآن سلك في علاج الإرهاب مسلكين:

الأول: تربية الفرد المسلم ابتداء على القيم والأخلاق والسلوك السوي، وحثه على العمل الصالح ومحبة الناس، والتفاني في إدخال السرور على قلوبهم، والتنبيه على الرحمة والصبر والتواضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم: ٤) فقد وصفت الآيات النبي ﷺ في معرض المدح والثناء بأنه على خلق عظيم؛ حيث عهده الأعداء قبل المسلمين أنّه جمع من الأخلاق ما يفوقه الوصف من الأمانة والصدق وحسن الجوار و رحمة الخلق، وفي هذا حثٌ للمسلمين بأن يتأسوا بنبيّهم ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١) وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة: ١١٩)، وقوله: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٧)، وغيرها من الآيات التي تربي الفرد المسلم على كبت النزعات. ومن ثمّ تكون هذه الآيات نبراساً يهتدي به إلى الاتزان وعدم الغلو والتطرف.

والمسلك الثاني: بيان الآيات في كيفية معاملة المسلمين لغيرهم من المحاربين، وعدم الجور، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٠) وقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

بل ويذهب الأمر إلى أبعد من ذلك حينما يقول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة: ٨).

ولنبدأ بأخذ بعض الآيات لمناقشتها وتفسيرها، للوقوف على كيفية معالجة القرآن لهذه الظاهرة والتعامل معها.

المطلب الأول: العلاج القرآني للأسباب السياسية

قد ذكرنا من قبل أن القرآن الكريم سلك مسلكين:

المسلك الأول وهو تربية الفرد على القيم والأخلاق وحثه عليها، والثاني : بيان كيفية معاملة المسلمين لغيرهم من المحاربين، ونهي المسلم عن الظلم والتعدّي والجور.

إن المتأمل لآيات القرآن العظيم يجد أنها في مجموعها تؤكد أن علاقة المسلم مع غيره من البشر حتى الذين يخالفونه في الدين هي علاقة سلم، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ (الأنفال: ٦١)

هذا هو الأصل، أما إذا فرضت عليه الحرب، فإنه لابد أن يدافع عن نفسه، ويخوض غمار هذه المعركة، قال تعالى:﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٤) وقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٠)، وكذلك قوله تعالى:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الحج: ٣٩)، فانظر إلى العلة، يأذن لهم بالقتال لأجل الظلم، وليس لأن الذي يقابله ليس على دينه.

ولقد تعرض القرآن لسبب هو من أعظم الأسباب التي تولد الإرهاب، وهي انعدام العدالة والوزن بمكيالين، سواء على مستوى الأفراد أو الدول.

لذلك ؛ فإن الإسلام أفشى العدل وأشاعه في كل شيء، لأن انعدامه بين الناس يجعل صاحب الحق المقهور الذي لا يستطيع أن يتوصل إلى حقه بالطرق المشروعة يلجأ إلى الطرق المعوجة، وقد يسلك مسالك العنف التي هي ردة فعل طبيعيى للواقع الذي نحياه.

وقد جاء قول الله تعالى صريحا ومدويا دونما أية شبهة:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل: ٩٠)، ومعنى: إن الله يأمر بالعدل والإحسان، العدل: هو فعل كل مفروض من عقائد وشرائع، و سير مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم، والإنصاف، وإعطاء الحق.

والإحسان: فعل كل مندوب إليه، أي: فهو زائد على العدل، كالرحمة التي هي فوق القوة: وإن الله يأمر عباده بالعدل والإنصاف مطلقا في كل شيء في التعامل والقضاء والحكم وشؤون الدين والدنيا، حتى مع نفسه ومع غيره[1].

ونلاحظ أن الأمر بالعدل يدخل في كل شيء في علاقة الرجل مع أهله ومع أولاده، وحتى في قوله، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (الأنعام: ١٥٢) .وهو طلب القيام بفعل القول العادل على وجه الاستعلاء والإلزام .

ومع ذلك لم يفرق القرآن في قضية العدل لأجل الجنس أو الديانة أو العرق، ففي شريعة الله البشر سواء لا تمييز بينهم، اللهم إلا بالتقوى، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات: ١٣) .

بل يذهب القرآن إلى ما هو أبعد من ذلك حينما يأمر المؤمنين بأن يعدلوا حتى مع من يبغضونهم، ومن هم على غير دينهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (لمائدة: ٨) .

قال الطبري: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حدّدت لكم في أعدائكم لعداوتهم، ولا تقصّروا فيما حدّدت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدّ، واعملوا فيه بأمري [2].

ولقد عالج القرآن مسألة اليأس والإحباط التي قد يتعرض لها المسلم، وهي سبب من أسباب الإرهاب، فالقرآن دعا المسلم إلى أن يكون إيجابيا في سلوكه، يعيش بتفاؤل وأمل ؛

(١) الزحيلي ، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دار الفكر – دمشق، ط١ ، ١٤٢٢هـ، ٢/١٢٩٥-١٢٩٦.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي (ت: ٣١٠هـ) ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١٠/٩٥.

ولكـن ما يصيبه لم يكن ليخطئه، إنه الابتـلاء والامتحان، فهي سنة الله في أنبيائه وأوليائه، فـلا ييأس من الواقع، و من غلبة الأعداء، وجلبة الباطل وانتشاره، قال تعالى:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾(العنكبـوت: ٢)، وهذا الذي يحدث إنما هو منحة في ثـوب محنة، وإلا لما أصاب الأنبياء، قـال الله عز وجل: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (البقرة: ٢١٤) . والاستفهام الذي خرج إلى الاستيطاء في قوله (متى) واضح الدّلالة على ضرورة الصبر الجميل

قال ابن كثير: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة قبل أن تختبروا وتمتحنوا كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم : خوفا من الأعداء زلزالا شديدا، وامتحنوا امتحانا عظيما[1].

ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الأرت قال: قلنا: يا رسول الله، ألا تستنصـر لنـا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: "إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه، فيخلص إلى قدميه، لا يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه، لا يصرفه ذلك عن دينه، ثم قال: والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"[2].

وهـا هو القرآن يبيّن كيف كان حال المؤمنين ؛ وقـد كان الواقع يدعوهم إلى اليأس. قال تعـالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأحـزاب: ٢٢)، أي: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر[3]

وقـال تعـالى ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٧١/١ .
(٢) البخاري، الجامع الصحيح (٣٦١٢) .
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٩٢/٦ .

شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ آل عمران: (١٣٩ – ١٤٠). فالنهي الوارد في الآية دال على الإيناس وتسلية قلوب المؤمنين .

قال الطبري: "ولا تهنوا ولا تحزنوا" يا أصحاب محمد، يعني: ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم بأحد، من القتل والقروح- عن جهاد عدوكم وحربهم. "ولا تحزنوا" ولا تأسوا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ "وأنتم الأعلون" يعني: الظاهرون عليهم، ولكم العقبى في الظفر والنصرة عليهم، إن كنتم مؤمنين[1].

والحاصل أن القرآن عالج هذا اليأس والإحباط الذي يتولد في قلب المؤمن من خلال تعزيز ثقة المسلم بربّه، فالمسلم أعلى بمنهجه وفكره واعتقاده حتى وإن تعرض لصدمات في الطريق، فلقد تعرض لها من هم صفوة الخلق وأولياء الحق.

ومن أسباب الإرهاب التي عالجها القرآن عدم الحكم بما أنزل الله، فالله سبحانه هو الذي خلق الخلق، وأمرهم بعبادته، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ (الذاريات: ٥٦)

وقد أمر عباده باتباع شريعته وتحكيمها وعدم الركون إلى غيرها، قال سبحانه:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الجاثية: ١٨)

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيّه محمدﷺ: ثم جعلناك يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم (على شريعة من الأمر) يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا به من قبلك من رسلنا (فاتبعها) يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به[2].

وقد حسم القرآن أمر التحاكم إلى الشريعة حيث قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم

(١) الطبري، جامع البيان ٧/ ٢٣٤ .
(٢) الطبري، جامع البيان ٢٢/ ٧٠ .

مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ (النساء: ٥٩) قال صاحب المنار: وبذلك تكون الدولة الإسلامية مؤلفة من جماعتين أو ثلاث:

الأولى: جماعة المبيّنين للأحكام الذين يعبّر عنهم أهل هذا العصر بالهيئة التشريعية.
والثانية: جماعة المحكمين والمنفّذين (الهيئة التنفيذية).
والثالثة: جماعة المحكّمين في التنازع. ويجب على الأمة قبول هذه الأحكام والخضوع لها سرّاً وجهراً، وهي لا تكون بذلك خاضعة خانعة لأحد من البشر، ولا خارجة عن دائرة توحيد الربوبية الذي شعاره إنما الشارع هو الله : وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ (يوسف: ٤٠).

فالواجب الالتزام بشرع الله والتسليم بحكمه.والحقيقة أن البعد عن شريعة الله هو سبب الضلال وضياع البوصلة للمسلمين، وهو سبب هذا الشقاء الذي تحياه الأمة.

ومن الأسباب السياسية المنتجة للإرهاب ظهور التجمعات السياسية والتحزبات، وهذا الأمر أدى إلى الفرقة والتباين في الوصول إلى النتائج المرجوة، زاعما كل حزب أو تجمع أنه هو على الجادة والطريقة وغيره متنكب للطريق، وبالتالي ظهر التطرف والغلو والتعصب للحزب والجماعة، وقد ذكر القرآن هذا التشرذم الذي هو نتاج التجمعات فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أخبر نبيهﷺ أنه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه، وكانوا فرقا فيه وأحزاباً شيعاً، وأنه ليس منهم، ولا هم منه، لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام دين إبراهيم الحنفية، كما قال له ربه وأمره أن يقول: ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ (الأنعام: ١٦١).

فكان من فارق دينه الذي بعث بهﷺ من مشرك ووثني ويهودي ونصراني ومتحنّف، مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضل به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إبراهيم المسلم فهو بريء من محمد ومحمد منه بريء، وهو داخل في عموم قوله:)إنّ الّذين فرّقوا.... ([1]

(١) الطبري، جامع البيان ١٢/٢٧١.

وقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ (الشورى: ١٣)، يعني: لا تختلفوا في الدين الذي أمرتم بالقيام به، كما اختلف الأحزاب من قبلكم[١]، فنجد أن القرآن قد حذّر من كل ما شأنه أن يوقع الخلاف والفرقة وتشتت الكلمة وذهاب الريح، وإنما يحصل هذا بالتفرق والتحزب.

ومن أسباب الإرهاب التي عالجها القرآن إهمال الرعية وعدم الالتفات لمصالحها، والحقيقة أن فلسفة الحكم في الشريعة تقوم على أن الحاكم هو خادم للرعية، تتلخص مهمته بأن يسوس الدنيا بالدين ويرعى الشؤون المشتركة للمجتمع بمقتضى الحكمة، ويقوم على رعاية مصالح العباد وتوفير العيش الكريم لهم وحفظ كرامتهم، وهو ليس بأفضل منهم اللهم إلا أن أعظم حملا وأمانة، لذا جاء في الحديث: "إنّها أمانةٌ، وخزيٌ، وندامةٌ يوم القيامة إلّا من أخذها بحقّها وأدّى الّذي عليه فيها"[٢].

بل وجاء في الحديث: " ما من أميرٍ يلي أمر المسلمين، ثمّ لا يجهد لهم، وينصح، إلّا لم يدخل معهم الجنّة"[٣].

ونجد أن القرآن يركز في مسألة الحكم على قضية العدل في الرعية، وأن من حق الرعية أن تحكم بأعلى درجات النزاهة ودون محاباة لأن انعدام العدل وفشو الظلم يقوض دعائم المجتمع ويوغر صدر الرعية فتنتج ردات فعل عنيفة، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى وهو يخاطب نبيا حاكما: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ص: ٢٦) .

هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله[٤].

---

(١) الطبري، جامع البيان ٥١٣/٢١.

(٢) الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، المسند تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، حديث رقم (٢١٥١٣).

(٣) النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، حديث رقم (١٤٢).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦٢/٧.

وقد عرض القرآن كيف تكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة تقوم على الاحترام المتبادل والتشاور في الأمور والمحاورة، وعدم الاستبداد بالرأي وهذا ما نراه في حوار ملكة سبأ مع قومها حيث قال الله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (النمل: ٣٢ – ٣٥).

قال الشوكاني: والمعنى يا أيها الأشراف أشيروا علي وبينوا لي الصواب في هذا الأمر، وأجيبوني بما يقتضيه الحزم، وعبرت عن المشورة بالفتوى، لكون في ذلك حل لما أشكل من الأمر عليها، وفي الكلام حذف، والتقدير: فلما قرأت بلقيس الكتاب، جمعت أشراف قومها وقالت لهم: يا أيها الملأ إني ألقي إلي، يا أيها الملأ أفتوني، وكرر قالت لمزيد العناية بما قالته لهم، ثم زادت في التأدب واستجلاب خواطرهم ليمحضوها النصح، ويشيروا عليها بالصواب فقالت: ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أي: ما كنت مبرمة أمرا من الأمور حتى تحضروا عندي، وتشيروا علي[1]

المطلب الثاني: العلاج القرآني للأسباب الفكرية

الإسلام دين يخاطب العقل والروح، يقوم على الحجة والبرهان والدليل، لا مجال فيه للخرافة والجهل، دين يحترم العقل فلقد جعله مناط التفكير، دين لا يحجر على العقل إنما يدعو العقل للتأمل والتدبر فكثيرا ما تختم الآيات بلعلكم تتفكرون تتدبرون تعقلون... قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾(آل عمران: ١٩٠)، وأمر بالنظر والتأمل الموصل للحقيقة والمعرفة، فقال:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾(الغاشية: ١٧)، وقال تعالى:﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (يونس: ١٠١).

فكلها آيات تدعو إلى إعمال الفكر وفي هذا رفع لشأن العقل وشأن الذين يعملونه فيما ينفع ويعود على الفرد والمجتمع بالخير.

(١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ ه، ج٤/ص١٥٨.

لذلك نجد أن القرآن قد تعرض لعلاج الانقسام الفكري.

الحاصل نتيجة لاختلاف أنماط التفكير، والتي قد تكون بسبب مشارب معينة أو اعتقادات ورأى فسلك القرآن معها مسلك الحوار والنقاش وإقامة الحجج والبراهين، قال الله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(الأنبياء: ٢٤)، قال البغوي: أم اتّخذوا من دونه آلهةً، استفهام إنكار وتوبيخ، قل هاتوا برهانكم، يعني حجّتكم على ذلك، ثمّ قال مستأنفًا، هذا، يعني القرآن. ذكر مَن معي، فيه خبر من معي على ديني ومن يتّبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثّواب على الطّاعة والعقاب على المعصية. وذكر، خبر، من قبلي، من الأمم السّالفة ما فعل بهم في الدّنيا وما يفعل بهم في الآخرة[1].

فهذا حوار مع مشركين يحفز عقولهم ويحرك وجدانهم ويحاورهم بالمنطق والحجّة الدّامغة.

والآن انظر كيف يحذر عباده المؤمنين من الفرقة والانقسام سواء في الفكر أو الطريقة أو النهج، فالمسلمون ليس لهم إلا طريق واحد ومنهج واحد، فإذا أبوا إلا الفرقة حل بهم ما حل بالأمم السابقة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله ونحو هذا. قاله مجاهد، وغير واحد[2].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾(آل عمران: ١٠٥). قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه:)ولا تكونوا(يا معشر الذين آمنوا) كالذين تفرقوا(من أهل الكتاب) واختلفوا (في دين الله وأمره ونهيه) من بعد ما جاءهم البينات(، من حجج الله، فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمر الله، ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله)وأولئك لهم(يعني: ولهؤلاء الذين

(١) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ، ج٣/ص٢٨٦.

(٢) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/٣٦٥.

تفرقوا، واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم) عذاب (من عند الله) عظيم(، يقول جل ثناؤه: فلا تتفرقوا، يا معشر المؤمنين، في دينكم تفرّق هؤلاء في دينهم، ولا تفعلوا فعلهم، وتستنوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم .

ومن الأمور التي عالجها القرآن هي من أسباب الإرهاب الجهل بأمور الشريعة ومقاصدها، ولهذا اهتم الإسلام بالعلم غاية الاهتمام ورفع من شأن العلماء ، وقال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾(الزمر: ٩) ، والعلماء هم ورثة الأنبياء والذي يعبد الله على جهالة فكأنما عصاه لأنه سيقع في الزلل من حيث يريد أن يحسن، لذلك فالجهل مرتع خصب لنشوء الإرهاب والتطرف والعنف لأن ردات الفعل من الأفراد الجهال غير مبنية على فهم صحيح للدين ومقاصده، ومآلات الأمور ،وتقديم المصلحة ودرأ المفسدة

لأجل ذلك جاء خطاب الله لعباده بأن يرجعوا فيما يشكل عليهم من أمور في دينه إلى أهل العلم قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾(النحل: ٤٣) ، أي: فسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون أي إن كنتم في شك من كون جميع الرسل بشرا، فاسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف: هل كان الرسل الذين أتوهم بشرا أو ملائكة؟ فالله يأمرهم أن يسألوا علماء الكتب السابقة عن حال الرسل المتقدمة، لتزول عنهم الشبهة، وليعلموا أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا، ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا [1].

فانظر هنا يأمر الله المشركين أن يسألوا العلماء، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لأنهم هم الأقدر على بيان الأمور وكشف الحقائق

وقال الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (الزمر: ٩) ، قل: هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أولوا الألباب، أي: هل يستوي العلماء والجهال؟

(١) الزحيلي. وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ، ج١٧/ص١٩.

إنما يتعظ بآيات الله ويتدبرها أهل العقول السليمة، لا الجهلاء، وإنما يعرف الفرق بين الصنفين العاقل، لا الجاهل.

لا يستوي الفريقان، فإن العالم الذي يدرك الحق ويعرف منهج الاستقامة، فيتبعه ويعمل به، لا يستوي أبدا مع الجاهل الذي يخبط خبط عشواء، ويسير في متاهة وضلال[1].

فالنية الصالحة دون علم لا تجدي والحماسة والحمية دون علم وفهم دمار وانظر إلى بعض الفرق الإسلامية القديمة والحديث كيف وقعت في المحظور حينما جهلت فقه الواقع وفقه الأولويات ومقاصد الشريعة.

ومن الأمور التي عالجها القرآن ضرورة أن يأخذ أهل العلم مكانتهم في توجيه الناس وبيان الحق وعدم كتمانه، ولقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم بذلك قال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾(آل عمران: ١٨٧)، وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبيﷺ أنه قال: "من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار"[2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(البقرة: ١٥٩)، واختلفوا من المراد بذلك؟ فقيل: أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمدﷺ وقيل: كل من كتم الحق وترك بيان ما أوجب الله بيانه، وهو الراجح، لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر في الأصول، فعلى فرض أن سبب النزول ما وقع من اليهود والنصارى من الكتم فلا ينافي ذلك تناول هذه الآية كل من كتم الحق. وفي هذه الآية من الوعيد الشديد ما لا يقادر قدره، فإن من لعنه الله، ولعنه كل من يتأتى منه اللعن من عباده، قد بلغ من الشقاوة والخسران إلى الغاية التي لا تلحق، ولا يدرك كنهها[3].

(١) وهبة الزحيلي، التفسير المنير ٢٣/٢٥٨.
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/١٨١.
(٣) الشوكاني، فتح القدير ١/١٨٦.

ولا شك أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء، والطير في الهواء، فهؤلاء بخلاف العلماء، فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون،

فالحاصل أنه لا يجوز لأهل العلم كتمانه لأن هناك من هم بحاجة إليه وإذا تخلوا عن دورهم فسيفتيهم جهال يتخذونهم رؤسا فيضلوا السبيل، وحينها سيظهر التطرف والغلو والإرهاب فيما يظن أصحابه أنهم يحسنون صنعا.

المطلب الثالث: العلاج القرآني للأسباب الاجتماعية

الحديث عن الحالة الاجتماعية له أهمية عظيمة ذلك أن المرء هو ناتج بيئته،فالبيئة تؤثر في اكتساب الصفات والسلوكيات والأفكار فكلما كانت البيئة سليمة من التشوهات والتناقضات والأمراض الاجتماعية كلما كان الفرد مميزا في أفكاره وتصرفاته.

فمن الأمور الإجتماعية التي عالجها القرآن الاختلال في التصور والتناقض بين ما تعلمه الفرد ويمارسه في حياته، فقد ركز القرآن على أنه ينبغي على المسلم أن يكون متسقا مع نفسه قال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾(الصف: ٢ – ٣) ، وقوله تعالى:)يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون(إنكار على من يعد وعدا أو يقول قولا لا يفي به، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا، سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا، واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول اللهﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[1]. وجاء في حديث آخر: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها» فذكر منهن إخلاف الوعد[2].

وقال الله سبحانه:﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ۝١١ ﴾(الرعد: ١١) ،

(١) البخاري، الجامع الصحيح (٣٣) .
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٣٢/٨.

يعني: إن الله لا يغير ما بقوم، من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك بظلم بعضهم بعضًا، واعتداء بعضهم على بعض، فتحلّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره[1].

وهذه سنة كونية بأن التغيير في حياة العبد لايكون إلا إن كان صادقا مع نفسه وذلك ببذل الأسباب الموصلة للتغيير وإلا فيكون فعله محض ادعاء وتناقض بين مطلبه وفعله، وبذلك نجد أن القرآن يحرص على السلوك الاجتماعي ،لينمي عند العبد الصدق مع النفس، ويزيل أسباب التناقض والاضطراب.

ومن الأمور الفكرية التي عالجها القرآن ضعف الشعور بالمسؤولية الجماعية والالتفات للنفس فقط، فالقرآن يركز على مفهوم الجماعة ذلك أنّ الخطاب في القرآن للمؤمنين بشكل جماعي على أنهم وحدة واحدة والخطاب يشمل المرأة والرجل حتى وإن كان الخطاب بيأيها المؤمنون، ولنستعرض بعض الآيات التي تؤكد هذا المعنى.

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(آل عمران: ١٠٣) ،قوله:)ولاتفرقوا(أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف[2].

فهذا خطاب للأمة جمعاء، وهو في الوقت ذاته تحذير لها من التفرق، وهو خطاب لكل فرد في الأمة بأن تكون عنده روح المسؤولية، وذلك بأن يكون عنصر وحدة وتجمع، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: " إنّ الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السّؤال، وإضاعة المال ".[3]

وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ

(١) الطبري، جامع البيان ٣٨٣/١٦.
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٨٩/٢.
(٣) مسلم بن الحجاج، الصحيح، حديث رقم (١٧١٥).

فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(الحجرات: ٩ – ١٠) ، قال الطبري: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل،) فإن بغت إحداهما على الأخرى(يقول: فإن أبت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له وعليه وتعدت ما جعل الله عدلا بين خلقه، وأجابت الأخرى)فقاتلوا الّتي تبغي) [1]

يعالج القرآن هذا الشأن، مخاطباً المؤمنين بأن يتحلوا بروح المسؤولية، ويقوموا بواجبهم اتجاه إخوانهم المتقاتلين، ويحاولوا محاولات للإصلاح ثم مقاتلة الفئة الباغية، فلا يجوز للمؤمن أن ينأى بنفسه عن ذلك ويقف موقف المتفرج، إنه الشعور بالمسؤولية الجماعية، لأن الأمة في سفينة واحدة إن غرقت غرق الجميع.

وقال تعالى:﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (النساء: ٨٥) ، والمقصود: شفاعة الناس بعضهم لبعض[2] وهذا حثّ من الله عز وجل للمسلم، بأن لا يكون أنانيا لا يفكر إلا بنفسه، بل دعوة للاهتمام بالآخرين، والمشي في صلاح أحوالهم وقضاء حوائجهم ، والشفاعة لهم، لأن الشفاعة الحسنة هي الإحسان إلى الغير بالقول أو العمل.

بل ونجد أن القرآن يذهب بالشعور بالمسؤولية الجماعية على كل مذهب، فيأمر المؤمنين الذين بلغت أموالهم النصاب ووجبت فيها الزكاة بأن يعطوا أموالهم مجموعة من شرائح المجتمع ممن يستحقون هذه الزكاة، وأن يبحثوا عن هذه الأصناف، إمعانا من القرآن بمسؤولية الفرد اتجاه الجماعة، قال الله تعالى:﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ ﴾(التوبة: ٦٠).

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا

(١) الطبري، جامع البيان ٣٩٢/٢٢.
(٢) الطبري، جامع البيان ٥٨١/٨.

طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(القلم: ١٧ – ٢٩) ،المقصود بالجنة: كانت بأرض اليمن على فرسخين من صنعاء لرجل يؤدي حق الله فيها، فمات وصارت إلى أولاده، فمنعوا الناس خيرها، وبخلوا بحق الله فيها[1].

وهذه الآيات تبيّن ذم الأنانية وحب النفس والاستئثار، وعدم الاهتمام بالآخرين، فهؤلاء الأبناء أرادوا أن يغيروا ما كان يفعل أبوهم من مساعدة الفقراء والشعور بالمسؤولية اتجاه الآخرين، فماذا كانت النتيجة؟ طاف عليها طائف من ربك، أي: نار أحرقتها فأصبحت سوداء.

وفي هذا تحذير للأمة من ضعف الشعور بالمسؤولية اتجاه الآخرين، لأن هذا يؤدي إلى خلل في المجتمع، وبالتالي إلى أمراض خطيرة لا تحمد عقباها.

ومن الأمور التي عالجها القرآن فيما يندرج تحت الأسباب الاجتماعية للإرهاب:

عدم ملء فراغ الشباب بالعمل المناسب، فإن الشباب إن لم يجدوا العمل المناسب الذي يملأوقتهم وفراغهم فلا شك أنهم سيملؤونه بأعمال سلبية، فلابد من توفير فرص العمل، وتكافؤ الفرص، وكما أنه إذا لم يملأ وقت الفراغ عندهم بما فيه مصلحتهم، فإن العقول كذلك تملأ بالأفكار المنحرفة والمنهج المختل إذا لم تملأ بالأفكار السليمة والنهج القويم.

لأجل ذلك جاءت الآيات لتأكد أهمية العمل والاحتفاء به، ولكن ليس أي عمل، وإنما العمل الصالح، وربطته بالعقيدة وجعلت ثمرة ذلك رضا الله والحصول على ثوابه وجنته.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾(الكهف: ١١٠) ، قال الطبري: فسيرى الله إن عملتم عملكم ويراه رسوله والمؤمنون في الدنيا، وستردون يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، فلايخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها[2].

(١) الشوكاني، فتح القدير ٣٢٣/٥.

(٢) الطبري، جامع البيان ٤٦/١٤.

وإذا أمر الله الأنبياء الذين هم صفوة الناس بالعمل المادي، فمن باب أولى أن يعمل من هو دونهم، فنبينا ﷺ كان يرعى الغنم على قراريط بمكة و نوح صنع سفينة، أي كان نجارا: و إدريس خياطا، وهكذا تجد الأنبياء مع شرف الدعوة التي يقومون بها كانوا يعملون لكي يقتاتوا ويعيشوا، قال الله﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾(سبأ: ١٣)، يقول تعالى ذكره: يعمل الجن لسليمان ما يشاء من محاريب وهي جمع محراب، والمحراب: مقدم كل مسجد وبيت ومصلى، وقوله:)تماثيل(يعني أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج، وقوله:)جفانٍ كالجواب(أي ينحتون له، والجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء[1].

فالحاصل من هذا أهمية العمل وملء الفراغ، فإن داود كان يعمل هذه الأشياء بواسطة الجن، ويملأ فراغهم، ولولا ذلك لملأه بغير هذه الأعمال، والله عز وجل أمر آل داود بالشكر أن سخر لهم هذه الأعمال.

وقد ارشد القرآن المسلم إلى أن يملأ فراغه بالعمل النافع والعبادة من خلال عرض النموذج وهو النبي ﷺ وأصحابه، في استغلال أوقاتهم وعدم تضييعها، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾(المزمل: ٢٠)، فمن هذه الأعمال قيام النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم الليل حتى انتفخت أقدامهم، حتى نزل عليهم:)علم أن لن تحصوه(، أي لن تطيقوه، فتاب عليكم بالعفو والتخفيف[2].

وقد عرضت الآية أعمالا كان يفعلها الصحابة الكرام، كالضرب في الأرض طلبا للرزق، والجهاد في سبيل الله.

ثم دعاهم الله إلى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والإنفاق في سبيله، والاستغفار وهذه

(١) الطبري، جامع البيان ٢٠/٣٦٥-٣٦٦.
(٢) البغوي، التفسير: ٥/١٧٠، مصدر سابق.

الآيــة مفعمة بالعمل والحركة، ومــلء الفراغ بالعمل الصالح، فبيّن القــرآن المنهج السويّ في مــلء الأوقات. والمستقرء للأسبــاب الاجتماعية واثرها في مكافحة الارهــاب يلاحظ أنّ لها امتــدادات اجتماعية منطلقهــا محاربة الفرقة التي تفضي ألى الصــراع الفكري ، والمذهبي والسعــي إلى الاصــلاح بين الأفــراد والجماعات لتمتين البنــاء الاجتماعي للأمــة . ذلك أنّ غياب العمل الايجابيّ للمجتمع من طاعة وعبادة يفضي إلى انتشار شهوة الانتقام ،والتدمير ،والتكفــير . فتمتــين العلاقــات الاجتماعية بــين الأفراد يعصــم المجتمع مــن الانزلاقات في الإرهاب في تجلياته الاجتماعية المتعددة.

المطلب الرابع : العلاج القرآني للأسباب التربوية والأخلاقية

يتميز الانسان باستعداده الفطري للتعلم، وهذا ما ميز الله به الإنسان عن غيره ولذلك تجــد الآيات في كتــاب الله تحاكي فطرة الإنسان فتدعوه للتأمــل والتفكر والتدبر، وإن هناك ضعفــاً عند كثير ممــن يعنون بالتربية والتعليــم من مؤسسات وأفــراد في التركيز على جعل نصوص القرآن حاضرة في أذهان المتلقين، وكذلك سرد بعض الأحداث التاريخية التي فيها العبرة، لأن الأحداث تعيد نفسها ولكن الأشخاص يتغيرون.

ولأن الله هــو خالق الإنسان وهو أعلم بتركيبته وخباياه العقلية والنفسية جاءت أساليب التربية في القرآن لتصنع منه إنسانا سويا خيرا، وراحت تحرك في كوامنه المشاعر وتستخرج منه كل ما هو حسن.

فمــن الضعف مثلا عدم استخدام النصوص القرآنيــة المناسبة في المساقات التعليمية، ونضــرب مثــالا على ذلــك، ففي جانــب التعليم المباشــر كتعليم أمــور الدين وغرس القيم والفضائــل كقيمة الصــدق لا بد من استجلاب الآيات التي تتحدث عن هذه القيمة وتوظيفها في الأهداف التي نود تحقيقها.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (التوبة: ١١٩)

أي اصدقــوا والزموا الصــدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالــك ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجا[1].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٣٠.

فهذه الآية حث من الله لعباده بالتزام الصدق، لأنه هو المنجي للعبد في الدنيا والآخرة، وقد جاء في الحديث «عليكم بالصّدق، فإنّ الصّدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، وما يزال الرّجل يصدق ويتحرّى الصّدق حتّى يكتب عند الله صدّيقًا، وإيّاكم والكذب، فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النّار، وما يزال الرّجل يكذب ويتحرّى الكذب حتّى يكتب عند الله كذّابًا»[1].

والمسلم مأمور بالصدق حتى وإن ظن أن الصدق سيوقعه في المهالك أو الحرج، ولقد تعرض القرآن لهذا المعنى من خلال هذه اللآية كما حصل مع الصحابي كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم حينما صدقوا النبي ﷺ في تخلفهم عن الجهاد، وكانت تبعات ذلك كبيرة حيث قوطعوا فلا أحد يكلمهم وفارقتهم زوجاتهم بناء على أمر الرسول ﷺ، ولكن ماذا كانت عاقبة الصدق، إنها التوبة من الله قال تعالى:) ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ (التوبة: ١١٨) .قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته[2].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾(الزمر: ٣٣، قال الطبري: (والذي جاء بالصدق وصدق به) كل من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسله والعمل بما ابتعث به رسله من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنون[3].

قال مجاهد: المبلغين المؤدين عن الرسل[4].وهنا انظر إلى وصف الله لأنبيائه حيث يصفهم بالصادقين، وهذا فيه إعلاء لهذه القيمة التربوية والأخلاقية، فإن الصدق يوصف به الأنبياء الذين هم أشرف خلق الله وبالتالي فإن المسلم حينما يكون صادقاً، فإنه يتصف بصفة الرسل الكرام، وفي هذه الآية والآية التي قبلها – وغيرهما في كتاب الله- الأثر

(١) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (٢٦٠٧).
(٢) الطبري، جامع البيان ٥٥٦/١٤.
(٣) الطبري، جامع البيان٢٩١/٢١.
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم٣٨٣/٦.

الواضح في التربية فتتجذر في قلب المسلم هذه القيم، حيث يكون وقعها عليه أعظم من أي وعظ أو دروس، وهكذا إذا استخدمنا النصوص القرءانية في تعزيز ما نصبوا إلى تعليمه للأجيال، فإنه لاشك سيزج جيل مسلح بالعلم والحكمة.قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ (العنكبوت: ١-٣)

قال الطبري: معناه : أظن الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان، بأن قالوا : آمنا بك يا محمد فصدّقناك فيما جئتنا به من عند الله، كلا لنختبرهم، ليتبيّن الصادق من الكاذب[1].فهذا النص القرءاني التربوي والأخلاقيّ يبيّن أن سنة الله الماضية في الابتلاء والتمحيص، وأن الإيمان دعوى يصدقها العمل والصبر، وهو سنة، فقد ابتلي من قبلنا فصبروا على ما أوذوا وما أصابهم الوهن والضعف، وقد جاء في الحديث: «قدكان من قبلكم يؤخذ الرّجل فيمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصدّ ذلك عن دينه، والله ليتمّنّ هذا الأمر حتّى يسير الرّاكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلّا الله أو الذّئب على غنمه ولكنّكم تستعجلون»[2].

وبذلك يعلم المتدبر للقرآن حينما يمر بهذه النصوص سنة الابتلاء، وأن الابتلاء لم يسلم منه الأنبياء حتى قال الله تعالى:)﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ۝٢١٤ ﴾ ((البقرة: ٢١٤) وبذلك يذعن ويصبر.

ومن الأمور التي عالجتها الآيات في الجانب التربوي والأخلاقيّ : غياب القدوة والأسوة، فمن طبيعة الإنسان أنه يحب أن تكون له قدوة وأسوة يحاكيه في أفعاله وتصرفاته، وإنما يكون القدوة متميزاً في جوانب من حياته وأعماله، والقرءان ركّز على هذا الجانب واحتفى به، وأبرز قدوات وأسوات يتبعون قدوات خير، وعلى رأسهم سيد الأنام محمد ﷺ، فقال

(١) الطبري، جامع البيان ٧/١٩.

(٢) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢. حديث رقم (٣٦٣٨).

فيـه:) ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

هـذه الآيـة الكريمة أصل كبـير في التأسي برسول الله ﷺ في أقوالـه وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي[١].

وفي هـذا السياق قال الطبري: ذكره لنبيه ﷺ: وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرءان الذي أدّبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه[٢].

لقـد حاز ﷺ بهـذا الوصف على شهـادة رب العالمين بأنه ﷺ قد جمـع الأخلاق كلها، ففيـه مـن الأدب والرحمة والإحسان مـا يفوقه الوصف، ويعجز عن وصفـه اللسان، ويفسره قـول عائشـة رضي الله عنهـا : : كان خلقه القرآن"[٣]. ومعنى ذلـك يرضى لرضاه ويسخط لسخطـه، فإذا اتخذه المتدبر للآيـات أسوة وقدوة، ونظر في سيرته، ورأى من سلوكه القويم، نظر في حياته في بيته ومعاملته لأولاده وأزواجه، ومعاملته لأصحابه، ومعاملته لأعدائه، حين ذلك لا يملك إلا الاتباع والإعظام والإجلال والتوقير لشخصه.

وفي إبراز هذه الآيات تحفيز لإبراز الأسوات والقدوات، لكن لابد أن تكون على درجة من المصداقية ومطابقة العمل للقول، وإلا فإنها لا تكون قدوة.

ومن الأمور التي عالجتها الآيات في الجانب التربوي: تقاعس الآباء والمربين، وانهماكهم في مشاغـل الحيـاة عن التربية، وبالتـالي غياب التربيـة القويمة، فليس هنـاك تواصل بين المربّـي والمربّى، فكيف سيكون التأثير، والتربيـة لا تكون بالإرشاد المباشر وبالوعظ والتوجيه والنصيحـة فحسـب، بـل تكون كذلـك بسلوك المربـي، لأنه محـطّ نظر المربّـى، يأخذ عنه، ويحاكيه في سلوكياته.

قـال تعـالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦/ ٣٩١.
(٢) الطبري، جامع البيان ٢٣/ ٥٢٨.
(٣) أحمد بن حنبل، المسند (٢٥٨١٣).

ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان: ١٣ – ١٩)، قال ابن كثير: وقد ذكره الله بأحسن الذكر، فإنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إلى اليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً[1].

انظر إلى الدور الرائع الذي يقوم به الأب في تربيته ولده، يعرض القرآن هذا المشهد في روعة وجمال، وبدأ لقمان بقوله لابنه: يا بنيّ، وفي هذه اللفظة من الدفء والحنان والرحمة، وقدمها بين يدي الموعظة لتكون أوقع في القلب، فما خرج من القلب وقع في القلب، وراح يستقصي له المواعظ والتوجيهات بحكمة مع بيان النتائج، وكانت الوصية الأولى وهي درّة الوصايا تحذيره من الشرك أو الوقوع فيه، ثم بيّن له مآل الشرك أنه ظلم، وأي ظلم، إنه ظلم للنفس عظيم، وتكفي كلمة "عظيم" ليدرك الولد خطورتها.

ثم كانت الوصية الثانية بأن قرن الوصيّة بالوالدين بعبادة الله وعدم الإشراك به، وهذا فيه تحريك المشاعر والتدبر والتأمل لهذا الربط، ثم بيّن له لماذا هذه الوصية بالوالدين) وفي هذا أيضاً بيان للسبب، أي أن سبب هذه الوصية للدور العظيم الذي يقوم به الوالدان، وخصوصاً الأم، من حمل وما يتبع ذلك من ألم وإرضاع وفصال.

ثم تتوالى الوصايا النافعة بشيء من التنوع، تارة ببيان عظمة الله وقدرته إلى أمره بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا إيقاظ حسّ الإيمان فيه بالتزام أوامر الله، ثم إن هذه الأمور: الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحتاج إلى صبر.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦/٣٣٦، مصدر سابق.

ثـم تنمية الجانب الأخلاقـي وتعزيزه، بعدم التكبّر على النـاس، وإرشاده بالوسطية في المشي، ليس مشياً بطيئاً ولا سريعاً، وخفض الصوت، وتشبيهه بالحمير، أي الصوت، يقتضي غاية الذمّ، وفي هذا الحوار نلحظ دور الآباء في إرشاد أبنائهم.

قـال الطـبري: هذا نعت مـن الله تعالى ذكره نعت ضـال به كافر وبوالديـه عاق، وهما مجتهـدان في نصيحته ودعائـه إلى الله، فلا يزيده دعاؤهما إلى الحـق، ونصيحتهما له إلا عتوا وتمردا على الله، وتماديا في جهله[1].

وفي هذه الآية بيان دور الوالدين في التوجيه والإرشاد وتوضيح المسائل، ويلاحظ هذا من خـلال المحـاورة بين هذا الولد العاق ووالديه، حيث إن الوالدين يجتهدان في إقرار مسألة هو ينفيها وهي مسألة البعث، ومع ذلك فهما في غاية الشفقة على ولدهما يقولان: (ويلك آمن) أي: صدق بوعد الله، وأقر بالبعث وهو مصر على الإنكار.

وإن كانت النتيجة سلبية إلا أن الوالدين قاما بما يتوجب عليهما من النصيحة والإرشاد، والفائـدة القرآنية هنا إذا كان القـرآن يقر محاورة وإرشاد الولد الملحد، فكيف بمن هو دون ذلـك كمـن يرتكب بعض المعاصـي، أو السلوكيـات الخاطئة، فـإن بعض الآبـاء ييأسون من أولادهـم، فيجب أن لا يتوقف الوالدان عن دورهمـا المهم والخطر في التربية والإرشاد. ومن منطلـق الأسباب التربويـة والأخلاقية نلاحظ أن مقارعة الارهـاب ومكافحته تمر عبر قيم اخلاقيّـة كالصّـدق ، وحسن الخلق، وبـر الوالدين ؛ ذلك أنّ التوجيـه الأسريّ ركن مكين في حمايـة الأبناء من الفرق الضّالة والجماعـات المنحرفة . ولا شك أنّ خروج بعض الأبناء عن الاطـار الأسريّ والالتحاق بالجماعات الارهابية مصـدره غياب التّوجيه الاخلاقيّ والتربويّ القويم؛فالأسـرة المسلمـة الرّاشدة نواة صالحة لجيلٍ فاضلٍ ينـأى بنفسه عن شهوة الانتقام والتدمير والتفجير والاعتداء على حرمات الناس

(١) الطبري، جامع البيان٢٢/١١٧، مصدر سابق.

الخاتمة

بناءً على ما تقدم من تعريف الإرهاب في اللغة و التعريفات المعاصرة للإرهاب ومفهومها في القرآن وأقوال المفسرين فإنه يتبيّن لنا بما لا يدع مجالاً للشك ، بأن لفظة "الإرهاب" التي يقصدها القرآن لا تتعارض مع الوسطية، ولا تضادّ بينهما، فأمة الإسلام أمة الوسط، والمسلمون مأمورون بالاعتدال وعدم الغلو، وأما الإرهاب الوارد في القرآن فهو من أجل منع العدوان والظلم، ولحماية أمة الإسلام التي أمرت بالتزام الحق والعدل، ولأن الاستعداد للحرب والجاهزية لها يثني الأعداء عن الحرب ويمنع وقوعها، فالقوة التي يعدها المسلمون هي من أجل ردع و زجر من تسوّل لهم أنفسهم مقاتلة المسلمين، وتعطيل دعوة الإسلام عن الانتشار وإيصالها إلى العالم، ففي هذه القوة المعدّة سد باب المفاسد الذي قد يفتح على المسلمين، وأما الإرهاب الذي خارج السياق القرآني، والذي ذكرنا طرفاً من تعريفات بعض الهيئات والشعوب له، وهو الذي يحمل طابع الرعب والخوف والقلق والتهديد، لتحقيق أهداف سياسية أو غير سياسية، سواء من الأفراد أو الجماعات، فإن الإسلام لا يقره ولا يحتفي به، بل ويعدّ من يمارسه ظالمٌ متعدٍّ يحاسب على فعله، لأن دين الإسلام قائم على العدل، والله قال:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ ، والعدل عام شامل لجميع البشر حتى للمخالفين في العقيدة. والحاصل من هذه المقاربة أنّ ظاهرة الارهاب آفة عالمية امتدت آثامها إلى المجتمع الانسانيّ . ولعلّ من أقرب النّتائج المتوصّل إليها في هذا البحث ما يأتي بيانه :

تباينت آراء العلماء في تحديد البنية الاصطلاحيّة للارهاب ، فالمفهوم القرآنيّ يختلف اختلافاً جذريّاً عن المفهوم الغربيّ لظاهرة الارهاب واسبابها ومسبباتها .

ينكر الشرع الاسلامي العنف والقوة والتدمير لبلوغ اهداف سياسيةٍ أو اجتماعيّةٍ أو اقتصاديّةٍ ، بينما يرى الدّفاع عن النّفس واجباً شرعيّاً ومطلباً اخلاقياً .

هنـاك اجمـاع في كل الشّرائـع السماوية على نبـذ العنف والارهاب مهمـا كان مصدره وأسبابه .

للارهاب اشـكال شتّى وتجليات مختلفة حيث عالج القرآن الكريم هذه الظّاهرة المقيتة من منطلقاتٍ اخلاقيّةٍ ، وفكريّةٍ ، وتربويّةٍ ، واجتماعيّةٍ.

التّنشـأة الأسريّة الرّشيدة عنصر مركزيّ في غرس قيم المواطنة واحترام الآخر والذّود عن القيم الانسانية المشتركة .

الوسطيّـة والاعتـدال في التديّن كفيلٌ بتجفيـف منابع الارهاب بينمـا التديّن المغشوش وسوء فهم الشّرع هو المدخل الطّبيعي للارهاب .

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) المعجم الوسيط، دار الدعوة . د . ت

٢. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩ه

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ه.

٤. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٥. أكاديمية نايف للعلوم الأمنية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩ م . أبحاث الندوة العلمية حول تشريعات الإرهاب . د / محمد مؤنس محب الدين في بحثه : الإرهاب على المستوى الإقليمي "الاستراتيجيات الأمنية" . العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي ط المعهد العالمي للفكر ، د / عبد الحميد أحمد أبو سليمان . حصاد الإرهاب د / ناصر بن مسفر الزهراني مكتبة العبيكان بالرياض.

٦. آل رشود، عبد الله بن سعد، ظاهرة الانحراف الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٢٢هـ) عدد ٣٦. بيومي، جلال محمد سليمان، التطرف وعلاقته بمستوى النضج النفسي الاجتماعي لدى الشباب، (رسالة دكتوراه) كلية التربية، جامعة الأزهر – القاهرة. مجلة الأمن عدد (٢) د / أحمد جلال عز الدين (جمادى الآخرة ١٤١١ه) بحث الإرهاب وسائله وأسبابه. مجلة الدعوة عدد١٨٩٥ الخامس من ربيع الآخر ١٤٢٤ / ٥ يونيو ٢٠٠٣م . ذياب البداينة، الأسرة ومشكلات الأبناء، دار الشروق – عمان/ الأردن (٢٠٠٥م).

٧. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (ت: ٢٥٦)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة العالمية - دمشق، ط١ (١٤٣٢هـ، ٢٠١١م).

٨. البرعي، وفاء محمد، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ط١ (٢٠٠٢م). الحارثي، قباس وصل الله، دور المدرسة الثانوية في تحقيق منهج الوسطية الفكرية لطلابها من وجهة نظر القادة التربويين في منطقة مكة المكرمة، (رسالة ماجستير) جامعة أم القرى – مكة المكرمة (١٤٢٧هـ). مفهوم الغلو في الكتاب والسنة، د / صالح بن غانم السدلان بحث مقدم لندوة : أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو في الفترة من ٣ : ١١ / شعبان ١٤٢٤هـ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مكة المكرمة . السعيدين، تيسير بن حسين، دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف، مجلة البحوث الأمنية، العدد (٣٠)، (١٤٢٦هـ).

٩. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.

١٠. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

١١. رابطة العالم الإسلامي (المجمع الفقهي الإسلامي) بمكة المكرمة، الإرهاب أسبابه ووسائل العلاج . ظاهرة التكفير تاريخها خطرها ، أسبابها ، علاجها ، إعداد الأمين الحاج محمد أحمد مدرس المواد الشرعية بمعهد اللغة العربية جامعة أم القرى مكة، مكتبة دار المطبوعات الحديثة. عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة الشيخ خالد عبد الرحمن العك المدرس في دار الإفتاء بدمشق .

١٢. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية . د . ت

١٣. الزحيلي د وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ

١٤. الزحيلي. د وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.

١٥. زكي علي أبو غضة، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر - المنصورة، مصر، ٢٠٠٢م.

١٦. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ ه.

١٧. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، المسند تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٨. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢. د . ت

١٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٠. طه عبد العليم طه، خطيئة التعريف الأمريكي للإرهاب، جريدة الأهرام، ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٢م.

٢١. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت. د . ت

٢٢. القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، أبو الحسين (: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٣. القلموني، محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٤. نبيل لوقا بباوي، الإرهاب صناعة غير إسلامية، دار البباوي للنشر - القاهرة ، ٢٠٠١م.

٢٥. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. د . ت

مشاركة في المحور السادس:

((توظيف الدراسات القرآنية في علاج مشكلات التعلم والتعليم))

في بند:

((توظيف الدراسات القرآنية في علاج ضعف مخرجات المؤسسات التعليمية))

يقدمها

محمود أحمد العسكري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:-

فهذا بحثي الذي أشارك به في هذا المؤتمر، أعرض فيه بعض الرؤى عن توظيف الدراسات القرآنية في علاج مشكلة ضعف مخرجات المؤسسات التعليمية.

مؤسساتنا التعليمية: هي مدارس أو معاهد أو جامعات، مبانٍ ذاتُ تفصيلٍ إنشائيٍّ معين، لها جداول زمنية، ومقررات، وأنظمة للالتحاق والتخرُّج، وللتقويم والامتحان، والترقية.

والغرض الذي من أجله قد أنشئت هذه المؤسسات ووضعت لها هذه النظم: هو التنمية البشرية تنميةً علميَّةً تُؤَهِّلُ الفرد ليكون أكثر نفعًا لنفسه وللمجتمع.

إذا فالمُخْرج الأساسي والمقصود بالذات من هذه المؤسسات هو (الفرد المتعلم)، وقياس فَعَالِيَةِ هذه المؤسسات يكون بقياس هذا (الخرِّيج) وتقويم حاله الذي هو عليه قوة وضعفًا.

= = = = =

إن مؤسساتنا التعليمية تحتاج إلى التحسين في نواحٍ عِدَّة، وفي سبيل التحسين لا بُدَّ من مجهودات متعددة الاتجاهات، ولكننا في هذا البحث نقصر النظر على زاوية معينة؛ وهي توظيف الدراسات القرآنية في دَعْمها، فلن يتأتى لنا البحث خارجَ هذا الإطار الآن.

= = = = =

بَيْدَ أني أجِدُ لِزَامًا عليَّ أن أتكلم بإيجازٍ عن أبعاد المشكلة في مجاليها وعواملها، فهذه مقدمة إضافية، صحيحٌ أنها خارجةٌ عن الموضوع الأصلي للبحث، ولكنها مقدمة مهمة نحتاج إلى تقريرها والاعتراف بها بدءًا، كما أنها ستعطينا اقتناعًا أكثر بالحلول المقترحة.

= = = = =

نرصد أبعاد مشكلة (ضعف الخريج) من ثلاث نواحٍ:

ضعف (الخرِّيج) من الناحية المعرفية.
وضعفه من الناحية المهارية.
وضعفه من الناحية الأخلاقية.

= = = = =

ونبدأ في تفسير الضعف من الناحية المعرفية من وجوه أربعة:

عدم تراكمية المعرفة.

الوضع الصحيح للمعرفة أن تكون تراكمية، بمعنى: أن تتلاحق المعلومات، وتتزايد كمًّا، وتتعمَّق كيفًا، فيفترض لدارس علم الفقه مثلًا: أن تتراكم معلوماته الفقهية صفًّا بصفٍّ، فلا تكون المعلومات اللاحقة ناسخةً للسابقة، لا من جهة استظهارها حفظًا، ولا من جهة استيعابها فهمًا، وللأسى والأسف: فإننا نجد خرِّيجي مؤسساتنا التعليمية لا تراكُميَّةَ للمعرفة عندهم، إنه يتلقَّى قَدْرًا من المعرفة في الصف الأول المتوسط، ويُمْتَحَنُ فيه، ثم يُنَحِّيه جانبًا، ويأخذ في الصف الثاني قَدْرًا ثانيًا، وفي الصف الثالث قَدْرًا ثالثًا، ثم يخرج من المرحلة المتوسطة خاليَ الوفاض، باديَ الإنفاض!.

وعندما ننظر إلى المنهج المدرسي في تراثنا العلمي نجد أن تحقيق هذه التراكمية كان هدفًا واضحًا لا يحتمل النقاش، بدءًا من وضع الكتاب المقرر، فيدرس المتن أوَّلًا، ثم الشرح، الحاشية، ثم التعليق والتقرير، رباعِيَّةٌ محترمة التتابع، وربما تعددت الشروح، فيكون هناك شرح وجيز لحل الألفاظ، ثم شرح وسيط يتضمن دلائل المسائل، ثم شرح بسيط يتضمن المناقشات والمقارنات والإضافات.

عدم تكاملية المعرفة.

الوضع الصحيح للمعرفة أيضًا أن تكون تكامليَّةً، بمعنى: أن تترابط المعلومات، وتشكِّلُ نسيجًا واحدًا متفاعلًا، لأن الحياة ليست أجزاء منفصلة، والعلم -وهو انعكاس للحياة- كذلك ليس أجزاء منفصلة يستقل بعضها عن بعض، وتمايز العلوم عن بعضها هو في حقيقة الأمر تمييز لغرض التعلم المدرسي لا أكثر، وقد نجد الخريج من مؤسساتنا التعليمية تبقى معارفه قِطَعًا مبعثرة، لقد درس النحو مثلًا والبلاغة، ولكنه يفتقد الترابط بينهما، لا يعرف

كيف يحسن توظيفهما معًا لإنشاء نص أو لقراءته قراءة نقدية، وقد درس أصول الفقه ومصطلح الحديث والقواعد الفقهية، ولكنه كذلك يفتقد الترابط بينهما، لا يعرف كيف يحسن توظيفها معًا في ممارسة اجتهادية فقهية أو في تحليل وتدليل فتوى ما، لقد درس الفيزياء والكيمياء والأحياء، ولكنه لا يعرف كيف أن هذه العلوم الثلاثة تتناوله هو ككائنٍ حيٍّ وتدرس وظائفه وظواهره ككُلٍّ مجموعٍ.

قصور المعرفة.

المعرفة القاصرة لا تفيد الإنسان فائدةً تذكر، بل ربما يكون الجهل خيرًا منها؛ لأن تحصيلها شَغَلَ جُزْءًا من وقت الإنسان وجهده، ولأن المحصول منها شغل حَيِّزًا من عقل الإنسان، ومع ذلك فهي لا تقدم فائدة له تؤازي هذه التكاليف، إني أعني بقصور المعرفة: ألا يحصل الطالب المعلومات الكافية في مجالٍ معيَّن، فقد يدرس الطالب مثلًا علم التجويد دراسة قاصرةً، فيدرس مباحث تجويد الألفاظ، ولا يدرس مباحث تجويد المعاني -كالوقف والابتداء ومقامات الأداء-، وقد يدرس معلومات كافية وافية في مجال معيَّن إلا أنها لم تصل في عقله إلى مرحلة من النضج والتبلور تتحول معها إلى ملكة مستقرَّة بمهارات نَشِطَة، كأن يدرس الرياضيات مثلًا دراسة جافة من دون أن يكون له حقل تجريبي في مراجعة محاسبية أو تصميم هندسي مثلًا، وتبقى الفجوة قائمة عنده بين المعرفة القاصرة والإنجاز غير المتأتي منها.

عشوائية المعرفة.

نعني بـ(عشوائية المعرفة): ألا تكون المعلومات مُتَرَتِّبَةً في ذهن الدارس وَفْقَ نظام واضح يعرف أصوله وفروعه، وكلياته وجزئياته، بل تكون العلاقات بينها مبهمةً أو مجهولةً، ولا يربط بينها في ذهن هذا الدارس إلا أنه كان يدرسها في مادة (كذا)، فلا يعرف ما هي حدود هذا العلم، ولا ما هي أعضاؤه الكبرى، ومفاصله العظمى، ولا ما هي شُعَبه الأصغر، وفصوله الأدنى، بل جسد العلم بين يديه ممزق الأوصال، فحريٌّ به أن يكون ميتًا أو يكاد.

وإنما الوضع الصحيح للمعرفة أن تكون (مُشَجَّرة)، لها في ذهن الدارس هيكلٌ عظميٌّ وجهاز عصبيٌّ بالغ الوضوح، إن كل علم من العلوم هو مجموعة محدودة معدودة من التصورات

والتصديقات، أي: من المصطلحات والتعاريف، ومن القواعد -تلك القضايا الكلية-، وهذه القواعد تنقسم إلى مجموعات محصورة وفق علاقات منطقيَّة معيَّنة، وقد تشتمل بعض القضايا الكبرى على قضايا صغرى في ضِمْنها، وهذا الأمر كذلك محكومٌ بعلاقات منطقية معيَّنة، هذه هي طبيعة العلوم، وكذلك ينبغي أن تكون ببنائيتها هذه واضحةً ومغروزةً في ذهن الدارس، فهو يعرف أبواب كل علم، وفصوله، ومسائله، يعرف عددها، ويعرف وجه انحصار هذا العلم فيها، ويعرف وجوه تشابكها واستتباع بعضها بعضًا، ويعرف ما الأصيل وما الدخيل من القضايا، وما هو من المقدمات أو اللواحق الخارجة عن موضوعه الأساسي، كل ذلك ينبغي أن يعرفه معرفةً تامَّةً تسبق معرفته بقضايا ذلك العلم تفصيلًا.

ولقد كان هذا الأمر محلَّ اعتناءٍ عند علمائنا على الدوام، يعتنون بتوضيح علاقات العلوم ببعضها، ويعتنون بتوضيح علاقات أجزاء كل علم في خاصة نفسه، ويكفي أن تَطَّلِع اطِّلاعةً سريعةً على مقدمة (كشف الظنون) لحاجّي خليفة لتقف على شيءٍ من ذلك.

بل من الطريف أيضًا: أن نجد منظوماتٍ علميَّةً قد وضعتْ خِصِّيصًا لأداء هذه (الفهرسة)، كأرجوزة (شراع الفلك المشحون) لمحمد سالم الشنقيطي؛ الشهير بـ(عدُّود) -رحمه الله-، التي فَهْرَسَ فيها كتاب (تبصرة الحكام) للقاضي ابن فرحون المالكي -رحمه الله-.

=====

أنتقل الآن إلى الكلام عن ضعف الخريج من الناحية المهارية، وأعني (الناحية المهارية العامة) لا (الخاصة)، فكل علم على حِدَةٍ ينبغي أن تستتبعه نواحٍ مهاريةٌ خاصةٌ تُمَثِّلُ التطبيق العمليَّ له، ولكني لن أطيل بذكر ذلك فهو معروف، معروف أنَّ دارس النحو لا بد أن يمتلك مهارة الإعراب، ودارس البلاغة لا بد أن يمتلك مهارة النقد الأدبي، ودارس مصطلح الحديث لا بد أن يمتلك مهارة التخريج، وهكذا، فهذا معروف، ويتعلق بما تكلمنا عنه في فقرة (قصور المعرفة)، وإنما أشير هنا إلى بعض المهارات العامة التي ينبغي أن يحظى بها دارسو العلوم كأثرٍ حميدٍ لدراساتهم تلك، وينبغي أن تعمَّهم على السواء، ولا تختص بفريق

عـن فريق، وإذا نظرنا إلى خريجي مؤسساتنا التعليميـة فإننا قد نجد لديهم ضعفًا في هذا الجانب، وأنا أفسره هنا من وجوه خمسة:

= = = = =

عدم القدرة على البحث العلمي المنظم.

العلـوم بأسرهـا تشترك في مناهـج البحث العلمـيّ، البحث العلميّ لـه مناهج، مناهج في توصيـف الظواهر، وفرض الفروض، وجمع الأدلة، واختبارها، وعرض النتائج، وتوثيق المعلومـات، وترتيب المصادر، وغير ذلك مـن أدوات البحث العلمي وعمليّاته، والمعرفة الحقة المثالية التي يمكن لدارسِ علْم مَّا أن يكتسبها: هي تلك المعرفة التي يكتسبها من خلال البحث والتجريب والاكتشاف، والمفترَض في الوسط التعليمي الصحي: أن يمتلك الدارس هذه القدرة على البحث العلميّ، سواءٌ أكان يدرس علمًا واحدًا أو أكثر، لأن امتلاكه الصحيح لهذه القدرة يعني امتلاكه لها في أيِّ علْم، فهي مهارةٌ عامَّة، إذا أحسَنَها في علمٍ أحسَنَها في سائر العلوم.

الأمـر الجديـر بالأهميـة هنـا: هو أن تحصيـل هذه القدرة لـن يتأتى مـن خلال مادة (المكتبـة والبحـث) أو مادة (مناهـج البحث) التي تدرس في المرحلة الثانويـة أو الجامعية أو في الدراسـات العليـا، أو دورات (تحقيـق الـتراث) وما أشبه ذلك، الفكرة هـي أن تُصَاغَ المعرفة المُقَدَّمةُ للطالب ابتداءً على أساس هذا التحفيز للبحث العلمي، بدءًا من إعداد المقرر المدرسـي، ومرورًا بشرح المعلِّم وأنشطته الصفِّية مع طلابه، كل ذلك ينبغي أن يوضع وينظّم على أساسٍ تحفيزيٍّ للبحث العلميّ.

ولنضـرب مثـلًا: في تدريس علـم (العقيدة) مثـلًا، لِيَكُـن أوَّلَ ما نعرضـه للطالب هو المشـكلات الناشئـة أو التي يمكن أن تنشـأ كآثارٍ سيِّئة للتصورات الفاسـدة، ماذا لو لم يكن إلـه؟، مـاذا لو كان مـع الإله آلهة أخـرى؟، ماذا لو تصـور إنسان في شيء مـا بعض قدرات الإله؟، ما المصير الذي تنتظره؟، ونفرض معه الفروض، ونختبرها، ونستجلب الأدلة العقلية والنقليـة، ونقوم بتحليلها وتركيبها، ثم تأتـي القواعد العلمية المنشودة خلاصةً لهذا المجهود البحثي الذي سايره الطالب وتفاعَلَ معه من بدئه إلى ختامه.

عدم امتلاك أصول المناظرة العلمية.

المناظرة في الحقيقة لا تختصُّ بالعلوم، إن حياة الإنسان بكافة علاقاتها الاجتماعية هي مَسْرَحٌ خِصْبٌ للمجادلات الكلامية، لا يخلو الإنسان -وعلى مدار يومه- من أن يكون شاهدًا أو مُقـرًّا أو مُدَّعِيًـا أو ناقـلًا، أو سائلًا أو مُعَلِّـلًا، أو معترضًا أو مجيبًا، وقـد يكون موضوعيًّا محايـدًا، وقد يكون مُصَادِرًا مكابرًا معاندًا، بغضِّ النظر عن موضوع جدله؛ إذا كان يتحدث في بعض الشؤون الدينية، أو الاجتماعية، أو السياسية، أو التجارية، أو المنزلية حتى، كل ذلك متطابق تماما في طرائق التفكير المنطقي السليم التي يحسن بالإنسان أن يتوخى سلوكها.

وقـد نجد من خريجـي مؤسساتنا التعليمية مـن يفتقر إلى آداب (فـنّ المناظرة)، فلا يعـرف كيـف يبدأ بعرض فكرتـه، ولا يعرف متى يدلل لها، أو متى يعترضـ على المخالف، أو كيـف يجيبه، ونسمـع في وسائل الإعلام ونقرأ في منتديات التواصل الاجتماعي تبعًا لذلك ما يؤسف له من المغالطات والمهاترات النامّة على فَقْرٍ مُدْقِعٍ في آداب الحوار -والذي ربما تحول إلى جـؤار!-، وكأنّ تلـك الدراسات العلميـة السابقة التي تلقاها الإنسـان لم تثمر فيه ثمرة حسنة من هذا الجانب.

عدم القدرة على الإنشاء اللغوي الجيد.

اللغة هي وقود التفكير، وإذا كنت تمتلك وقودا سيئًا فهذا يعني أنك تمتلك تفكيرًا سيِّئًا، وأسوأ ما يفتقده متعلم من مهارات أن يفتقد اللغة.

أعتقـد أن إحدى الخطايا التي ترتكبها مؤسساتنا التعليمية هي أنها تعطي الأستاذ وقتًا للـكلام لا تعطيـه للطالب، بل في الأعـم الغالب قد لا تعطي للطالب وقتًـا للكلام أصلًا، عليه أن يستمـع فقط، لا جرم حينئذ: أن قدرة الطالب علـى الكلام تُصَابُ بالضمور، بدلًا من أن تحظى بالإثارة، وليس هذا بالأمر الجيِّد.

التعليم الصحيح: هو الذي يعلم الدارس أولَ شيءٍ كيف يتكلم، كيف يبني أبنيته اللغوية، كيف يُعَبِّرُ عن أفكاره بلفظٍ سليم وبسيط وواضح وأنيق، إن الإنشاء اللغوي يحتاج إلى تمرين العضـلات العقليـة اللغوية، ولا يتم هـذا بصورة حسنة إلا بمعونة الأستـاذ الذي يفتح أبواب النقاش الهادف لطلابه، يثير أفكارهم، ويستنطقهم التعبير عنها بما يقدرون عليه من لغة،

ثـم يصحح لهم، ويقوِّي، ويقوِّم، ويدعوهم إلى تتويج هذا الإنشاء الارتجالي بالكتابة الهادئة المنسّقة، إنه بصنيعه هذا يسدي لهم خدمة كبرى.

عدم القدرة على القراءة الجيدة من الناحيتين اللفظية والنقدية.

عندمـا يفتقد الخريج ملكة الإنشاء الجيـد، ومهارة المناظرة؛ فلا تثريب عليه أن يفتقد القدرة على القراءة، إن القراءة تعاطٍ حيويٌّ مع النصِّ، تستنفر المخزون اللغويّ عند القارئ، وتستدعـي معالجته التفكيرية له، إنها تفكيكٌ للمفردات والصِّيغ لاستكناه معانيها، واستنكاه مراميهـا، ثـم هي تركيـبٌ له بعدَ ذلك ليعـودَ خلقًا سويًّا كمـا انفصمَ عن نَفْسِـ كاتبه، إنها مراحلُ من عمل العقل لا تأخذ حيِّزًا من الزَّمن أكثر من زمن نطق الألفاظ، ولكنه حَبَلٌ ووَضْعٌ كاملين للنص في نفس القارئ، لا غَرْوَ أن القارئ إذا قرأ النصَّ هذه القراءة فإنه يكون قادرًا علـى نقده نقْدًا أمينًا، يكتشف عيوبه وجوانب الضعف فيه، ويثمِّن بالجوار ما استبدَّ بإمتاعه أو إقناعه منه.

هـذه القراءة النقدية هي التي نرجوها لكل خرِّيج من مؤسساتنا التعليمية، قراءةٌ يَتَّجِهُ فيهـا للنصوص بقُوَّاته المُسَلَّحة، كسلاح النحو والصرف والبلاغة والمنطق والعقيدة والتاريخ وغيرها من الأسلحة، فينفض النصَّ نفضًا، ولا يمرُّ عليه مرور الكرام.

عدم امتلاك الحاسة الفنية الهندسية لتجويد نتاجه الصناعي في مجالٍ مَّا.

(البحـث العلمي) (المناظرة العلمية) (الإنشاء الجيد) (القراءة النقدية) كلها أنماط مـن الفن والهندسة، وبراعتـك فيها تعني براعتك كمهندسٍ في كل أمر تتناوله وتتولّى أداءه، وإلا فستبقى (اللاهندسة) هي السمة التي تطارد جميع أفعالك!، سواء أكنت تطبخ، أو ترتب غرفتك، أو تقيم حفلًا، أو تتعهَّد حديقة، إلى آخر الأفعال.

للأسف: قد نجد خريجي مؤسساتنا التعليمية يفتقدون هذه الحاسة الفنية، قد ينجزون أعمـال جيـدة ونبيلة المقاصد، ولكنها لا ترقى إلى المظهر الأبهـى من الإتقان لأنهم يفتقدون هذه الحاسَّة، وهم إليها في حاجةٍ ماسَّة.

= = = = =

أنتقل الآن إلى الكلام عن ضعف الخرِّيج من الناحية الأخلاقية، كل ما ذكرته من الميزات المعرفية والمهارية التي ينبغي أن يتحلى بها الخرِّيج والتي للأسف في كثيرٍ من الأحيان لا نجده يتحلَّى بها في الوقت الراهن؛= من شأنه أن تترتب عليها مميزات أخلاقية، يصبطغ بها سلوكه العامُّ ولو في خارج الحقل العلميّ، منها على سبيل المثال: الصدق والأمانة في أداء الخبر، والتثبت في تحمله، الترتيب الجيد للأولويات، تحديد الأهداف ووضع الخطط قريبة المدى وبعيدته، الصبر في إنجاز الأعمال بمراحلها وتفاصيلها، التعامل في كل المواقف بموضوعية واتِّزان، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة التي ينبغي أن يكتسبها طلاب العلوم بواسطة احتكاكهم بها، فضلًا عن الأخلاق الإسلامية الأخرى التي قد يتعلَّمُونها ضِمْن ما يتعلَّمُونه من مُقَرَّرات، ويبقى الأمل المنشود أن تنتقل إلى طَوْرِها الْحَيَوِيِّ الْحَرَكِيِّ، وذلك لا يحصل من فَرَاغ، فلا بُدَّ أن تكون المناهج الموضوعة لتعليم القِيَم والأخلاق لصيقةً بالواقع، تعرضه أمام المتعلم فيما يُشْبِهُ (ألعاب المحاكاة)، وتريه كيفَ يأتي تصرُّفه (أخلاقيًّا) وسلوكه (مثاليًّا) في هذا الواقع على ما هو عليه من أخطاءٍ وخطايا.

= = = = =

هذه إلماعةٌ نكتفي بها في رصد أبعاد مشكلة ضعف مخرجات مؤسساتنا التعليمية متمثِّلًا في ضعف (الخرِّيج)، وننتقل لنسرد بإيجازٍ أيضًا بعض العوامل المؤدية إلى هذه المشكلة في ثماني نقاط.

= = = = =

نظام التدرُّج الدراسي المتفاصل.

وذلك أن تُفَرَّقَ المادة العلميّة على عدة سنوات، كل سنة مستقلَّةٌ برأسها، يُدْرَسُ فيها جزءٌ من العلم، ثم ينتقل في السنة التالية إلى جزء آخر غيره، كأن يدرس من علم الفقه مثلًا أبواب الشعائر في سنة، ثم المعاملات المالية في أخرى، ثم أحكام الأسرة في أخرى، وهكذا، فمن سيئات هذه الطريقة: أنها تُفَكِّك الوحدة العضوية للعلم عند الدارس، وتُضْعِفُ تصوُّرَه الكُلِّيَّ لشجرته، ومن الخيرِ ألا تُتَّبع، بل الأجدى: أن يُسْتَوْعَبَ العلمُ بالدَّرْسِ جملةً واحدةً في السنة الدراسية الواحدة، ولو مع الاقتصار على مهمات المسائل، مسبوقةً بدراسة الشجرة

-كما سبقت الإشارة إلى أهمية ذلك-، ثم يعاد درسه بعد ذلك جملة واحدة أيضًا ولكن مع التوسُّع.

نظام التجزيء للعلوم المدروسة في حصص ومُقَرَّرات شَتَّى.

هذا عاملٌ آخر في الضعف من الناحية المعرفية، العلوم قويَّةُ الوشائج ببعضها، ولا بُدَّ أن تنتقل إلى عقل الدارس بهذا التواشُج، ومن أفضل السبيل لذلك: أن تشترك كُلُّ مجموعة منها ذاتُ طبيعة متقاربة في مُقَرَّرِ الدرس وحِصَّته وأستاذه، فلا يكون لدى الطالب في جدوله الدراسي عشر مواد أو خمس عشرة مادة كما نراه، بل تكون ثلاث أو أربع موادٍّ مثلًا، العلوم الشرعية لها مقرر وحصة وأستاذ، والعلوم اللغوية كذلك، والعلوم الطبعية كذلك، الكثرة الكاثرة من المواد تُتْعِبُ الطالب من الناحية النفسية، كما أنها لا تعود عليه بخيرٍ من الناحية العلمية، إنها تجعل العلوم في ذهنه أشبه ما تكون بالجزائر المتعادية، وهي ليست كذلك، إنها كالبنيان يَشُدُّ بعضه بعضًا، فتجزئة العلوم وتقطيع الأرحام بينها: لا يثمر غير الفهم المختل المعتل، والذي من شأنه أن يحول بين الدارس وبين التطبيقات المجدية لهذه العلوم، ويحرمه تحصيل الملكات المرومة من وراء دراستها.

عدم ترسيخ الغايات من التعلم في نفس المتعلم وتعميقها في وجدانه الديني.

من المبادئ العشرة التي تجب معرفتها في مقدمات العلوم: فائدة العلم، كل علم له فائدة، ولو لم يعرف الدارس فائدة العلم الذي يدرسه كان درسه عبثًا يَتَنَزَّه عن مثله العقلاء، ومن الملاحظات غير الخافية: أن من خرِّيجي مؤسساتنا التعليمية من لم يعرفوا غايةَ العلوم التي درسوها، لا جرم أنها تنزل من نفوسهم منزل الاستخفاف والاستهانة، إن قدسية العلم في الإسلام توجب على المسلم ألا يتعاطاه بالدراسة إلا مع التقدير والاحترام والشعور بالمسؤولية نحوه، وتلك قيمةٌ لا تحصل بمجرَّد التلقين، إنها تحتاج إلى أن نصوغ المجتمع التعليمي صَوْغًا كاملًا على وَفْقِها، ونرسِّخها عقيدةً في نفوس المتعلِّمين: أن للعلوم فوائد يجب عليهم مراعاتها في تحصيلهم، وأن لها مقاصد يجب أن تنتصب أمامهم ليسعوا إليها، وإذا كان للجنديِّ نشيده الذي ينفخ فيه روح الحماسة، فجميلٌ أن يكون للمتعلِّم نشيده الذي يحقنه بواجب الدراسة.

إخلاء البيئة الدراسية من المتابعة التربوية الراشدة.

لطالما كانت (الأبوية) صلةً مَرْعِيَّةً بين التلميذ وأستاذه، يَدْفأُ بها عُشُّ العِلْم، ويُوثَرُ بها مَهْدُه، ولكننا نرى في كثيرٍ من الأحيان هذه الصلة قد انبتَّتْ في مؤسساتنا التعليمية، وغدت العلاقة بين الأستاذ وتلميذه علاقةً صَحْراويَّةَ الجفاف!، وربما كانت هذه الحال على كُرْهٍ منهما!، ولكنها طبيعة البيئة الدراسية التي تَكْبِتُ الْحُرِّيَّة التعليميَّة، فعندما يكون كل شيءٍ مفروضًا على الأستاذ والطالب على سواءٍ، بدءًا بفرض كليهما على الآخر، ثم بفرض الْمُقَرَّر، والحصص، ونُظُم الامتحان، والترقية، وفرض الزمان، والمكان، وغير ذلك من المفروضات؛= كيف يبقى بعد ذلك تهيُّؤٌ نفسيٌّ لكي يلعبا دور الشيخ الْمُرَبِّي والمريد الْمُتَرَبِّي؟!، ولو حاولا ذلك في بعض الوقت فسيكون ذلك لونًا من الرفاهية في هذا الجوِّ المشحونِ بالكَبْت.

ولا يقف الأمر عند هذا الحدِّ، فالمشكلة الأكبر أن الْمُعَلِّم قد سُلِبَ دَوْرُه التأديبيّ التربويّ في كثيرٍ من مؤسساتنا التعليمية بقُوَّةِ القانون!، لا صلاحية للمعلم كي ينصحَ أو يَعِظَ، عليه فقط أن يلقي درسه ويمضي، لا إجراءاتَ بيده ليعاقب تلميذه إذا أخطأ أخلاقيًّا، وقد يدخل في روتينٍ بالغِ التعقيد إذا فَكَّر أن يتَّخِذَ مثل هذا العقاب!، لا يجترئ أيضًا على تشجيع وتقريب تلامذته النجباء بصورةٍ علنيَّةٍ، فقد يُفَسَّرُ الأمرُ تفسيراتٍ خاطئةً تَجُرُّ عليه المتاعبَ والأقاويل!.

عدم الاستثمار العاجل للحصيلة العلمية في مهارة عملية.

عندما لا توازن المعرفة بنشاطٍ عمليٍّ حركيٍّ فلا أملَ في أن تبقى، ستغادر، هذا ما ينبغي أن يكون في أذهان المسؤولين عن التعليم ماثلًا، فضلًا عن أنه لا قيمةَ لها بدونِ ذلك، قبل أن نفكِّر في إعطاء الدارس المعلومة علينا أن نفكِّر كيف سنفعِّلُه بها؟، عندما ندرِّس لطلابنا مثلًا العلوم الشرعيَّة لا بُدَّ أن نجعل تحرُّكهم الدعويَّ بها جزءًا أصيلًا تُقَوَّم (عِلْمِيَّتُهم) على أساسه داخل مُؤَسَّستهم التعليمية قبل أن يَتَخَرَّجُوا منها، والأمر نفسه يُقَالُ في سائر العلوم، وواقعًا: لا نجد هذا الاستثمار حاصلًا؛ لِتَسْتَمِرَّ الشكوى من الفَجْوة أو الْجَفْوة بين العلم والعمل قائمةً.

الحفز الماديُّ والمعنويُّ المنقوص للمعلم والمتعلم.

غريـزةٌ في كُلِّ إنسانٍ: انتظـارُه التشجيع، وعندما لا يَصِلُ إليه هـذا المنتظَر: فرَدَّةُ فِعْلٍ طَبِيعِيَّـةٍ أنه لن يبقى علـى استعدادٍ تامٍّ ولا دائم لتقديم المزيـد أو الجديد أو المفيد، وعندما نؤمن نحن كمجتمعٍ بأن (التعليم والتعلُّم) ليس مُمارسةً شخصيَّةً، بل هو مشروعٌ قوميٌّ يتولَّاه جـزءٌ من المجتمع علـى سبيل الكفاية لصالـح الجميع؛= فإنه ينبغي لنـا أن نعطي القائمين علـى مشروعنـا القوميِّ هـذا حقَّهم أدبيًّا وماليًّـا، وبصراحة عارية: مجتمـعٌ لا يعطي المعلِّم راتبًـا يماثـل راتب الطبيب أو المهندس أو القاضي أو الجنديّ مجتمعٌ لا يحترم العلم ولا يبغي التقـدُّم، ولكن ذلك لن يكون أيضًا إلا إذا كان المشـروع التعليميّ سائرًا على الطريق الراشدِ الذي يُجْبِرُ المجتمع على احترامه.

الطالـب أيضًا يرجـو أن يكون محطَّ اهتمام مـن مؤسسته التعليميـة، أن تتفقَّد أحواله ولـو بكلمة طيِّبة، أن تسأله عـن مواهبه، عن طموحاته العلميَّة، أن تشكـر له جُهْدَه في دَرْسِه وتحصيلِه، وأن تَحُثَّه على ما هو أكثر، وأن تفتح له أبوابًا للمشاركة بعطائه في تطوير سياستها التعليمية، وليس حفزٌ أعلى من هذا لو كان إليه سبيلٌ.

الأساليب الخاطئة للتقويم والترقية.

لقد ساهمت الأساليب الخاطئة للتقويم والترقية في تبغيض الدراسة إلى نفوس المتعلمين مساهمـةً فعَّالـةً، ولقد أضحى (رُهَابُ الامتحانات) مرضًا شائعًا ما ينجو منه إلا أفذاذٌ من الطلبـة، وللأسـف: فقد ساعدت هذه الأساليب الخاطئة بقُوَّة علـى تفشِّي آفة (الغِشِّ)، ولن أستنزف وقتًا في تفصيل خطإ تلك الأساليب، بل سأذكر ما هو الوضع الافتراضي الصحيح.

الأصل: أن التعليم والتعلُّم شيءٌ، والحصول على (شهادة) شيءٌ آخر، (التعليم والتعلُّم) هـذا دور المؤسسـة التعليمية، إعطـاء شهادةٍ مَّا لتقلُّد وظيفةٍ مَّا أو لخوضِ غمارِ سوق العملِ في مجالٍ مَّا هذا دور مؤسسة أخرى، مؤسسةٍ إدارية رقابية تعنى بشؤون التوظيف والتشغيل، المؤسسـة التعليميـة مطبخٌ يُقَـدِّمُ للطالـب الأكلات العلمية المتنوِّعة على مـا يشتهي وعلى ما يصلـح له ظاهرًا، وليس من شأنه أن يجري لطاعميه التحاليل والفحوص الطبيَّة، فالمؤسسة التعليميـة ليسـت مخوَّلةً بإجراء امتحانات التقويم -أي المقوِّمـة لكفاءة الخريج العلمية- إلا

في حالة واحدة: هي أن يتقدم هذا الخِرِّيج لشغل وظيفة تدريسية فيها أو في مؤسسة موازية وتُفَوَّض هي بإجراء هذا الامتحان له، فينبغي أن تكون الشهادات التي تعطيها المؤسسات التعليمية (شهاداتِ حضور): أن الخرِّيج الفلاني قد حضر الدروس العلمية في مجالات كذا، ولعدد كذا من الساعات، وعند فلان وفلان من الأساتذة، هكذا فقط دون إعطائه تقويمًا بالدرجات، ووضعه في سُلَّم تنافُسِيٍّ مع زملائه، ودون إرهابِه بتلك الفزاعات: امتحانات الدور الأول، وامتحانات الدورِ الثاني، وامتحانات التخلُّف، وامتحانات التصفية، والامتحانات الشفوية، والامتحانات التحريرية، وامتحانات المستوى الرفيع، ... إلخ، الصواب هو إلغاء كل هذه الامتحانات جملةً وتفصيلًا، هذا النظام ليس بِدْعةً، إنه نظام معمولٌ به في عدد من المؤسسات التعليمية حول العالم، وكان معمولًا به في أنظمتنا التعليمية قديمًا في عصور السلف الصالح، كان الطلاب يحضرون مجالس الدروس، ثم تكتب الشهادات بأن هؤلاء الطلبة قد حضروا ذلك الدرس، ومنهم من قرأ، ومنهم من سمع، وهذا لا يمنع أن تُجْرِيَ المؤسسات التعليمية (امتحانات الالتحاق)، ويكون الغرض منها انتخاب المتقدِّمين الصالحين للالتحاق بها، كل مؤسسة على حدة بحسب نوعيّة العلوم التي تُدَرِّسها، وبحسب القدرات العامَّة التي تحتاجها في طُلَّابها، فيحصل الطالب مثلًا على شهادة (المرحلة الثانوية) عفوًا بلا امتحاناتٍ كما ذكرنا، ثم يتقدَّم إلى كُلِّيَّةٍ من الْكُلِّيَّات يَرْغَبُها، فيخضع لامتحان القَبول فيها.

وإذا ما أراد الخرِّيج أن يتقدَّم إلى عملٍ مَّا، واحتاج شهادةً تفيد كفاءته له؛= فإنه يحصل على هذه الشهادة من تلك المؤسسة المعنية بشؤون التوظيف والتشغيل، وهي الْمُخَوَّلة بامتحانه وتقويمه، وتكون شهاداتها ذات صلاحية مؤقتة، بمعنى: أنها تتطلَّب التجديدَ بعد مُدَّةٍ من الزمن بإعادة امتحان التقويم، ولا تظلُّ ساريةَ المفعولِ إلى الأبد.

نظام التعليم الكثيف.

من إساءتنا من حيث نريد الإحسان: فَتْحُنا مجال التعليم والتعلم على مصراعيه، وأضحينا نتفاخر بتكاثر الجامعات والمدارس والمعاهد وتكاثر طلابها ومعلميها، ونحن في هذا الأمر بنَجْوَةٍ عن الصواب.

هذه (الكثافة) لا تفيد مشروعنا التعليميّ شيئًا، بل على العكس: إنها ترهقه وتضعفه.

ثمة قضية صادقة يجب أن نتصالح معها، وهي أن التقدم الحضاري لا يصنع بيد المجتمع ككُلٍّ، ولكنه يصنع بيد نخبة ممتازة من هذا المجتمع، هذه النخبة الممتازة تمثل قاطرة التقدم الحضاري، ثم يأتي من ورائها المجتمع كمقطورة، وبقدر جودة هذه النخبة وامتيازها وقوتها في جـرِّ المجتمع إلى مجالات العمل والإنتاج يحصل تقدم هذا المجتمع حضاريًّا مدًّا أو جَزْرًا، قضية صادقة يؤكدها علماء الاجتماع، ونبَّه عليها (ألكسيس كاريل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) بإلحاحٍ.

إن قطاعًـا كبيرًا من أفراد المجتمع ليسوا بحاجـة إلى مستويات عالية من التعليم، وهم غـير مؤهلين لذلك، إن أكثر ما يفيدهـم ويَعْنِيهم هو انخراطُهم في مجـالات العمل والإنتاج بوجهٍ مَّا، وتحصيلُهم شيئًا من الخبرة العمليَّة المعينة لهم في هذا الانخراط، هذا ما يكفيهم في استثمارهم لأوقاتهم وقُواهم البدنية والعقلية، ويكون مَجْلَبةً للرزق ومَخْلَصًا من البطالة، ويحتاجـون بـإزاء ذلك فقـط إلى الضروريِّ من علـوم الدين وألوان الثقافـة العامة الذي لا يسعهم جهله.

إن الـزجَّ بهـذا القطاع الكبير من أفراد المجتمع في أنظمـة تعليمية لا يملكون الاستعداد الطبيعـيّ لمسايرتهـا لا يثمـر شيئًا غير تسمين البـلادة -كما كان يقـول (ساجقلي زاده) في (ترتيـب العلوم)-، وغير إضعاف الـذكاء الفطري، وتربية أخلاق الكسـل والتفلُّت، وتعزيز فكرة فاسدة عن التعليم باعتباره شَكْلِيَّة اجتماعية لا أقل ولا أكثر!.

مـن هنا: يجب أن نكـون في مؤسساتنا التعليمية استثناريين وانتقائيين جِدًّا بالنسبة إلى المعلـم والمتعلم على سواءٍ، ينبغـي أن يكون (المعلمين والمتعلمين) نخبـة، ويتم انتخابهم وفقًا لمعايـير دقيقة لا تحتمل المحاباة، وعلينا إخضاعهـم لاختبارات تحديد الشخصية، ومعدلات الـذكاء، والقدرات العامة، وغير ذلك من الاختبـارات التي تكفل لنا استخلاص تلك النخبة المطابقة للمعايير.

وأضـرب مثـلًا أدلل به على ضرر هذا التعليم (الكثيف)، في كلية من كليات الشريعة في إحـدى الجامعات يتخرَّج ألـف طالبٍ سنويًّا، الفئة المقبولة -لا أقـول الجيدة- الفئة المقبولة منهم علميًّا التي يمكن الاستفادة منها في مجالات التدريس والإعلام والقضاء والتي يمكنها

أن تستمرَّ في دراساتها العليا = لا تتجاوز العشر؛ أي: مئة طالب، فبهذا التعليم الكثيف الذي اشتمل على هذه الدفعة من الطلاب لم أستطع أن أكسب الطلاب التسع مئة علميًّا، لقد بقوا سَقَط متاع، ودخلوا كما خرجوا، ولا تمَّ إيلاء المئة الآخرين قسطًا كافيًا من الاهتمام الخاصّ والحفز المادي والمعنويّ والتعليم المُكَرَّس الذي يوصلهم إلى مستوى علميٍّ أعلى، وأكون قد خسرت بذلك الجميع حقًّا.

إن حبة واحدة من الطماطم الفاسدة قد تفسد صندوقًا بأكمله، فما بالك بتسعة أعشار الصندوق طماطمَ فاسدة، أينجو العشر الباقي؟، لا إخاله ينجو.

هناك سلسلة سيئة تطوّق عنق المجتمع، ولا بد أن يلقيها عن عنقه؛ إننا نضع المال مقابل الوظيفة، والوظيفة مقابل الشهادة، والشهادة مقابل التعليم، وهذا غير صحيح.

المال حقٌّ مكفولٌ للجميع في جزء منه، والوظيفة تكليفٌ يُسْنَدُ للأكفإ -وليست تشريفًا-، والشهادة ترخيصٌ مؤقَّت الصلاحية يحتاج التجديد لضمان الكفاءة، والتعليم امتيازٌ يعطى لنخبةٍ لديها استعدادٌ فطريٌّ للإبداع.

= = = = =

كان هذا هو الشق الأول من المحاضرة، وقد رُصِدَت بعض أبعاد المشكلة، وسُرِدَت بعض العوامل المؤدية لها، ونأتي الآن إلى شقِّها الآخرِ المقصودِ بالذات، وأطرح أربع رؤى في توظيف الدراسات القرآنية في علاج ضعف مخرجات المؤسسات التعليمية، فهذا نوعٌ من العلاج، وهو نوعٌ مباركٌ، وكُلُّ ما يَتَّصِل بكتاب الله جَلَّ وعلا لا شكَّ يأتي مباركًا.

= = = = =

رؤية أولى عن توظيف الدراسات القرآنية في تحسين منهج تدريس العلوم الشرعية، وأعرض هذه الرؤية في ثلاث خطوات.

= = = = =

الخطوة الأولى/ توظيف (علم التحفيظ) للارتقاء بمنهج تحفيظ القرآن الكريم،

ورائـد هذا المصطلـح ومبتكره هو صديقي العزيـز د. محمود عبد الجليـل رُزون، وقد أصَّل لجعل (تحفيظ القرآن الكريم) علمًا متميِّزًا من علوم القرآن الكريم بدراسة ضافية أودعها خلاصة أفكاره في هذا المجال، كما أنه قد أنشأ أكاديمية متخصصة بمصر لتأهيل محفظِّي القرآن الكريم مطبِّقًا فيها قواعد هذا العلم، إننا للأسف في كثير من مؤسساتنا التعليمية لا زلْنـا نُحَفِّظُ القرآن الكريم بطريقة كتاتيبيَّة متواضعة، وتهدف بالأكثر إلى الجمع الصَّدْرِيّ، وتُغْفِل جانِبَي الدراية والرعاية، ولا ينبغي أن يستمرّ الأخذ بهذا المنهج المتهاون.

ولـ(علـم التحفيـظ) كمـا أصَّله د. محمـود رُوزن مزايا كثـيرة لا يسعفنـي الوقت الآن لاستعراضهـا، ولكنـي أذكر بعض الملامح، منهـا: اختيار العمر المناسب لبـدء حفظ القرآن الكـريم، وهو عمـر العاشرة، وهو مـا يساوي الصفَّ الخامس الابتدائي تقريبًـا، ولا يُسْمَح بتحفيظ القرآن قبل هذه السِّنِّ إلا في حدود سور قصار المُفَصَّل، ثم البدء بالتحفيظ تدريجيًّا على أساس التقسيم الموضوعي للقرآن الكريم بانتقاء مقاطعَ ذات موضوعات ملائمة لمدارك الأطفـال، وتستغرق هذه المرحلة ثلاث سنوات، ثم تلحقها مرحلة أخرى لتتميم حفظ القرآن على أساس الترتيب المصحفيّ، وتستغرق هذه المرحلة ثلاث سنوات على الأقلّ، وتطويلها عن ذلك أفضل.

ومنهـا: الاعتنـاء بتعميق الفهم وتجويد القـراءة عن طريق مصاحبـة الجمع الصدريِّ بتفسير مُيَسَّر مُصَوَّر تفاعُليٍّ، وهناك عددٌ من الكتابات والبرمجيات الجيدة في هذا المجال، ومن المفيد جدًّا: أن ندخلها إلى مؤسساتنا التعليمية.

=====

الخطـوة الثانية/ دَمْـجُ مقررات العلوم الشرعية في مقرر واحـد يعتمد منهج (التفسير الموضوعـي)، فتأتـي دراسـات العقيـدة والفقه والأخـلاق كلها كفصـولٍ ضِمْـنَ سلسلةٍ من التفاسير الموضوعية للقرآن.

وهذه الخطوة من أهمِّ الخطى التي ينبغي الأخذ بها على الإطلاق، وإن كثيرًا من رجالات التعليم يشاركوننا الوعي بسلبيات فصل العلوم من أصلها القرآني.

وأقتبس هنا كلامًا جيِّدًا لـ د. أحمد شرشال في مقالة له في مجلة البيان في عددها الرابع والتسعين بعد المئة، يقول: ((إن علوم الشريعة ومباحثها كلها إذا فُصلت من أصلها وهو القرآن، ثم اقتصر عليها كمقررات دراسية؛ = لا تجد فيها ما تجده من الطراوة والحلاوة عندما تأخذها وهي موصولة بأصلها، وإن بقي شيء منها فإنك تجد فيه جفافًا وخفوتًا وهزالاً، ولا تجد تلك الحيوية والقوة والنضارة عندما تأخذ الأحكام والعلوم من أصلها القرآن؛ لأنها والحال هذه موصولة بما يغذيها، فتسري فيها قوة وجمالاً وروعة وحيوية، وتبعث في صاحبها قوة العمل بما علم، هذا ما علمته بالتجربة التي لا تخطئ، علوم الشريعة كلها ومباحثها كلها تأبى الانفصال والاستقلال، ولا تبقى لها تلك الطراوة والحلاوة إذا بُتِرتْ من أصلها ثم اعتُمد عليها، وقد يدخل فيها ما ليس منها، ويخرج منها ما هو منها، وقد تموت كالغصن إذا بان من الشجرة؛ فغذاؤها لا يكون إلا إذا كانت موصولة بأصلها، وتؤخذ من أصلها غَضَّةً طريَّةً...)) انتهى الاقتباس، وقد ذكر بعد ذلك مجموعةً من الأدلة بَرْهَن بها على صحة هذه القضية.

وها هي الموسوعة المباركة؛ موسوعة التفسير الموضوعي؛ قد شارفت على الصدور، وقد وَفَّقني الله تعالى للمشاركة فيها ببحث عن (التوحيد في ضوء القرآن الكريم)، وجميلٌ أن يستفاد من هذه الموسوعة في إعداد هذا المقرر الواحد المتكامل الذي أشرنا إليه.

الخطوة الثالثة/ توظيف علوم كعلم (الوقف والابتداء) وعلم (توجيه القراءات) وعلم (أصول الفقه) وعلم (مصطلح الحديث) ضِمْن مُقَرَّرٍ مُوَازٍ يعتمد منهج (التفسير التحليلي)، ويهدف إلى تنمية الملكة البحثية التدبرية الاجتهادية، هذا التوظيف لهذه العلوم بهذه الطريقة هو تثويرٌ مثاليٌّ للقرآن الكريم، يمارس من خلاله الطالب فريضة التفكُّر في القرآن ممارسةً جادَّةً، وهو تطبيقٌ ممتازٌ لهذه العلوم يخرج بها عن الجفاف النظريّ.

إذًا: نحن باختصار نطالب بتقليص مواد العلوم الشرعية ومقرراتها إلى مادتين ومقررين فقط، وذلك في جميع المراحل التعليمية: الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، والجامعية، فإن كان لا بُدَّ من تخصُّص فإنه يكون فيما بعد ذلك من الدراسات العليا، وحتى في هذا التخصص: فإنه يجب أن يكون تخصُّصًا واسع الدائرة، لا ضَيِّقَها كما الحال عليه

الآن، فـلا داعي مثـلاً لفصل أصـول الفقه عن الفقـه، ولا لفصل الفقه العـام عن المقارن، ولا لفصـل الدعوة والإعلام عن التفسـير، وأشباه ذلك من الانفصالات غير السائغة، ينبغي تقليل دوائر التخصص هذه لا تكثيرها.

= = = = =

ننتقـل بعد ذلك إلى عرض الرؤية الثانية عن توظيف الدراسـات القرآنية لدعم منهج تعليم العلوم اللغوية العربية، وأعرضها في أربع خطوات.

= = = = =

الخطـوة الأولى/ نحتاج إلى توظيف علم (التجويد) في تحسين مستوى فصاحة التكلُّم، إن علم التجويد ليس موضوعه هو القرآن الكريم وحسب، بل كل نصٍّ عربيٍّ فإن إلقاءَه الجيِّدَ يفتقر إلى تطبيق قواعد علم التجويد، مخارج الحروف وصفاتها لا تختصُّ بمجوِّدي القرآن، إن معرفتها وإتقانها أمرٌ مهمٌّ لكل ناطق بالعربية، مواقع الوقف والابتداء، وأساليب التنغيم؛ ذلك أيضًا مما يساعد على إيضاح معاني الكلام، وجعله أكثر متعةً لقارئه وسامعه.

لذلك فإني أطرح هنا رؤية: ألا يعتبر مقرر علم التجويد ضِمْن مقررات العلوم الشرعية، بـل يُعَدَّ مـن مقررات العلوم اللغوية العربية، وأقترح أن تستبـدل هذه التسمية بتسمية أخرى هي (فن الإلقاء)، وتقدم في هذا المقرر نماذج من النصوص العربية، منها نصوص قرآنية، وحديثية نبوية، وأخرى أدبية شعرية ونثرية.

ومن الطريف: أن كتاب (فن الإلقاء) لعبد الوارث عسر قد سبق إلى تطبيق هذه الفكرة، فتضمَّن جل مباحث علم التجويد، وأنا أدعم هذه الرؤية وأدعو إلى احتذائها.

ويتـم في مقرر تدريس هذه المادة إيضاح ما يمكن استعماله من أحكام التجويد في إلقاء الشعر وما لا يمكن، فبعض الأحكام قد لا يمكن استعمالها إذا كانت مخلة بالإيقاع الشعري، كالمدود، والغنة الكاملة، وأحكام كثيرة يمكن استعمالها.

= = = = =

الخطـوة الثانية/ أطرح رؤيـة في توظيف علم غريب القرآن في تعزيز الحصيلة اللغوية، فلا شكّ أنَّ إتقان الإنسان لأيِّ لُغَة مرهونٌ بامتلاكه حصيلةً لغويَّةً جَيِّدةً من مفرداتها، والأمر ينطبق على اللغة العربية وعلى أيِّ لُغَة أجنبيَّة على سواء، والقرآن الكريم هو معجمٌ لغويٌّ ثَرِيٌّ بالمفردات العربية القريبة والشائعة والتي لا يسع أي ناطق بالعربية جهلها.

وفي حـدود اطلاعـي: لا يوجد منهج تعليمي يعتمد مـادَّةً ومُقَـرَّرًا لتدريس متن اللغة في مؤسساتنـا التعليميـة في الوقـت الحاضر، لذا؛ فـإني أدعو إلى استحداث هـذه المادة، مادة (المفـردات)، وتُعَـدُّ لها مقررات تستمد غذاءها بالدرجة الأولى مـن كتب (غريب القرآن)، علـى أن تحرص هذه المقررات -أو لنقل المعاجـم المدرسية- على الاستشهاد لمعاني المفردات بآيـات من القرآن وأحاديث من السنة ونصوص أدبية أخرى، مع التنويع في التدريبات بحيث تحصل الاستفادة المثلى من هذه المادة.

وفي بدايـة تطبيقية لهذا الأمـر: قمتُ بتلخيص كتاب (ياقوتـة الصراط) لغلام ثعلب، وأدخلتـه مُقَرَّرًا دراسيًّـا في بعض المقارئ القرآنية التي أُشْـرِفُ عليها، وفي معاهد القراءات بمصـر يُدَرَّسُ كتاب (غريب القرآن) لأبي حـاتم السجستاني، ولكنَّ الغرض كما أُؤَكِّدُ عليه: هـو أن تكون هـذه المادة ضِمْن المـواد اللغوية لا الشرعيـة، وأن يُعَدَّ منهجهـا بطريقة مفيدة لتعزيـز الحصيلـة اللُّغويَّة عند الطُّلَّاب كَمًّا وكيفًا، ولا يكـون القصد فقط: هو مُجَرَّدَ معرفة معاني بعض مفردات القرآن باستظهارها حفظًا.

= = = = =

الخطوة الثالثة/ رؤية أخرى أطرحها في طريقة تدريس مواد النحو والصرف والبلاغة، وهـي أن تُدَرَّس قواعدها ضِمْنَ تطبيقات على مقاطع مـن القرآن الكريم، فيُخْتَارُ مَقْطَعٌ مَّا، وتطـرح حوله الأسئلة اللغوية التي يُراد منها استثارةُ ذهن الطالب لتفهُّم معاني هذا المقطع، وتحليلُ هذه المعاني إلى أجزاء، ثم توضيحُ إفادة القاعدة النحويَّة أو البلاغيَّة للمعنى الْجُزْئِيِّ المذكور، وإفادتُها في المعاني المتراكبة المقطع ككُلٍّ، وهكذا.

فـلا تدرس القواعد اللغوية بشكلٍ مستقلٍّ ابتداءً، ولا تُدْرَسُ مع أمثلةٍ محدودةٍ للإيضاحِ

فقط، بل تأتي دراستها كخُطْوَة عميقة يَخْطُوها الدارس وهو يتفهَّمُ معانيَ القرآن الكريم، وفي خِضَمِّ هذا التفهُّم: تُشْرَح له هذه القواعد بقَدْرِ الحاجة إليها في استيعاب المعنى الذي يتأمَّلُه الطالب، ويكون هذا الشرح من خلال مجموعةٍ من الأسئلة الحوارية لا المعلومات التلقينية.

وفي حدود اطلاعي القاصر: لا أعرف كتابًا انتهج هذه الطريقة، ولكن كتب إعراب القرآن وكتب التفسير المعتنية بالجانب البلاغي كثيرة، ومن الممكن لأولي الاختصاص في اللغة العربية أن يفيدوا منها، وأن يضعوا لنا مُقَرَّراتٍ على هذه الطريقة التي وَصَفْنا.

وواضحٌ من هذه الخطوة: أننا نبتغي دَمْجَ مواد ومقررات العلوم اللغوية في مادة واحدة ومقرر واحد كما ابتغينا ذلك في العلوم الشرعية، وهذا الدمج هو ما يُحَقِّقُ حياتها ونُمُوَّها في عقل الدارس، ويُهَيِّئُ له عن كثبٍ تكوين الملكة المرجوة.

وإذا نظرنا إلى تراثنا العلميّ من كتب اللغة: نجد عددًا وافرًا من كتب الأدب تمضي على هذا السَّنَن، وتجمع ذلك الجمع الحسَنَ بين مباحث النحو والصرف والبلاغة والنقد الأدبي، ولك أن تنظر على سبيل المثال: (الكامل) للمبرِّد، و(البصائر والذخائر) لأبي حيان التوحيدي، و(شرح أدب الكاتب) للجواليقي، وغيرها.

=====

الخطوة الرابعة/ لا شكَّ أن الغاية العليا من دراسة علوم اللغة هي تعزيز ملكة الإنشاء اللغوي، وبدون الوصول إلى هذه الملكة لا قيمةَ لكُلِّ ما درسه الطالب من علوم اللغة، وبالوصول إليها لا تثريب عليه كذلك فيما قد فاته، فلطالما كانت الوسائل أخفض من المقاصد، والرؤية المطروحة هنا: هي تفعيل (المدارسة القرآنية) في إنماء ملكة الإنشاء، والمقصود بالمدارسة القرآنية: جلسة يجلسها الأستاذ مع طلابه، يتدبَّرون فيها بعض الآيات، ويستخرجون معانيها، ويُعَبِّرُ كُلُّ طالبٍ عن المعاني الإجمالية والتفصيلية للمقطع القرآني المُتَدَارَس فيه، ويراعي في تعبيره هذا أن يكون سليمًا وواضحًا وأنيقًا، وبديمومة هذه المدارسة: يُتَوَقَّعُ أن تنمو ملكة الإنشاء الارتجاليِّ لدى الطالب، وتنمو ملكة الإنشاء الكتابيِّ بالتآزي معها عندما يطلب تفريغ محتوى ما قيل ارتجالًا، وإجراء التحسينات والتتمات.

=====

وأعرض الآن رؤيةً في توظيف الدراسات القرآنية لدعم منهج تعليم العلوم الطبعية والرياضية، وذلك في خطوتين.

= = = = =

الخطوة الأولى/ علينا أن نعمق البعد العقدي والشعائري في دراسة هذه العلوم، ونستثمر (التفسير الموضوعي) في ذلك، ويكون هذا التعميق من خلال تخصيص فصلٍ تذكيريٍّ في فاتحة كل مُقَرَّرٍ لكُل مادَّة ولكل صفٍّ دراسيٍّ؛ يتمُّ التنويه فيه باستحباب دراسة هذه العلوم شرعًا، وأن لها بُعْدًا عَقَدِيًّا لأنها شواهد وأدلة على توحيد الخالق سبحانه وتعالى، وأن القرآن وَظَّف الظواهر الكونية هذا التوظيف، ولأن دراستها تزيد الإنسان إيمانًا بعظمة الله تبارك وتعالى، وأنها تعطيه مزيدًا من وضوح الرؤية عن حجمه في هذا العالم العظيم كإنسانٍ صغيرٍ، وعن إمكانية كُلِّ الأمور الغيبية التي يؤمن بها سَمْعًا كما لو كان يشاهدها عِيانًا، وقد أفرد هذا الباب بالكتابة، ككتاب (الفيزياء وعظمة الخالق) لجعفر شيخ إدريس على سبيل المثال.

ويتم التنويه أيضًا بأن لهذا العلوم كذلك بُعْدًا شعائريًّا، فإن الله تعالى قد استخلف الإنسان في الأرض ليعمرها بالنسل والزرع والبناء، وقد ثمّن الإسلام قيمة العمل والإنتاج والعطاء، والصنائع المختلفة التي يحتاجها الناس هي فروض كفائيةٌ المسلمون مكلفون بها ومحاسبون عليها، والله تبارك وتعالى قد أوجب على المسلمين الأخذ بأسباب القوة المادية ليقوموا بواجبهم الدعويَّ أكمل قيام، ودراسة العلوم الطبعية والرياضية هي من أهم الوسائل لبلوغ جميع هذه الغايات.

وفي التطبيقات العملية لهذه العلوم الطبعية ضوابط شرعية، فينبغي أن تتضمَّن مُقَرَّراتُها أيضًا التذكير بها، وقد سبق فقهاؤنا الأجلاء قديمًا إلى تذكير أهل الصنائع المختلفة بما يجب عليهم مراعاته من آداب الشرع، وممن كتب في ذلك: ابن الحاجِّ العبدري في كتابه (المدخل) وهو معروف، وابن الأُخُوَّة في كتابه (معالم القُرْبة)، وغيرهم.

= = = = =

الخطوة الثانية/ أن نستفيد من دراسات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لننطلق منها

في التوسع في مباحث تلك العلوم، وهذا يقتضي أن تصاغ مقررات تلك العلوم صياغةً ملائمةً لهذه الرؤية، بحيث تكون فاتحة تلك المقررات هي قضايا من الإعجاز العلمي في القرآن يتِمُّ مناقشتها وتفصيلها تدريجيًّا بمسائل إضافية من تلك العلوم.

= = = = =

وأخيرًا؛ أعرض رؤيةً عن توظيف الدراسات القرآنية لدعم منهج تعليم الفنون الجميلة، إن الفنون الجميلة؛ ونقصد بها فنون: الأداء الصوتي، والخط العربي، والرسم والزخرفة، والتصوير والنحت، على اختلاف مجاليها؛= من مقاصدنا التحسينية التي تزيد حياتنا بهجةً ومُتْعَةً، والقرآن الكريم هو معرض أعظم للجمال، فهو فنٌّ لغويٌّ جميل، وهو فنٌّ تشريعيٌّ جميلٌ، وهو فنٌّ جدليٌّ منطقيٌّ جميل، ولطالما أثار القرآن أشواق المسلمين إلى إبراز جوانب الجمال القرآني في شتى الصور الممكنة من الفنون الجميلة، فكان حافزًا لهم على الارتقاء بفنون الأداء الصوتي، والخط العربي، والتذهيب، وغيرها من الفنون، وأعرض أربع خطوات لتوظيف الدراسات القرآنية لدعم منهج تعليم الفنون الجميلة.

= = = = =

الخطوة الأولى/ تعميق البعد العقدي والشعائري في الإسلام في دراسة الفنون الجميلة، وتوظيف (التفسير الموضوعي) في ذلك، إن للجمال بُعْدًا عَقَديًّا في الإسلام، فالله تبارك وتعالى جميل يحبُّ الجمال، والجنة التي وعد المتقون هي مثَلٌ أعلى للجمال، وعمليًّا فإن الإسلام يدعونا إلى الأخذ بالجمال في مظهرنا الشخصيّ، وفي تلاوتنا للقرآن، وفي تنسيقنا لصفوف الصلاة، وفي إتقاننا لكُلِّ ما نعمله، فهذا معنى ينبغي ترسيخه في نفوس متعلِّمي الفنون الجميلة: أنهم -وبفضل ما يدرسون- يحققون مطلوبًا إسلاميًّا.

= = = = =

الخطوة الثانية/ استثمار النصوص القرآنية كمجالات للإبداع الفني، ولعل خير ما نُمَثِّلُ به لذلك هو الخط العربي الذي نُقَدِّم به نصوص القرآن الكريم في مظهرٍ جماليٍّ رائع، الاستثمار هنا: هو أن الأبعادَ الفنيَّة للخطِّ تعمل على إظهار التفاصيل المعنوية للنصِّ، فالخطّ هنا يتجاوز كونه قالبًا وشَكْلًا، إنه يسهم وبصورةٍ مباشرةٍ في تأكيد المضمون وتوضيحه، وفي

كتـاب (فن الخط العربي) للخطاط أحمد عبد المجيد البشلي مثلًا تجربة مذكورة ومشكورة في هـذا المجـال، فالرجل من خـلال كتابه هذا يشـرح وبتفصيل: كيف أنـه راعى في لوحاته الفنيـة الأبعـاد المعنوية للقرآن الكريم، وكيف أنه حرص علـى إبرازها من خلال لَمَسات فنيَّة معيَّنة راعاها خِصِّيصًا لبلوغ الغرض المذكور، وفي كتب (التذوُّق الفني) التي تدرس بمعاهد الخـط العربي بمصر فصـولٌ مشابهة، ولكننا نرغـب أيضًا أن يُنتَقَل بهـذا التذوُّق القرآني الفنيِّ إلى المؤسسات التعليمية في مراحلها المختلفة.

= = = = =

الخطـوة الثالثة/ في فنِّ الرسـم والتصوير: من الجميل جدًّا أن يُدَرّس ويُقَدّم هذا الفنّ من خلال تتبُّع وتأمُّل (التصوير الفنِّيَّ) في القرآن الكريم، ونكسب بذلك أمرين: نجعل هذا الفنّ أكثر رُوحِيَّة ، ونفيدُ منه فرصةً تعبُّدِيَّةً ودَعَوِيَّةً.

مثـال ذلك: أن يراد دراسةُ رسم وتصوير الجبـال، فتُتَتَبَّع الآيات القرآنية التي تحدثت عن الجبال، وتُحَلَّل عناصر الصورة التي تضمنتها الآية، وتُحَدَّد ملامح المشهد المركب أيضًا، ثم يأتي الرسم والتصوير محاكاةً لهذه القراءة الذوقيَّة للقرآن.

ففي هـذه الخطوة لا يكون النصُّ القرآنيُّ ذاته مجالًا للإبداع الفني، ولكنه يكون مُلْهِمًا لإبداعٍ مُوَازٍ.

= = = = =

الخطـوة الرابعـة/ في فنون الأداء الصوتـي، قد سبق لنا التنويـه بأهمية توظيف (علم التجويـد) في الارتقـاء بـ(فن الإلقـاء) عمومًا، وإدراجِـه لهذه الغاية ضمن العلـوم اللغوية، ونذكـر هنا من الناحيـة الفنية: بأنه عمليًّا بعد هذه الدراسـة التجويدية ينطلق مباشرةً إلى الإفـادة منها في فـنِّ الإنشادِ الهادف، ويكون جليًّا أن هذا الإنشاد الهادف مضمونًا المنضبط شكلًا هو ثمرةٌ مباشرةٌ من دراسة (علم التجويد)، ويمكننا أيضًا استثمار القصص القرآني في نشاطـات التمثيل المدرسيِّ، وهـذا التمثيل له فائدته من الناحية العلمية في تقديم محتوى القصـص القرآني بشـكلٍ مشوِّقٍ، وله فائدته مـن الناحية الفنيّة لكونه مجـالًا تطبيقيًّا لفنّ

الإلقاء، وهذا التمثيل حاصلٌ بالفعل في قنوات الإذاعة والتلفزيون، وثَمَّة الكثير من الإنتاجات القيِّمة، ولكننا نهدف إلى إضافةِ ذلك إلى مؤسساتنا التعليمية ضمن أنظمتها التعليمية المُحَسَّنة إن شاء الله.

= = = = =

هذا ما تيسَّر، ((ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا))، ((سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك))، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحمد بن فارس السلوم

الجنسية: سوري .

المؤهلات:

- ليسانس من كلية القرآن في الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، عام ١٤١٥هـ.
- ماجستير من كلية الشريعة في جامعة الكويت، قسم التفسير وعلوم القرآن عام ١٤٢٠هـ.
- دكتوراه من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، في (فاس- المغرب) قسم الدراسات الإسلامية عام ١٤٢٤هـ بتقدير مُشَرِّف جداً (مرتبة الشرف الأولى) .
- العمل: أستاذ مشارك في قسم الدراسات الإسلامية-كلية الآداب- جامعة الملك فيصل.

الأبحاث العلمية والمؤلفات:

- جهود الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام في علوم القراءات وتحقيق اختياره فيها (تأليف).
- بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، لأبي العباس المهدوي (شرح وتحقيق)
- جواب سؤال عن الأحرف السبعة لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية الدمشقي (تحقيق).
- أحاسن الأخبار في محاسن الأخيار لابن وهبان المزي (تحقيق).
- فضائل القرآن لأبي العباس المستغفري، (مجلدان تحقيق وتخريج).
- طب النبي ﷺ، للحافظ المستغفري (تحقيق وتخريج).
- دلائل النبوة، للحافظ المستغفري (تحقيق وتخريج).
- معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه للحاكم النيسابوري (شرح وتحقيق).
- حفظ الله السنة وصور من حفظ العلماء لها وتنافسهم فيها، (تأليف).

- النصيح بتهذيب الكتاب الجامع الصحيح للمهلب بن أبي صفرة (تحقيق)
- قوارع القرآن، لأبي عمرو بن يحيى النيسابوري (تحقيق وتخريج).
- التقريب والتيسير لأحاديث البشير النذير للإمام النووي (شرح وتحقيق).
- منهج المستشرقين في إثبات قرآنية النص، عرض ونقد (بحث).
- العلاقة بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي (بحث).
- قيد الأوابد من الفوائد والعوائد والزوائد، للعصامي (تحقيق).

منهج القرآن الكريم في تعظيم العلم وأهله وأثر ذلك على المجتمع

إعداد

د. أحمد بن فارس السلوم

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية في كلية الآداب
جامعة الملك فيصل – الأحساء
جوال: ٠٥٣٩٠٠٣٥٨٨
Emai:a_alsalloom@hotmail.com

ملخص البحث

للعلماء دور عظيم في تصحيح الوعي، وحماية الفكر للفرد والمجتمع، فالعلماء الربانيون هم سفينة النجاة للأمة، وقد جاء القرآن الكريم ليؤكد على دورهم الريادي بين الناس، ولينزلهم المكانة التي هم أحق بها وأهلها، وأكدت السنة على هذا المعنى، سواء السنة القولية، أو سيرة النبي ﷺ العملية، ويتناول هذا البحث منهج القرآن الكريم وطريقته التي اتبعها في تعظيم العلم والعلماء، ثم يبين كيف حارب القرآن الكريم الاستهانة بالعلماء، حيث إن أول خطوات عزل العلماء عن دورهم الإصلاحي في المجتمع تبدأ من الاستهانة بهم، وتنقص المكانة التي أولاهم الله إياها، ثم يبين أثر العلماء في توطيد الأمن والإيمان في المجتمع، وذلك من خلال جمع الآيات الدالة على هذه الموضوعات ثم تفسيرها تفسيرا تحليليا، معززا مباحثه بالنقولات عن أهل العلم من المفسرين وغيرهم، إذ هم أعلم الناس بمكانة العلماء، ولا يعرف الفضل لذي الفضل إلاَّ ذَووه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ العلماء الربانيين هم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، ومنارات الطريق، وقد جاء القرآن الكريم بتفضيلهم وتوقيرهم، ورفعهم على عامة المؤمنين درجات، وعززت السنة النبوية هذا الجانب، ولا غرو فالعلماء هم المصلحون في مجتمعاتهم، المؤثِّرون على من حولهم، وهم الرواد في علاج المشكلات المختلفة التي قد تعصف بالفرد والمجتمع.

وهذا بحث بعنوان: "منهج القرآن الكريم في تعظيم العلم وأهله وأثر ذلك على المجتمع" أقدمه للمشاركة في: "المؤتمر القرآني الدولي الأول لتوظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة"، في المحور السادس منه، وهو: توظيف الدراسات القرآنية في علاج مشاكل التعلم والتعليم، ليساهم في حل المشكلة المذكورة في البند الأول: "التقليل من شأن العلماء وأثرهم في الأمة".

وسبب اختياري لهذا الموضوع: هو الواقع الذي نعايشه، فإنَّ كثيرًا من المشكلات الفكرية والعلمية التي تعصف بأمتنا ترجع في حقيقتها إلى الاستهانة بالعلماء، والتقليل من شأنهم، وعدم إعطائهم مكانتهم التي أعطاهم الله تعالى، ومن هنا تظهر أهميته.

ويهدف هذا البحث إلى إظهار مكانة العلماء في القرآن الكريم، وأسباب هذه المكانة، والأدوار التي أناطها القرآن الكريم بهم كي ينهضوا بالمجتمع المسلم.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وأربعة مباحث.

١-المبحث الأول: مسالك القرآن الكريم في تعظيم العلم، وفيه المطالب التالية:

أ-الحث على القراءة.

ب-الامتنان بالعلم على الإنسان.

ج-جعل العلم نورا.
د-التحذير من كتمان العلم.
هـ-ذم الجهل والجهال.

٢- المبحث الثاني: منهج القرآن في تعظيم العلماء وتوقيرهم، وفيه المطالب التالية:
أ-رفع درجة العلماء.
ب-الاستشهاد بالعلماء.
ج-العلماء أعرف الناس بالحق.
د-اختصاص العلماء بأنهم يعقلون مراد الله.
ه-حصر الخشية في العلماء.
و-التعويل على فهم العلماء.

٣-المبحث الثالث: تحذير القرآن الكريم من تنقصٍّ العلماء والاستخفاف بهم، وفيه:

أ-الأمر بطاعة العلماء.
ب-تقديم العلماء في القيادة.
ج-حصر الشورى في العلماء.
د-تحريم الاستهزاء بالعلماء.

٤-المبحث الرابع: أثر العلماء في توطيد الأمن والإيمان في المجتمع، وفيه المطالب التالية:

أ-ارتباط الأمن بالإيمان.
ب-العلم طريق الإيمان.
ج-العلماء يمحصون الشائعات.
د-أثر تعظيم العلم في حل مشكلة الاستهانة بالعلم والعلماء.

ثم الخاتمة، وأهم المصادر.

هـذا، ولا يسعنـي إلا أنْ أشكر جامعـة الملك خالد ممثلة بكلية الشريعـة وأصول الدين، وكذلـك الشكـر والتقدير موصول للجـان هذا المؤتمر الـدولي، وللجنة العلميـة خاصة على إتاحتها لي هذه الفرصة للمشاركة بهذا البحث، والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

مسالك القرآن الكريم في تعظيم العلم

لقد سلك القرآن الكريم مسالك شتى في تعظيم العلم، ليقرر هذه العظمة في نفوس الناس، ومن ثمَّ يحثهم على طلب العلم، وينفرهم من الجهل ، وفيما يلي استعراض لأهم هذه المسالك القرآنية:

أ- الحث على القراءة :

القراءة مفتاح العلوم، ومرقاة الفهوم، وهي الخطوة الأولى للعلم، ولأهمية العلم في الدين فقد كانت أول كلمة أنزلت على محمد ﷺ هي كلمة: "اقرأ" ، ويلزم من الأمر بالقراءة الأمر بالكتابة لتلازمهما.

قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ العلق: ١ – ٥.

ونلاحظ أنَّ في هذه الآيات الكريمات تكرر فيها ذِكر العلم وما يتصل به من أدوات وطرق كالقراءة والقلم ست مرات.

"ولما كانت هذه السورة هي أول سورة نزلت من القرآن، وكانت تلك الآيات الخمس أول ما نزل منها على الصحيح، فهي بحق افتتاحية الوحي"(١).

ولا شك أنَّ افتتاح الكلام يكون بالأمر العظيم، وهذا الأمر العظيم هو العلم، فيكفيه بذلك شرفًا وتعظيمًا، فديننا دين العلم، ورسالة نبينا ﷺ يقوم بها العلماء،

قال ابن جرير: يقول: اقرأ يا محمد بذكر ربك يقول: اقرأ يا محمد وربك الأكرم خَلْقَهُ للكتابة والخط.

(١) أضواء البيان ١٣/٩

ثـم روى عـن قتادة قرأ حتى بلغ قال: القلم: نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم، ولم يصلح عيش أهـ[1].

ولأنَّ القلم مـن أدوات القراءة العظمى وأركانها الكبرى، أقسم به الباري، وسمى سورة من كتابه باسمه.

ولأنَّ السورتـين تحمـلان معنى تعظيم العلم فقـد نظر بعض العلمـاء إلى هذه المناسبة الواضحة، فحملهم على أنْ جعلوا السورتين نزلتا على الولاء.

قال مجاهد: إن أوّل سورة أُنزلت[2].

كمـا أنـه سبحانه أقسـم بالشق الثاني مـن أركان العلم وهو الكتـاب المسطور فقال: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣﴾ الطور: ١ – ٣.

هذا وإنَّ المتأمل في حكمة وصف الباري نفسه بالأكرم ليجد مناسبة كرمه جلية في تعليم الإنسـان ، "فمـا لكرمه غاية ولا أمـد، وكأنه ليس وراء التكرم بإفـادة الفوائد العلمية تكرم، حيـث قال: الأكرم الَّـذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَـمْ فدلّ على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه مـن المنافـع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونـت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبـار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيـا، ولـو لم يكن على دقيق حكمـة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمـر القلم والخط، لكفى به"[3].

ومـن الإعجـاز في هذه الآيات الخمس أنَّ العلماء استنبطـوا منها طرق تحصيل العلوم، وذلك أنه قد "حصل من ذكر التعليم بالقلم والتعليم الأعم إشارة إلى ما يتلقاه الإنسان من التعاليم سواء كان بالدرس أم بمطالعة الكتب، وأن تحصيل العلوم يعتمد أمورًا ثلاثة:

(١) جامع البيان ٥١٩/٢٤.
(٢) جامع البيان ٥٢٢/٢٤.
(٣) الكشاف ٧٧٦/٤.

أحدها: الأخذ عن الغير بالمراجعة، والمطالعة، وطريقهما الكتابة وقراءة الكتب ..

والثاني: التلقي من الأفواه بالدرس والإملاء..

والثالث: ما تنقدح به العقول من المستنبطات والمخترعات. وهذان داخلان تحت وفي ذلك اطمئنان لنفس النبي ﷺ بأن عدم معرفته الكتابة لا يحول دون قراءته لأن الله علم الإنسان ما لم يعلم، فالذي علم القراءة لأصحاب المعرفة بالكتابة قادر على أن يعلمك القراءة دون سبق معرفة بالكتابة"[1].

ب- الامتنان بالعلم على الإنسان.

وهذا في سياق تعداد النعم التي أولها خلق الإنسان من علق، فكأن الآية تنبهنا على أعظم هذه النعم وهو العلم.

قال ابن زيد، علَّم الإنسان خطا بالقلم.

قال ابن جرير: أي علَّم الإنسان الخطّ بالقلم، ولم يكن يَعْلَمُهُ، مع أشياء غير ذلك، مما علمه ولم يكن يعلمه[2].

قال ابن عطية: عدد تعالى نعمة الكتاب بِالْقَلَمِ على الناس وهي موضع عبرة وأعظم منفعة في المخاطبات وتخليد المعارف[3].

وقال ابن كثير: فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس.

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٤٤١.
(٢) جامع البيان ٢٤/٥٢٢
(٣) المحرر الوجيز ٥/٥٠٢.

"وأشعر أنَّ العلم مسبوق بالجهل فكل علم يحصل فهو علم ما لم يكن يعلم من قبل"[1].

ولذلك قال الشافعي:

وإذا ما ازددت علما زادني علما بجهلي[2]

وقد امتن الباري سبحانه وتعالى على البشرية بتعليم أبيهم آدم الأسماء كلها، وبيان فضل العلم من هذه القصة من وجوه كثيرة ذكرها ابن القيم[3]، وغيره.

ج- جَعل العلم نورا.

من مسالك القرآن في تعظيم العلم أن جعله نورا، وجعل الجهل ظلمة، وضرب لذلك المثل في محكم التنزيل فقال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ الأنعام: ١٢٢.

وقد تكلم العلماء في معنى الموت والحياة في هذه الآية، وقال بعضهم: الموت بالكفر، والحياة بالإيمان، والنور هو القرآن، والضلالة هي الكفر، وقال آخرون: الموت بالجهل والحياة بالعلم، ولا شك أنَّ هذا الاختلاف من قبيل التلازم، لأنَّ الإيمان لا يتحصل إلا بالعلم بالله وبرسوله، والكافر جاهل بحق الله، ولم يقدر الله حق قدره..

ولذا قال الماوردي: كان ميتاً بالجهل فأحييناه بالعمل، أنشدني بعض أهل العلم ما يدل على صحة هذا التأويل لبعض شعراء البصرة:

وفي الجهل قبل الموت لأهله ... فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرءًا لم يحيى بالعلم ميت ... فليس له حتى النشور نشور

فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أن النور القرآن، قاله الحسن، والثاني: أنه العلم الذي يهدي إلى الرشد، والثالث: أنه حُسْنُ الإيمان[4].

(١) التحرير والتنوير ٤٤١/٣٠.
(٢) ديوان الشافعي ١٢.
(٣) مفتاح دار السعادة ٥٢/١
(٤) النكت والعيون ١٦٣/٢.

ولذلك وُصف القرآن الذي هو مَعدن العلوم بأنه نور، فقال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ ﴾ النساء: ١٧٤ ، وقال:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى: ٥٢.

د- الأمر بالاستزادة منه.

من مسالك القرآن في تعظيم العلم أنه أمر بالاستزادة منه، فلو لم يكن خيرا لما أمر بذلك، قال تعالى مخاطبا نبيه﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤، قال العلماء: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم[1]، ومفاتيح العلم ثلاثة، وكلها جاء بها التفسير عن السلف في المراد من العلم، فقالوا، أي قرآنا، وفهما، وحفظا[2].

ولذلك استحب بعض أهل العلم إذا قرأ هذه الآية أن يقول: رب زدني علما، فعن علقمة قال: قال: طلبت عبد الله فوجدته في المسجد يصلي بين المغرب والعشاء فسمعته يقرأ طه فلما بلغ قال: رب زدني علما رب زدني علما ثلاثا، ثم ركع فقرأت الأعراف وهو راكع[3].

د- التحذير من كتمان العلم.

ويلزم من هذا الأمر بإشاعته بين الناس، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ البقرة: ١٥٩، فهذه الآية وإن كانت قد نزلت في أهل الكتاب خاصة إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولذا حملها المفسرون على كل كاتم علم، فقال ابن جرير: وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاصٍّ من الناس، فإنها معنيٌّ بها كل كاتمٍ علم فرضَ الله تعالى بيانه للناس.

وذلك نظير الخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من سُئل عَن علم يَعلمهُ

(١) الكشاف٣/٩٠.
(٢) زاد المسير ١٧٨/٣
(٣) رواه المستغفري في فضائل القرآن ١٦٢/١.

فكتمه، ألجِمَ يوم القيامة بلجام من نار"[1].

ثم روى حديث أبي هريرة المتفق عليه: "لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدَّثت شيئًا: إلى آخر الآية، والآية الأخرى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ آل عمران: ١٨٧"[2].

قال القرطبي: بهذه الآية استدل العلماء على وجوب تبليغ العلم الحق وتبيان العلم على الجملة[3].

قال الحسن: هيَ في كل من أوتي علم شي مِنَ الْكِتَابِ، فَمَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيُعَلِّمْهُ، وَإِيَّاكُمْ وَكِتْمَانَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ هَلَكَةٌ.

وقال قتادة: هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم شيئًا فليعلِّمه، وإياكم وكتمانَ العلم، فإن كتمان العلم هَلَكة، ولا يتكلَّفن رجلٌ ما لا علم له به، فيخرج من دين الله فيكون من المتكلِّفين، كان يقال: "مثلُ علم لا يقال به، كمثل كنز لا ينفق منه! ومثل حكمة لا تخرج، كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب".

وكان يقال: "طوبي لعالم ناطق، وطوبي لمستمع واعٍ". هذا رجلٌ علم علمًا فعلّمه وبذله ودعا إليه، ورجلٌ سمع خيرًا فحفظه ووعاه وانتفع به[4].

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: لَا يَحِلُّ لِعَالِمٍ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى عِلْمِهِ، وَلَا لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَى جَهْلِهِ[5].

ولذا فقد وقف العلماء عند كتم العلم موقفا عظيمًا خشية أن يكونوا من أهل هذا الوعيد، فقد روي عن الحسن بن عمارة، أنه قال: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث، فألفيته على

(١) جامع البيان ٢٥٢/٣، والحديث رواه أحمد في المسند ٧٥٧١، وأبو داود ٣٦٥٨، وابن ماجه ٢٦٦، بإسناد رجاله ثقات، وقد صححه الشيخ شاكر في هوامش التفسير.

(٢) رواه البخاري ١١٨، ومسلم ١٩٤٠

(٣) جامع أحكام القرآن١٥٨/٢.

(٤) جامع البيان ٤٦١/٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٥/٤

بابـه، فقلـت: إن رأيت أن تحدثنـي، قال: أما علمـت أني قد تركت الحديث؟ فقلـت: إما أن تحدثنـي، وإما أن أحدثك، فقال: حدثني، فقلت: حدثني الحكم، عن يحيى بن الجزار، سمع عليـا رضـي الله عنه يقول: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا، قال: فحدثني بأربعين حديثا[1].

هـ-ذم الجهل والجهال.

مـن مسالـك تعظيم العلـم في القرآن ذم الجهل والجهـال، وتصويرهـم بأقبح صورة، تنفيرا للناس عن مشابهتهم، ومشاكلة أحوالهم.

فيجعل سبحانه الجهل من أعظم أسباب الشرك به، فقال ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾الزمـر: ٦٤ ، وجعله السبب المانع من الهدايـة، فقال:﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ الأنعـام: ١١١ ، وقال:﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٣.

وجعله من أسباب الوقوع في المعاصي فقال:﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النمل: ٥٥.

قـال الراغـب: الجهل علـى ثلاثة أضـرب، الأول: وهو خلـو النفس من العلـم، هذا هو الأصل..

والثانى: اعتقاد الشئ بخلاف ما هو عليه.

والثالـث: فعـل الشـئ بخلاف مـا حقه أن يفعـل سواء اعتقد فيـه اعتقـادا صحيحا أو فاسـدا كمن يترك الصـلاة متعمدا، وعلى ذلك قوله تعـالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ البقـرة: ٦٧، فجعـل فعل الهـزو جهلا، وقال عـز وجـل﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الحجـرات: ٦ ، والجاهـل تـارة يذكر على سبيل

(١) سير اعلام النبلاء ٣٣٨/٥.

الذم وهو الاكثر وتارة لا على سبيل الذم نحو:﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٣، أي من لا يعرف حالهم وليس يعنى المتخصص بالجهل المذموم[1].

قال ابن القيم: إنه سبحانه ذم أهل الجهل في مواضع كثيرة من كتابه .. وقال تعالى﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الفرقان: ٤٤، فلم يقتصر سبحانه على تشبيه الجهال بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلا منهم، وقال﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾الأنفال: ٢٢، فأخبر أن الجهال شر الدواب عنده على اختلاف أصنافها من الحمير والسباع والكلاب والحشرات وسائر الدواب، فالجهال شر منهم وليس علي دين الرسل أضر من الجهال بل أعداؤهم على الحقيقة، وقال تعالى لنبيه وقد أعاذه﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾الأنعام: ٣٥، وقال كليمه موسى عليه الصلاة والسلام﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ البقرة: ٦٧، وقال لأول رسله نوح عليه السلام﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ هود: ٤٦ [2].

فهل بعد هذا التنفير تقنع نفس بالجهل، ويرضى أحد أن يكون من الجاهلين!

(١) مفردات غريب القرآن ١٠٢/١

(٢) مفتاح دار السعادة ٥٤/١.

المبحث الثاني

منهج القرآن الكريم في تعظيم العلماء وتوقيرهم

العلماء في هذه الأمة هم خيار الناس، وهم أهل العدالة والثقة، بخلاف الأمم السابقة، فقد كان علماؤها شراراها، قال ابن تيمية: وكلما كان الإنسان أعظم رغبة في العلم والعبادة وأقدر على ذلك من غيره بحيث تكون قوته على ذلك أقوى ورغبته وإرادته في ذلك أتم؛ كان ما يحصل له إنْ سلمه الله من الشيطان أعظم؛ وكان ما يفتتن به إن تمكن منه الشيطان أعظم.

ولهذا قال الشعبي: كل أمة علماؤها شرارها إلاَّ المسلمين فإنَّ علماءهم خيارهم.

وأهل السنة في الإسلام؛ كأهل الإسلام في الملل؛ وذلك أنَّ كل أمة غير المسلمين فهم ضالون وإنما يضلهم علماؤهم؛ فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم فعلماؤهم خيارهم؛ وكذلك أهل السنة أئمتهم خيار الأمة وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب[1].

ولذا استحق العلماء التوقير والثناء من القرآن الكريم، ويمكن أن أجمل منهج القرآن في تعظيم العلماء في الأمور التالية:

أ-رفع درجة العلماء:

لا شيء خير بعد الإيمان من العلم، ولذلك فإنَّ من أوتي العلم فقد أوتي خيرا كثيرا، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ البقرة: ٢٦٩ ، قال ابن قتيبة والجمهور: الحكمة إصابة الحق والعمل به وهي العلم النافع والعمل الصالح[2]، وعلى هذا جاء قول النبي ﷺ: "من يرد الله به خيرا

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٨٤.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٢.

يفقه في الدين"[1].

وقد جاء القرآن بتقرير مكانة العلماء بين الناس، وأنَّ الله رفعهم على من سواهم درجات كثيرة، فقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ المجادلة: ١١.

جاء في تفسير هذه الآية عن ابن عباس أنه قَالَ: يرفع الله الَّذين أُوتُوا الْعلم من الْمُؤمنِينَ على الَّذين لم يؤتوا الْعلم دَرَجَات[2].

"وفي لفظ أَنه قَالَ: تَفْسِير هَذِه الْآيَة: يرفع الله الَّذين آمنُوا مِنْكُم وأوتوا الْعلم على الَّذين آمنُوا وَلم يؤتوا الْعلم دَرَجَات.

وَعَن ابْن مَسْعُود قَالَ: مَا خص الله الْعلمَاء فِي شَيْء من الْقُرْآن مَا خصهم فِي هَذِه الْآيَة فضل الله الَّذين آمنُوا وأوتوا الْعلم على الَّذين آمنُوا وَلم يؤتوا الْعلم"[3].

قال قتادة: إنَّ بالعلم لأهله فضلاً وإن له على أهله حقًا، ولعمري للحقّ عليك أيها العالم فضل، والله معطي كل ذي فضل فضله[4].

وكان مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير يقول: فضل العلم أحبّ إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع، وكان يقول: إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صومًا وصلاة وصدقة، والآخر أفضل منه بونًا بعيدًا، قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: هو أشدّهما ورعًا لله عن محارمه[5].

وهذه الرفعة للعلماء هي في الثواب في الآخرة، والكرامة في الدنيا[6].

(١) متفق عليه، رواه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.
(٢) رواه ابن ابي حاتم في التفسير (١٨٨٤٧)
(٣) الدر المنثور ٨٣/٨
(٤) جامع البيان ٢٤٧/٢٣.
(٥) جامع البيان ٢٤٧/٢٣.
(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/١٧

والآيــة الثانيــة الدالة علــى رفعة أهل العلــم، هي: قوله تعــالى:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ الأنعــام: ٨٣ ، وجــه ذلك "أنه سبحانــه ذكر مناظــرة إبراهيم لأبيه وقومــه وغلبته لهم بالحجة وأخبر عــن تفضيله بذلك ورفعــه درجتــه بعلم الحجة، فقال تعالى عقيــب مناظرته لأبيه وقومه في ســورة الانعام: قال زيد بن أسلم: نرفع درجات من نشاء بعلم الحجة"[1].

هــذا وقد قرر القرآن رفعــة العلماء بأسلوب آخر، وهو الاستفهــام فقال:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩.

قَــالَ الزَّجَّــاجُ: أَيْ كَمَا لَا يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُــونَ كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْمُطِيعُ وَالْعَاصِــي[2]. وَقَــالَ غَيْرُهُ: الَّذِينَ يَعْلَمُونَ هُمُ الَّذِينَ يَنْتَفِعُــونَ بِعِلْمِهِمْ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يعلم[3].

قال ابن القيم: نفى سبحانه التسوية بين أهله وبين غيرهم كما نفى التسوية بين أصحاب الجنــة وأصحاب النار، كما قال تعــالى﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحشر: ٢٠، وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم[4].

فهــذا الاستفهام الإنكاري يقــرر فيه الباري سبحانه وتعالى بُعد ما بين العالم والجاهل، ومثلــه قولــه تعــالى :﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾الرعد: ١٩.

فالعلم كالعينين لصاحبه، يبصر بهما الطريق، والجاهل أعمى، يتخبط خبط عشواء.

والاستفهــام في هــذه الآية إنكاري، لإنكار المســاواة بين الحالــين، أو تقريري: يقرر فيه

(١) مفتاح دار السعادة١/٥١

(٢) معاني القرآن ٤/٣٤٧، وما بين القوسين ليس في النص المحقق وهو في تفسير القرطبي.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٤٠.

(٤) مفتاح دار السعادة ١/٤٩

الرب سبحانه وتعالى الفرق بين العالم والجاهل.

قال الزمخشري: دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله أَفَمَنْ يَعْلَمُ لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أنّ حال من علم أنمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ فاستجاب، بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب: كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز إِنمَّا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ[1].

وقال ابن القيم: إنه سبحانه جعل أهل الجهل بمنزلة العميان الذين لا يبصرون، فقال: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ الرعد: ١٩، فما ثمَّ إلا عالم أو أعمى، وقد وصف سبحانه أهل الجهل بأنهم صم بكم عمي في غير موضع من كتابه[2].

ب- الاستشهاد بالعلماء:

وذلك في أعظم أمر وهو التوحيد، فقال تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨.

ذكر الإمام ابن القيم أن في هذه الآية عشرة أوجه تدل على شرف العلم وفضل العلماء. وقال:

اسْتشْهد سُبْحَانَهُ بأولي الْعلم على أجل مشهود عَلَيْهِ وهو توحيده فَقَالَ: وَهَذَا يدل على فضل الْعلم وأهله من وُجُوه:

أحدها: استشهادهم دون غَيرهم من الْبشر، وَالثَّاني: اقتران شَهَادَتهم بِشَهَادَته، وَالثَّالث: اقترانها بِشَهَادَة مَلَائكَته، وَالرَّابع: أن في ضمن هَذَا تزكيتهم وتعديلهم فإن اللَّه لَا يستشهد من خلقه إلا الْعُدُول... الْخَامس: أنه وَصفهم بكونهم أولى الْعلم وَهَذَا يدل على اختصاصهم به وانهم اهله واصحابه لَيْسَ بمستعار لَهُم، السَّادس: أنه سُبْحَانَهُ اسْتشْهد بِنَفسِهِ وَهُوَ أجل شَاهد ثمَّ بِخِيَار خلقه وهم مَلَائكَته وَالْعُلَمَاء من عباده ويكفيهم بِهَذَا فضلا

(١) الكشاف ٢/٥٢٤.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/٤٩

وشرفا، السَّابِع: أنه اسْتشْهد بهم على أجل مشهود بِهِ وأعظمه وأكبره وَهُوَ شَهَادَة أن لَا إِلَه إِلاَّ اللَّه والعظيم الْقدر إنما يستشهد على الامر الْعَظِيم أكابر الْخلق وساداتهم، الثَّامن: أَنه سُبْحَانَهُ جعل شَهَادَتهم حجَّة على المنكرين فهم بِمَنْزِلَة أدلته وآياته وبراهنيه الدَّالَّة على توحيده، التَّاسِع: أنه سُبْحَانَهُ أفرد الْفِعْل المتضمن لهَذِه الشَّهَادَة لصادرة مِنْهُ وَمن مَلَائِكَته وَمِنْهُم وَلم يعْطف شَهَادَتهم بفعل آخر غير شَهَادَته وَهَذَا يدل على شدَّة ارتباط شَهَادَتهم بِشَهَادَتِهِ... الْعَاشر: أنه سُبْحَانَهُ جعلهم مؤدين لحقه عِنْد عباده بهَذِه الشَّهَادَة فَإِذا أدوها فقد أدوا الْحق الْمَشْهُود بِهِ فَثَبت الْحق الْمَشْهُود بِهِ فَوَجَبَ على الْخلق الاقرار بِهِ وَكَانَ ذَلِك غَايَة سعادتهم فِي معاشهم ومعادهم وكل من ناله الْهدى بِشَهَادَتِهِم وأقر بهَذَا الْحق بِسَبَب شَهَادَتهم فَلهم من الاجر مثل أجره وَهَذَا فضل عَظِيم لَا يدرى قدره إلا اللَّه وَكَذَلِكَ كل من شهد بهَا عَن شَهَادَتهم فَلهم من الأجر مثل أجره أيضا[1].

ج- العلماء أعرف الناس بالحق:

عرفوا أن الذي أنزله الله من الهدى والنور هو الحق، فقال تعالى:﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ سبأ: ٦،

وهذا مذكور في سياق الثناء عليهم، ولذلك "فقد سلى سبحانه نبيه بإيمان أهل العلم به وأمره أن لا يعبأ بالجاهلين شيئا، فقال تعالى:﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٦ – ١٠٨، وهذا شرف عظيم لأهل العلم، وتحته أن أهله العالمون قد عرفوه وآمنوا به وصدقوا فسواء آمن به غيرهم"[2].

د-اختصاص العلماء بأنهم يعقلون مراد الله تعالى:

قال تعالى﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣ ، ولذا كان الرجل من السلف إذا مر على المثل فلم يعرفه يحزن، فروى ابن أبي حاتم عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: مَا مَرَرْتُ بِآيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَا أَعْرِفُهَا إلا أَحْزَنَنِي" [3].

(١) مفتاح دار السعادة ٤٩/١

(٢) مفتاح دار السعادة ٥٠/١

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٧٣٢٧).

قال الشيخ السعدي: (الْعَالِمُونَ) أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم، وهـذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثٌّ على تدبرها وتعقلهـا، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين.

والسبـب في ذلـك: أن الأمثـال التـي يضربها الله في القـرآن، إنما هي للأمـور الكبار، والمطالـب العاليـة، والمسائل الجليلـة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم مـن غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها.

وأمـا مـن لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى. ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها[1].

هـ- حصر الخشية في العلماء:

قال تعـالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطـر: ٢٨ ، والمعنى: إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء[2].

جاء عن قتادة أنه قال: كان يقال: كفى بالرهبة علمًا[3].

قـال ابن القيـم: " وهذا حصر لخشيتـه في أولى العلم، وقال تعـالى﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ البينـة: ٨، وقـد أخبر أن أهل خشيته هم العلماء، فدل علـى أن هذا الجزاء المذكور للعلماء بمجمـوع النصين، وقال ابـن مسعود رضى الله عنه: كفى بخشيـة الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا"[4].

و- التعويل على فهم العلماء:

ولذلـك أمـر بسؤالهم، فهم أعلـم الناس بالحق، قال تعـالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا

(١) تفسير السعدي ٦٣١.
(٢) جامع البيان ٤٦٢/٢٠.
(٣) جامع البيان ٤٦٢/٢٠
(٤) مفتاح دار السعادة ٥١/١

رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النحل: ٤٣ ، قال الشيخ السعدي: وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال.

وأفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾النحل: ٤٤، أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه[1].

(١) تفسير السعدي ص٤٤١.

المبحث الثالث

تحذير القرآن الكريم من تنقصِّ العلماء والاستخفاف بهم

مـن الأدواء الفتاكـة في المجتمعات الاستهانة بالعلماء، وتنقصهـم، والازدراء بهم، وقد حـذر القرآن الكريم مـن الاستهانة بالعلمـاء، وسلك طرقا عدة في محاربـة تنقص العلماء والازدراء بهم، ومن أهم هذه الطرق ما يلي:

أ- الأمر بطاعة العلماء:

لم يرد في القرآن الكريم الأمر بطاعة أحد بعد الله عز وجل ورسوله ﷺ إلا أولي الأمر فقال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النساء: ٥٩.

ولا شـك أن إيجاب طاعة أحد مـا محاربة للاستهانة به، وأولوا الأمر هنا يشمل ما قاله المفسرون من أنهم العلماء والأمراء.

فقـد قال جابـر وابن عباس ومجاهد وابن أبي نجيح وغيرهم: هم أولوا الفقه في الدين والعلم والعقل[1].

واستدل أبو العالية على صحة هذا التفسير بالقرآن الكريم فقال: في قوله: "وأولي الأمر منكـم"، قال: هم أهـل العلم، ألا ترى أنه يقـول: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ النساء: ٨٣ [2].

قال ابن كثير: والظاهر والله أعلم أن الآية في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء[3].

(١) جامع البيان ٨/٥٠٠.
(٢) جامع البيان ٨/٥٠١.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/٣٤٥.

قال السعدي: ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله[1].

ب- تقديم العلماء في القيادة:

القيادة من المهام الجسام، التي لا يتضلع بها كل أحد، وليس أحد أجدر بها من العلماء، وقد قص علينا القرآن الكريم قصة تنصيب طالوت ملكا على بني إسرائيل، فاعترض بنو إسرائيل على نبيهم وقالوا: أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه، فأجابهم نبيهم معللا هذا الاختيار بعد اصطفاء الله عز وجل:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٧.

وقد قدم البسطة في العلم على البسطة في الجسم لأنها أهم وأعظم.

وقد كان النبي ﷺ يقدم العلماء في القيادة على غيرهم، ويعتبر ذلك بحفظ القرآن، لإن حفظ القرآن عندهم لم يكن مقتصرا على الحروف دون معرفة الحدود بل كانوا يتعلمون حروفه وحدوده معا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ سرية فاستقرأ القوم على أسنانهم قال: ففضلهم شاب بسورة البقرة فقال له رسول الله ﷺ: أنت أمير القوم قال: فغضب شيخ في القوم وقال: يا رسول الله أتؤمره وأنا أكبر منه فقال رسول الله ﷺ: إنه أكثركم قرآنا فقال الشيخ: فوالله يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما منعني أن أتعلم القرآن إلا أني أخشى أن لا أقوم به فقال رسول الله ﷺ: تعلموا القرآن فإنما مثل حامل القرآن كمثل حامل لجراب مسك إن فتحه فتحه طيبا وإن وعاه وعاه طيبا.

(١) تفسير السعدي ١٨٣.

وفي رواية: بعث رسول الله ﷺ بعثا وهم نفر فدعاهم رسول الله ﷺ فقال: ماذا معكم من القرآن؟ فاستقرأهم حتى مر على رجل من أحدثهم سنا فقال: ماذا معك يافلان؟ قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة قال: معك سورة البقرة؟ قال: نعم قال: اذهب فأنت أميرهم[1].

ج- حصر الشورى في العلماء:

يقوم النظام السياسي في الإسلام على مبدأ الشورى، وهو مبدأ أصيل في هيكلة الدولة المسلمة، وقد جاء الأمر من الله عز وجل لنبيه المؤيد بالوحي بمشاورة المسلمين، فقال﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩.

وما ذاك إلا لتعليم أمته مبدأ الشورى، ثم جاءت الآية الأخرى مقررة الشورى صفة من صفات المؤمنين فقال تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾الشورى: ٣٨.

والتشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأى بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم شرت العسل إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه[2].

قال ابن جرير: إن الله عز وجل أمرَ نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه، تألُّفًا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرةَ التي يُؤْمَنُ عليه معها فتنة الشيطان وتعريفًا منه أمته مأتى الأمور التي تحزُبهم من بعده ومطلبها، ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه في حياته ﷺ يفعله. فأما النبي ﷺ، فإن الله كان يعرِّفه مطالب وجوه ما حزبه من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه صوابَ ذلك. وأما أمته، فإنهم إذا تشاوروا مستبِّين بفعله في ذلك، على تصادُق وتأخٍّ للحق، وإرادةٍ جميعهم للصواب، من غير ميل إلى هوى، ولا حَيْد عن هدى، فالله مسدِّدهم وموفِّقهم[3].

(١) رواه المستغفري في فضائل القرآن ٦٩٧، وقد طول المحقق في تخريجه.
(٢) مفردات غريب القرآن ١/ ٢٧٠.
(٣) جامع البيان ٧/ ٣٤٦.

قال القرطبي: فمدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك. وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب، وذلك في الآراء كثير. ولم يكن يشاورهم في الأحكام، لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام. فأما الصحابة بعد استئثار الله تعالى به علينا فكانوا يتشاورون في الأحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة..

وقال بعض العقلاء: ما أخطأت قط! إذا حزبني أمر شاورت قومي ففعلت الذي يرون، فإن أصبت فهم المصيبون، وإن أخطأت فهم المخطئون[1].

وهكذا كان الخلفاء الراشدون يتخذون أهل الشورى من القراء والعلماء، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولا كانوا أو شبانا"[2].

د-تحريم الاستهزاء بالعلماء:

الاستهزاء بالعلماء من صفات المنافقين، ولعل في ذكر الله عز وجل أحكام الاستهزاء بهم في سورة التوبة التي فضحت المنافقين أكبر دليل على ذلك.

قال عز وجل:﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة: ٦٤ - ٦٦.

ويكفي في بيان هذه الآية نقل سبب نزولها، فقد روي من غير وجه أن رجلا من المنافقين قال: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء.

وفي لفظ: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونا،

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٧.
(٢) صحيح البخاري٤٦٤٢.

ولا أكـذب ألسنـا، ولا أجبن عند اللقاء..فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فجاء إلى رسول الله وقـد ارتحـل وركب ناقته، فقال: يا رسـول الله، إنما كنا نخوض ونلعـب. وإن رجليه لتنسفان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ، وهو متعلق بنسعة رسول الله ﷺ، والرسول ﷺ لا يزيد على هذه الآية[1].

فقـد جعـل الله عز وجل الاستهزاء بالعلماء من الكفر، قال ابن العربي: لا يخلو أن يكون مـا قالوه من ذلك جدا أو هزلا، وهو كيفما كان كفر؛ فإن الهزل بالكفر كفر، لا خلف فيه بين الأمـة، فإن التحقيـق أخو الحق والعلم، والهزل أخو الباطل والجهل، قال علماؤنا: نظروا إلى قوله: ﴿ وَإِذْ قَـالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ البقرة: ٦٧ [2].

(١) انظر مجموع الروايات في تفسير الطبري ٣٣٣/١٤، وتفسير ابن كثير ١٧١/٤.
(٢) أحكام القرآن ٥٤٣/٢.

المبحث الرابع

أثر العلماء في توطيد الأمن والإيمان في المجتمع

فضل العلماء وخيرهم ليس مقصورا على أنفسهم، بل هو متعد للمجتمع كله، ولذلك فضل العالم على العابد، ورجح مداد العلماء على دماء الشهداء، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل العلماء، وهي معروفة مشهورة، ولا أطيل بذكرها، ولكن من أهم آثارهم المباركة على مجتمعاتهم هي توطيدهم الأمن والإيمان بين الناس، وفي المجتمعات التي يكونون فيها، وذلك ما سنبينه في المطالب التالية:

أ- ارتباط الأمن بالإيمان:

الأمن مصدر من أَمِن يأمن أمناً وأماناً، وهو ضد الخوف، وربما جعل الأمان اسما للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن[1].

"وآمن إنما يقال على وجهين أحدهما متعديا بنفسه يقال آمنته أي جعلت له الامن ومنه قيل لله مؤمن، والثانى غير متعد ومعناه صار ذا أمن"[2].

عُرف الأمن بأنه: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف[3].

وقد تكررت كلمة "الأمن[4]" في القرآن الكريم، معرفة ومنكرة.

---

(١) مفردات غريب القرآن ١/٢٥.

(٢) مفردات غريب القرآن ١/٢٦.

(٣) تاج العروس٣٤/١٨٤.

(٤) أعني بهذه الصيغة المصدرية: الأمن، وإلا فقد ورد الفعل آمن في قوله: وآمنهم من خوف، والفعل: أَمِن في قوله: (أفأمن الذين مكروا) فضلا عن اسم الفاعل في قوله: (ومن دخله كان آمنا) ، (حرما آمنا) وكذلك قوله تعالى: (إنك من الآمنين).
وكذلك قراءة أبي جعفر: (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمَناً)، أي لست بآمن.

فأما التنكير ففي صفة البيت الحرام، فقال تعالى﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ البقرة: ١٢٥، قال الزمخشري: وَأَمْناً أي موضع أمن، كقوله (حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) ولأن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج أهـ[1].

ولذا وقع خلاف بين الفقهاء في الجاني الذي يلجأ للحرم.

قال القرطبي: قوله تعالى:" وأمنا" استدل به أبو حنيفة وجماعة من فقهاء الأمصار على ترك إقامة الحد في الحرم على المحصن والسارق إذا لجأ إليه، وعضدوا ذلك بقوله تعالى:" ومن دخله كان آمنا" كأنه قال: آمنوا من دخل البيت. والصحيح إقامة الحدود في الحرم، وأن ذلك من المنسوخ، لأن الاتفاق حاصل أنه لا يقتل في البيت، ويقتل خارج البيت. وإنما الخلاف هل يقتل في الحرم أم لا؟ والحرم لا يقع عليه اسم البيت حقيقة. وقد أجمعوا أنه لو قتل في الحرم قتل به، ولو أتى حدا أقيد منه فيه، ولو حارب فيه حورب وقتل مكانه. وقال أبو حنيفة: من لجأ إلى الحرم لا يقتل فيه ولا يتابع، ولا يزال يضيق عليه حتى يموت أو يخرج. فنحن نقتله بالسيف، وهو يقتله بالجوع والصد، فأي قتل أشد من هذا. وفي قوله:" وأمنا" تأكيد للأمر باستقبال الكعبة، أي ليس في بيت المقدس هذه الفضيلة، ولا يحج إليه الناس، ومن استعاذ بالحرم أمن من أن يغار عليه أهـ[2].

ولا شك أنَّ للعلماء في أمن الحرم دورا عظيما، فهم الذين يَعْلَمون ذلك ويحملون الناس عليه.

مثلا: قام عمرو بن سعيد بجمع البعوث كي يبعثها إلى مكة، فقام الصحابي الجليل أبو شريح رضي الله عنه وقال له: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به النبي الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به: "حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنَّ مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله فيها فقولوا إن الله

(١) الكشاف ١/١٨٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/١١١.

قد إذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما إذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب"[1]..فأبو شريح أحد العلماء الذين حفظوا الأمن للبيت الحرام وعلموه الناس.

وأما ورود لفظة الأمن بالتعريف ففي سياقين :

الأول : قوله تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ النساء: ٨٣.

قال السعدي: هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة[2].

الموضع الثاني: في قصة محاورة إبراهيم عليه السلام قومه، وقوله جوابا على تخويفهم إياه آلهتهم: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾الأنعام: ٨٠ – ٨٢.

وذلك أنهم خوفوا إبراهيم عاقبة مخالفته، وأن آلهتهم ستمسه بسوء، فقال لهم ذلك، قال ابن إسحاق: ، يقول: كيف أخاف وثنًا تعبدون من دون الله لا يضرُّ ولا ينفع، ولا تخافون

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب ليبلغ الشاهد الغائب، رقم:١٠٤.
(٢) تفسير السعدي ١٩٠.

أنتم الذي يضر وينفع، وقد جعلتم معه شركاء لا تضر ولا تنفع؟ ، أي: بالأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة، الذي يَعْبد الذي بيده الضرّ والنفع، أم الذي يعبد ما لا يضرّ ولا ينفع؟ يضرب لهم الأمثال، ويصرِّف لهم العبر، ليعلموا أنَّ الله هو أحق أن يخاف ويعبد مما يعبُدون من دونه[1].

وكانت هذه هي الحجة التي لقنها الله إبراهيم، فانتصر بها على قومه، وقد اختلف العلماء، فقال بعضهم: هذا فصلُ القضاء من الله بين إبراهيم خليله ﷺ، وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله..، وقال آخرون: هذا جوابٌ من قوم إبراهيم ﷺ لإبراهيم، حين قال لهم: "أيُّ الفريقين أحق بالأمن"؟ فقالوا له: الذين آمنوا بالله فوحّدوه أحق بالأمن، إذا لم يلبسوا إيمانهم بظلم.

وقد رجح شيخ المفسرين ابن جرير أن يكون ذلك من فصل القضاء من رب الأرباب سبحانه[2].

وفي هذه الآية يقرر الباري سبحانه وتعالى ارتباط الأمن بالإيمان، وارتباط الظلم بالشرك، وقد أخبر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: " ليس كما تقولون بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ لقمان: ١٣[3] .

قال الشيخ السعدي: قال الله تعالى فاصلا بين الفريقين أي: يخلطوا الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهدايةُ إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء.

(١) جامع البيان ٤٩١/١١.
(٢) جامع البيان ٤٩٤/١١.
(٣) صحيح البخاري ٣٣٦٠.

ولما حكم لإبراهيم عليه السلام، بما بين به من البراهين القاطعة قال:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾الأنعام: ٨٣، أي: علا بها عليهم، وفلجهم بها[1].

ولا شك أن الإيمان إنما يقرره أهل العلم، وهم الذين يبينونه للناس، ويهدونهم إليه، وهم أحق الناس به، وهذا ما سنبينه بالمطلب التالي.

ب - العلم طريق الإيمان:

إذا كان القرآن قد قرر أن الإيمان قرين الأمن، فإنه كذلك قرر أن العلم والإيمان توأمان لا ينفكان، ولذلك قرن الله عز وجل بين العلم والإيمان في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الروم: ٥٦.

وكذلك قرن بينهما في قوله ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ النساء: ١٦٢.

ولا غرو أن يكون العلماء أعلم الناس بالإيمان وحقيقته، وأن يقترن الأمن به، لأن العلماء يعرفون الحق من الضلالة، ويميزون الإيمان من الكفر، فقال سبحانه:﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ سبأ: ٦.

إن المجتمع الخالي من العلماء مجتمع ناقص الإيمان، مليء بالبدع والضلالات، ولا أدل على ذلك من تاريخ هذه الأمة، فقد مرت بفترات متأخرة ضعف فيها الإيمان، ونقص فيها الأمن، وانتشرت البدع والشركيات في أرجائها، حتى سُميت تلك العصور بعصور الانحطاط الفكري، وقد تبع هذا الانحطاط الفكري انحطاط عسكري، فتقلصت أراضيها، وغربت شموسها، وخاف أبناؤها، وعند التأمل في ملامح تلك الحقبة التي ما زالت الأمة تعيش بعض آثارها، نجد أن قلة العلماء الربانيين من أهم سمات تلك الحقبة الزمنية.

وصدق الله إذ يقول في معرض التخويف:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ

(١) تفسير السعدي ٢٦٣.

يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾الرعد: ٤١.

وقال:﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٤،

قال بعض السلف من أهل التفسير كابن عباس ومجاهد: هو موت العلماء، ونقصانها ذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها[1].

وعن هلال عن حيان قال: قلت لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس؟ قال: هلاك علمائهم[2].

ولذلك كانوا يضربون مثلا لنقصان الأرض بموت العلماء بالكف إذا قطعت، قال علي رضي الله عنه: إنما مثل الفقهاء كمثل الأكف إذا قطعت كف لم تعد[3].

ولكي لا يقال: لمَ، ولا يعترض على حكمة الله عز وجل في نقصان العلماء، ختم الآية بقوله: والله يحكم لا معقب لحكمه، سبحانه وتعالى.

ويؤيد هذا المعنى في تفسير الآية حديث عبدالله بن عمرو بن العاص: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[4].

ج- العلماء يمحصون الشائعات:

الشائعات تفتك بالمجتمع، وتهدم أركانه، ومتى انتشرت في مجتمع فإنه يضطرب، وتكثر قلاقله، ومن هنا يأتي خطر الإعلام في عصرنا الحديث، ومسؤلية العلماء في توجيهه، وتصحيح مساره.

فقد بينَّ القرآن الكريم حالة من الأحوال التي يتضلع بها العلماء الربانيون في مجتمعاتهم،

(١) جامع البيان ١٦/٤٩٧.
(٢) الكشف والبيان ٥/٣٠١.
(٣) الكشف والبيان ٥/٣٠١.
(٤) متفق عليه رواه البخاري ١٠٠، ومسلم ٢٦٧٣.

وهي حالة الريادة والقيادة -أثناء في الأمن والخوف- في قضية الإعلام، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾النساء: ٨٣، فالعلماء يعرفون ما يلائم المجتمع مما يصح نشره وما لا يصح نشره وإذاعته، وهم أعلم بتحقيق الأخبار وبيان حقيقتها.

ولعل في الحديث الطويل الوارد في تفسير هذه الآية نموذجا لدور العالم في مجتمعه، وقد كان العالم في هذه الحادثة: هو عمر بن الخطاب.

عن عبد الله بن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه، قال: دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى، ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر، فقلت: لأعلمن ذلك اليوم، قال: فدخلت على عائشة، فقلت: يا بنت أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ، فقالت: ما لي وما لك يا ابن الخطاب، عليك بعيبتك، قال فدخلت على حفصة بنت عمر، فقلت لها: يا حفصة، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ؟ والله، لقد علمت أن رسول الله ﷺ، لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ، فبكت أشد البكاء، فقلت لها: أين رسول الله ﷺ؟ قالت: هو في خزانته في المشربة، إلى أن قال: فقلت: يا رسول الله، ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهن، فإن الله معك، وملائكته، وجبريل، وميكائيل، وأنا، وأبو بكر، والمؤمنون معك، وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام، إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول.ونزلت هذه الآية آية التخيير﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ التحريم: ٥،﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ التحريم: ٤ ، وكانت عائشة بنت أبي بكر، وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله أطلقتهن؟ قال: «لا»، قلت: يا رسول الله، إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى، يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، أفأنزل، فأخبرهم أنك لم تطلقهن، قال: «نعم، إن شئت»، فلم أزل أحدثه حتى تحسر الغضب عن وجهه، وحتى كشر فضحك، وكان من أحسن الناس ثغرا، ثم نزل نبي الله ﷺ، ونزلت، فنزلت أتشبث بالجذع، ونزل رسول

الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده، فقلت: يا رسول الله إنما كنت في الغرفة تسعة وعشرين، قال: «إن الشهر يكون تسعا وعشرين»، فقمت على باب المسجد، فناديت بأعلى صوتي، لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه، ونزلت هذه الآية:﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ النساء: ٨٣، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر، وأنزل الله عز وجل آية التخيير[١]، فعمر من سادات أولي الأمر الذين يستنبطون الأمور ويحسنون التعامل معها، ولذا روي عن بعض السلف يعني حملة الفقه والحكمة يعني الذين يفحصون عن العلم[٢].

وقال قتادة: "ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم"، يقول: إلى علمائهم، لعلمه الذين يفحصون عنه ويهمّهم ذلك[٣].

قال الزمخشري: لعلمه الذين يستنبطونه منهم، لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون، وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الأمر، أى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم[٤].

د- أثر تعظيم العلم في حل مشكلة الاستهانة بالعلم والعلماء:

يمكنني أن ألخص أسباب الاستهانة بالعلم والعلماء في عامل واحد، ألا وهو "الجهل" تلك الكلمة التي استعاذ أنبياء الله عز وجل أن يكونوا من أهلها، وهذا الجهل ثلاثة أقسام:

١. الجهل بفضل العلم ومكانته في الدين، والجهل بمكانة العلماء، والجهل بخطر الجهل
٢. فهذه الجهالات تورث الاستهانة بالعلماء وتنقصهم، والازدراء بالعلم الشرعي.
٣. أما الجهل بفضل العلم : قد تعددت مسالك القرآن في تعظيم العلم ، كما بينا ذلك في المبحث الأول.

وأما الجهل بمكانة العلماء: فقد سلك العلماء منهجا بيّنا في تعظيم العلماء وتوقيرهم،

(١) رواه مسلم ١٤٧٩.
(٢) الكشف والبيان ٣/٣٥١.
(٣) جامع البيان ٨/٥٧٢.
(٤) الكشاف ١/٥٤١.

كما بينا ذلك في المبحث الثاني.

وقد عالج القرآن معضلة تنقص العلماء والاستخفاف بهم، تارة بإبراز دورهم القيادي في المجتمع، وقد بينا ذلك من خلال:

١-أمر القرآن بطاعة العلماء، ٢-تقديم العلماء في القيادة، ٣-حصر الشورى في العلماء.

وتارة بتجريم الاستهزاء بهم، وجعله من كبائر الذنوب، بل من سمات المنافقين، كما في قوله تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة: ٦٥ – ٦٦.

فروى ابن جرير: عن زيد بن أسلم: أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما لقُرَّائنا هؤلاء أرغبُنا بطونًا وأكذبُنا ألسنةً، وأجبُننا عند اللقاء! فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله ﷺ! فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه.

قال زيد: قال عبدالله بن عمر: فنظرت إليه متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ تنكبُهُ الحجارة ؟ ما يزيده[1].

وما أجمل أن يأخذ المسلم بقول ابن عساكر رحمه الله: وَاعْلَم يَا أخي وفقنَا الله وَإِيَّاك لمرضاته ممَّن يخشاه ويتقيه حق تُقَاته إن لُحُوم الْعلمَاء رَحْمَة اللَّهَّ عَلَيْهِم مَسْمُومَة، وَعَادَة اللَّهَّ في هتك أَسْتَار منتقصيهم مَعْلُومَة، لِأَن الوقيعة فيهم بِمَا هم مِنْهُ بَرَاء أمره عَظِيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اخْتَارَهُ اللَّهَّ مِنْهُم لنعش الْعلم خلق ذميم، والاقتداء بِمَا مدح اللَّهَّ بِهِ قَول المتبعين من الاسْتِغْفَار لمن سبقهمْ وصف كريم، إِذْ قَالَ مثنيا عَلَيْهِم في كتَابه وَهُوَ بمكارم الْأَخْلَاق وصدها عليم ﴿ وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا

(١) تفسير ابن جرير ١٤/٣٣٣.

لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾لحشر: ١٠، والارتكاب لنهي النَّبي صَلَّى الله عَلَيْه وَسلم عَن الاغتياب وَسَب الْأَمْوَات جسيم﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣.[1]

(١) تبيين كذب المفتري ص٣٠.

الخاتمة

لعل من أهم النتائج التي أسجلها في نهاية هذا البحث:

-سلك القرآن مسالك شتى في تعظيم العلم ليقرر هذه العظمة في نفوس المسلمين وليحملهم على طلب العلم.

-من أهم مسالك القرآن في تعظيم العلم: الحث على القراءة والكتابة، ومدح العلم وذم الجهل وأهله.

-مفاتح العلم ثلاثة، وكلها جاء بها التفسير في قوله﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤ ، وهي: قرآنا، وفهما، وحفظا.

-عظَّم القرآن العلماء ووقرهم فكانوا خير هذه الأمة، بخلاف باقي الأمم حيث كان علماؤها شرارها.

-من أهم مسالك القرآن في توقير العلماء رفعهم درجات وجعلهم أهل الشورى والقيادة.

-من أهم أساليب القرآن في التحذير من الاستهزاء بالعلماء أن جعل الاستهزاء بهم كفرا ونفاقا.

-قرر القرآن ارتباط الأمن بالإيمان، وارتباط الإيمان بالعلماء لأنهم أعلم الناس به.

-على العلماء دور كبير في حفظ المجتمع من الشائعات المضرة بالمجتمع، وعليهم مسؤولية تصحيح الإعلام.

قائمة المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن، محمد بن عبدالله ابن العربي المالكي، ت محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ

٢. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٤١٥هـ

٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٤. تفسير القرآن العظيم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ابن ابي حاتم، مكتبة نزار مصطفى، مكة، ط٣، ١٤١٩هـ،

٥. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت سامي سلامة، دار طيبة للنشر، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ

٧. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ت البردوني وطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ

٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد ومحمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٢٠هـ.

٩. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت.

١١. زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي الجوزي، ت عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٢. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٣. فضائل القرآن، جعفر بن محمد المستغفري، ت أحمد السلوم، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٤هـ.

١٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت ط ٣، ١٤٠٧هـ

١٥. الكشف والبيان، أحمد بن محمد الثعلبي، ت نظير ساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ

١٦. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ت ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ

١٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ

١٨. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، ت عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ

١٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن ابي بكر ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ت صفوان داودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

٢١. النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، ت السيد عبدالمقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.

سعيد بن محمد سعد الشهراني

- الجامعة: جامعة الملك خالد-أبها – كلية الشريعة واصول الدين.
- التخصص : التفسير وعلوم القرآن.
- الدرجة العلمية: أستاذ مشارك.

الأبحاث العلمية :

١. تقدم الباحث لنيل درجة الماجستير ببحث بعنوان: استدراكات الإمام محمد الطاهر بن عاشور على من سبقه في أسباب النزول (جمعا ودراسة).
٢. ولنيل درجة الدكتوراه ببحث بعنوان: السياق القرآن وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة (دراسة نظرية تطبيقية).

وللباحث العديد من الأبحاث ومنها :

١. الوسطية في التعامل مع المخالف ومظاهرها في القرآن الكريم.
٢. سؤالات الصحابة - رضي الله عنهم- للرسول ﷺ وأثرها في التفسير.
٣. تحرير القول في المراد بالذرية في قوله تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون).
٤. أثر ابن عباس في المكي والمدني (دراية ورواية).
٥. وسائل المعرفة في القرآن الكريم.
٦. تعاهد القرآن في العهد النبوي (عرضا ودراسة).
٧. جهود الامام ابن عطية في حكاية الإجماع في المكي والمدني (جمعا ودراسة).
٨. التجديد في التفسير (التفسير الاصلاحي عند أبي زهرة أنموذجا).

للتواصل :

رقم المحمول: ٠٠٩٦٦٥٤٩٩٢١٢٢

البريد: srhan1000@gmail.com

مشكلات التعلم، وعلاجها في ضوء سورة الكهف

بحث مقدم للمؤتمر الدولي الأول :

لتوظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة

إعداد الدكتور

د. سعيد بن محمد بن سعد الشهراني

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه
كلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد: فإن من أعظم المِنَّ التي امتن الله بها علينا أهل الإسلام نزول القرآن؛ الذي هو هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، قال سبحانه:)إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ(سورة الإسراء: ٩، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره"[١].

وحاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن وتدبره؛ واستنباط هداياته وتوجيهاته في كل زمان ومكان، وإن كانت في هذا العصر أشد؛ لفشو الجهل، واتباع الهوى، وكثرة الفتن- نسأل الله أن يعصمنا من الزلل-.

وحين نتأمل ما تمر به أمة الإسلام في هذا العصر من انحراف - في كم هائل من أفرادها- عن المنهج القويم؛ نلحظ أن لهذا الانحراف أسباباً من أهمها – من وجهة نظري- ما تمر به من إشكالات تتفاقم يوماً بعد يوم في المعرفة، وطرائق الوصول إليها، ولذا فقد اعتنى السلف بالتعلم، وحرصوا عليه، فعن أبي ثعلبة الخشني - رضي الله عنه - قال: "لقيتُ سول الله - ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله؛ ادفعني إلى رجل حسن التعليم، فدفعني إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم قال: "دفعتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك"[٢].

وتحلوا بأدب الإنصات إلى المعلم، فمن ذلك ما رواه أبو بحرية[٣]. قال: "قدمتُ الشام، فجئت المسجد فإذا أنا بحلقة مشيخة، فيهم فتى شاب يحدثهم قد أنصتوا له، قلت: مَن هؤلاء؟ قالوا: أصحاب محمد - ﷺ-، قلتُ: ومَن الشاب؟ قالوا: معاذ بن جبل رضي الله عنه"[٤].

---

(١) تيسير الكريم المنان، ابن سعدي (٤٥٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٥٧/١)، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٨٩/٥)، وقال: وفيه رجل لم يسم، ورجل مجهول أيضا. دلالة على ضعفه.

(٣) هو: عبد الله بن قيس الكندي السكوني التراغمي بمثناة ثم معجمة أبو بحرية بفتح الموحدة وسكون المهملة وتشديد التحتانية حمصي مشهور بكنيته مخضرم ثقة (من الثانية) مات سنة سبع وسبعين. تهذيب التهذيب (٣١٨/١).

(٤) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد (١٢٩/٢١).

وسعيا في الاسهام في حل هذه المشكلات آثرتُ أن تكون مشاركتي ببحث بعنوان: مشكلات التعلم وعلاجها في ضوء سورة الكهف[1].

وإنما آثرتُ الحديث عن هذه السورة لما حوته من علاج -من خلال آياتها- لأهم المشكلات التي قد يتعرض لها الفرد أو المجتمع على مر العصور والدهور على حدٍ سواء، وذلك من خلال إيراد أربع قصص قرآنية، كل قصة منها تعالج مشكلة؛ فقصة الفتية المؤمنين تعالج مشكلة الفتنة في الدين، وقصة صاحب الجنتين تعالج مشكلة الكبر والافتتان بالملذات وشهوات الدنيا، وقصة موسى والخضِر تعالج مشكلة الافتتان بالعلم والمعرفة، وقصة ذي القرنين تعالج مشكلة فتنة الجاه والسلطان.

ولذا فقد حث النبي - ﷺ - على قراءتها يوم الجمعة؛ فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله - صلى عليه وسلم –: «إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»[2]، وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ – قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ» [3].

فسورة الكهف تحوي الكثير من الدروس والعبر، لكن ما يهمنا في هذا المقام محاولة الكشف عن الطرائق والسبل التي عالجت السورة بها مشكلات التعلم؛ وذلك من خلال آياتها على وجه العموم، وقصة موسى - عليه السلام – والخضر على وجه الخصوص.

وتكمن أهمية البحث فيما يحيط بالتعلُم من مشكلات ألقت بضلالها على المجتمع، وهي بحاجة إلى علاج يُستنبط من آيات القرآن الحكيم.

---

(١) ولا غرو أيها القارئ الكريم؛ فأنا أوافقك الرأي في أن هذا الموضوع تعجز وريقات محدودة أن تحيط به؛ فضلا أن تعالجه؛ ولكن حسبي أن أشير إليه إشارة وكما قيل: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، وقد أقمتُ لبنات هذا البحث على فكرة التدارس مع بعض طلبة العلم، ومن له اهتمام بالعملية التعليمية، فجزاهم الله خيراً، والله أسأله التوفيق والسداد.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٩٩/٢) وصححه، قال ابن حجر في " تخريج الأذكار: حديث حسن، وقال: وهو أقوى ما ورد في قراءة سورة الكهف، انظر: فيض القدير (١٩٨/٦)، وصححه الألباني في " صحيح الجامع، رقم (١١٠٤/٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافر وقصرها، باب: فصل سورة الكهف وآية الكرسي (٥٥٥/١).

وقد سلكت في هـذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وذلك باستقراء آيات سورة الكهـف واستخراج الآيات ذات الصلة بالموضوع، ثـم استنتاج المشكلات وعلاجها من خلال تلك الآيات.

فخـرج هذا البحـث القرآني في مقدمـة، وخمسة مطالب. أما مقدمـة البحث: فذكرت فيهـا أهمية الموضـوع، والحاجة إليه، وفي المطلب الأول؛ ذكـرتُ تعريفًا بمصطلحات البحث (المشـكلات- التعلم - العلاج)، وفي المطلب الثاني: ذكرتُ مشكلة الجهل، وعلاجها في ضوء سورة الكهف،

وفي المطلب الثالث: ذكرتُ مشكلة الكبر، وعلاجها في ضوء سورة الكهف، وفي المطلب الرابـع: ذكـرتُ مشكلـة النسيان، وعلاجهـا في ضوء سـورة الكهف ، وفي المطلـب الخامس: ذكـرتُ مشكلـة الاستعجال، وعلاجها في ضـوء سورة الكهف، والخاتمة، وفيهـا أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس الموضوعات، وقائمة بثبت مصادر مراجع البحث.

وبعـد؛ فقد اجتهـدت في كتابة هذا البحـث، وحرصت على المشاركة بـه في هذا المؤتمر المبـارك: (المؤتمر الدولي الأول: لتوظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة)، التـي تنظمه–مشكورة- جامعة الملك خالد بأبها ممثلة بكليـة الشريعة وأصول الدين، والله أسأله التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث (المشكلات- التعلم - العلاج)

أولاً: تعريف المشكلات.

في اللغة: جمع مُشكلة؛ يقال أَمْرٌ مُشْكِلٌ أي مُلتبس، قَالَ ابْنُ دُرَيْد: وَيُسَمَّى الدَّمُ أَشْكَلَ، لِلْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ الْمُخْتَلِطَيْنِ مِنْهُ. وَهَذَا صَحِيحٌ، وَهُوَ مِنَ الْبَابِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي إِشْكَالِ هَذَا الْأَمْرِ، وَهُوَ الْتِبَاسِهِ ; لِأَنَّهَا حُمْرَةٌ لَابَسَهَا بَيَاضٌ.

واستشكل الأمر التبس عليه، وأشكل الأمر: بمعنى التَبَس وغَمُضَ معناه[1]، ويقال: شخص المشكلة: حدد أبعادها، وأحاط بها.[2]

وفي الاصطلاح: "ظاهرة سلبية تحدث في المجتمعات البشرية، تمثل اضطرابًا أو تعويقًا لسير الأمور؛ مما يتسبب في توليد نوع من المفارقات بين المستويات المرغوبة من قبل الأفراد في المجتمع، وبين الظروف الواقعية؛ مما يتطلب من أفراد المجتمع وجماعاته على حد سواء أن يفتشوا عن الوسائل والأساليب الكفيلة بمعالجة المشكلة التي تواجههم"[3].

وعليه فالمشكلة : قضيّة مطروحة تحتاج إلى معالجة، أو صعوبة يجب تذليلها للحصول على نتيجة ما.

ثانيًا: تعريف التَعَلُم.

التعلم لغة: العلم نقيض الجهل، وتَعَلمتُ الشيء: أخذتهُ. وتعلمتُ أي: عَلمتُ[4]، فمعنى تَعَلمَ: تسبب إلى ما به يعلم من النظر في الادلة [5]، وعَلمَ الأَمر وتَعَلَّمهُ: أتقنه[6]، وَقال بَعْضهم: أنَّ التَّعَلُّمَ هُوَ تَنَبُّهُ النَّفْسِ لِتَصَوُّرِ المعاني[7]. وتقولُ: عَلَّمْتُهُ العِلْمَ تعليماً، وأَعْلَمْتُهُ

(١) انظر: الصحاح (١٧٣٧/٥)، مقاييس اللغة (٢٠٤/٣)، لسان العرب، ابن منظور (٣٥٧/١١)، القاموس المحيط، الفيروزآبادى (١٠١٩/١)، المحكم المحيط الأعظم، ابن سيده (٦٨٦/٦)، المعجم الوسيط (٤٩١/١).
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (١١٧٤/٢).
(٣) المدخل إلى علم الاجتماع، د/ فهمي الغزوي (٢٢).
(٤) مجمل اللغة لابن فارس (٦٢٤).
(٥) معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة (ص: ٦٠).
(٦) المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ١٧٥)، تاج العروس (١٣٠/٣٣).
(٧) تاج العروس (٣٣/ ١٣٠).

إعْلاماً: إذا أشْعَرْتُهُ شيئاً جَهِلَهُ[١].

ومنه قول النبي ﷺ : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٢].

وفي الاصطلاح:

عرفه القاسمي بقوله: فإن التَعلُم استفادة الشخص من الشخص الجزئيّ [٣].

وعرَّفه أهل التربية بقولهم: "تغير في البنية المعرفية للمتعلم كمياً بتراكم الخبرات والمعلومات، وكيفياً بالتفاعل المستمر بين مكوناتها، ولاكتساب معنى جديد لابد أن يتكامل هذا المعنى مع المعاني التي سبق للفرد تعلمها بحيث تشكل أو تعطي علاقات جديدة" [٤].

ثالثًا: تعريف العلاج:

تعريف العلاج لغة: المزاولة والمداواة[٥]، "وعالجَا: أَي مارسَا العَمَلَ الَّذي ندَبْتُكُمَا إليه واعْمَلاَ به وزَاولاَهُ. وكلّ شيْء زَاوَلْتَه ومارَسْتَه فقد عَالَجْتَه. (و) عالَجَ المَريضَ مُعَالَجَةً وعِلاَجاً عانَاهُ و (دَاوَاه) . والمُعَالِجُ: المُدَاوِي، سواءٌ عالَجَ جَرِيحاً أَو عَليلاً أَو دَابَّةً[٦].

وفي الاصطلاح: مزاولة المشكلة ومحاولة البحث عن طريقة لعلاجها والقضاء عليها، وعالج المشكلة: بحث عن أخطائها وصحَّحها[٧].

---

(١) الإبانة في اللغة العربية (٣/ ٤٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم الحديث (٥٠٢٧).

(٣) محاسن التأويل (٦١/٧).

(٤) انظر: المدخل المنظومي في مواجهة التحديات التربوية المعاصرة والمستقبلية، فاروق فهمي، ومنى عبدالصبور (٨٨).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم (٣٢٦/١)، القاموس المحيط (ص١٩٩).

(٦) تاج العروس (١٠٩/٦)، وانظر: كتاب العين (٢٢٨/١)، الصحاح، الجوهري (٣٣٠/١)، لسان العرب (٣٠٦٥/٤)، القاموس المحيط (١٩٩،١٨٩/١).

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٥٣٧).

المطلب الثاني: مشكلة الجهل، وعلاجها في ضوء سورة الكهف.

الجهـل نقيض العلم، تقول: جَهِلَ فلانٌ حقّه، وجَهِلَ عليّ، وجهل بهذا الأمر[١]، وهو على نوعـين[٢]: " بسيـط: وهو عدم العلـم عما من شأنـه أن يكون عالما، ومركـب: وهو عبارة عن اعتقـاد جـازم غير مطابق؛ سُمي بـه لأنه يعتقد الشيء على خلاف ما هـو عليه ، فهذا جهل آخر قد تركبا معا[٣].

والجهـل من أعظم مشكلات التعلـم وأشدها، وقد جاء التحذير منه في الكتاب والسنة، ومـا ذاك إلا لأن النـاس أعـداء لمـا يجهلون، وقـد بين الله أن الجهـل من أسبـاب التكذيب والإعراض، فقال سبحانه:)بَلْ كَذَّبُوا بِمَالَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ(يونس: ٣٩.

قـال ابـن كثير: بل كذب هؤلاء بالقرآن، ولم يفهمـوه ولا عرفوه، ولم يحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلًا وسفهًا [٤]، فُعلم أن الجهل داءٌ ودواءه التعلم.

قال سهل بن عبدالله: مَا عُصِيَ اللَّهُ بمعصيَة أعظَم من الجهل. " قيل: يا أبا محمد هلْ تَعرفُ شيئا أشدَّ من الجهل؟ قال:نعم، الجهلُ بالجهلِ. وهو كما قال؛ لأَنَّ الجهلَ بالجهلِ يسُدُّ بالكليةِ باب التَّعلمِ، فمن يظُن بنفسه أنه عالِم فكيفَ يتعلَّمُ ! [٥].

والمتتبـع لحوارات الأنبياء مع قومهـم يلحظ أن الجهل من أكبر أسبـاب إعراضهم عن الحـق، قـال تعالى حاكيا حوار نوح مع قومه:) وَيَا قَـوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَـا أَنَـا بِطَارِدِ الَّذِيـنَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِـمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًـا تَجْهَلُونَ (هود: ٢٩ ،

---

(١) كتـاب العـين (٣/٣٩٠)، وانظر: معجم مقاييس اللغـة (١/٤٨٩)، المحكم والمحيط الأعظـم (٤/١٦٥)، لسان العرب (١١/١٢٩).

(٢) وقد أضاف الراغب الأصفهاني نوعًا ثالثًا، فقال: "والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يُفعل سواء اعتقد فيه اعتقـادًا صحيحًـا أو فاسدًا كمن يترك الصلاة متعمدًا، وعلى ذلـك قوله تعالى: (قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بـالله أن أكون من الجاهلين) (البقرة: ٦٧)، فجعل فعل الهـزو جهلاً، وقال عز وجل: (فتبينوا أن تُصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (الحجرات: ٦)". انظر: مفردات القرآن (١/٢٧٤).

(٣) الكليات (ص٣٥٠) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٧٠)

(٥) إحياء علوم الدين (٤/٣٦٩)

وبسبب الجهل أشرك قوم موسى-عليه السلام- قال تعالى:) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(الأعراف: ١٣٨.

قال الحسن البصري: العامل على غير علم كالسائر على غير طريق؛ والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بترك العبادة، واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بترك العلم، فإن قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد -ﷺ- ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا . قال الشاطبي معلقا عليه:- يعنى الخوارج - والله أعلم لأنهم قرأوا القرآن ولم يتفقهوا حسبما أشار إليه الحديث يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم"[١].

وقد حثت آيات القرآن الكريم في أكثر من موضع على التعلم، ومن ذلك عقد مقارنة بين العالم والجاهل فقال سبحانه:)قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنمَّا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ(الزمر: ٩.

قال أبو حيان: وإنما نفى الاستواء بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، مع أنه منتف ضرورة؛ لأنه أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته لينهض إلى التعلم، ويرتقي عن حضيض الجهل إلى شرف العلم[٢].

وفي نونية ابن القيم قال:

وتعرَّ من ثوبين من يلبسهما ... يلقى الردى بمذمةٍ وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان
والجهلُ داء قاتلٌ وشفاؤه ... أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سنة ... وطبيب ذاك العالم الرباني[٣].
وكفى مذمة للجهل أن يتبرّأ منه أهله، ويغضبون إذا نُسبوا إليه.

(١) الاعتصام (٦٨٢/٢)، والحديث رواه مسلم في ذكر الخواج وصفاتهم، رقم الحديث (١٤٨).
(٢) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٣٦).
(٣) الكافية الشافية (٤٢/١).

وقد تنوعت صور الجهل التي وردت في سورة الكهف، فمنها:

الصورة الأولى: الجهل بالله سبحانه وتعالى وبصفاته: وهو أعظم الجهل، وقد يودي بصاحبه إلى الكفر والشرك والعياذ بالله، وقد قصّ الله عن بعض الأمم أن الجهل سار بهم حتى نسبوا إليه سبحانه وتعالى الولد. قال ابن عثيمين: "(مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ(فإذا انتفى العلم ما بقي إلاَّ الجهل"[1].

الصورة الثانية: البعد عن المصادر الأصيلة للتعلم: فجعلوا اتباع كلام الكبراء والأمراء مصدرًا للعلم:)وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا((الكهف: ٢١).

وقد عالجت السورة مشكلة الجهل بالطرق التالية:

الأولى: استخدام طريقة الحوار لإقناع الجاهل وحثه على التعلم: وذلك في قوله تعالى حاكيًا عن الرجل المؤمن وهو يدعو الرجل الكافر في قصة صاحب الجنتين:)قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا(فجعل يحاور صاحبه المشرك الجاهل ليقنعه بفساد ما هو عليه من طريق الكفر والشرك.

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرا عما أجابه صاحبه المؤمن، واعظا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار:)أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا(؟ وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، كما قال تعالى:)كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ(البقرة:٢٨ أي: كيف تجحدون ربكم، ودلالته عليكم ظاهرة جلية، كل أحد يعلمها من نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوما ثم وجد، وليس وجوده من نفسه ولا مستندا إلى شيء من المخلوقات؛ لأنه بمثابته فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه، وهو الله، لا إله إلا هو، خالق كل شيء [2].

(١) تفسير القرآن للعثيمين (٦/٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم (١٥٨/٥).

واقناع الجاهل بالحوار معه، هو ما فعله ابن عباس رضي الله عنه مع الخوارج ، فعن عبد الله بن عباس قال: لما اعتزلت الحرورية، قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة، لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم. قال: إني أتخوفهم عليك. قال: قلت كلا إن شاء الله. قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوما قط أشد اجتهادا منهم، أيديهم كأنها ثمن الإبل ووجوههم معلبة من آثار السجود. قال: فدخلت فقالوا :مرحبا بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ، نزل الوحي وهم أعلم بتأويله؟ فقال بعضهم: لا تحدثوه. وقال بعضهم: لنحدثنه. قال: قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ، وختنه وأول من آمن به وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثا. قلت: ما هن؟ قالوا: أولهن: أنه حكم الرجال في دين الله، وقد قال الله)إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ(. قال: قلت وماذا؟ قالوا: قاتل ولم يَسبِ ولم يغنم، لئن كانوا كفارا لقد حلت له أموالهم. ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم. قال: قلت وماذا؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قال: قلت أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم. قال: قلت أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ(إلى قوله:)يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ(. وقال في المرأة وزوجها)وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا(. أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم. قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. وأما قولكم: إنه قاتل ولم يَسبِ ولم يغنم، أتسبون أمكم، أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم. وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله عز وجل يقول :)النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ(الأحزاب: ٦ فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين «فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا قُرَيْشًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ كِتَابًا، فَقَالَ: اكْتُبْ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ" فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: " وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ

يَـا عَلِيُّ: مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ" وَرَسُولُ اللَّهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللهم نعم فرجع منهم عشرون ألفا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا[1]..

فانظـر كيف كانت محاورة ابن عباس لهـؤلاء الجهال سببًا في تعليمهم، ورجوع أكثرهم عما هم فيه من الضلالة.

الثانية : استخدام طريقة الوعظ: وذلك في عدة حقائق وتوجيهات إليك بيانها :

الأولى: بيـان المصادر الأصيلة للتلقي: وهي كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، أو سؤال العلمـاء الربانيـين) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَـةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُـونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُـمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا(الكهف: ٢٢.

قـال ابن عاشور: " وقـد سمى الله قولهم ذلك رجماً بالغيـب. والرجم حقيقته : الرمي بحجـر ونحـوه . واستعير هنا لرمي الـكلام من غير روية ولا تثبت، قال زهـير :وما هو عنها بالحديث المرجم"[2].

الثانيـة: أخـذ العلم عن الثقات من العلماء: وقال تعالى:)وَيُنْـذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَـداً. ما لَهُمْ بِهِ مِـنْ عِلْمٍ وَلا لآبائِهِمْ، كَبُرَتْ كَلِمَـةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِـمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً(الكهف: ٤،٥، فالله سبحانه وتعالى أنزل آخر كتبه على أعظم رسله بيانًا وإنذارًا لجهال أهل الكتاب والمشركين الناسبين لله الولد سبحانه.

الثالثة: اتباع المنهج الرباني ولو خالف أهواء المتعلمين: قال تعالى:)وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِـنْ كِتَابِ رَبِّـكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِـدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدً (وذلـك أن المشركين أرادوا من النبـي - ﷺ- وقالوا لـه:)ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ(يونـس: ١٥، فنهاه سبحانه وتعالى عن ذلك، وأمره باتباع كلماته التي لا سلطان لأحد في تبديلها أو تغييرها.

قـال الشنقيطـي: أَمر اللَّهُ جلّ وعلَا نبِيهُ صلَى اللَّهُ عليـه وسلم أَنْ يتلُو هذا الْقرآن الذِي

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٨/٥٢٠-٥٣٣).
(٢) التحرير والتنوير (١٥/٢٩١).

أوحاهُ إليه ربه. والأمرُ في قوله «وَاتْلُ» شاملٌ للتلاوة بمعنى القراءة، والتِّلْوِ: بِمعنى الاتِّباع[1].

وقال الطبري : "يقول تعالى ذكره لنبيِّه محمَد ﷺ: واتَّبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا، ولا تتركنَّ تلاوته واتباع ما فيه من أمر اللّٰهَّ ونهيه، والعمل بحلاله وحرامه، فتكون من الهالكين، وذلك أنَّ مصير من خالفه، وترك اتبَاعهُ يوم القِيامة إِلَى جَهنَّم[2].

النقطة الثالثة: استخدام طريقة الأسلوب القصصي: وذلك في قصة موسى – عليه السلام –والخضر، ومن خلالها يوجه إلى ضرورة إيضاح المعلم لما غمض على ذهن المتعلم: فها هو الخضر عليه السلام يوضح لموسى – عليه السلام – ما غمض عليه، ولم يتبين الحكمة فيه، قال تعالى:)قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا(الكهف: ٧٨. فلم يتركه دون تعليم، مع أنه تركه عقوبة له؛ لعدم الصبر الذي وعد به، ولكن مع هذا وضح وبين له الأمور التي غمضت عليه.

الرابعة: استخدام طريقة الترغيب والترهيب: قال تعالى:)وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا(الكهف: ٥٦. فهاهم الرسل صفوة الله من خلقه، وسادة العلماء والداعين، لا يستخدمون أسلوبًا واحدًا لتعليم الجهال، بل يستخدمون عدة أساليب، فهم تارة مبشرين، وتارة منذرين، وتارة محاورين ومجادلين. وذلك مراعاة لحال المدعوين، فكذلك ينبغي تنوع الأساليب في دعوة الجهال وتعليمهم، ولا يقتصر على وجه واحد من أوجه التعليم.

الخامسة: استخدام طريقة المناقشة، ومنها: السؤال والجواب[3]: في الجواب عن أسئلة المتعلمين، قال تعالى:)وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(. وهي طريقة جيدة في التعليم، حيث يجيب القرآن على الأسئلة التي لها قيمة، والتي تحرك أذهان المتعلمين، وترد على ما في أذهانهم من الشبهات، أو من الاستدراكات، مع إغفال الجوانب

(١) أضواء البيان (٣/٢٦١) .

(٢) جامع البيان (١٥/٢٣٤) .

(٣) راجع في فوائد طريقة المناقشة كتاب: مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها لعلي أحمد مدكور (١/٢٤٠)، ط: دار الفكر العربي، بيروت

التـي لا أهمية لهـا عن عمد؛ ليعلم أن ليس كل سؤال يستحـق الإجابة عليه، وتضييع الأوقات في تحريـره:)سَيَقُولُـونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُـمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُـمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا(.الكهف: ٢٢.

المطلب الثالث: مشكلة الكبر، وعلاجها في ضوء سورة الكهف.

يُعـد الكبر من مشكلات التعلم، فهو يحرم الطالب الوصول إلى العلم والعمل به، وَالْكِبْرُ ضـد الصغر، كَـبُرُ يَكبُر كبرا إذا أسـنَّ، وتكبّر إذا تعظّـم"[١]، "والكِبْر والكِبْريـاء: العَظَمة والتجبر"[٢]، وعرَّفه رسول الله ﷺ فقال : «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» [٣].

قـال ابن رجب: " وَفَسَّرَ الْكِبْرَ وَالْبَغْيَ بِبَطَرِ الْحَقِّ، وَهُوَ التَّكَبرُّ عَلَيْه، وَالامْتنَاعُ منْ قَبُوله كبْرًا إذَا خَالَفَ هَوَاهُ، وَمنْ هُنَا قَالَ بَعْضُ السَّلَف: التَّوَاضُعُ أَنَّ تَقْبَلَ الْحَقَّ منْ كُلِّ مَنْ جَاءَ به، وَإنْ كَانَ صَغيرًا، فَمَنْ قَبلَ الْحَقَّ ممَّنْ جَاءَ به، سَوَاءً كَانَ صَغيرًا أَوْ كَبيرًا، وَسَوَاءً كَانَ يُحبُّهُ أَوْ لَا يُحبُّهُ، فَهُوَ مُتَوَاضعٌ، وَمَنْ أَبَى قَبُولَ الْحَقِّ تَعَاظُمًا عَلَيْه، فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ.

وَغَمْـطُ النَّاس: هُـوَ احْتقَارُهُمْ وَازْدرَاؤُهُمْ، وَذَلـكَ يَحْصُلُ منَ النَّظَـرِ إلَى النَّفْس بعَيْنِ الْكَمَال، وَإلَى غَيْره بعَيْنِ النَّقْص" [٤].

وقـال: "فَالْمُتَكَـبرُّ يَنْظُرُ إلَى نَفْسـه بعَيْنِ الْكَمَـال، وَإلَى غَيْره بعَيْنِ النَّقْص، فَيَحْتَقرُهُمْ وَيَزْدَريهـمْ، وَلَا يَرَاهُمْ أَهْـلًا لِأَنْ يَقُومَ بِحُقُوقِهِمْ، وَلَا أَنْ يَقْبَلَ منْ أَحَـدٍ منْهُمُ الْحَقَّ إذَا أَوْرَدَهُ عَلَيْه" [٥].

وقـد توعد الله المتكبر بصرفه عن آيات الله فقال سبحانه:)سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ

(١) جمهرة اللغة (٣٢٧/١)، معجم مقاييس اللغة (١٥٤/٥).
(٢) المحكم والمحيط الأعظم (١٢/٧).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الكبر وبيانه (٩٣/١).
(٤) جامع العلوم والحكم (٣٠٧/١)، وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٩٠/٢).
(٥) جامع العلوم والحكم (٢٧٥/٢).

يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ(الأعراف:١٤٦. أي: "سأجعل الصرف عن الآيات عقوبة للمتكبرين على تكبرهم"[١]، فهم "يتكبرون على عباد الله وعلى الحق، وعلى من جاء به، فمن كان بهذه الصفة، حرمه الله خيرا كثيرا وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به"[٢].

قال سفيان بن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتي[٣].

وللكبر عند طلبة العلم صور عدة، فمنها: الرد على المعلم والتطاول عليه، وسوء الأدب معه، ومنها: الاستنكاف عن الاستفادة ممن هو دونه كبرياء، مع أن رواية الأكابر عن الأصاغر مشهورة في كتب أهل العلم، وموسى - عليه السلام - لم يستنكف عن أخذ العلم ممن هو دونه في القدر والمكانة، والنبي - ﷺ - أخذ حديث الجساسة[٤]، من تميم الداري - رضي الله عنه -، مع أنه أعلم الخلق، وأخشاهم لربه.

وقد ورد الكبر في سورة الكهف في عدة مواضع، وفي كل منها كان الكبر ناشئًا عن سبب مختلف عن سابقه، وهي كما يلي:

الأول: التكبر بالمال، والأهل، والجاه، كما في قصة صاحب الجنتين، وهي مثال للكافر الذي يتكبر بماله وولده على ربه وعلى الخلق، وهو مثال كامل للكبر، فهو يجمع بين بطر الحق، وغمط الناس:)وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا(الكهف: ٣٢-٣٨.

قال ابن عطية: "الضمير في لَهُمْ عائد على الطائفة المتجبرة التي أرادت من النبي -

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٥٤).
(٢) تيسير الكريم المنان (٣٠٣)، وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٥٤).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٧٥)
(٤) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب: في خروج الدجال ومكوثه في الأرض، رقم الحديث (١٢٠)

عليه السلام - أن يطرد فقراء المؤمنين)الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ(الكهف: ٢٨ وعلى أولئك الداعين أيضا، فالمثل مضروب للطائفتين، إذ الرجل الكافر صاحب الجنتين هو بإزاء متجبر في قريش أو بني تميم على الخلاف المذكور أولا، والرجل المؤمن المقر بالربوبية، هو بإزاء بلال وعمار وصهيب وأقرانهم" [١].

ونرى في الآيات السابقة كيف كان التكبر على الحق سبحانه أولاً؛ ثم على صاحبه ثانيًا سببًا في عدم قبول هذا الرجل للحق الذي أرشده إليه صاحبه، من الإيمان بالله، والعمل ليوم المعاد والمرجع إلى الله سبحانه وتعالى، فتعرض لعقوبة الحرمان من هذه الأشياء التي جعلته يتكبر على ربه وعلى الناس.

الثاني: التكبر بالأصل كما في قصة إبليس عليه لعنة الله: وهي مثال على من يتكبر على الناس بأصله ونسبه، وأنه أفضل من الآخرين لمجرد أن أصل نشأته أفضل في نظره من الآخرين، فرفض وأبى السجود لآدم - عليه السلام -، كما تعالى:)وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا(الكهف: ٥٠، ٥١.

وقال تعالى:)قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(ص: ٧٥-٧٧.

قال القرطبي: أي: منعني من السجود فضلي عليه،..وليس هذا عين الجواب، بل هو كلام يرجع إلى معنى الجواب، فرأى أن النار أشرف من الطين، لعلوها وصعودها وخفتها، ولأنها جوهر مضيء. قال ابن عباس: أول من قاس إبليس فأخطأ القياس. فمن قاس الدين برأيه قرنه مع إبليس[٢].

فكان الكبر والعياذ بالله دافعه للإباء والكفر بأمر ربه، وغفل عن أن الأفضلية إنما هي بالتقوى، والعلم النافع، والعمل الصالح.

(١) المحرر الوجيز (٥١٥/٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧٠/٧).

وسأشير فيما يلي إلى كيفية علاج سورة الكهف لهذا الداء العضال، في النقاط التالية :

الأولى: عرض السورة لقصص المتكبرين، وسوء منقلبهم في الدنيا والآخرة- والعياذ بالله-؛ لتنفر النفوس، وتحذرها من هذا الداء، لتسلم في الدنيا والآخرة.

الثانية: الحوار القائم على سرد الأدلة العقلية الصحيحة:)قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ(، وبدأ بذكر الأدلة العقلية الصحيحة وهي:

أ- التذكير بأصل النشأة:)أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ(فعلى أي شيء يتكبر المتكبر إن كان خلق من طين، ثم كان نطفة مهينة تجري في مجرى البول مرتين، فعلى المتكبر أن يراجع نفسه، وينظر في نشأته لعله أن يتعظ ويتذكر.

ب - التذكير بنعم - الله عز وجل - على العبد: فليس الأمر إلا محض فضل الله عز وجل على عبده:)أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (، فالله عز وجل صاحب الفضل والإنعام عليك، وليس الأمر راجع إليك أو إلى مهارتك في شيء، وإنما هو محض فضل الله سبحانه وتعالى، فعلام التكبر وازدراء الخلق!!!.

ج - التذكير بقدرة الله على العبد: فما تفخر به من مال وبنين هو بيد الله سبحانه وتعالى، وهو القادر في لحظة على أن يسلبك هذا المال وهؤلاء الأولاد، فعليك بشكر الله سبحانه وتعالى، والإيمان به، والتواضع لخلقه، فلا تفتخر عليهم بما هو من فضل الله وحده، قال تعالى:)إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا(الكهف: ٣٩-٤١.

قال الزمخشري: "هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها: الأمر ما شاء الله، اعترافا بأنها وكلّ خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله، وأن أمرها بيده: إن شاء تركها عامرة وإن شاء خرّبها، وقلت: لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته وتأييده، إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى"[1].

(١) الكشاف (٢/٧٢٣).

وقال ابن عاشور: "ودل فعل المحاورة على أن صاحبه قد وعظه في الإيمان والعمل الصالح، فراجعه الكلام بالفخر عليه، والتطاول شأن أهل الغَطْرسة والنقائص أن يعدلوا عن المجادلة بالتي هي أحسن إلى إظهار العظمة والكبرياء" (١).

الثالثة: ضرب الأمثال: فالله سبحانه وتعالى ضرب المثل للحياة الدنيا وما فيها من أنواع الترفه والنعيم، وكيفية ذهابها إما بالموت أو الآفات وغيرها، لتصبح كالهشيم الذي تذروه الرياح لا قيمة له، ليتضح في النهاية أن القيمة الحقيقية هي للعمل الصالح الذي أريد به وجه الله سبحانه وتعالى، قال تعالى:)وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا. الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (الكهف: ٤٥، ٤٦.

قال السعدي: "يقول تعالى لنبيه - ﷺ - أصلاً ولمن قام بوراثته بعده تبعاً: أضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار. وأن مثل هذه الحياة الدنيا، كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط بنباتها، فتنبت من كل زوج بهيج، فبينا زهرتها وزخرفها تسر الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيما تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض غبراء ترابا، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وحصل درهمها ودينارها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت لذته وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته وماله، وانفرد بصالح أو سيئ أعماله، هنالك يعض الظالم على يديه، حين يعلم حقيقة ما هو عليه،..." (٢).

(١) التحرير والتنوير (٧٢٣/١٥).
(٢) تفسير الكريم المنان (٤٧٩).

الرابعة: الوعظ: فجاء الوعظ متتابعًا في آيات هذه السورة المباركة لهؤلاء المتكبرين، أو مَن يسلك سبيلهم من الناشئة: فمنه: التذكير بأن النصرة والمحبة الحقيقية هي لله وحده لا شريك له، وليست لأحد من الخلق مهما بلغ ماله وسلطانه:)هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا(الكهف: ٤٤.

ومنه: التذكير بالقيم الحقيقية التي ينبغي أن يتنافس فيها الناس:)وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدًّا(الكهف: ٤٦.

ومنه: التبشيع من اتخاذ الكبر وأهله –وزعيمهم الأول هو إبليس عليه لعنة الله– أولياء للعبد من دون الله، قال تعالى:)أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا(الكهف: ٥٠.

الخامسة: إبراز تواضع القدوة، وذلك أن العبد كلما ازداد معرفة بالله كلما ازداد خضوعا للخالق سبحانه وتواضعا للمخلوقين، وذلك واضحٌ بينٌ في تعلم موسى عليه السلام من الخضر، ففي قوله تعالى: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) قال البيضاويّ: ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعلمه، ولا يبادر إنكار ما لم يستحسنه، فلعل فيه سرّا لا يعرفه. وأن يداوم على التعلم، ويتذلل للمعلم، ويراعي الأدب في المقال[1].

وفي قوله تعالى (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) الكهف: ٢٤ .

قال السعدي: فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا ؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذين لايظهر للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه وهو جاهل جدا، فالذل للمعلم وإظهار الحاجة إلى تعليمه من أنفع شيء للمتعلم[2].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٩١/٣).
(٢) تيسير الكريم المنان (٤٨٤).

المطلب الرابع: مشكلة النسيان، وعلاجها في ضوء سورة الكهف.

الْنِسْيَانُ بِكَسْرِ النُّونِ وَسُكُونِ السِّينِ ضِدُّ الذِّكْرِ وَالْحِفْظِ، وَرَجُلٌ (نَسْيَانُ) بِفَتْحِ النُّونِ كَثِيرُ الْنِّسْيَانِ لِلشَّيْءِ، وَقَدْ نَسِيَ الشَّيْءَ بِالْكَسْرِ (نِسْيَانًا)، وَ(أَنْسَاهُ) اللَّهُ الشَّيْءَ وَ(نَسَّاهُ تَنْسِيَةً) بِمَعْنًى. وَ(تَنَاسَاهُ) أَرَى مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ نَسِيَهُ [1]، ومنه قوله تعالى:)وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا(الكهف: ٢٤.

وللنسيان سببان: أحدهما: ما تقتضيه الطبيعة، والآخر: الإعراض عن القرآن والعلم عامة، وعدم المبالاة به. والذاكرة نعمة من النعم يجب شكرها، وقد منّ الله على عباده بأن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة لعلهم يشكرون، وإن الذي وهب هذه الذاكرة هو الذي جعل في طبيعتها النسيان..، ولا شك أن الإنسان يعتمد على ذاكرته في أمور دينه: من طلب علم، وعبادة، ودعوة، وفي أمور دنياه وشؤونه الحياتية. إلا أن الجانب الأبرز هنا هو طلب العلم النافع، فإنه على أهمية كتابته، إلا أن الذاكرة تبقى أداة حفظ العلم واستذكاره الأساس، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لتلاميذه: احفظوا عنا كما حفظنا[2]، فلا غنى لطالب علم عن رعاية ذاكرته وتحسين أدائها" [3]

وقد ورد في سبب نزول سورة الكهف، ما جاء عن يحيى بن سلام قال: بَلَغَنَا أَنَّ الْيَهُودَ لَمَّا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ. قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ: «أُخْبِرُكُمْ عَنْهُمْ غَدًا» ، فَلَمْ يَسْتَثْنِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ، قَالَ:)وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ((الكهف: ٢٤) إِذَا نَسِيتَ الاسْتِثْنَاءَ [4].

وللمفسرين في معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فقل: إن شاء الله، ولو كان بعد يوم أو شهر أو سنة، قاله سعيد بن جبير، والجمهور.

والثاني: أن معنى)إِذا نسيتَ(: إذا غضبتَ، قاله عكرمة، قال ابن الأنباري: وليس

(١) مختار الصحاح (ص٣١٠)، معجم مقاييس اللغة (٣٣٧/٥).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢٨٢/١).
(٣) مقال من مجلة البيان، العدد (١٠٥) (ص:٤٨).
(٤) تفسير يحيى بن سلام (١٧٩/١)، وانظر القصة بتمامها في السيرة النبوية، ابن كثير (٤٨٣/١، ٤٨٤).

ببعيد، لأن الغضب يُنتج النسيان.

والثالث: إذا نسيتَ الشيء فاذكر الله ليذكِّرك إياه، حكاه الماوردي [1].

قال الجاحظ: إنما ألزم جل وعلا عبده أن يقول: إن شاء الله ليبقى عادة للمتألي، ولئلا يكون كلامه ولفظه يشبه لفظ المستبد والمستغني، وعلى أن يكون عبده ذاكرا لله. لأنه عبد مدبّر، ومقلّب ميسّر، ومصرّف مسخّر [2].

وقال المراغي: وإنساء الشيطان للإنسان بعض الأمور ليس من قبيل التصرف والسلطان حتى يدخل فى مفهوم قوله:)إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ(النحل:٩٩، ١٠٠ [3].

قال المناوي: "وأعظم آفات العلم النسيان الحادث عن غفلة التقصير وأعمال التواني، فعلى من ابتلى به أن يستدرك تقصيره بكثرة الدرس، ويوقظ غفلته بإدامة النظر، فقد قالوا: لن يدرك العلم من لا يطيل درسه ويكد نفسه، وكثرة الدرس كدود لا يصبر عليه إلا من يرى العلم مغنما والجهالة مغرما، فيحتمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم، وتنتفي عنه معرة الجهل، وعلى قدر الرغبة يكون الطلب، وبحسب الراحة يكون التعب[4].

وقد ورد علاج مشكلة النسيان في سورة الكهف، ومن ذلك:

أولاً: أن يذكر العبدُ ربَه جل وعلا، فإذا نسيتَ الشيء فاذكر الله ليُذكِّرك إياه، "وذكر الله يحتمل أن يكون بالاستغفار، أو بغير ذلك من وجوه الأذكار"[5].

قال السعدي: "ويؤخذ من عموم قوله:)وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ(الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله ويذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن

(١) زاد المسير في علم التفسير (٣/٧٦، ٧٧)، مع وجود تفصيل لأهل العلم في الاستثناء في بعض أنواع القسم كالطلاق والعتاق وأنه لا استثناء فيها..

(٢) كتاب الحيوان (٣/١٩٦).

(٣) تفسير المراغي (٧/١٦٠).

(٤) فيض القدير (١/٥٠).

(٥) المنتقى شرح الموطأ (٣/٢٤٧).

يذكر ربه، ولا يكونن من الغافلين" [1]، والمعنى إذا نسيت فاذكر الله سبحانه وتعالى ليُذكرك؛ لأن الأمور كلها بيده فهو القادر على أن يُذكرك، وهو الذي يستعين به العبد فيما حلّ به من أنواع المشكلات والأمراض وغيرها، فذكر الله سبحانه هو الحلّ لهذا النوع من النسيان.

كما أنّ النسيان غالبًا يكون عن إنساء من الشيطان للعبد بالوسوسة، قال تعالى:) وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ(الكهف: ٦٣ بقصد إبعاده عن الخير وعن طريق الخير، أو إيقاعه في مخالفة أمر ربه سبحانه وتعالى، فربما تُعرض له شواغل عن الحق في فترة الإنساء هذه، أو أن يقع في سخط الله في وقت المخالفة.

فكان من العلاج لهذا الأمر ذكر الله سبحانه وتعالى، فإن ذكر الله هو الطريق لطرد الشيطان الرجيم:)وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(فصلت: ٣٦.

وقال ابن كثير: "ويحتملُ في الآية وجهٌ آخرُ؛ وَهو: أَن يكُونَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ قد أرشد منْ نَسي الشَّيء في كلامه إلى ذكر اللَّهِ تعالى؛ لأن النسيان منشؤه من الشَّيطان،كما قال فتى موسى:)وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ(الْكَهْف: ٦٣. وذكرُ اللَّهِ تعالى يطرد الشيطان، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيانُ، فذكرُ اللَّهِ سببٌ للتذّكرِ ولهذَا قال: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) [2].

ثانيًا: الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى: فالعبد يدع الله ويبتهل إليه أن يُذكره ويعينه وإلى ذلك أشار ابن عاشور فقال: ويجوز أن تكون جملة)وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي(عطفا على جملة)وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ(، أي اذكر أمره ونهيه وقل في نفسك: عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا، أي ادع الله بهذا " [3]

ثالثًا: الأمر بمصاحبة الذاكرين، قال الله تعالى:)وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا(الكهف: ٢٨.

(١) تيسير الكريم المنان (٤٧٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم (١٥٠/٥).
(٣) التحرير والتنوير (٢٩٩/١٥).

وعمـوم لفـظ الآية يـدل على أمر النبـي ﷺ بأن يصـبر نفسه على صحبـة الذاكرين أصحـاب الصـلاة والذكر ونهيـه عن عن تحويل نظـره عنهم، وإن كان سبب نـزول الآية في نهي النبي ﷺ عن إطاعة كفار مكة في طلبهم إقصاء فقراء المسلمين عن مجلسه ﷺ حتى يجلسـ إليهم، ثم يرجع لمجلس هؤلاء الفقراء إن أحب، وكاد النبي ﷺ أن يستجيب لهم لولا أن نزل القرآن بالنهي عن موافقتهم في ذلك[1].

رابعًا: النهي عن مصاحبة البطالين والغافلين: قال تعالى:)وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(الكهف: ٢٨. ولاشك أن الغفلة من أكبر أسباب النسيان، فالغافل هو الأقرب دائمًا إلى النسيان بحكم اهتمامه وانشغاله بما غفل فيه.

قـال ابن القيم عـن الغفلة: " الغفل الشـيء الفارغ، والأرض الغفل: التـي لا علامة بها، فأغفلنـاه: تركناه غافلا عن الذكر فارغـا منه فهو إبقاء له على العدم الأصلي، لأنه سبحانه لم يشـأ له الذكر، فبقي غافلا، فالغفلة وصفه والإغفال فعل الله فيه بمشيئته، وعدم مشيئته للتذكـرة. فـكل منهما مقتض لغفلته.فإذا لم يشأ له التذكـر لم يتذكر، وإذا شاء غفلته امتنع منه الذكر "[2].

وقـال: " فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهـل الحاكم عليـه الهوى أو الوحي؟ فـإن كان الحاكم عليـه هو الهوى وهو مـن أهل الغفلة كان أمـره فرطا.ومعنى الفـرط قد فسر بالتضييع، أي أمره الذي يجـب أن يلزمه ويقوم به، وبـه رشده وفلاحه: ضائع، قد فـرط فيه، وفسر بالإسراف، أي قد أفـرط بالإهلاك. وفسر بالخـلاف للحق، وكلها أقوال متقاربة. والمقصود: أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمـع هذه الصفـات. فينبغي للرجل أن ينظـر في شيخه وقدوته ومتبوعـه. فإن وجده كذلك فليبعـد منـه وإن وجـده ممن غلب عليـه ذكر الله تعالى عز وجـل واتباع السنـة، وأمره غير مفروط عليه، بل هو حازم في أمره فليستمسك بغرزه "[3].

(١) أخرجـه ابن ماجـه في مجالسة الفقـراء ، رقم الحديـث (٤١٢٧)، وعلق عليـه شعيب الأرنؤط بقولـه: إسناده ضعيف.

(٢) التفسير القيم (٣٦٦/١).

(٣) التفسير القيم (٣٦٥/١).

خامسًا: الإشارة إلى أهمية تقييد العلم بالكتابة حتى لا يضيع العلم، وقد جاءت السنة بالحث على تقييد العلم فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « قيدوا العلم بالكتاب»[1] خاصة إذا كان النسيان ناتجًا عن ضعف آلة الحفظ لدى الإنسان مثلاً، أو كان الأمر المعلوم ربما يجحده صاحبه أو يزعم أنه لم يفعله، قال تعالى:)وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا(الكهف: ٤٨، ٤٩.

سادسا: ضبط أصول المسائل، واستذكار فروعها، وهذا يلحظ من خلال القصص التي ورت في السورة، فهي تركز على الأحداث المهمة وإهمال ما لا ينبي عليها فائدة.

ولنابغة المغرب الإمام ابن عبدالبر إشارة لطيفة لمعنى ضبط الأصول واستذكار الفروع، فبعد أن أورد حديث النبي – ﷺ -: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا، أَمْسَكَهَا. وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ» تحدث عن ذهاب القرآن إن لم يتعاهد فكيف بغيره من العلوم، ثم قال: (وخير العلوم مَا ضُبِطَ أَصْلُهُ وَاسْتُذْكِرَ فَرْعُهُ وَقَادَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَدَلَّ عَلَى مَا يَرْضَاه)[2]

المطلب الخامس: مشكلة الاستعجال، وعلاجها في ضوء سورة الكهف.

الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَاللاَّمُ أَصْلاَنِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الْإِسْرَاعِ، وَالْآخَرُ عَلَى بَعْضِ الْحَيَوَانِ.

فَالْأَوَّلُ: الْعَجَلَةُ فِي الْأَمْرِ، يُقَالُ: هُوَ عَجِلٌ وَعَجُلٌ، لُغَتَانِ"[3]، ويقال: "استعجل الشَّخصُ: عجِل؛ أسرع، فعل الشَّيءَ قبل أوانه عكسه استبطأ..[4].

(١) صحيح الجامع الصغير وزياداته (٨١٦/٢).
(٢) التمهيد (١٣٤/١٤).
(٣) معجم مقاييس اللغة (٢٣٧/٤)، وانظر: تهذيب اللغة (٢٣٧/١)، المحكم والمحيط الأعظم (٣٢٢/١).
(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة (١٤٦٠/٢).

وعرفه السمعاني بقوله: الاستعجال طلب تَعْجِيل الْأَمر قبل مَجِيء وقته[1].

وأعني بالاستعجال في هذا المبحث ما ابتلي به كثير من طلبة العلم من عدم التريث والصبر على الطلب، وكذلك التعجل بالتصدر والإفتاء.

ولقد أثر عن السلف التحذير من العجلة فقال قال علي–رضي الله عنه-: "لا تكونوا عُجُلاً مذاييع بذرًا، فإن من وراءكم بلاء مُبرحًا.."[2]، ولما شهد أعرابي عند معاوية–رضي الله عنه-بشهادة. فقال معاوية : كذبت. فقال الأعرابي: إن الكاذب للمتزمل في ثيابك. فقال معاوية: هذا جزاء من يعجل"[3].

وقد أورد البخاري في صحيحه قصة موسى عليه السلام مع الخضر من حديث سَعِيدُ بْنِ عَبَّاسٍ: قال حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلاَ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا، فَانْسَلَّ الحُوتُ مِنَ المِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ المَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ:)أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلاَّ الشَّيْطَانُ(قَالَ مُوسَى:)ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا(فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ

(١) تفسير القرآن العظيم (٧٨/٣)، وانظر: معالم التنزيل (٧/٣).
(٢) صحيح الأدب المفرد (ح٢٥٠).
(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص٢١٩).

لاَ أَعْلَمُـهُ، قَـالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلاَ أَعْصِـي لَكَ أَمْرًا، فَانْطَلَقَـا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَـا بِغَيْرِ نَـوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُـورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَـرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْـرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْـرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْـرِ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَـةِ، فَنَزَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَـوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ قَـالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَـالَ: لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَـا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا - فَكَانَـتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا -، فَانْطَلَقَـا، فَإِذَا غُلاَمٌ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلاَهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَقَـالَ مُوسَـى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟ قَـالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَـنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ - قَـالَ ابْـنُ عُيَيْنَةَ: وَهَذَا أَوْكَدُ - فَانْطَلَقَـا، حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَـا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَـا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ، قَـالَ الخَضِرُ: بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَـى: لَـوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ "قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»[1].

ولعلـك أن تلحـظ أخي القاريء كيـف كان للعجلة أثرها في قصـة موسى مع الخضر في الآيـات السابقة، وفي حديث النبي ﷺ، ويمكننا الآن أن نشـير إلى العلاج القرآني للمشكلة حسب رأي الباحث، ويمكن بيان ذلك في النقاط التالية:

أولاً: بيـان أثـر الاستعجـال، وسوء عاقبته علـى المتعلم: فقد كان ذلـك جليّا في حرمان موسـى عليه السـلام من استمـرار الاستفادة من صحبـة الخضر عندمـا استعجل وخالف الشرط الذي شرطه على نفسه،)قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا((الكهف: ٧٦).

وقـد أشار النبـي ﷺ إلى ذلك فقال: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَـى لَوْلَا أَنَّهُ عَجِلَ لَرَأَى

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب: ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم (٢٦/١).

الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ ذَمَامَةٌ[1] مِنْ صَاحِبِهِ فَقَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي"[2].

وقد روي في تفسير هذه الآية: أن الله جعل هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى وعجبا له، وذلك أنه لما أنكر أمر خرق السفينة نودي يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم، فلما أنكر أمر الغلام قيل له أين إنكارك هذا من وكزك للقبطي وقضائك عليه، فلما أنكر إقامة الجدار نودي أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب دون أجر[3].

وأيضًا ظهرت عاقبة الاستعجال، وذلك في عتاب الله عز وجل لموسى على قوله: أنا، حين سئل عن أعلم أهل الأرض؟ فأجاب دون الرجوع إلى ربه سبحانه وتعالى، وهذا نوع استعجال، فعاتبه ربه، وأعلمه أن هناك مَن هو أعلم منه، وتكلف للوصول إلى حقيقة وجود من هو أعلم منه رحلة ونصبًا.

ثانيًا: استخدام الأسلوب القصصي في العلاج: وذلك أن في ذكر القرآن لهذه القصة بيانا للمتعلمين كيف أن موسى عليه السلام حين استعجل في الرد على السؤال، وفي الإنكار على الخضر مع سبق تعهده بألا يسأله عن شيء حتى يبدأه الخضر بالبيان، فيحذروا من عاقبة التعجل في الطلب والسؤال قبل بيان العالم؛ لأن ذلك يؤثر على تحصيلهم العلمي، وبلوغهم المراتب العلية في العلم.

ثالثًا: تحديد الهدف من أهم الأمور التي تعين طالب العلم للوصول إلى مبتغاه، وعدم الاستعجال في تحقيقه، وذلك بدا واضحًا من قول موسى عليه السلام)وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا((الكهف: ٦٠) فكان الهدف واضحًا وهو الوصول إلى مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام، وكان العزم والإصرار والإرادة حاديًا لموسى عليه السلام، حتى ولو أمضى حقبًا متطاولة للوصول إلى ذلك الهدف.

(١) ذمَامَة: حَيَاء وإشفاق من الذَّم بِالذَّالِ الْمُعْجَمَة وَأما بِالدَّال الْمُهْمَلَة فقبح الْوَجْه، والتذمم للصاحب حفظ ذمامه خوفًا من الذَّم إن لم يفعل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٧٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٢٠).

(٣) المحرر الوجيز (٣/٥٦٢)، وانظر الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٣).

رابعًا: استخدام أسلوب الوعظ: ومن ذلك تعليم طالب العلم التواضع من خلال قصة موسى عليه السلام كيف أنه كليم الله سبحانه وتعالى ونبي من أولي العزم ومع ذلك يتواضع لمعلمه، ولا يخجل من التصريح بطلبه التعلم)قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً((الكهف: ٦٦) فيا لله كم من طالب علم يتكبر على معلميه لمجرد أن سمع من شيخ آخر أو تعلم شيئًا بسيطًا من العلم فيتكبر به على أساتذته، مما يؤدي بالضرورة إلى انقطاعه عن الطلب بعد ذلك.

وانظر إلى القصة التي سبقت قصة موسى عليه السلام، وهي قصة إبليس عليه لعنة الله حينما تكبر وأبى السجود والخضوع لمن هو أعلم منه وهو آدم عليه السلام:)وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ، فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ((الكهف: ٥٠).

فيا لها من مقارنة عجيبة بين الكبر والتواضع، وكيف ذهب الكبر بصاحبه إلى قاع جهنم، وكيف رفع التواضع صاحبه إلى أن كان رسولاً من رسل الله، وكليمًا له سبحانه وتعالى.

ومنه الوعظ بالنظر إلى عظيم أثر العلم على المتعلم مما يورثه الصبر على طلبه: وذلك في قوله تعالى:)قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا((الكهف: ٦٧، ٦٨)

خامسًا: الاستعانة بالله عز وجل: ففي قوله تعالى:)قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا((الكهف: ٦٩) علّق موسى عليه السلام أمره بالله عز وجل، ومن توكل على الله كفاه.

سادسًا: الإرشاد إلى الصبر:)سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا(فلابد من الصبر على طلب العلم. قال البغوي: وقوله:)أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا(وَإِنْ كَانَ حُقُبًا أَيْ دَهْرًا طَوِيلًا وَزَمَانًا، وَجَمْعُهُ أَحْقَابٌ، وَالْحِقَبُ: جَمْعُ الْحِقْبِ[1]. فانظر كيف تلفت الآية أذهان السامعين: إلى أن تحقيق الهدف لابد منه وإن تطلب زمانًا، فلماذا تستكثر أيها المتعجل أن تقضي زمانك في تحصيل العلم، طالما أنك على الطريق والجادة؟

(١) معالم التنزيل (١٨٦/٥).

وانظر كيف أبانت القصة عاقبة ترك الصبر من حرمان المتعلم من صحبة العالم، والاستفادة من علومه)قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا((الكهف: ٧٨).

والإرشاد إلى الصبر أتى بصورة مباشرة كما مرّ من توجيه موسى إلى مصاحبة العالم – وهو هنا: الخضر عليه السلام-، فهكذا ينبغي على طالب العلم أن ينتهج أسلوب مصاحبة العلماء حتى يكتسب منهم العلم، ولا يكتفي بالأساليب والمناهج النظرية دون السعي إلى مصاحبة العلماء والنهل من مواردهم.

وأتى أيضًا في صورة إثارة عامل التحدي في نفس المتعلم، عندما قال العبد الصالح لموسى عليه السلام:)قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا((الكهف: ٦٨)، فكان لذلك الأثر البالغ في نفس موسى عليه السلام على التزام الصبر،) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا((الكهف: ٦٩).

والصبر ليس قاصرًا على بداية الطلب؛ بل الصبر مطلوب في كل مرحلة من مراحل الطلب، وانظر كيف صبر موسى عليه السلام على تعلم ما يُكمل به ملكاته، مع أنه نبي كريم، وهو عالم بني إسرائيل، وربما قال يكفيني ذلك، ولكنه حين علم أن هناك عالم يعلم ما لا يعلمه هو سارع إلى السؤال عنه وعن طريق الوصول إليه، بل وانطلق فعليًّا لملاقاة الرجل.

ثم إن الصبر ليس مجرد عزم على الفعل وتصور نظري بارد له، ولكنه إرادة وعزيمة وفعل وإصرار على حبس النفس على الوصول إلى هدفها ومبتغاها، وموسى عليه السلام عزم عزمًا نظريًّا على الصبر على أفعال الخضر عليه السلام التي لا يعلم وجهها، ولكنه حين واجه الأمر عمليًّا لم يستطع أن يصبر؛ ليعلمنا معاشر طلبة العلم أن الواقع العملي يختلف عن مجرد التصور النظري، فلابد من العمل بما علمنا حتى نستطيع أن نطمئن إلى إحاطتنا بالعلم.

سابعًا: لجم النفس عن انفعالاتها: فها هو موسى يرى ما يرى من الأشياء التي لا يطيق لرؤيتها صبرًا ولا لفعلها تفسيرًا، ويعزم على ضبط نفسه بين يدي العالم الذي علم من الله

سبحانه أنه عالم حتى يحصل مقصوده من الظفر بالعلم، وقد مرّ بنا سابقًا كيف أن المتعجل يكـون غالبًا غير ضابط لانفعـالات نفسه مما يؤدي به إلى التفلت عمـا يعلم أن المصلحة في فعله.

ثامنًـا: أهمية الصحبة الصالحـة في تثبيت طالب العلم على طريق طلب العلم، فموسى عليـه السـلام اصطفى يوشع بن نون كما ذكر ذلك أهل التفسـير، وقد كان هو أحد الرجلين اللذين شجعا بني إسرائيل على دخول أرض كنعان في القصة التي ذكرها الله في قوله تعالى:)قَـالَ رَجُلَانِ مِـنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَـابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُـونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ((المائدة: ٢٣). وقد كان لهذا الصاحب الصالح أثره في تشجيع موسى عليه السلام على المضي في طلب العلم، وإن أفضى ذلك إلى أن يمضي من الزمان حقبًا متطاولة.

تاسعًـا: دور العـالم في دفع آفـة الاستعجال عـن المتعلم، ويتضح هذا مـن خلال الآيات التالية:

١-أن الخضر عليه السلام وهو يمثل العالم في القصة حذر تلميذه من العائق الذي ربما يقـف أمامـه:)قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَكَيْفَ تَصْـبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً(وهو ترك الصبر نتيجة عدم العلم.

٢-أنه عفا وصفح عن زلة موسى المرة والمرتين مع تذكيره بلطف في أول مرة دون مواجهة)قَـالَ أَلَمْ أَقُـلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِـيَ صَبْرًا(، ثم تذكيره بشرطه في المـرة الثانية مع توجيه خطابه إليه:)قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(، ثم في الثالثة كان الفراق لتعليم المتعلم سوء عاقبة الاستعجال.

٣-بيان اتساع فنون العلم، وتنوع مشاربه فلا ينبغي لطالب العلم الاستعجال في الطلب،)وَكَيْـفَ تَصْـبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُـبْراً(، وكما ورد في الحديث أنه " جَـاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَـى حَرْفِ السَّفِينَة، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْرِ " فبيّن له عظيم سعة العلم مما يقتضي

صـبرًا وطول زمان لنيـل شرفه، فاصبر يا طالب العلم حتى تحط خُـبرًا بما حواه العلم على تنوع فنونه قدر استطاعتك.

٤- مراعاة المعلم لعادات مجتمع المتعلم أثناء تعليمه: وقد استنبط ذلك ابن عاشور من فهمـه لفائـدة جواز التعاقد على تعليم العلم من القصة من قوله تعـالى:)قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُـكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا(، فقـال: "وفيه أنه التزام يجب الوفاء به. وقد تفرع عـن حكم لزوم الالتزام أن العرف فيه يقوم مقام الاشتراط فيجب على المنتصب للتعليم أن يعامل المتعلمين بما جرى عليه عرف أقاليمهم.

ذكر عياض في باب صفة مجلس مالك للعلم من كتاب المدارك : أن رجلاً خراسانياً جاء من خراسان إلى المدينة للسماع من مالك فوجد الناس يعرِضون عليه وهو يسمع ولا يسمعون قـراءة منه عليهم، فسأله أن يَقرأ عليهم فأبى مالـك، فاستعدى الخراساني قاضيَ المدينة. وقال: جئت من خراسان ونحن لا نرى العرض وأبى مالك أن يقرأ علينا. فحكم القاضي على مالك: أن يقرأ له، فقيل لمالك : أأصاب القاضي الحق ؟ قال : نعم[1].

٥- اتبـاع الأسلـوب العملـي في التعليم، وهو أثبـت أثرًا في نفس المتعلـم، مما يدفع عنه السآمة، ويدفعه إلى مواصلة التعلم دون انقطاع، أما الاقتصار في التعليم على التقي النظري مدعاة للملل والفتور عن تحصيل العلم، وقد يدفع إلى الانقطاع أحيانًا.

(١) التحرير والتنوير (١٥/٣٧٠).

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة المختصرة في مشكلات التعلم وعلاجها في ضوء سورة الكهف، أختم بهذه النتائج والتوصيات:

أولاً : أن الجهل والكبر والنسيان والاستعجال من أهم المشكلات التي تؤثر على طلاب العلم وتحول بينهم وبين التعلم .

ثانيًا: أن للقرآن منهجًا عامًا في حل المشكلات عموما، ومشكلة التعلم خصوصا، يمكن إيجازه في ركيزتين هما: العلاج الوقائي للمشكلات، وذلك ببيان القرآن للمشكلة والتحذير منها وذكر عاقبتها، وحث المكلف على تجنبها. والعلاج البعدي للمشكلة، وذلك ببيان خطرها والوسائل التي يبذلها المكلف لعلاجها، كل ذلك من خلال الوعظ، والترغيب والترهيب، والحوار، وذكر القصة القرآنية، وضرب الأمثال.

ثالثًا: أن الاستعجال في التعلم وعدم الصبر عليه أذاق الأمة الويلات؛ وذلك من خلال تلك الفتاوى التي خرجت من مبتدئي طلبة العلم؛ فاستُبحت الدماء والأعراض والله المستعان.

التوصيات:

أولاً: ازددتُ قناعة بحاجتنا الماسة إلى فهم القرآن الكريم وتدبره، وأن ذلك كفيل – بتوفيق الله – بإيضاح الأمور لنا على حقيقتها، وبهدايتنا للتي هي أقوم في كل مجال من مجالات حياتنا.

ثانيًا: على المؤسسات التعليمية أن تقوم بعقد الندوات والمحاضرات؛ لاستثمار القرآن الكريم في علاج مشكلات الأمة عموما، ومشكلات التعلم خصوصا.

هذا؛ والله أعلم، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على إمام المتقين، ورضي عن آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مراجع البحث

١. القرآن الكريم.

٢. أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى : ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط:٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، ١٣٩٣ هـ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ط:١، ١٩٩٥م.

٤. البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٤٢٠هـ.

٥. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط: الأولى، سنة ١٤٢٠هـ

٦. التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد ابن جزي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ.

٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المتوفى: (٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٨. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى (٧٧٤هـ) ،تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة ، السعودية، ط:٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٩. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا المتوفى (١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:١، ١٩٩٠م.

١٠. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي- طبعة مؤسسة الرسالة – تحقيق عبدالرحمن اللويحق.

١١. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المتوفى (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٢. الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ط:٣ ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٣. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة ـ بيروت،

١٤. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط:١، ١٤٢٣هـ.

١٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى: (٩١١هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ط:١، ١٤٢٤هـ.

١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، دار: إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧. زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٣، ١٤٠٤هـ.

١٨. زهرة التفاسير، لمحمد أبو زهرة، المتوفى: (١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، مصر.

١٩. السلسلة الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف، السعودية.

٢٠. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت.

٢١. سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد

عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٣. صحيح سنن الترمذي ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط: الأولى ، ١٤٠٨هـ .

٢٤. في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم،دار الشروق، مصر،

٢٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار: إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط:١.

٢٧. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ) ، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء- مصر، ، ط:٣، الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

٢٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط:١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٣٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣١. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، ت:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة: ١٣٩٩هـ.

٣٢. المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، ت: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٣٣. منهاج السنة النبوية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ) ،تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٣٤. الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى : ٧٩٠هـ) ، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط:١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

د. دلال محمود أحمد شطناوي

محل الميلاد :المملكة الأردنية الهاشمية بتاريخ الميلاد: ١٩٧٧/٨/١٧

المؤهلات العلمية :

- الحصول على شهادة الدكتوراة في فلسفة التربية إسلامية- جامعة اليرموك- كلية الشريعة-٢٠١٤
- والماجستير في التربية الإسلامية- جامعة اليرموك-كلية الشريعة-٢٠١٠، والبكالوريوس في التربية الاسلامية جامعة اليرموك- كلية التربية-١٩٩٩م.

الدورات التدريبية :

- - الشهادة الدولية في قيادة الحاسوب/2005ICDL
- - (ICT) توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات/2010 ENTEL
- - دورة القيادة التعليمية/٢٠١٥

خبرات العمل:

- وزارة التربية والتعليم من٢٠٠٠- ولغاية ٢٠١٤، المملكة الاردنية الهاشمية.
- وزارة التربية والتعليم- قسم الإشراف التربوي- المملكة الاردنية الهاشمية ٢٠١٥.
- عضو هيئة تدريس- جامعة طيبة- المملكة العربية السعودية.

خبرات عملية :

١. المشاركة في تدريب المعلمين الجدد في المملكة الأردنية الهاشمية
٢. عمل ورشات تدريبية للمعلمين في المدارس بهدف تحسين الأداء وتطوير استخدام استراتيجيات التدريس الحديثة
٣. الإشراف على مسابقات القرآن الكريم والحديث الشريف التي تقيمها وزارة التربية والتعليم الأردنية.
٤. المشاركة في اختبارات التعليم عن بعد-المملكة العربية السعودية
٥. الإشراف على تسميع التلاوة المجودة لطلبة التعليم عن بعد- المملكة العربية السعودية

الفصل بين العلم والعمل وعلاجه في ضوء القرآن الكريم
قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر (نموذجًا)

الدكتورة: دلال محمود أحمد شطناوي

تخصص التربية الإسلامية
جامعة طيبة، السعودية

مستخلص البحث:

يدور هذا البحث حول الفصل بين العلم والعمل وعلاجه في ضوء المنهج التربوي القرآني، وتأتي الكتابة في هذا الموضوع للمساهمة في اثبات دور القرآن الكريم في حل مشكلات الحياة المعاصرة، وقد وقع اختياري على قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر، لتكون نموذجاً لدراسته، لما حوته هذه القصة من معان وإشارات مهمة تسهم في علاج ظاهرة الفصل بين العلم والعمل.

وقد تضمن هذا البحث والموسوم ب(الفصل بين العلم والعمل وعلاجه في ضوء القرآن الكريم، قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر (أنموذجاً)، مقدمة ومبحثين بالإضافة إلى النتائج والتوصيات، تكلمت في المقدمة عن واقع الفصل بين العلم والعمل، وعن أهمية الدراسة وأهدافها وأسئلتها، وتحدثت في المبحث الأول عن الفصل بين العلم والعمل في التصور القرآني، وفي المبحث الثاني عن الفصل بين العلم والعمل وعلاجه في ضوء المنهج التربوي القرآني من خلال قصة موسى عليه السلام مع الخضر (أنموذجاً)، وجاء هذا المبحث في خمسة مطالب، تحدث المطلب الأول عن التعلق بالغاية الوجودية للحياة الإنسانية، والمطلب الثاني عن المسؤولية الأخلاقية (التزكية والتهذيب)، والمطلب الثالث عن أهمية التدريب والتأهيل المستمر والاستعانة بأصحاب الخبرة والكفاءة، والمطلب الرابع عن الانفتاح المنضبط والاطلاع على إنتاج الآخر، والمطلب الخامس: عن استشراف المستقبل.

والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستنباطي-الاستقرائي، وكانت أهم نتائج الدراسة: بيان أن مفهوم الفصل بين العلم والعمل يقابله في التصور القرآني منهج الحكمة: وهو الملازمة بين العلم النافع والعمل الصالح المتقن الذي يحقق ازدهار الحياة الإنسانية، والنجاة والسعادة في الدارين، وأن من سبل علاج ظاهرة الفصل بين العلم والعمل المستنبطة من قصة موسى عليه السلام مع الخضر الواردة في سورة الكهف، أولاً: التعلق بالغاية الوجودية للحياة الإنسانية، ثانياً: المسؤولية الأخلاقية (التزكية والتهذيب)، ثالثاً: التدريب والتأهيل المستمر والاستعانة بأصحاب الخبرة والكفاءة، رابعاً: الانفتاح المنضبط والاطلاع على إنتاج الآخر، خامساً: استشراف المستقبل.

الكلمات المفتاحية: الفصل بين العلم والعمل، التصور القرآني، المنهج التربوي القرآني، منهج الحكمة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، من جاء رحمة للعالمين، وأتم التسليم على آله وصحبه أجمعين:

أما بعد :

فإن الله جل وعلا خلق الخلق ليعبدوه، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لحكمة عظيمة، تجلت في دعوة الناس إلى عبادة الله وبيانها لهم وإيضاحها لهم، قال تعالى:)وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ((الذاريات: ٥٦) ، ولم يكتف الشارع الحكيم بعلم الناس وتصديقهم بوحدانيته جل وعلا والايمان به فقط، بل طلب منهم العمل المصدق لهذا الإيمان والدال عليه، وجعل العمل والعبادة أساساً للجزاء والحساب يوم القيامة، وجعل اقتضاء العلم للعمل أصلاً من أصول الدين الإسلامي الحنيف، والقرآن الكريم يزخر بالآيات القرآنية الكريمة التي تؤكد على التلازم والملازمة بين العلم والعمل، كقوله تعالى:)وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ((التوبة: ١٠٥) .

إن من أبرز ما أفرزه واقع الفصل بين العلم والعمل في المجتمعات هو تفشي ظاهرتي الفقر والبطالة، وتأخر نمو المجتمعات الإسلامية واستقرارها، وما أشارت إليه منظمة العمل العربية من تزايد كبير في مشكلات البطالة والفقر، والأزمات الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية، والتي ترى أنها تعود إلى عدة أسباب جوهرية من أهمها: عدم مطابقة الحاجات الفعلية لسوق العمل مع برامج النظام التربوي، عدم مواكبة التكوين المنهجي التعليمي التطورات التكنولوجية، ضعف المؤسسات التعليمية والتدريبية وعدم الربط بينها وبين المؤسسات الاقتصادي، النمو المرتفع للقوة العاملة التي تنقصها الكفاءة وخاصة من حملة الشهادات العلمية، سوء سياسات التنمية الاقتصادية، والعولمة.

ولقد كشف المدير العام لمنظمة العمل العربية في مؤتمر العمل العربي المنعقد في الكويت، أن نسبة البطالة في صفوف الشبان العرب حتى سن الثلاثين عاما تتجاوز ٣٠٪، وإن الاضطرابات والنقص في الاستثمارات أديا إلى زيادة عدد العاطلين عن العمل، وأضاف أن

عـدداً كبيراً من حملة الشهادات لا يتمكنون من إيجـاد عمل لأن اختصاصاتهم غير مطلوبة في القطـاع الخاص، وبسبب الاضطرابات في العديد مـن البلدان العربية قفز عدد العاطلين عـن العمـل العرب من مليونين العام ٢٠١١ إلى عشرين مليونـا، وأضاف أن نسبة البطالة في العـالم العربي بلغت ١٧ في المئة في ٢٠١٤، أي أكثر بثلاث مرات من معدل البطالة في العالم، وأكد أن عدد العاطلين عن العمل سيزداد بالتأكيد[١].

وبنـاء على ما سبق جاءت هـذه الدراسة لتؤكد على أن التشخيص الصحيح للمرض مـن أهم أسباب العلاج الفعال، وأن امتلاك التصور الواضح لواقع الفصل بين العلم والعمل في البناء التربوي للمجتمع الإسلامي والوقوف على نتائجه وعلاجه من خلال القرآن الكريم، يسهم بشكل فاعل في مواجهة هذه المشكلة وتحدياتها.

وفي ضـوء المنهـج التربوي القـرآني ومن هدايات الوحي جـاءت بصائر قصة سيدنا موسـى عليـه السلام مع الخضر على سبيل المثال لا الحصـر، كنموذج لقدرة القرآن الكريم علـى علاج مشـكلات الحياة المعاصرة، ومنهـا المشكلات المتعلقة بالتعلـم والتعليم، وخاصة الجانـب المتعلق بالفصل بين العلم والعمل، لتحمل هذه القصة في ثناياها هدايات ترشد إلى سبل علاج هذه الظاهرة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها :

تتلخـص مشكلـة البحث في أن هذه الدراسة تحاول ابراز سبل علاج ظاهرة الفصل بـين العلم والعمل كإحدى مشكلات الحيـاة المعاصرة من خلال القرآن الكريم، وذلك بسبب سيـادة الطابـع النظري على المناهج التعليمية، وتزويد الطلبـة بقدر كبير من المعلومات دون عناية توظيف هذه المعلومات وأهميتها في الإعداد لعالم العمل.

ويمكن أن تتحدد مشكلة الدراسة من خلال السؤال الرئيس الآتي:
ما الفصل بين العلم والعمل، وما علاجه في ضوء القرآن الكريم ؟

(١) نشرة صحفية تصدر عن الدورة ٤٣لمؤتمر العمل العربي-القاهرة ١٠-١٧ابريل-٢٠١٦م، العدد٣، http://alolabor.org/?p=category/ .

وتتفرع منه الأسئلة الآتية :

ما التصور القرآني للفصل بين العلم والعمل ؟

مـا سبل علاج الفصل بين العلم والعمل المستنبطة من قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر ؟

أهداف الدراسة :

تهـدف هـذه الدراسـة إلى المشاركـة في مشروع توظيـف الدراسـات القرآنية في علاج مشكلات التعلم والتعليم، والأهداف التي تسعى الباحثة أن تحققها من خلال هذه الدراسة، تتمثل بالأمور الآتية:

بيان مفهوم الفصل بين العلم والعمل لغة واصطلاحاً .

بيان التصور القرآني للفصل بين العلم والعمل.

بيان سبل علاج الفصل بين العلم والعمل من خلال قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر (أنموذجاً) .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة، من خلال ما يتوقع من إفادتها، وهي على النحو الآتي:

١. تتكامل هذه الدراسة مع باقي الدراسات التربوية التي أسهمت في النهوض بالدراسات القرآنية، للمساهمة في علاج قضايا الأمة الإسلامية المعاصرة.

٢.يتوقـع أن يستفيـد مـن الدراسة الجهات الآتيـة: قسم إعداد المناهج بـوزارة التربية والتعليم، طلبة الدراسات العليا تخصص التربية الإسلامية، طلبة الجامعات في قسم أصول التربية، وطلبة الجامعات في قسم التفسير.

حدود الدراسة :

ستقتصر الدراسة على استنباط سبل علاج ظاهرة الفصل بين العلم والعمل في القرآن الكريم، من خلال قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر (أنموذجاً) .

منهج الدراسة :

وفقـاً لطبيعة مشكلة الدراسة وأهدافها ستقوم الباحثة باستخدام المنهج الاستقرائي الاستنباطي، للإجابة عن أسئلة الدراسة وتحقيق الأهداف المرجوة، من خلال:

- الآيات الكريمة ذات العلاقة بالموضوع.
- أقوال العلماء والمفسرين والمربين المسلمين.

خطة الدراسة :

سيتـم تنـاول الموضوع من خلال المنهج الاستقرائي- الاستنباطي، وذلك من خلال المبحـث الأول الذي تناول: الفصل بين العلم والعمل في التصور القرآني، وفي المبحث الثاني: الفصـل بين العلم والعمل وعلاجـه في ضوء المنهج التربوي القرآني مـن خلال قصة موسى عليـه السلام مـع الخضر (أنموذجـاً) ، وجاء في خمسـة مطالب، تحدث المطلـب الأول عن التعلـق بالغاية الوجودية للحياة الإنسانية، والمطلب الثـاني عن المسؤولية الأخلاقية(التزكية والتهذيـب) ،و المطلـب الثالث عن أهميـة التدريب والتأهيـل المستمر والاستعانـة بأصحاب الخبرة والكفـاءة، والمطلب الرابع عن الانفتاح المنضبط والاطلاع على إنتاج الآخر، والمطلب الخامس: استشراف المستقبل.

المبحث الأول

الفصل بين العلم والعمل في التصور القرآني.

الفصل بين العلم والعمل لغة واصطلاحاً :

الفصل: هو الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل :أي قطعته فانقطع[١]، والعلم هو : نقيض الجهل[٢]، والعَملَ : المَهَنَة والفعل، وهو كل مجهود يبذله الإنسان لتحصيل منفعه[٣]، ومن خلال المعاني اللغوية يمكن تعريف الفصل بين العلم والعمل اصطلاحاً على أنه: قطع الصلة ما بين العلم والعمل به، وتضييع نفعه وثمرته.

والمستقرئ لكتاب الله عز وجل يستطيع أن يلحظ أن أكثر المواضيع ذكرا بعد التوحيد هو موضوع العلم والحث عليه وبيان مقتضياته ومستلزماته، حيث بلغ عدد المرات التي جاءت فيها كلمة (العلم) بمشتقاتها المختلفة في كتاب الله عز وجل ٧٨٢ مرة[٤]، أي بمعدل سبع مرات -تقريبا- في كل سورة، وهذا عن كلمة (العلم) بمادّتها الثلاثية (ع ل م)، إلا أن هناك كلمات أخرى كثيرة في القرآن تشير إلى معنى العلم ولكن لم تُذكر بلفظه؛ وذلك مثل: اليقين، والهدى، والعقل، والفكر، والنظر، والحكمة، والفقه، والبرهان، والدليل، والحجة، والآية، والبينة، وغير ذلك من معانٍ تندرج تحت معنى العلم وتحث عليه.

وعند إحصاء عدد المرات التي جاءت فيها كلمة (العمل) بمشتقاتها المختلفة في كتاب الله عز وجل تجدها قد بلغت ٣٩٥ مرة[٥]، وهذا عن كلمة (العمل) بمادّتها الثلاثية (ع م ل)، إلا أن هناك كلمات أخرى كثيرة في القرآن تشير إلى معنى العمل ولكن لم تُذكر بلفظه؛ وذلك

(١) ابن منظور، معجم لسان العرب، ١١/ ١١٥.
(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤/ ١٠.
(٣) مجمع اللغة العربية، العجم الوسيط، ٢/ ٦٢٨.
(٤) نوفل، عبد الرزاق، الإعجاز العددي في القرآن الكريم ، ٣/ ١٧٩.
(٥) عبد الباقي، فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٤٨٣.

مثل: الفعل، والسعي، والضرب في الأرض، والكسب.

إن مفهوم العلم ومفهوم الإيمان في التصور القرآني وجهان لعملة واحدة، ولا يذكر العلم الإيماني إلا ويذكر العمل الصالح، وقد جاء العلم الإيماني مقترناً بالعمل الصالح بما يزيد عن ٧٠مرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، قوله سبحانه تعالى:)وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ((البقرة: ٢٥)، وقوله عزوجل:)وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ((البقرة: ٨٢)، وقوله عزوجل:) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ((البقرة: ٢٧٧)، وقوله عزوجل:) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ((البقرة: ٢٣٣)، وقوله عزوجل:) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ((البقرة: ٢٣٣)، وقوله عزوجل:) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ((النساء: ١٢٤)، وقوله عز وجل:)مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ((المائدة: ٦٩)، وقوله تعالى:)إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا((الكهف: ١٠٧)،)فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ((الزلزلة: ٨).

إن العلم الذي يتعلمه الإنسان، ولا يعمل به هو الجهل بعينه، والفصل بين العلم والعمل هو من الحمق والغفلة فكيف بمن امتلك النور أن يجلس في الظلمة، فتغييب العقل عن العمل يودي بالإنسان إلى ان يصبح بفعله هذا مثله كمثل الأنعام بل أضل سبيلا، وهذا تشبيه قرآني بصورة منفرة للإنسان حتى يتجنب أن يكون علمه علماً لا يفضي به إلى العمل، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى عن اليهود الذين امتلكوا العلم بالتوراة ولم يعملوا به:) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ((الجمعة:٥)، يقول ابو السعود صاحب كتاب تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: "أي عُلِّمُوهَا وكُلِّفُوا العملَ بهَا (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) أيْ لَمْ يعملُوا بمَا في تضاعيفها منَ الآيات التي منْ جُملتها الآياتُ الناطقةُ بنبوة رسول الله ﷺ (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً) أيْ كتباً منَ العلم يتعبُ بحملهَا ولا ينتفعُ بهَا"، ويقول السيوطي في الدر المنثور:" قال: أمرهم أن يأخذوا بما فيها فلم يعملوا به، وأخرج ابن المنذر عن الضحاك في قوله:) مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً

(قال: كتباً لا يدري ما فيها ولا يدري ما هي يضرب الله لهذه الأمة أي وأنتم إن لم تعملوا بهذا الكتاب كان مثلكم كمثلهم"[١].

كما ويتنافى الفصل بين العلم والعمل مع فعل الأنبياء عليهم السلام الذين هم أكثر الناس فهماً لأوامر الله عز وجل وتطبيقاً لها، ومع فعل الصالحين من بعدهم، ودل على ذلك ثناء الله وذكره للأنبياء عليهم بالسلام، قال الله تعالى:) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ((سبأ: ١٠-١١)، وأخبر سبحانه عن داود عليه السلام بقوله جل شأنه:)وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ((الأنبياء:٨٠)، يقول الإمام القرطبي رحمه الله: "هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب...وقد أخبر الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام أنه كان يصنع الدروع والخوص، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدمُ حَرّاثًا، ونوحُ نجارًا، ولقمان خياطًا، وطالوت دباغًا، وقيل: سقّاء، فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس" [٢]، ويقول عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-" لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وإنما يرزق الله الناس بعضهم بعضا"[٣].

والمستقرىء لآيات القرآن الكريم يتضح له أن التصور القرآني يمتلك مفهوماً يقابل مفهوم الفصل بين العلم والعمل، يظهر جلياً في قول الله تعالى:)يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ((البقرة: ٢٦٩)، وهذا المنهج هو منهج الحكمة القرآني، والحكمة في لغة العرب:- إتقان الأمور، ويقال لِمَنْ يُحْسِنُ دقائق الصِّناعات ويُتقنها حَكيم، والحِكْمَةُ من العلم، والحَكِيمُ العالم[٤]، وفي تفسير الجلالين للسيوطي (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ): أي العلم النافع المؤدّي إلى العمل[٥]، وفسر صاحب

(١) ابو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،٢٤٨/٨.
(٢) القرطبي، الجامع لاحكام القرآن،٣٢٠/١١.
(٣) الاستانبولي، عظمة الإسلام، ص١٣٤.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ١٤٠
(٥) السيوطي، جلال الدين، تفسير الجلالين، ٦٠/١.

المنـار الحكمة في الآية الكريمة السابقة: "بأنها العلم الصحيح يكون صفة محكمة في النفس حاكمـة علـى الإرادة توجّهها إلى العمل، ومتى كان العمل صـادراً عن العلم الصحيح كان هو العمـل الصالح النافع المـؤدّي إلى السعادة، وكم من محصّل لصور كثير من المعلومات خازن لهـا في دماغـه ليعرضها في أوقـات معلومة لا تفيده هذه الصور التـي تسمّى علماً في التمييز بين الحقائق والأوهام، ولا في التزييل بين الوسوسة والإلهام، لأنها لم تتمكّن في النفس تمكّناً يجعـل لها سلطانـاً على الإرادة وإنّما هي تصوّرات وخيالات تغيـب عند العمل"[1]، وقال ابن عاشور: الحكمة: "هي المعرفة المحكمة أي الصائبة المجردة عن الخطأ فلا تطلق الحكمة إلا على المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وفي تهذيبهم، وهي اسـمٌ جامعٌ لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حـال الناس واعتقادهم إصلاحاً مستمراً لا يتغـير"[2]، ويشير السّعدي إلى أن: "كمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية والعملية فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمـل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسـه وفي غـيره"[3]، وفيما سبق إشارة واضحة الدلالة علـى أن مفهوم منهج الحكمة في التصـور القـرآني: هو الملازمة بين العلـم النافع والعمل الصالح المتقـن الذي يحقق ازدهار الحياة الإنسانية، والنجاة والسعادة في الدارين، ومن آتاه الله عز وجل الحكمة فقد آتاه خيراً كثيراً، وأي خير أعظم من خير فيه النجاة والسعادة الدنيوية والأخروية.

ويقوم منهج الحكمة القرآني على عدة مبادئ، يمكن إجمالها في الآتي:

- أن قضية التوحيد لا تقوم بمجرد علم الإنسان وتصديقه بوحدانية الله جل وعلا والايمان به من غير عمل، بل يشترط لاكتمال هذا العلم الإيماني ما يصدقه من العمل، فالإيمان الصادق هـو ما وقـر في القلب ونطق به اللسان، وصدقـه العمل، فلا إيمان بلا عمـل صالح، ولا عمل إلا بإيمان صادق، وعليه يكون أساس الحساب والجزاء في الحياة الدنيوية والأخروية.
- أن الربانيـة هي الثمرة المباركة لمنهج لحكمة، في قوله تعالى:)وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا

(١) رضا، محمد رشيد، المنار، ٣/ ٦٤.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ٢٤١٥.
(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ١/ ١١٥.

كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ((آل عمران:٧٩) ، يقول صاحب المنار: "إنّ الإنسان يكـون ربّانياً بعلم الكتاب ودرسه وبتعليمه للناس ونشره ومن المقرّر أنّ التقرّب إلى الله تعالى لا يكـون إلا بالعمـل بالعلـم، والعلم الذي لا يبعـث إلى العمل لا يعدّ علمـاً صحيحاً. لأنّ العلم الصحيـح ما كان صفة للعالم وملكة راسخة في نفسه وإنّمـا الأعمال آثار الصفات والملكات، والمعلّـم يعبّر عمّا رسخ في نفسه، ومـن لم يحصل من علم الكتاب إلاّ صوراً وتخيّلات تلوح في الذهن ولا تستقرّ في النفس لا يمكنه أن يكون معلّماً له يفيض العلم على غيره"[1].

- أن اتبـاع منهج الحكمـة من عوامل ثبات العلم ورسوخه وقوته، وهو الطريق المستقيم الـذي يفتح الله به علـى صاحبه ويزيده علماً ومعرفة، يقول الله سبحانـه وتعالى:)وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً وَإِذاً لآتَيْنَهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْراً عَظِيماً وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً((النساء:٦٦) ، يقول صاحب المنـار "التثبيت: التقوية بجعل الشيء ثابتاً راسخـاً، وإنمـا كان العمـل وإتيان الأمور الموعوظ بهـا في الدين يزيد العامل قـوة وثباتاً لأن الأعمـال هـي التي يكون بها العلم الإجمـالي المبهم تفصيلياً جلياً، وهـي التي تطبع الأخلاق والملكات في نفس العامل، وتبدد المخاوف والأوهام من نفسه.. وَمَنْ آمَنَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ لَا يَكُونُ عِلْمُهُ بِمَنَافِعِهِ وَفَوَائِدِهِ لَهُ وَلِلْأُمَّةِ وَالْمِلَّةِ إِلاَّ نَاقِصًا"[2]، إن العمل المتقن من أهم مقومات ثبات العلم، لأن الإنسان إن لم يعمل بعلمه ينساه، والعلم يتفلت من الإنسان ويتركه، فلا يقدر عليـه بعدها إلا بمشقة، ولكـن إن عمل الإنسان بما علم كان هذا أدعى إلى ثبات العلم عنده، وزيـادة خبرته ومعرفتـه، وجعله أقدر على تطوير نفسه، وهي قاعدة تنطبق على أنواع العلوم جميعها بشتى اصنافها وفروعها، الدنيوي منها والأخروي.

- أن اتباع منهج الحكمة القرآني هو مسؤولية دينية واجتماعية، فهو مسؤولية دينية لأن الله عـز وجل فرض العمل المقـترن بالعلم على الإنسان فرضاً، وجعل واجب القيام بالخلافة وعمـارة الكون، مما سيسأل عنه الإنسان يوم القيامة وسيحاسب عليه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْـتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهـم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ،

(١) رضا، محمد رشيد، المنار، ٣/ ٢٨٦.

(٢) رضا، محمد رشيد، المنار، ٥/ ١٩٦.

قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ"[1].

كما أن اتباع منهج الحكمة مسؤولية اجتماعية؛ لأن الإنسان بالعمل يهيئ لنفسه أسباب العيش الكريم، ويعف نفسه عن سؤال الآخرين، ويحقق عزته وكرامته، ويهيء لأمته أسباب الحضارة والرقي، وهناك آيات كريمة ورد فيها الحثّ على وجوب العمل بصيغة الطلب، ومن ذلك قوله تعالى (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ) (الأنعام: ١٣٥). وقوله تعالى:اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (سورة فصلت: الآية ٤٠)، وقوله تعالى: (وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورسوله والمؤمنون) (التوبة: ١٠٥)، فجعل دائرة مسؤولية الإنسان تتسع، لتشمل مسؤوليتة عن علمه وما عمل به ليس أمام الله ورسوله، بل وأمام المجتمع كله.

- أن منهج الحكمة القرآني دعوة للحث على فتَحَ أبوابَ العمل الصالح على مصراعيها، والدليل على ذلك الأمرُ الألهي بالانتشار في الأرض بعد الصلاة طلبا للرزق، فلم تكن الصلاة وهي أعظم مظاهر العبادة سببا يقف عائقاً أمام سعي الإنسان للعمل والكسب، فقال الله تعالى:)فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ((الجمعة: ١٠)، كما خفف الله سبحانه وتعالى على عباده قيام الليل نظراً لانشغالهم بالعمل في النهار حتى لا يرهقهم التعبد في الليل، والدليل قوله تعالى:)عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ((المزمل:٢٠)،

(١) رواه مسلم،١٥١٣/٣.

- أن منهج الحكمة القرآني يعتبر الفصل بين العلم والعمل مظهراً من مظاهر التعطل للقيام بواجب الخلافة في الأرض وإعمار الكون، فتعطيل الإنسان لما يتحصل لديه من العلم والمعرفة وعدم الانتفاع به بالعمل، أمراً يتنافى مع أوامر الله عزوجل ومع الغاية التي خلق الله عز وجل الإنسان لأجلها.

وفي ضوء ما سبق يتبيّن من خلال التصور القرآني للفصل بين العلم والعمل، عظيم المسؤولية الملقاة على كاهل الإنسان في اتباع منهج الحكمة، حتى لا تتخلّف الأمّة عن مسايرة ركب الحضارة ولتكون في مصافّ الأمم المتطورة التي تركّز العلم لديها على قواعد العمل المفضي إلى ازدهار الحياة الإنسانية.

المبحث الثاني

الفصل بين العلم والعمل وعلاجه في ضوء المنهج التربوي القرآني، من خلال قصة موسى عليه السلام مع الخضر (نموذجًا).

في ضوء ما سبق فإن المستقرئ لكتاب الله العزيز يجد أن التصور القرآني قد أرسى دعائم ثابتة لمنهج الحكمة لمواجهة ما تعانيه الأمة من جراء الفصل بين العلم والعمل، وكتطبيق عملي لمنهج الحكمة سيتم تناول قصة تعد من أحسن قصص القرآن الكريم؛ لما فيها من الدروس العبر والعظات والتوجيهات، والتي يمكن من خلالها استنباط سبل علاج مشكلة الفصل بين العلم والعمل كإحدى أهم مشكلات الحياة المعاصرة، وهي قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر الواردة في سورة الكهف.

وتحمل هذه القصة في ثناياها تفصيلاً لمنهج الحكمة كمنهج تربوي متكامل، فيه توجيه لكل من العالم والمتعلم، ففي القصة مثال للعالم وهو الخضر (بليا بن ملكان)، وهو ليس نبياً بل عبداً صالحاً، لأن الله عز وجل وصفه بالعبودية، وذكر منَّة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبياً، لذكر، وهو الذي عليه الجمهور[1]، وقد سمي الخضر خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء ، وقد ورد ذلك في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ « إِنمَّا سُمِّىَ الْخَضِرُ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فَإِذَا هِىَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ » [2]، وأخرج ابن عساكر وجماعة عن مجاهد أنه لقب بذلك لأنه إذا صلى اخضر ما حوله[3]، وفيها مثال للمتعلم وهو سيدنا موسى عليه السلام، نبي بني اسرائيل ومن أولي العزم من الرسل.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي

(١) القمودي، سالم، من أجل نظرية إسلامية معاصرة، ص١٥١.
(٢) رواه البخاري/ ٣٢٢١.
(٣) الألوسي، روح المعاني، ١٥/ ٤٣٣.

الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)).

إن المستقرئ للآيات الكريمة السابقة من سورة الكهف والمتعلقة بقصة موسى عليه السلام مع الخضر يلحظ أن المنهج التربوي القرآني يقوم فيها على عدة مبادئ تربوية يستنبط من خلالها منهج الحكمة في علاج ظاهرة الفصل بين العلم والعمل، والتي سيم تناولها من خلال خمسة مطالب، سيتحدث المطلب الأول فيها عن التعلق بالغاية الوجودية للحياة الإنسانية، والمطلب الثاني عن المسؤولية الأخلاقية(التزكية والتهذيب)، والمطلب الثالث عن أهمية التدريب والتأهيل المستمر والاستعانة بأصحاب الخبرة والكفاءة، والمطلب

الرابـع عن الانفتاح المنضبط والاطـلاع على إنتاج الآخر، والمطلـب الخامس عن استشراف المستقبل.

المطلب الأول: التعلق بالغاية الوجودية للحياة الإنسانية:

إن التعلق بالغاية الوجودية للحياة الإنسانية من أهم القواعد التي يقوم عليها منهج الحكمـة القرآني، لأنه أحد أهم الأسبـاب الموجبة لاقتضاء العلم العمل، وللتشريف والتكريم مـن عند الله عز وجل، ويظهر ذلك في قول الله تعالى عند وصفه للخضر:)فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) (، إن وصف الله عز وجل للخضر بصفـة العبودية فيه مـن التشريف والاختصاص والتكريم له ما فيه، ذلك أن إدراك الخضر لغايـة وجـوده، اقتضى منـه تسخير ما آتاه الله عز وجـل من العلم في العمـل لتحقيق المعنى الكامل للعبودية، مما جعل الخضر يبلغ هذه المنزلة الرفيعة عند الله عز وجل[1].

ويؤكـد منهج الحكمة القـرآني على أهمية ربط الإنسان بغايتة الوجودية في الحياة، لمـا له من تأثـير واضح علـى أداء الإنسان لعمله علـى أساس من الانضبـاط والأداء المتقن، فوضوح الهدف والغاية عند الإنسان يزيد من صبر الإنسان وقدرته على الاستفادة من علمه وعلـى جنـي ثمرته وزيـادة قدرته على مواجهـة التحديات، ويظهر ذلـك في قوله تعالى على لسـان الخضر عندما أخبر موسى عليه السلام بأنـه لن يستطيع الصبر معه، لعدم معرفته بالهـدف والغايـة المقصودة من العمل:) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَـى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْـدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَـنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْـبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) (، يقـول السعـدي: " إن السبب الكبير لحصول الصـبر، إحاطة الإنسان علماً وخبرة بذلـك الأمـر، الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالـذي لا يدريه، أو لا يدري غايته ولا نتيجته، ولا فائدتـه وثمرته ليس عنده سبب الصبر لقولـه: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً ﴾ فجعل الموجب لعدم صبره، وعدم إحاطته خبراً بالأمر"[2].

(١) الألوسي، روح المعاني، ١٥/٤٣٦.

(٢) السعدي، تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١/ ٤٨١.

ويقول الخطيب البغدادي: "إنِّي مُوصيكَ يَا طَالبَ الْعِلْم بِإِخْلَاص النِّيَّة فِي طَلَبِه، وَإِجْهَاد النَّفْس عَلَى الْعَمَل بِمُوجَبِه، فَإِنَّ الْعِلْمَ شَجَرَةٌ وَالْعَمَلَ ثَمَرَةٌ، وَلَيْسَ يُعَدُّ عَالِمًا مَنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِه عَامِلا"[1]، فما يحصل عليه الإنسان المدرك لغاية وجوده والمخلص لله في نيته والمتقن لعمله من نتائج، تفوق كثيراً تلك التي يحصل عليها من فقد الإخلاص؛ لأن ما يجده من زيادة الإيمان والخشية لله عز وجل، يفوق كثيراً المتع المادية التي يحصلها من فقد الإخلاص في عمله، ويصدق فيه قول الله تعالى:)إنما يخشى الله من عباده العلماء((فاطر: ٢٨)، فارتباط الإنسان بغايته الوجودية يوجب اقتضاء العلم للعمل، ويرفع مكانة الإنسان عند الله عز وجل إلى مقام العبادة والعابدين، حيث تغفر الذنوب وتكفر السيئات، ويحيى الإنسان حياة طيبة في الدنيا، ويدخل الجنة في الآخرة، قال الله تعالى:)مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ((النحل:٩٧).

ومن ثمرات إدراك الإنسان لغاية وجوده، أن يضل دائما محباً للعلم النافع وهو العلم المرشد إلى العمل الصالح، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك؛ فإنه من العلم النافع، الذي يفضي إلى العمل الصالح وما سوى ذلك؛ فإما أن يكون ضاراً، أو ليس فيه فائدة، ويظهر ذلك في قول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام عندما سأل الخضر أن يعلمه علما نافعاً: (أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا)، كما ويدل إصرار الخضر على إقامة الجدار لليتيمين ابتغاء لمرضاة الله عز وجل، ومن دون مقابل، على أن العلم النافع الذي يخلص فيه الإنسان النية لله عز وجل، يرشد إلى حب الخير و إلى العمل لنفع الآخرين.

إن الفصل بين العلم والعمل يعطل الغاية الوجودية لخلق الإنسان ومهمته في استخلاف الأرض وإعمارها، ودليل ذلك قوله سبحانه وتعالى:)"ثم جعلكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون((يونس: ١٤) ، وذلك أن مقصود الخلافة "أن ينشئ الإنسان بإذن الله أشياء وأوضاعاً وأحداثاً على وجه الأرض، وأن ينتج ويعمل ويطور الموجود ليبدع منه

(١) البغدادي، الخطيب، اقتضاء العلم العمل، ص١٤.

أشكالاً جديدة على الدوام"[١]، ومقصود "الاستخلاف: تكليف الله سبحانه وتعالى الإنسان من باب التكريم بتولي إجراء أحكام الله في شؤون الحياة وإعمارها بالحق والعدل"[٢]، والمقصود من عمارة الأرض: " بث الحياة في ميادين الكون بإصلاح شأنه وتسخير ما فيه لما يخدم الإنسان ويحقق رفاهيته وسعادته"[٣].

ومع خطورة هذه القضية وحتمية مقتضياتها فإنها لم تأخذ ما تستحقه من الاهتمام في السياسات التعليمية، وتقتضي الحاجة إلى إعادة النظر في الأهداف التعليمية لإبراز أهمية ارتباط الإنسان بغايته الوجودية، والتي يكمن فيها الحل الجذري لجميع مشكلات الحياة المعاصرة، ومنها الفصل بين العلم والعمل .

المطلب الثاني: المسؤولية الأخلاقية (التزكية والتهذيب):

يقوم منهج الحكمة القرآني على مبدأ المسؤولية الأخلاقية كأساس للبناء والإعداد، لأن الأخلاق هي المؤشِّر على استمرار أمَّة ما أو انهيارها، يقول الله تعالى:)إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ((النحل: ٩٠)، ويقول تعالى:) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ((الإسراء: ١٦)، "فالعمل الصالح المدعم بالتواصي بالحقِّ، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والتحديات من شأنه أن يبني مجتمعًا محصنًا لا تنال منه عوامل التردي والانحطاط، وليس ابتلاء الأمم والحضارات كامنًا في ضعف إمكاناتها المادية أو منجزاتها العلميَّة، إنما في قيمتها الخلقية التي تسودها وتتحلى بها"[٤].

ولمواجهة الفصل بين العلم الأخلاقي والتربية العملية الأخلاقية لا بد أن يكون "تعليم الأخلاق لا يعني مجرد توصيل المعلومات الأخلاقية إلى الأذهان فقط، بل يعني الإشعار بالمسؤولية الأخلاقية، وبتطهير النفوس وتزكيتها من الرذائل والشرور وتحليتها

(١) قطب، محمد، التطور والثبات في حياة البشرية، ص٨٠.
(٢) الفاعوري، داوود، غاية الإنسان في الحياة كما يصورها الإسلام، ص٢٥٠.
(٣) الدغامين، زياد، إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي، ص٢٣-٦٣.
(٤) المرسي، حسن سعيد، الاخلاق الاسلامية، ص٢٥.

بالفضائـل ومكارم الأخـلاق"[1]، لقوله تعالى:) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَـا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ((الشمس:١٠)، والعمل الصالح الذي يبني الأمة ويحفظ كيانها، لا بد أن يكون ثمرة لعلم مبني على أسس اعتقادية (فكرية) وأخلاقية صحيحة، فوجود منظومة من القيم الأخلاقية تقوم علـى قاعدة عقدية إيمانية يسهم في تحصين الأمة، لأن التلازم بين العلم الأخلاقي والتربية العملية الأخلاقية يوجد في النفس هيئة راسخة تصدُرُ عنها الأفعالُ الصالحة بسهولةٍ ويُسرٍ، وتكون لديها حصانة ضد الإصابة بالأمراض الأخلاقية والتأثر بالبيئة الفاسدة.

ومـن أبرز القيم التربوية القرآنية التـي يجب التحلي بها، والتي تسهم في علاج الفصل بـين العلم والعمـل المستنبطة من قصة موسى عليـه السلام مع الخضـر، أولاً: قيم الرحمة والتسامـح، ثانياً: قيم الصبر، ثالثاً: قيم التـأدب في الخطاب بين العالم والمتعلم، رابعاً: قيم الطاعـة والانضبـاط، خامساً: قيم أداء الحقوق، سادساً: قيم الجـد والاجتهاد، سابعاً: قيم التواضع.

أن من أكثر ما يحتاج إليه الموقف التعليمي وجود جو من الرحمة والتسامح ما بين العالم والمتعلـم لتحقـق غاية العلم وجني ثمرته من العمل، ولقـد وصف الله عز وجل العبد الصالح الخضـر بصفة العلم المقـترن بالرحمة مما جعله مناسبا للقيام بمهمـة تعليم سيدنا موسى عليـه السـلام، ونجد في قول الله تعـالى :)فَوَجَدَا عَبْدًا مِـنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَـةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَـاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا(، وجود المفردات الثلاث: العبـادة، والرحمة، والعلم، مقترنة معاً في الآيـة الكريمة نفسها، مما يدعـو لتأمل وجودها مجتمعة ومرتبة بمثـل هذا النسق العجيب، فترتيـب ورودهـا بهذا الشكل دل على أن اعتناء الإنسـان بغاية وجوده وتحقيقها في إطار من القيـم الأخلاقية هـو الطريق المفضي إلى تحقيـق النفع من العِلْم وفهم كيفيـة الوصول إلى ثمرته.

والتحلـي بقيـم الرحمة والتسامح تكون للعـالم والمتعلم على حد سـواء، فبرحمة العالم وتسامحـه يكون قـدوة للمتعلم، ويوجد بيئة تعليمية صحية منتجـة ومثمرة، تساعد في تحقق

(١) يالجن، المقداد، علم الاخلاق الإسلامية، ص٦

أثـر التعلم واقتضاء العلم للعمل، والرحمة تجعـل الإنسان يغنم في حياته بالسعادة في الدنيا والآخرة؛ لأنه بخلقه هذا" يتكيَّف مع كافة الأوضاع مهما كانت غير ملائمة لما يحب، ويستقبل المقادير بالرضى والتسليم، ويظفر بمحبة النَّاس له، وثقة النَّاس؛ لأنَّ النَّاس يحبون المتسامح الهيِّن الليِّن، فيميلون إلى التعامل معه، فيكثر عليه الخير بكثرة محبيه والواثقين به[1].

و تظهـر أهمية التحلي بقيم الصبر في الموقف التعليمـي وأثره في تحصيل العلم وتحقق منفعتـه، في قول الله تعالى على لسان موسى عليه السـلام مخاطباً الخضر:)قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) (، يقول السعدي: "أن من ليس له قوة الصبر علـى صحبة العـالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوتـه بحسب عدم صبره كثير من العلـم، فمـن لا صبر له لا يـدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمـه، أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر -يعتذر من موسى بذكر المانع لموسى في الأخذ عنه- إنه لا يصبر معه"[2].

فـلا بد أن يتحلى كل من العالم والمتعلم بخلق الصـبر، فمن حق المعلم أن يعاتب المتعلم حـين يخطئ، كقـول الخضر لسيدنا موسى عندمـا سأله وأخل بالشرط: (قَـالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لن تستطيـعَ معيَ صبراً). وعلى المتعلم التحلي بالصبر والأدب وتقديم عذره إن وجد، كقوله تعـالى على لسـان سيدنا موسى عليه السلام:)قَـالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيـتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً(.

ومن أسباب حصول التعلم وإتقان العمل والصبر على أداءه، أن يقبل الإنسان على تعلم مـا يطيقـه ويوافق وسعه وقدرته التي حباه الله إياها، وحتـى لا يُدخل الإنسان فيما لا يطيقه من العلم وبالتالي يعجز عن العمل وفي قول الله تعالى على لسان الخضر لموسى عليه السلام إشـارة إلى ذلك:) قَالَ لَهُ مُوسَى هَـلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (.

(١) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الاخلاق الاسلامية، ٤٤٣/٢.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٤٨١/١.

وفي قصة موسى عليه السلام مع الخضر دلالة على أهمية التحلي بقيم الأدب الجم في الخطاب ما بين العالم والمتعلم، بما يحفظ مكانة المعلم وهيبته، واحترام شخصية المتعلم وتقدير مكانته، وهو أجدى في تحصيل العلم وتحقق ثمرته عند المتعلم، ومن أمثلة أدب المتعلم ما يظهر في قوله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام:)قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (، ففيه إشارة إلى الأدب الجم الذي يجب أن يتحلى به طالب العلم في أسلوب خطابه مع معلمه وطلبه منه برفق ولين وتذلل أن يعلمه رشدا، وكذلك اعتذاره بأدب وتقديم عذر النسيان في قوله) قال لا تؤاخذني بما نسيت(، ومن أمثلة أدب العالم التي يكون فيها قدوة للمتعلم، قول الخضر لموسى عليه السلام وهو يحدثه عن أمر السفينة: (فأردت أن أعيبها) ، حيث نسب العيب إلى نفسه، بينما نسب الخير إلى الله تعالى في أمر الجدار والكنز الذي تحته: "فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما"، وكذلك في قول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام عندما نسب النسيان إلى الشيطان:)قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) ("[1]، إن الحط من مكانة العلماء والتقليل من شأنهم، والتغاضي عن حقوقهم، وعدم تحلي المتعلم بآداب التخاطب والتعامل مع العالم والمربي، قضية يجب ان تنال حظها من الاهتمام في ضوء ما يتعرض له المعلمين من انتقاص من مكانتهم، واعتداء عليهم، وهضم حقوقهم، بما ينعكس سلباً على كفاءة العملية التعليمية، ويؤثر على مخرجاتها بشكل مباشر، وبالتالي ضياع هيبة العلم والعلماء وعدم جني ثمرته من العمل الذي يحقق للأمة ازدهارها.

كما أن التحلي بقيم الطاعة والانضباط، ووضع القواعد والقوانين ومعرفتها من كلا الطرفين، والالتزام بها، من أساسيات العلم المرتبط بالعمل الناجح، ويظهر هذا جلياً وواضحا في الاتفاق الذي عقد بين موسى عليه السلام والخضر، في قوله تعالى :)قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) (، و العلم إذا لم يكن مرتبطاً بعمل يصدقه، فإنه لا فائدة منه ولا نفع، ومجرد العزم على فعل الشيء، ليس في مرتبة الفعل

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٤/١٦.

نفسه، فعلم سيدنا موسى عليه السلام واتفاقه مع الخضر على السمع والطاعة والتحلي بالصبر اقتضى العمل، إلا أن عدم التزام سيدنا موسى عليه السلام وفقده لصبره وسؤاله المتكرر للخضر، وإنكاره لما رآه مخالف لشرع الله-في حدود علمه- جعل الخضر يحجم عن تعليمه ومصاحبته، و)قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا(، وهنا لا بد من التأكيد على خطورة الفصل بين العلم والعمل، فحصول المتعلم على العلم النظري المجرد، من غير تطبيق عملي، ليس مؤشرا على قدرته على تطبيق ما تعلمه، وإنما اجتياز مرحلة الإعداد الأولى، وإن لم يتمكن من اجتياز المرحلة التطبيقية فإن انجاز المرحلة الأولى يعتبر لاغياً، يقول ابن القيم: " لِلْإِنْسَان قوتان قُوَّة علمية نظرية وَقُوَّة عملية إرادية وسعادته التَّامَّة مَوْقُوفَة على استكمال قوتيه العلمية الارادية واستكمال الْقُوَّة العملية"[1].

إن مفهوم أداء الحقوق جزء من منهج الحكمة التي حث عليها المنهج التربوي القرآني، وذلك أن هضم الناس حقوقهم من أسباب الفساد في الأرض، ودليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى:)وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ((هود:٨٥) ، وأداء الأجر للعامل هو "عصب الدراسات والأبحاث التي تناقش عنصر العمل سواء أكان في المذاهب الاقتصادية الوضعية أم في الأديان السماوية"[2]، وأخذ الأجر مقابل العمل من الأمور المتعارف عليها حتى عند الأمم السابقة، وهذا ما ذكره سيدنا موسى عليه السلام عندما رأى إتقان الخضر لعمله في بناء الجدار واستحقاقه للأجر على ذلك، فقال:) لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (، إن من غايات العلم المرتبط بالعمل، استحقاق الأجر لكسب العيش وإعفاف النفس عن السؤال، وكلما زاد علم الإنسان بعمله زاد إتقانه، وكلما زاد اتقانه زاد الأجر وارتفع، وارتفع معه شأن الإنسان وعلا ، وإن مما يتوافق مع منهج الحكمة القرآني، الإعداد المسبق للأفراد وتوعيتهم بحقوقهم وواجباتهم، وبقوانين العمل وشروطه، لأن ذلك يتضمن تحقيق العدل بمفهومه الشامل للجميع، لقوله تعالى:)

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزي، الفوائد، ص١٨.

(٢) العوضي، رفعت، الإسلام والنظام الاقتصادي الجديد، ندوة بعنوان" اقتصاديات العمل والأجر في الإسلام، منظمة المؤتمر الإسلامي، الأمانة العامة، جدة، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص٤١.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ((النساء:٨٥).

وفي ضوء ما سبق فإنه لا بد تراعي السياسات التعليمية عند إعداد المناهج الدراسية، الاتجاهات الإيجابية التي تحث على العمل، وعلى طرح المفاهيم والتشريعات المتعلقة بالعمل في المناهج وتطويرها بشكل مستمر، والتعريف بحقوق وواجبات العامل ، كجزء من العلم النظري المفضي إلى التطبيق العملي الفاعل والناجح.

أن اقتضاء العلم العمل يستوجب الهمة العالية والجهد والعزيمه، بعيدا عن الكسل والتعطل، ويخبر الله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام، وشدة رغبته في الخير والجد والاجتهاد وعلو الهمة، أنه قال لفتاه أي: خادمه الذي يلازمه في حضره وسفره-:)لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ لْبَحْرَيْنِ(أي: لا أزال مسافراً وإن طالت عليَّ الشقة، ولحقتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، " أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً " أي: "مسافة طويلة [1].

وفي ذلك يقول – ابن القيم رحمه الله-:" فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها، وأفضلها، وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات، وتقعُ عليها كما يقع الذبابُ على الأقذار؛ فالنفوس العليَّة لا ترضى بالظُّلم، ولا بالفواحش، ولا بالسرقة ولا بالخيانة؛ لأنها أكبرُ من ذلك وأجلُّ، والنفوس المَهِينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك"[2].

إن تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه من القواعد الأخلاقية المتضمنة في المنهج التربوي القرآني، فموسى –عليه السلام- أفضل من الخضر، إلا إن الخضر كان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى عليه السلام، "وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصاً في العلوم الإيمانية والأصولية، وهو من أولي العزم من المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق بالعلم والعمل، وكان الخضر قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت، حتى على

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٤٨١/١.
(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزي، الفوائد، ص٢١١.

موسى عليه السلام"[1]، فبالتواضع يحصل العلم والعمل به، وبالكبر والتكبر يحرم الإنسان نفسه من العلم والتعلم.

المطلب الثالث: التدريب والتأهيل المستمر والاستعانة بأصحاب الخبرة والكفاءة.

إن الحرص على استمرارية التعلم محمدة مهما بلغ علم الإنسان وخبرته، وهذا هو نهج الأنبياء ومن تبعهم من الصالحين والعلماء، فالعلم ميراث النبوة لا حدود له، لا ينضب ولا يتوقف، يبقى في تجدد دائم ما دامت الحياة، وهذا ما يعرف في التربية الحديثة بمبدأ التعلم مدى الحياة، فهذا نبي الله موسى عليه السلام يذهب للخضر ليتعلم الحكمة ، وهو نبي الله وقد آتاه الله عز وجل من العلم والحكمة ما آتاه، فالإنسان مهما بلغ من المكانة العلمية يبقى بحاجة دائمة الى مزيد من الخبرات والتدريب لتطوير معرفته وقدراته ومهاراته، في ظل حياة دائمة التجدد والتغيير.

إن التدريب المستمر يعتبر من أهم مقومات ومستلزمات التطوير، وخلق جيل من الكفاءات القادرة على مواكبة المتغيرات، واكتساب المهارة العملية إلى جانب مهارة المعرفة العلمية والتعرض للخبرات الجديدة بشكل مستمر، وهو أمر ضروري لكل من العالم والمتعلم على حد سواء.

وحتى لا يُدخل الإنسان فيما لا يطيقه من العلم وبالتالي يعجز عن العمل وعن تطوير قدراته ومهاراته وعن الاستفادة من البرامج التدريبية والتأهيلية، فإنه لا بد من مراعاة احتياجات ورغباته وميوله، وتوجيهه لما يناسبه من التخصصات العلمية؛ لأن ذلك يعينه على اطلاق قدراته الابداعية ومواجهة الصعوبات العلمية والعملية المرتبطة بهذا العلم والصبر عليها، ويشير إلى ذلك قوله تعالى على لسان الخضر في توجيهه لسيدنا موسى عليه السلام وبيان حال العلم الذي سيقبل على تعلمه:) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً(، وقوله:)وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً(.

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٤٨١/١.

أن معظم المشكلات الناتجة عن الفصل بين العلم والعمل في الأنظمة التعليمية، في أغلبها لا تكون مرتبطة بعدم توفر فرص العمل للخريجين بقدر ما تكون فرص العمل المتوفرة لا تتناسب ومؤهلات ومهارات وقدرات طالبي العمل، وعليه فإن السياسات التعليمية في المجتمعات الإسلامية لا بد أن تتوجه نحو استمرارية التعليم، والتأكيد على أهمية التوازن بين العلم النظري والتطبيق العملي في جميع المراحل الدراسية، ومراجعة برامجها وإستراتيجياتها لتكون مخططة ومنظمة تهدف إلى تطوير معارف وخبرات واتجاهات أفراد يتحلون بمعرفة عملية، قبل أن يشرعوا بتطبيق المعرفة التي اكتسبوها على أرض الواقع، والتوسع في برامجها التدريبية مع الأخذ برأي المؤسسات المهنية عند وضع برامج التدريب المهني في المناهج المدرسية، لتكون منظومة التعليم والتدريب أكثر إرتباطا بحاجات سوق العمل سريعة التغير.

إن منهج الحكمة القرآني يؤكد على ان امتلاك الكفاءة والخبرة في مجال التخصص لا تتحقق إلا من خلال التدريب المستمر والإعداد الجيد، من قبل أصحاب الخبرة والكفاءة، واختيار الله عز وجل الخضر وهو العبد الصالح لتعليم سيدنا موسى عليه السلام، وهو رجل ميزه الله عز وجل بما آتاه من الحكمة والرحمة والعلم اللدني، لقوله تعالى:)وعلمناه من لدنا علماً(، يقول الألوسي: أي علماً لا يقادر قدره، وهو علم الغيوب وأسرار العلوم الخفية[1]، مما أعطاه صفة الكفاءة والخبرة وجعله مؤهلاً لتعليم سيدنا موسى عليه السلام، فالاستعانة بأصحاب الخبرة والكفاءة، حتى لو كان على غير شريعتنا، من أهم العوامل التي تسهم في رفع كفاءة الأفراد وإعدادهم الإعداد الجيد؛ لجني ثمرة علمهم بعمل ينفع مجتمعهم.

وعليه فإنه لا بد من اعتماد سياسات تعليمية متطورة تحرص على عقد دورات لإعداد وتأهيل المعلمين والمتعلمين بشكل مستمر، والاستعانة بأصحاب التخصص والخبرة والكفاءة، لمواجهة ظاهرة مد المؤسسات التعليمية لسوق العمل بالقوة العاملة التي تنقصها الكفاءة والخبرة وخاصة من حملة الشهادات العلمية.

(١) الألوسي، محمد بن عبد الله، روح المعاني، ٤٦١/١٥.

المطلب الرابع: الانفتاح المنضبط والاطلاع على إنتاج الآخر.

إن الانفتاح على الآخرين والرحلة في طلب ما عندهم من العلم، وبخاصة العلم الذي لا يوجد مثيله إلا في بلاد معينة، من سنة الانبياء والصالحين من طلبة العلم، وحرص سيدنا موسى عليه السلام على الانفتاح والاطلاع على ما عند الخضر من علم، وترك تعليم بني اسرائيل، وتحمل مشاق السفر عبر البحر حتى لو أمضى حقبا من الزمن في سبيل حصوله على خبرة وعلم جديد دليل على ذلك.

إن المنهج التربوي القرآني يدعو إلى أن يكون الانفتاح على الآخر منضبطاً بشرع الله، ويدعو إلى التفكير الناقد، والنظر الى المسائل بعين الناقد البصير، وما كان الإنكار المستمر والسؤال المتكرر من سيدنا موسى عليه السلام، عندما كان يخالف عمل الخضر ما عنده من علم، "وكان علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه، وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم"[1] كما في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام:)قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) (، وقوله:) قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) (، وقوله:) قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) (، إلا دليل على أن انفتاح موسى عليه السلام كان انفتاحاً منضبطاً، وفي إطار حدود شرع الله، وهذا هو الضابط المقيد لعملية الانفتاح على الآخر.

"فالانفتاح في لحظته الحالية وما يتسم به من قوة وحتمية وسلمية وانسانية لهو قادر على أن يضعنا على خط المواجهة المباشرة مع مختلف ألوان الآخر الذي يشاركنا الحياة فوق ظهر هذا الكوكب"[2]، ومنهج الحكمة القرآني الذي يهدف إلى اقتضاء العلم العمل، والاهتمام بالحاجات العامة للأمة، يدعو إلى الانفتاح المنضبط على علوم الآخرين وخبراتهم، والاطلاع على كافة المستجدات العلمية والعملية، لمواجهة مشكلات الحياة المعاصرة ومواكبة مستجدات العصر.

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٣/ ٥٢٩.
(٢) عبد الآخر، ابو الوفا، الموقف الإسلامي من العولمة، ص٢٥٠.

المطلب الخامس: استشراف المستقبل.

إن القـدرة على تحليل الماضي والحاضر ومقارنتـه لمعرفة المستقبل وقابلية تحسينه، مصطلـح يطلق على استشراف المستقبل في لغة العصـر، وفي التفسير المستقبلي الذي قدمه الخضر لسيدنا موسى عليه السلام لما فعله من خرق للسفينة، وقتل الغلام، وإصلاح الجدار، مـا يحمل في طياته إشـارة إلى أهمية استحضـار المستقبل والتفكير فيـه، وضرورة امتلاك الرؤية المستقبلية التي تسهم في تمكين الأمة وزيادة قدرتها على مواكبة التطورات التكنولوجية الحديثة، وذلك بهدف تطويـر قدرات أفراد الأمة، واستحداث فرص عمل جديدة مستقبلية تسهم في حل مشكلتي البطالة والفقر.

ويتوافـق استشـراف المستقبل مـع التصور الإسلامي الذي يقوم على أساس إعداد الإنسـان لحيـاة مستقبليـة متمثلة باليوم الآخـر، فالمسلم يبقى في سكناتـه وحركاته وجميع تفصيـلات حياته يرتبط تفكيره وعمله باليوم الآخر، قال الله تبارك وتعـالى:)وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَـيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُـونَ((التوبـة: ١٠٥)، فترتب الجزاء الأخـروي للإنسان على ماعمـل فيما علم، وجعل أعمالـه مناط الجـزاء والمحاسبـة في الأخرة، دلالة واضحـة على أهمية استشعـار الإنسان لرقابـة الله الدائمـة عليه في كل عمل يعمله، وفي كل علـم يعلمه، وعلى وجود صلة دائمة بينه وبين المستقبل.

كما أن ارتباط الإنسان الدائم بالمستقبل والتطلع إليه، واستدعاء مشاهد اليوم الآخر باستمـرار، يتلائم مع ما فطر الله عز وجـل عليه الإنسان من حب الاطلاع ومعرفة المستقبل والاهتمـام بـه، كما أنه يولد لدى الإنسـان دافعية لمضاعفة الجهـد والاستهانة بالتضحيات، ويدفعـه الى العمـل والأخذ بالأسبـاب التي تجعل مـن مستقبل الأيام القادمـة أكثر نجاحا وسعادة.

إن استشراف المستقبل من الشروط المقتضية لتحقيق التلازم والملازمة ما بين العلم والعمل في عالم سريع التبدل والتغير والتطور، فلا بد من امتلاك تصور مستقبلي لما سيكون، والتخطيـط والإعداد له، ومن أدوات استشـراف المستقبل الأسلوب العلمي والمنهج التجريبي

مـن خلال التفكر والتفكير الارتقائـي في الآفاق والأنفس، لمعرفة سنن الله الجارية في الكون، والقواعد والقوانين التي تحكم الحياة الإنسانية؛ للإفادة منها في الحاضر ولتحسين المستقبل وكشف ستره.

ويتسـع مجـال التفكير المستقبلـي والاستبصار في الآفـاق والأنفس ليشمـل بدء الخلق، وارتقـاءً حتـى ينشئ الله النشأة الآخـرة، قال الله تعالى:) قُـلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْـفَ بَـدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِـرَةَ ((العنكبوت:٢٠)، يقول الطبري في التفسير الكبـير :"أي سَافِـروا في الأرض وابحثوا وانظرُوا هل تَجِـدُونَ خَالقاً غيرَ الله، واعتَبروا كيفَ خَلَـقَ اللهُ مَن قبلَكم ثُم أهلَكَهم بعدَ ذلـك"[1]، وفي هذا إشارة واضحة الدلالة على أن المنهج التربـوي القرآني يدعو إلى البحـث والنظر والتفكر والتفكير في الماضي والحاضر، للحصول على أسباب الثبات والقوة لمواجهة المستقبل.

إن استشـراف المستقبل من أهم العلوم الإستراتيجيـة المستقبلية، التي تقوم على أربعة مناهـج: وهـي: المنهج الاستكشافي، والمنهـج الاستهدافي، والمنهج الحدسـي، ومنهج التحليل المستقبلـي[2]، والتـي يجـب إيلاءها جل الاهتمـام والعنايـة في المؤسسـات التعليمية، وذلك لإعـداد جيـل واع بصير خبير يملك فراسة حادة وخيـالا واسعا في معرفة مآلات الأمور ، ولما تشكلـه هذه العلوم من نقطة فارقة بين البقاء والازدهـار والتطور، أو الاندثار والانصهار في بوتقة الآخرين.

(١) الطبري، ،التفسير الكبير، ١٧٧/١٨.

(٢) وللتوسع حول المصطلحات الواردة أعلاه، يرجى مراجعة هذه الدراسة، المديفر، عبد الله، الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية، جامعة طيبة، كلية التربية والعلوم الإنسانية، قسم التربية الإسلامية، غير منشور، المدينة المنورة، ٢٠٠٦.

النتائج

أن مفهوم الفصل بين العلم والعمل، يقابله في التصور القرآني منهج الحكمة: وهو الملازمة بين العلم النافع والعمل الصالح المتقن الذي يحقق ازدهار الحياة الإنسانية، والنجاة والسعادة في الدارين، وذلك في قول الله تعالى:)يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ((البقرة: ٢٦٩).

أن الربانية هي الثمرة المباركة لمنهج لحكمة، في قوله تعالى:)وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ((آل عمران:٧٩).

أن اتباع منهج الحكمة من عوامل ثبات العلم ورسوخه وقوته، وهو الطريق المستقيم الذي يفتح الله به على صاحبه ويزيده علماً ومعرفة، يقول الله سبحانه وتعالى:)وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً وَإِذاً لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْراً عَظِيماً وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً((النساء:٦٦).

أن اتباع منهج الحكمة في التصور القرآني هو مسؤولية دينية واجتماعية، فهو مسؤولية دينية لأن الله عز وجل فرض العمل المقترن بالعلم على الإنسان فرضاً، وجعل واجب القيام بالخلافة وعمارة الكون، مما سيسأل عنه يوم القيامة وسيحاسب عليه، ومسؤولية اجتماعية لأن الإنسان يهيئ لنفسه بالعمل أسباب العيش الكريم، ويعف نفسه عن سؤال الآخرين، ويحقق عزته وكرامته، ويهيء لأمته أسباب الحضارة والرقي.

أن الفصل بين العلم والعمل في التصور القرآني مظهراً من مظاهر التعطل، فتعطيل الإنسان لما يتحصل لديه من العلم والمعرفة وعدم الانتفاع به بالعمل، أمراً يتنافى مع أوامر الله عزوجل ومع القيام بواجب الخلافة في الأرض وإعمار الكون، ومع فعل الأنبياء عليهم السلام والصالحين من بعدهم.

أن سبل علاج ظاهرة الفصل بين العلم والعمل، والمستنبطة من قصة موسى عليه السلام مع الخضر الواردة في سورة الكهف، تكمن أولاً: في التعلق بالغاية الوجودية للحياة الإنسانية، وثانياً: في المسؤولية الأخلاقية (التزكية والتهذيب)، ثالثاً: في التدريب والتأهيل المستمر والاستعانة بأصحاب الخبرة والكفاءة، ورابعاً: في الانفتاح المنضبط والاطلاع على إنتاج الآخر، وخامساً: في استشراف المستقبل.

قائمة المصادر والمراجع

١. الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٩٩٠م.

٢. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٩٦٩م.

٣. البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيروت، دار صادر، ط١، ٢٠٠٤م.

٤. البغدادي، الخطيب، اقتضاء العلم العمل، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، تحقيق:ناصر الدين الالباني، ٢٠٠٢م.

٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله،: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٦. السبوطي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، تفسير الجلالين، القاهرة، دار الحديث، ٢٠١٠م.

٧. الاستانبولي، محمود مهدي، عظمة الإسلام، بيروت، المكتب الإسلامي،١٩٨٨ م.

٨. ابو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠١٠م.

٩. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر،١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

١٠. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م.

١١. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير

العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس، الدار التونسية للنشر،١٩٨٤م.

١٢. ابـن عطية، أبو محمد عبد الحـق بن غالب بن عبد الرحمن، المحـرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ه.

١٣. عبد الآخر، ابو الوفا، الموقف الإسلامي من العولمة، ب.ن، ب.ت.

١٤. عبد الباقي ،فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤ه .

١٥. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م.

١٦. القمـودي، سالم، التأملات في الخلـق والمحيا والممات، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٠م.

١٧. القرطبـي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكـر، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المصرية،ط١٣٨٤،٢هـ - ١٩٦٤م.

١٨. ابـن قيـم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين،الفوائد، بيروت، دار الكتب العلمية،١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

١٩. ابـن منظور، لسان العـرب، صححه: أمين عبـد الوهاب ومحمد العبيـدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م.

٢٠. مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، القاهرة، ابن الهيثم، ٢٠٠١م.

٢١. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م .

٢٢. الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الاخلاق الاسلامية، دار القلم، دمشق، ١٣٩٩ه.

٢٣. المرسي، حسن سعيد، الاخلاق الاسلامية، السعودية، مكتبة المتنبي،١٤٢٧ه.

٢٤. قطب، محمد، التطور والثبات في حياة البشرية، القاهرة، دار الشروق، ط٦، ١٩٨٦م.

٢٥. نوفل، عبد الرزاق، الإعجاز العددي للقرآن الكريم، دار الكتاب العربي،١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

٢٦. يالجن، المقداد، علم الاخلاق الإسلامية، دار الكتب، الرياض،١٩٩٢م.

الأبحاث والمجلات:

الفاعـوري، داوود، غاية الإنسان في الحياة كما يصورها الإسلام، دراسات (السلسلة أ: العلوم الإنسانية)، الجامعة الأردنية، عمان الأردن، المجلد١٩ أ، العدد٤، ١٩٩٢م.

المؤتمرات:

- نشـرة صحفيـة تصدر عن الدورة ٤٣لمؤتمـر العمل العربي-القاهـرة ١٠-١٧ابريل-٢٠١٦م، العدد٣، http://alolabor.org/?p=category/ .

- العوضـي، رفعت، الإسـلام والنظام الاقتصادي الجديد، نـدوة بعنوان" اقتصاديات العمـل والأجـر في الإسلام، منظمة المؤتمر الإسلامي، الأمانة العامـة، جدة، المملكة العربية السعودية، د.ت.

الدكتور علي محمد الشيخ

- الاسم: علي محمد الشيخ، من مواليد ١٩٦٦/٣/٢٦م، في مدينة طرابلس – لبنان.
- الجنسية: لبناني

المؤهلات العلمية :

- شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية – قسم السُنَّة وعلوم الحديث من جامعة الجنان، طرابلس - لبنان ٢٠٠٧ م.
- شهادة الماجستير في الشريعة الإسلامية – قسم السُنَّة وعلوم الحديث من جامعة الجنان، طرابلس – لبنان ٢٠٠٠ م.
- شهادة الليسانس في الشريعة الإسلامية – قسم السُنَّة وعلوم الحديث من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ١٩٩٤م.
- شهادة البكالوريا القسم الثاني فرع الفلسفة العام ١٩٨٩م.
- شهادة الثانوية الشرعية من دار التربية والتعليم الإسلامية، طرابلس - لبنان العام ١٩٨٨.

الإنتاج العلمي:

- هدي النبي ﷺ في التعامل مع المخطئين والمقصرين وأهل الغلو (رسالة الدكتوراه)، كتاب مطبوع.
- الهدية في ضوء السنة النبوية (رسالة الماجستير)، كتاب مطبوع.
- الخضر عليه السلام، نبي أو ولي، حي أو ميت، كتاب مطبوع.
- المعوذات(الإخلاص - الفلق - الناس)، كتاب مطبوع.
- الرحمة المهداة ﷺ، كتاب مطبوع.(متوفر باللغة العربية والإنكليزية والفرنسية)
- هدي النبي ﷺ في سنن الفطرة،كتاب مطبوع.
- رحلة العمر؛ مكة والمدينة، معالم ومشاعر، كتاب مطبوع.
- دروس وعبر من هجرة خير البشر، كتاب مطبوع.

المؤتمر الدولي القرآني الذي ينظمه قسم القرآن وعلومه بكليهة الشريعة وأصول الدين، بجامعة الملك خالد
(توظيف الدراسات القرآنية قي علاج المشكلات المعاصرة)

مشارك بعنوان

تطوير المعلم في القرآن الكريم
(قصة موسى مع الخضر عليهما السلام نموذجاً)

إعداد

الدكتور علي محمد الشيخ

تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فقد أشار القرآن الكريم إلى دور المعلمين من الأنبياء وأتباعهم، وبينَّ أنَّ من أهم وظائف الرسل عليهم السلام تعليم الناس الكتاب والحكمة وتزكيتهم، أي تنمية وتطهير نفوسهم وعقولهم بقوله تعالى: (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) سورة البقرة، الآية:١٢٩.

والتعليم يقوم على أركان أربعة: (المعلم، والمتعلم، والمنهاج الدراسي، طرائق التدريس والمؤسسة التعليمية) وانطلاقاً من كون المعلم هو العمود الفقري للنظام التعليمي، فهو يحتل مكان الصدارة بين هذه الأركان التي يتوقف عليها نجاح عملية التربية والتعليم والتوجيه في المؤسسات التربوية، وكذلك يبرز دور المعلم كأحد أهم عناصر بناء المجتمع وأكثرها تأثيراً فيه، إذ يتولى هو بناء العقول والنفوس، وتشكيل الأفكار والاتجاهات، ولن تنهض أمة خلا ميدانها من معلم قدير يتحمل تبعاتها، ويقوم بأداء متطلباتها.

والتعليم ذو طبيعة خاصة لأنه يتعامل مع الإنسان في كينونته البشرية وضمن تشكيلات مجتمعية متنوعة، فعلى المعلم أن ينظر إلى دوره في التعليم على أنه رسالة تؤدّى، وليس وظيفة مقابل أجر معين، وأن يضع نصب عينيه أنَّ هذه المهنة هي مهنة الأنبياء والرسل، وأصحابها هم ورثة الأنبياء، وهم الذين يرفعون عن الناس الجهل فينقلونهم من ظلمات الجهالة إلى نور العلم والإيمان والمعرفة.

وإنَّ جمود المعلم واكتفاؤه بما حصَّله من علم واكتسبه من مهارات وصفات وخبرات في سنواته الدراسية فقط عائقٌ كبيرٌ في سبيل تطوير العلم والمتعلم ويحول دون مواكبة متطلبات العصر ومستجداته، مما ينعكس سلباً على المجتمع والأمة، فقد تجد معلماً أمضى سنوات طويلةً في التعليم ولا يزال كما هو لم يتقدم أو يتطور أو يتغير، والأصل أنَّ الإنسان إما أن يتقدم أو يتأخر (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) سورة المدثر، الآية ٣٧، ولأنَّه من لم يتقدم يتقادم، ولأنَّ المعلم مطالب دائماً بالتقدم والتطوير والتحديث لمعلوماته ومهاراته وخبراته انطلاقاً من قول الله تعالى: (وقل رب زدني علماً) سورة طه، الآية: ١١٤.

مـن هنا كان مـن الطبيعي للمعلم أن يعمـل على تطوير ذاته ومهاراتـه التعليمية ليكون مواكبـاً لعصره متابعاً لمستجداتـه، ومؤثراً في بيئته، وتحقيقاً لهذا الهدف ذكر الله تعالى لنا في القـرآن الكـريم نماذج متعددة تصور لنا كيفية تطوير المعلـم، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصـر (قصة موسى مـع الخضر عليهما السـلام) حيث بينَّ صفات المعلـم الأساسية، ومهاراتـه التعليميـة، وكيفية الارتقاء بأدائـه وتطوير ذاته ومهاراته، وقـد أوضح فيها كيفية تحقيـق الأهداف التربوية المعروفـة (المعرفية – المهارية – الوجدانيـة) من خلال التعليم، وأشار إلى موضوع تطوير المعلم من خلال تسليط الضوء على الثغرات الموجودة في شخصيته ومهاراته والعمل على سدِّ النقص فيها ومن ثَمَّ تعديلها وتصحيحها فتطويرها.

فعلـى سبيـل المثال عندما قال موسى عليـه السلام لسائل بني إسرائيـل بأنه أعلم أهل الأرض لم يكتـفِ القرآن الكريم بذكـر خطئه وتنبيهه عليـه، بل جعله يعيشـ تجربة تربوية جديـدة يطور مـن خلالها بعض صفاته كالصبر والتواضع مثـلاً، وجعله يكتسب من خلالها بعضـ المهارات والوسائل التعليمية الحديثة من ضرب الأمثال واستخدام الوسائل التعليمية، وجعلـه من خلالها ينتقل من حالة المعلم إلى حالة المتعلم (وهو من أولي العزم من الرسل)، مغـيراً أسلـوب التعليم من مجرد التعليم التلقيني إلى جعل الطالـب ركناً أساسياً في العملية التعلمية التعليمية، وهذا يندرج ضمن أحدث النظريات التعليمية في هذا العصر.

وانطلاقاً من أهمية هذا الموضوع كانت مشاركتي في هذا المؤتمر المبارك في ورقة بحثية تحمل عنوان: تطوير المعلم من خلال القرآن الكريم (قصة موسى مع الخضر عليهما السلام نموذجاً)،

خطة البحث

وهو عبارة عن تمهيدٍ وفصلين وتوصيات على النحو الآتي:

تمهيد

الفصل الأول: قصة موسى مع الخضر عليهما السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كما وردت في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كما وردت في السنة النبوية.
المبحث الثالث: من هو الخضر عليه السلام؟ وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ولقبه.
المطلب الثاني: هل الخضر نبيٌّ أو وليٌّ؟
المطلب الثالث: هل الخضر حيٌّ أو ميتٌ؟

الفصل الثاني: تطوير المعلم من خلال قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وتحته مبحثان:

١-المبحث الأول: تطوير صفات المعلم من خلال قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: معرفة علم الله تعالى.
المطلب الثاني: التواضع.
المطلب الثالث: الصبر.
المطلب الرابع: آداب طالب العلم.

٢- المبحث الثاني: تطوير مهارات المعلم وأدائه التربوي من خلال قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وتحته ستة مطالب:

المطلب الأول: اتقان الخطابة وقوة التأثير.
المطلب الثاني: المشاركة في الندوات وحضور المؤتمرات العلمية.
المطلب الثالث: استخدام أحدث وسائل الإيضاح في التعليم.
المطلب الرابع: معرفة أنماط الطلاب وخصائصهم، ومتابعة أحوالهم.
المطلب الخامس: إدارة الصف وحل المشكلات.
المطلب السادس: تحقيق الأهداف التربوية في التعليم.

التوصيات.
فهرس المراجع والمصادر

والله تعالى أسأل أن يلهمني الحق والصواب في هذه الورقة البحثية، وأن يعنيني على تقديم شيءٍ جديدٍ في ميدان العلم والتربية والتعليم، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، اللهم آمين.

الفصل الأول: قصة موسى مع الخضر عليهما السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كما وردت في القرآن الكريم.
المبحث الثاني: قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كما وردت في السنة النبوية.
المبحث الثالث: من هو الخضر عليه السلام؟ وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ولقبه وكنيته.
المطلب الثاني: هل الخضر نبيٌّ أو وليٌّ؟
المطلب الثالث: هل الخضر حيٌّ أو ميتٌ؟

المبحث الأول

قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كما وردت في القرآن الكريم.

قصَّ الله سبحانه وتعالى علينا قصة الخضر مع موسى عليهما السلام في القرآن الكريم في سورة الكهف من الآية (٦٠) إلى الآية(٨٢)، فقال سبحانه:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الكهف: ٦٠ – ٨٢.

المبحث الثاني

قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كما وردت في السنة النبوية

وردت قصة الخضر مع موسى عليهما السلام في عدد كبير من كتب السنة النبوية المطهرة وكتب التاريخ الإسلامي، واكتفيت في هذه الرسالة برواية الصحيحين البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى[1] عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، (وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: قام موسى رسول الله عليه السلام ذكَّر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى، فأدركه رجل فقال أيّ رسولَ الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعتب عليه إذ لم يرد العلم إلى الله).

وعند الإمام مسلم (فقال: ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً وأعلم مني، فأوحى الله إليه: إني أعلم بالخير عند مَن هو، وإنَّ في الأرض رجلاً هو أعلم منك) فقال له: بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أيّ رب وكيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكتل[2]، حيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ[3]، وأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر ﴿فاتخذ سبيله في البحر سربا[4]﴾، (وفي رواية: فوضع موسى رأسه فنام، وفي أصل الصخرة عينٌ يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر فلما استيقظ موسى قال ﴿ لفتاه

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، في تفسير سورة الكهف، باب "وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً" ص٩٩١برقم (٤٣٥٦)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام، ص ٩٢٨ برقم (٢٣٨٠).

(٢) المكتل: القفة الكبيرة.

(٣) ثَمَّ: ظرف مكان أي هناك.

(٤) السرب: المسلك في خفية.

آتنا غداءنا ﴾).

فأمسك الله عن الحوت جرية الماء[١] فصار مثل الطاق[٢] فقال هكذا مثل الطاق، فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما حتى إذا كان من الغد ﴿قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا[٣]﴾ ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله قال له فتاه ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾ فكان للحوت سرباً ولهما عجباً[٤]، قال له موسى ﴿ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا﴾ رجعا يقصان آثارهما[٥] حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب[٦] فسلم موسى فرد عليه، فقال: وأنَّى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني ﴿مما علمت رشداً﴾ قال يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه[٧]، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه[٨]، قال: هل أتبعك ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً إلى قوله إمراً﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة كلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نَول[٩]، فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر، إذ أخذ الفأس فنزع لوحا قال فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقدوم، فقال له موسى: ما صنعت!! قوم حملونا بغير نَول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمراً[١٠] قال ألم أقل

(١) جرية الماء: هي مسلك الماء الضيق وهو ما يعرف بالساقية التي يجري فيها الماء، .
(٢) الطاق: ما عطف من الأبنية أي جعل كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه ذلك.
(٣) النَصَب: التعب.
(٤) وذلك من الطوق الذي ضرب حول مجرى الحوت، فقد كان جامداً ظاهراً للعيان مكان سيره في الماء.
(٥) أيّ يتتبعان آثار سيرهما.
(٦) أيّ مغطًّى بثوبه مُلتحفاً به.
(٧) أيّ جميعه. قاله ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح.
(٨) أيّ جميعه. قاله ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح.
(٩) النَّول: العطاء والأجر.
(١٠) إمراً: هو الشيء الشنيع، وقيل العجيب.

إنك لن تستطيع معي صبراً قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ فكانت الأولى من موسى نسياناً.

فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا - وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً - فقال له موسى﴿ أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً[1] قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾ مائلاً أومأ بيده هكذا وأشار سفيان كأنه يمسح شيئاً إلى فوق فلم أسمع سفيان يذكر مائلاً إلا مرة قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت إلى حائطهم (لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً).

قال النبي ﷺ وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما. قال سفيان قال النبي ﷺ يرحم الله موسى لو كان صبر لقص علينا من أمرهما.

٣- المبحث الثالث: من هو الخضر عليه السلام؟ وتحته ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: اسمه ولقبه وكنيته.
- المطلب الثاني: هل الخضر نبيٌّ أو وليٌّ؟
- المطلب الثالث: هل الخضر حيٌّ أو ميتٌ؟

المطلب الأول: اسمه ولقبه وكنيته

الخَضِر (بفتح الخاء وكسر الضاد، ويجوز اسكان الضاد مع كسر الخاء وضمها) لَقَبٌ أُطلِقَ على نبيٍّ من أنبياء الله تعالى واشتهر به، روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "وإنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء"[2].

(١) النكر: الأمر الشديد.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء/حديث الخضر مع موسى عليهما السلام- جـ٤/٤٧٩ برقم ٣٤٠٢، وأخرجه

وأما اسم الخضر فقد اختلف العلماء في تحديد اسمه على عشرة أقوال، ولم يأتِ دليل صريح صحيح يرجح أحد هذه الأسماء على بقيتها، ولكن الذي أشار إلى أثبتها وأرجحها الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى أنه: بليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن أرف بن سالم بن نوح عليه السلام[1].

وأما كنيته فهي: "أبو العباس"، وقد رجح ذلك الإمام ابن حجر والنووي وابن القيم، وذكر النووي رحمه الله تعالى أنَّ هذا متفق عليه[2].

المطلب الثاني: هل الخضر نبي أو ولي؟؟

لقد اختلف العلماء في حقيقة الخضر هل هو نبي، أو ولي، أو رسول، أو غير ذلك مما قيل فيه حتى قال الشاعر: واختلف في خضر أهل العقول قيل نبي أو ولي أو رسول

وقد ذهبوا في ذلك إلى سبعة أقوال هي:

١-أنَّه نبي. ٢-أنَّه نبي ورسول. ٣-أنَّه ولي. ٤-أنَّه ملك من الملائكة. ٥-أنَّه عبد صالح. ٦-أنَّ مقامه دون النبوة وفوق الصديقية فهو مقام برزخي له وجه إلى النبوة ووجه إلى الولاية. ٧-أنَّ لكل زمان خضراً.

ومن خلال دراستي لهذا الموضوع اتضح لي والعلم عند الله من غير أدنى شك أن المذهب الصحيح الراجح هو القول بأن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء الله تعالى، وأن الأدلة على ذلك كثيرة مستفيضة قد بينها العلماء وفصلتها في كتابي الخضر عليه السلام نبي أو ولي، حي أو ميت[3].

الترمذي في التفسير/سورة الكهف برقم: ٣١٥١، وأخرجه الطيالسي في مسنده، جـ١٠/٣٣٢، برقم: ٢٥٤٨، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٣١٢-٣١٨

(١) انظر دراسة هذه الأسماء ونسبة صحتها في كتابي: " الخضر نبي أو ولي، حي أو ميت"، ص٣٠ وما بعدها.

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر، ج٦/٥٠٠، والزهر النضر لابن حجر أيضاً، ص ٢٥، ونهذيب الأسماء واللغات للنووي، ج١/١٧٦.

(٣) انظر الخضر نبي أو ولي، حي أو ميت، لـ: علي محمد الشيخ، الفصل الثالث، ص ٤٣.

المطلب الثالث: هل الخضر حيّ أو ميت؟؟

إن مـن الأمور التي اختلف فيها العلمـاء اختلافاً كبيراً وتباينت فيهـا آراؤهم وأقوالهم تبايناً واضحاً هي: هل الخضر حي أو ميت؟

فجمهـور العلمـاء المحققين من أهل السنة والجماعة يقولـون بموته كما جعل الله تعالى ذلـك سنةً علـى جميع خلقه﴿كل نفس ذائقـة الموت﴾ سورة آل عمران: آيـة١٨٥ ، وكما بيّن ذلـك لرسولـه الكريم ﷺ بقولـه تعالى:﴿وما جعلنـا لبشرٍ من قبلك الخلـدَ أفإن متَّ فهم الخالدون﴾ سورة الأنبياء: آية٣٤.

بينمـا نجـد المتصوفة والعامة وبعض مـن سقط في ذلك من أهل العلـم يقولون بحياته وتعميره حتى الآن، بل وإلى قيام الساعة حتى يرفع القرآن، أو يكذب الدجال، وإلى غير ذلك ممـا ادعـوه، وليس للقائلين بهذا القول أيّ حجة سوى الأخبـار الواهية، والحكايات الباطلة، والرؤى المنامية، والهواتف الشيطانية فحسب.

ومن خلال دراستي لهذا الموضوع في كتابي الخضر[1] ترجح لي أنَّ الخضر عليه السلام قـد مات كما مات غـيره من الأنبياء وذلك لتضافر الأدلة علـى إثبات ذلك، فقد اجتمع على ذلك أربعة أنواع من الأدلة(الكتاب، السنة، اجماع المحققين من أهل العلم والأدلة العقلية) ، وأمـا القائلـون بحياته فإنهـم لم يستطيعوا أن يأتـوا ولا بأدنى دليل يكـون قريباً من الحسن ناهيـك عن الصحة، بل جُلُّ أدلتهم مجرد قصصـ خرافية وأخبار باطلة لا تصلح لشيءٍ بل هي كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وذلك كما قرره الإمام ابـن كثير رحمـه الله بقوله: (وهذه الروايات والحكايات هي عمـدة من ذهب إلى حياته إلى اليـوم، وكلٌّ مـن الأحاديث المرفوعـة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجـة في الدين، والحكايات لا يخلـو أكثرهـا عن ضعف في الإسنـاد، وقصارها أنها صحيحة إلى مـن ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليها الخطأ والله أعلم)[2].

(١) انظر الخضر نبي أو ولي، حي أو ميت، لـ: علي محمد الشيخ، الفصل الرابع، ص ٥٩-٨٩.
(٢) انظر كتاب البداية والنهاية للإمام ابن كثير: جـ١/٣٣٣-٣٣٤

ولقد أفصح وبينَّ الإمام أبو الحسين بن المناوي عن سبب ورود مثل هذه الأحاديث والقصص في كتب العلماء فقال: (وجميع الأخبار في ذكر الخضر واهية الصدور والأعجاز لا تخلو من أمرين:

إما أن تكون أدخلت بين حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالاً.

وإما أن يكون القوم عرفوا حالها فرووها على جهة التعجب فنسب إليهم على وجه التحقيق.

قال: وأكثر المغفلين مغرور بأنَّ الخضر باق، والتخليد لا يكون لبشر، قال الله عز وجل: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾[1].

وما أجمل كلام شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال: (والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجوداً في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة..، ثم قال: ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة لا في دينهم ولا في دنياهم، فإنَّ دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي ﷺ الذي علمهم الكتاب والحكمة، وقال لهم نبيهم: "لو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم"[2] وعيسى بن مريم عليه السلام إذا نزل من السماء إنما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم، فأيُّ حاجة لهم مع هذا إلى الخضر وغيره..، ثم قال: فإن كان النبيان الكريمان اللذان هما مع إبراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل، ومحمد ﷺ سيد ولد آدم، ولم يحتجبوا عن هذه الأمة لا عوامهم ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم، وإذا كان حياً دائماً فكيف لم يذكر النبي ﷺ ذلك قط، ولا أخبر به أمته، ولا خلفاؤه الراشدون.

وقول القائل: إنه نقيب الأولياء، فيقال له: من ولاه النقابة؟!! وأفضل الأولياء أصحاب محمد ﷺ وليس فيهم الخضر، وعامة ما يحكى في الباب من الحكايات بعضها كذب،

(١) انظر البداية والنهاية : جـ١/٣٣٣-٣٣٤.

(٢) حديث صحيح رواه أحمد (٣/٣٨٧) عن جابر بن عبد الله، وحسنه الألباني في الإرواء (١٥٨٩).

وبعضهـا مبني على ظن رجـل مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر وقال: إنه الخضر، كما الرافضة ترى شخصاً تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم) [1].

- الفصـل الثـاني: تطويـر المعلم من خـلال قصة موسى مـع الخضر عليهمـا السلام، وتحته مبحثان:

١- المبحـث الأول: تطويـر صفـات المعلـم مـن خلال قصـة موسى مع الخضـر عليهما السلام، وتحته أربعة مطالب:

١. المطلب الأول: معرفة علم الله تعالى.

٢. المطلب الثاني: التواضع.

٣. المطلب الثالث: الصبر.

٤. المطلب الرابع: آداب طالب العلم.

٢- المبحـث الثـاني: تطوير مهـارات المعلم وأدائه التربوي من خـلال قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وتحته ستة مطالب:

١. المطلب الأول: اتقان الخطابة وقوة التأثير.

٢. المطلب الثاني: المشاركة في الندوات وحضور المؤتمرات العلمية.

٣. المطلب الثالث: استخدام أحدث وسائل الإيضاح في التعليم.

٤. المطلب الرابع: معرفة أنماط الطلاب وخصائصهم، ومتابعة أحوالهم.

٥. المطلب الخامس: إدارة الصف وحل المشكلات.

٦. المطلب السادس: تحقيق الأهداف التربوية في التعليم.

(١) انظر كتاب مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية : جـ٢٧/ ١٠٠- ١٠١

المبحث الأول

تطوير صفات المعلم من خلال قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وتحته أربعة مطالب:

١. المطلب الأول: الأدب في طلب العلم.
٢. المطلب الثاني: الاهتمام بمعرفة علم الله تعالى.
٣. المطلب الثالث: التواضع.
٤. المطلب الرابع: الصبر.

اهتم القرآن الكريم بصفات المعلم الإيمانية والخُلُقية اهتماماً بالغاً لما له من بالغ الأثر على الجيل والأمة جمعاء، ومن هذا الاهتمام ما وقع في هذه القصة المباركة، فقد برز الاهتمام فيها بعدة مواضيع أساسية هي: الأدب في طلب العلم والذي هو أساس المعلم والطالب، ثم الاهتمام بمعرفة علم الله تعالى الذي يورث التواضع والذي بدوره يعكس اللين والأمن النفسي والقرب من الطلاب، وكذلك الصبر الذي يعكس بدوره التضحية والفداء والتحمل يتجلى ذلك في قوة شخصية المعلم.

المطلب الأول: الأدب في طلب العلم

وأما صفة الأدب في طلب العلم فقد تجلت في عدة مواقف منها:

في قول موسى للخضر عليهما السلام (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً)، أي هل تأذن لي في مرافقتك لأقتبس من علمك ما يرشدني في حياتي. قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "سؤال تلطف لا على وجه الإلزام والإجبار، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم. وقوله (أتبعك) أي أصحبك وأرافقك، (على أن تعلمني مما علمت رشداً) أي: مما علمك الله شيئاً أسترشد به في أمري من علم نافع وعمل صالح"[1].

(١) انظر كتاب تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ج٣/١٣٠.

في قبول موسى ما شرط عليه الخضر عليهما السلام من شروط حتى يقبل أن يجعله من طلابه. قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "(قال) الخضر لموسى (إنك لن تستطيع معي صبراً) أي إنَّك لا تقدر على مصاحبتي لما ترى مني من الأفعال التي تخالف شريعتك، لأني على علم من علم الله ما علمكه الله، وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله، فكلٌّ منا مكلف بأمور من الله دون صاحبه، وأنت لا تقدر على صحبتي (وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً) فأنا أعرف أنك ستنكر عليَّ ما أنت معذور فيه، ولكنك لم تطَّلِعْ على حكمته ومصلحته الباطنة التي اطلعتُ أنا عليها دونك، (قال) أي موسى (ستجدني إن شاء الله صابراً) أي على ما أرى من أمورك، (ولا أعصي لك أمراً) أي: ولا أخالفك في شيءٍ فعند ذلك شارطه الخضر عليه السلام (قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيءٍ) أي ابتداءً (حتى أحدث لك منه ذكراً) أي حتى أبدأك أنا به قبل أن تسألني"[1].

في قول الخضر عليه السلام (فأردت أن أعيبها) حيث نسب الفعل إلى نفسه في المرة الأولى، وفي موضوع الجدار(فأراد ربك) حيث أسند ما ظاهره الشر لنفسه، وأسند الخير إلى الله وذلك لتعليم العباد الأدب مع الله جلَّ جلاله.

قال الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى:" ومن فوائد هذه القص:

ألا يعجب المرء بعمله.
ولا يبادر إلى إنكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سراً لا يعرفه.
وأن يداوم على التعلم.
ويتذلل للمعلم.
ويراعي الأدب في المقال.
وأن ينبه المجرم على جرمه، ويعفو عنه حتى يتحقق إضراره ثم يهاجر عنه"[2].

(١) انظر كتاب تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ج٣/ ١٣٠.
(٢) انظر كتاب تفسير البيضاوي للإمام البيضاوي، ص....

المطلب الثاني: الاهتمام بمعرفة الله تعالى

اهتم القرآن الكريم بصفات المعلم الإيمانية، ومنها الاهتمام بمعرفة الله تعالى اهتماماً بالغاً لما له من بالغ الأثر في إيمانه أولاً وعطائه لطلابه ثانياً، مما ينعكس إيجابياً على أفراد الجيل والأمة جمعاء، ومن هذا الاهتمام ما وقع في هذه القصة العظيمة، علماً أنَّ المتعلم هنا هو نبي من أولي العزم من الرسل، وقد جمع من الصفات العظيمة ما جمع، ومع ذلك لما ظهر تصرف يدل على صفة لا ينبغي اتصافه بها كان الأمر له بحضور دورة تدريبية، تلقى فيها عدداً كبيراً من الصفات والمهارات والوسائل التعليمية.

وعند تأمل هذه القصة المباركة نلاحظ اهتمامها بصفة التعريف بالله تعالى، وهي صفة لا يكفي فيها مجرد المعرفة، بل لا بد من تجديدها وتطويرها لما لها من كبير الأثر في المعلم. فلذلك ينبغي الاهتمام الكبير بها، والبعد عن التقصير بحقها بأي وجه من الوجوه، ويظهر ذلك من خلال:

العتاب الذي وجهه الله تعالى لموسى عليه السلام بقوله (فعتب عليه إذ لم يرد العلم إلى الله)، وعند الإمام مسلم (فقال: ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً وأعلم مني، فأوحى الله إليه: إني أعلم بالخير عند مَن هو، وإنَّ في الأرض رجلاً هو أعلم منك).

إنَّ ما تحمله من علم هو من فضل الله تعالى عليك وليس من نفسك، وذلك ظاهر في قوله: (قال يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه).

٣. معرفة علم الله تعالى وقلة علم البشر، وذلك ظاهر في المثل الذي ضربه الخضر لموسى عليهما السلام مبيناً فيه سعة علم الله تعالى وقلة علم البشر، حيث قال له: (فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر).

المطلب الثالث: التواضع

وبالنسبة لصفة التواضع فقد ظهرت من خلال عدة مواقف:

عندما عتب الله تعالى على موسى عليه السلام عندما سئل (فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعتب عليه إذ لم يرد العلم إلى الله). وفي رواية الإمام مسلم: فقال: ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً وأعلم مني، فأوحى الله إليه: "إني أعلم بالخير عند مَن هو، وإنَّ في الأرض رجلاً هو أعلم منك").

وقد تجلى ذلك من خلال تقبله لهذا العتب الرباني وإقراره به، وعدم استنكافه عن تقبله بحجة أنه من أولي العزم من الرسل، وهو كليم الرحمن، وله من المواقف في تبليغ رسالة ربه ما له.

في قول موسى للخضر عليهما السلام بعد أن عرفه بنفسه: فسلم موسى فرد عليه، فقال: وأنَّى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني اسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك تعلمني مما علمت رشداً).

تجلى ذلك من خلال تعريفه بنفسه أنه موسى فقط، ولم يقل أنا نبي الله موسى، أنا كليم الله، أنا من أولي العزم من الرسل...، ولو قال ذلك لكان حقاً ما يقول، ولكنه ابتعد عن ذلك ليرشدنا إلى تواضع المعلم والمتعلم، وأنَّ على المتعلم والمعلم أن يبتعد عن ذكر الأنا، والألقاب، والشهادات، والمراتب العلمية أثناء أدائه للعملية التعليمية.

وتجلَّى ذلك أيضاً عندما بينَّ للخضر سبب مجيئه إليه وطلب اللقاء به وهو (أتيتك تعلمني مما علمت رشداً)، وهذا يدل دلالةً واضحةً على تواضع المعلم عندما يلتحق بدورة إعداد أو اكتساب مهارات جديدة، أو تطويره ما لديه من ذلك، وعدم إعراضه عن هذه الأمور التي تؤدي إلى تطوير ذاته ومهاراته بحجة أنه يحمل من الشهادات والخبرات ما يحمل.

وتجلَّى ذلك أيضاً عندما طلب منه أن يعلمه مما علمه الله (أتيتك تعلمني مما علمت رشداً)، وهو من هو، فقد أصبح طالباً للعلم وهو من فترة قليلة أبكى بني اسرائيل من قوة خطابه وقوة تأثيره.

السعـي مباشرة نحو من هو أعلم منه وعدم الاستنكاف عن ذلك، ويتجلى ذلك في قوله عليه السلام: (أيّ رب وكيف لي به؟).

في قول الخضر لموسى عليهما السلام: (قال يا موسى إني على علمٍ من الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علمٍ من الله علمكه الله لا أعلمه).

ففي قول الخضر لموسى عليهما السلام ذلك علمه التواضع: فهو يتكلم مع نبي مثله، وردَّ الفضـل في العلم الذي يحمله إلى الله لا إلى النفـس، وأنزله منزلته في العلم والفضل، وهذا منزلـة التواضع للأقـران، واعتراف كلِّ معلمٍ لأخيه المعلم بفضلـه ومنزلته، وأنَّ المعلم يقوى بأخيه ويتكامل معه.

وفي هذا القول أيضاً بيان لموسى عليه السلام أنَّ العلم لا يجمعه كله أحد، فلكل شخص علمه ومكانته، وكأنَّ ذلك تصحيح للمفهوم الذي كان لدى موسى أنه أعلم أهل الأرض، وحتى لا يظن أنَّ الخضر أعلم أهل الأرض كذلك.

وفي بيـان علـم العبد أمـام علم الله تعـالى في قول الخضـر عليه السـلام: (فلما ركبا في السفينـة جـاء عصفور فوقع على حـرف السفينة فنقر في البحر نقـرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر).

فموسـى عليه السلام على علمٍ كبير، والخضـر كذلك عليه السلام، ومجموع علمهما لا يسـاوي شيئـاً أمام علمه سبحانه وتعـالى، ونسبة علمهما إلى علم الله عـزَّ وجلَّ كنسبة هذه القطرة من الماء بالنسبة للبحر، وكلما ارتفع هذا المعنى لدى المعلم كلما ازداد تواضعاً لله عزَّ وجلَّ وخشوعاً له، وتواضعاً أمام من يعلمهم ويربيهم.

وفيهـا لفتة أخـرى أنَّ الطالب هنا وهو موسى عليه السلام كان محـوراً أساسياً و جزءاً من العملية التعليمية، فقد ذهب بنفسه ورأى، وناقشه الخضر فيما رأى، لتكون هذه المشاركة الحسيـة في العمليـة التعليمية هي حجر الزاوية في تغيير ما لدى موسى من ظن أنه أعلم أهل الأرضـ، وبذلك يكون الطالب هو محور هذه العمليـة التعليمية لا مجرد تلقي ذلك من المعلم وهو الخضر عليه السلام.

المطلب الرابع: الصبر

الصبر صفة أساسية وهامة جداً من صفات المعلم، لأنها تدل على قوة شخصيته، وضبط تصرفاته، وسيطرته على انفعالاته، وتتجلى هذه الصفة العظيمة في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام في أمور منها:

تقبل النقد الذاتي من الآخرين، وهذا يتجلى في قول الله تبارك وتعالى لموسى: (فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، (وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: قام موسى رسول الله عليه السلام ذكَّر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى، فأدركه رجل فقال أيّ رسولَ الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعتب عليه إذ لم يرد العلم إلى الله)، وعند الإمام مسلم (فقال: ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً وأعلم مني، فأوحى الله إليه: إني أعلم بالخير عند مَن هو، وإنَّ في الأرض رجلاً هو أعلم منك) فقال له: بلى لي عبدٌ بمجمع البحرين هو أعلمُ منك، قال: أيّ رب وكيف لي به؟)

٢. تقبل العتب والنقد واللوم، فلم يجادل ولم يأنف بل سعى مباشرة للتصحيح، (أي رب وكيف لي به؟).

٣. لم يعترض كون وجود رجل في الأرض أعلم منه وهو لا يدري به، مع أنه من أولي العزم من الرسل، بل سعى مباشرة للقياه وطلب العلم على يديه.

تحمّل مشقة السفر والتعب والانتقال من بلد لآخر في سبيل تطوير الذات، وهذا ظاهر في قوله: (قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ، وأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر (فاتخذ سبيله في البحر سربا)، (وفي رواية: فوضع موسى رأسه فنام، وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيي فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر فلما استيقظ موسى قال(لفتاه آتنا غداءنا)).

فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق فقال هكذا مثل الطاق، فانطلقا

يمشيـان بقية ليلتهمـا ويومهما حتى إذا كان مـن الغد (قال لفتاه آتنا غداءنـا لقد لقينا من سفرنـا هذا نصبا)ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله قال له فتاه(أرأيت إذ أوينـا إلى الصخرة فـإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطـان أن أذكره واتخذ سبيله في البحـر عجباً) فكان للحـوت سرباً ولهما عجباً، قال له موسى(ذلك مـا كنا نبغ فارتدا على آثارهمـا قصصـاً) رجعا يقصان آثارهما حتـى انتهيا إلى الصخـرة...) ، وعلى هذا يقاس السفـر لحضور المؤتمرات والمشاركـة في المؤتمرات العلمية التي تطـور المعلم، وتحمل المشقة التي تكون بسبب ذلك.

اتبـاع النظام والانضباط، وذلـك ظاهر في اتباع كلِّ التعليمات التي ألقيت إليه في سبيل الوصـول للخضر عليه السلام...، فإنه كان ممكنـاً الوصول إليه دون هذه التعليمات الكثيرة والمتنوعة.

المبحث الثاني

تطوير مهارات المعلم وأدائه التربوي من خلال قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وتحته ستة مطالب:

١. المطلب الأول: اتقان الخطابة وقوة التأثير.
٢. المطلب الثاني: المشاركة في الندوات وحضور المؤتمرات العلمية.
٣. المطلب الثالث: استخدام أحدث وسائل الإيضاح في التعليم.
٤. المطلب الرابع: معرفة أنماط الطلاب وخصائصهم، ومتابعة أحوالهم.
٥. المطلب الخامس: إدارة الصف وحل المشكلات.
٦. المطلب السادس: تحقيق الأهداف التربوية في التعليم.

إنَّ من كفايات المعلم التربوية امتلاكه مجموعة من المهارات الضرورية التي تكون مساعدة له في نجاح مهمته التعليمية، والمتأمل لقصة موسى مع الخضر عليهما السلام يجد أنها لفتت الانتباه لتلك المهارات من عدة جوانب، فأما الجانب الأول فمن جهة اتقان الخطابة وقوة التأثير، وأما الجانب الثاني فمن جهة تطويرها الدائم وتجديدها المستمر بما يتلاءم مع متطلبات العصر وحاجات الطلاب ويعني ذلك المشاركة في الندوات وحضور المؤتمرات العلمية، وأما الجانب الثالث فمن جهة استخدام أحدث وسائل الإيضاح في التعليم، وأما الجانب الرابع فمن جهة معرفة أنماط الطلاب والوقوف على أخبارهم ومتابعة أمورهم، وأما الجانب الخامس فهو مهارة إدارة الصف وحل المشكلات، وأما الجانب السادس فمن جهة تحقيق الأهداف التربوية في التعليم.

المطلب الأول: إتقان الخطابة وقوة التأثير

فقد أشارت القصة إلى تميز موسى عليه السلام بصفات أساسية ومهارات تربوية هي أساس بالنسبة لمهمته التي أوكله الله بها، يتجلى ذلك من خلال:

صفـات الخطيـب الناجح، من العلـم والفهم، وحسن الخطاب، وقد علـم من الله علماً عظيمـاً، وهيىء تهيئاً كبـيراً فهو من أولي العزم من الرسل، وتتضـح هذه الصفة من خلال قوله (أنَّ موسى قام خطيباً).

مهـارة التأثـير بالمخاطبين، وامتلاكه لأهم طـرق التعليم ووسائـل الإيضاح، وذلك من خـلال تفاعل بني إسرائيل معه تفاعـلاً كبيراً، وذلك واضح من قوله (قام موسى رسول الله عليه السلام ذكَّر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولىَّ...).

المطلب الثاني: المشاركة في الندوات وحضور المؤتمرات العلمية.

فقـد ظهرت في اهتمام موسى عليـه السلام بما وجه إليه من ملاحظات، وعدم اكتفائه بمـا يحمل من علم ونبوة ورسالة، من خـلال إسراعه عليه السلام في طلب العلم على يد من هـو أعلم منه، فبدأ مباشرة بتنفيذ ما ألقي إليه مـن تعليمات طلباً للعلم وتحصيلاً للفائدة، وتطويراً للذات، وقد ظهر ذلك من خلال عدة أمور:

السفـر وتحمل ما فيه مـن مشقات وتعب، وهذا يرشد إلى حضـور المؤتمرات والمشاركة بالندوات الداخلية والخارجية.

الإسـراع إلى تحقيق ما طلب منه بدقة وانضباط متناهيـين، وهي إشارة السعي الدائم والمستمر لتطوير الذات كلما سنحت الفرصة.

المطلب الثالث: استخدام أحدث وسائل الإيضاح في التعليم.

وقد استخدم الخضر مع موسى عليهما في تعليمه عدة وسائل مختلفة هي:

أسلـوب التشبيـه، ويتجلى ذلك في قـول (فلما ركبا في السفينة جـاء عصفور فوقع على حـرف السفينـة فنقر في البحـر نقرة أو نقرتين، قـال له الخضر: يا موسـى ما نقص علمي وعلمـك من علـم الله إلا مثل ما نقصـ هذا العصفور بمنقـاره من البحـر)، فقد استخدم أسلـوب التشبيه مشبهاً علم الله تعالى بالبحر، وقلة علم الأنبياء بالقدر الذي أخذه الطائرة في نقره للماء.

استخـدام الوسائل التعليمية في التعليم، حيث نقر السفينة، وقتل الغلام وأقام الجدار، وكل هـذه الأمـور لتعليمه الصبر وعدم التسرع، والتأني في الحكـم على الأمور الظاهرة قبل معرفة حقيقتها.

استخدم أسلوب التشويق في التعليم، فقد خرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار ولم يخـبره بأسباب ذلك الفعل، وطالبه بالصبر على معرفـة السبب، فكان ذلك أوقع في النفس وأشدَّ تأثيراً فيه مما لو أخبره مباشرة بذلك.

أسلـوب العـلاج بمـا يتلاءم مع مظاهـر الخطأ، وهو مـن أهمها وأنجحهـا في التعليم، فموسـى عليه السلام طالب بالجواب سريعاً، وكان المقصـود تعليمه الصبر، فجاء الأسلوب متمثلاً بموقف تعليمي خاص يناسب خطأه، فحمله على الصبر حملاً، وأظهر له قلة صبره في المراحل الثلاث ليكون على بينة من أمره وقناعة تامة حتى ينتقل إلى مرحلة التغيير.

المطلـب الرابـع: معرفـة أنمـاط الطـلاب والوقـوف علـى أخبارهم ومتابعة أمورهم

يتجلى ذلك في بيان الخضر لموسى عليهما السلام سبب تصرفاته مع قومه (أمَّا السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملكٌ يأخذ كلَّ سفينة غصباً. وأمَّـا الغلام فكان أبواه مؤمنـين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً.فأردنا أن يبدلهما ربهما خـيراً منـه زكاةً وأقرب رحما.وأمَّا الجـدار فكان لغلامين يتيمين في المدينـة وكان تحته كنزٌ لهمـا وكان أبوهما صالحاً فـأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجـا كنزهما رحمةً من ربك ومـا فعلتـه عن أمري ذلك تاويل مالم تسطع عليه صبراً) معرفة المعلم بواقع طلابه، وأنماط شخصياتهـم، والفروق بينهـم، وتقدير ظروفهم، وزيارتهم في أماكنهـم، وسعيه بحاجتهم، ومشاركتـه همومهـم ومناسباتهم، مما يـترك في نفوس طلابه قبوله ومحبتـه، والتأسي به، وتنفيذ أوامره، والتزام منهجه.

المطلب الخامس: إدارة الصف وحل المشكلات

إنَّ موضوع إدارة الصف هو ركن أساس من أركان عملية التعليم، فالإدارة الناجحة للصف تؤمن المناخ الملائم والصحي للتعليم، وإنَّ ضعف الإدارة الصفية، أو غيابها ينعكس سلباً على العملية التعليمية برمتها.

وإنَّ من أساسيات إدارة الصف وضوح القوانين الصفية، والإجراءات المعمول بها لدى المعلم والطالب على حدٍّ سواء، ويتعبر التربويون أنه من الأفضل أن يتفق المعلم والطالب على القوانين والإجراءات المعمول بها عند المخالفات، سواءً كانت هذه المخالفات تافهة، أو بسيطة، أومتفاقمة، أو حادة، أو عدوانية، ليكون ذلك عوناً للطالب على الإلتزام بها والتقيد بتعاليمها وتنفيذ اجراءاتها، ولن ينازع بعد ذلك فيما يتعرض له من عقوبات واجراءات تتخذ بحقه جراء مخالفته.

والمتأمل لقصة موسى مع الخضر عليهما السلام يجد هذا الأمر واضحاً جلياً، فقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله (قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) أي: شرط عليه قبل بدء الرحلة ألا يسأله ولا يستفسر عن شيء من تصرفاته حتى يكشف له سرها، فقبل موسى شرطه رعايةً لأدب المتعلم مع العالم، والمعنى لا تسألني عن شيءٍ مما أفعله حتى أبينه لك بنفسي[1]. وهذا يدل على موضوع الاتفاق على قوانين الصف بين المعلم والطلاب قبل أن تبدأ عملية التعليم.

وفي قوله (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً) أي ألم أخبرك من أول الأمر أنك لا تصبر على ما ترى من صنيعي، فذكَّره بلطف في مخالفته الشرط، وهذا يدل على ذكر القوانين الصفية والأنظمة التعليمية للطلاب من قبل، وعلى المعلم تذكير الطالب المخالف لها بما تعهد به من احترامها والتقيد بها.

وفي قوله (قال لا تؤاخذني بما نسيت) أي لا تؤاخذني بمخالفتي الشرط ونسياني العهد، (ولا ترهقني من أمري عسراً) أي لا تكلفني مشقةً في صحبتي إياك وعاملني باليسر لا

(١) انظر كتاب تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ج٣/١٣٠.

بالعسر[1]، دلالة على تحمل المعلم لأخطاء طلابه، وقبول أعذارهم، وعدم معاقبتهم من أول مرة، وأن الطالب، ولو كان متميزاً، معرضٌ للخطأ.

وفي قوله (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) أي قبل عذره وانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان فمرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضيء الوجه جميل الصورة فأمسكه الخضر واقتلع رأسه بيده ثم رماه على الأرض (قال أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً) أي: قتلت نفساً بغير ذنب، وفعلت شيئاً منكراً عظيماً لا يمكن السكوت عنه، فلم يكن موسى ناسياً هذه المرة ولا غافلاً ولكنه قاصدٌ أن ينكر المنكر الذي لا يصبر على وقوعه. ولذلك قال له الخضر (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً)، قال المفسرون: وقَّره في الأول فلم يواجهه بكاف الخطاب، فلما خالف في الثاني واجهه بقول (لك) لعدم العذر هنا.

ويعود موسى لنفسه ويجد أنه خالف وعده مرتين، فيندفع ويقطع على نفسه الطريق ويجعلها آخر فرصة أمامه فيقول (قال إن سألتك عن شيءٍ بعدها فلا تصاحبني) أي إن أنكرت عليك بعد هذه المرة واعترضت على ما يصدر منك فلا تصحبني معك (قد بلغت من لدني عذراً) أي قد أعذرت إليَّ في ترك مصاحبتي فأنت معذرو عندي لمخالفتي لك ثلاث مرات[2].

وفي هذا دلالة على أنَّ الطالب قد يكرر الخطأ نفسه، وأن على المعلم أن يحسن التعامل مع هذه الحالات لا سيما إذا بادر الطالب واعتذر بعد أن نُبِهَ لذلك، وأنه يعطى فرصة أخرى.

وفي قوله (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية[3] استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً) فقد أنكر عليه موسى صنيع المعروف مع غير أهله، قال له موسى: قوم استطعمناهم فلم يطعمونا، وضيفناهم فلم يضيفونا ثم قعدت تبني لهم الجدار لو شئت لاتخذت عليه أجراً!!

وفي هذا دلالة على تكرار الخطأ ذاته من الطالب نفسه ثلاث مرات، وأن ذلك لا يفقد المعلم عقله واتزان نفسه فيبقى هادئاً وينبه على ذلك ويتخذ الإجراء المتفق عليه بينهما.

(١) انظر كتاب صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني، ج٢٢/٨.
(٢) انظر كتاب صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني، ج٢٢/٨.
(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما هي انطاكية. انظر صفوة التفاسير للصابوني، ج٢٤/٨.

وفي قوله (قال هذا فراق بيني وبينك) أي: هذا وقت الفراق كما اتفقنا على ذلك. وفي هذا دلالة على إيقاع العقوبة المتفق عليها سابقاً على الطالب المخطئ المكرر لخطئه مرات عديدة.

وهذا ما يعرف في علم إدارة الصف بالتعامل مع مخالفات الطلاب بجميع أنواعها (التافهة-البسيطة-المتفاقمة-الحادة-مشاكل سلوكية خاصة)[1]، ففي البدية يكون التعامل مع المخالفة بلفت النظر، ثم إذا تكرر بتذكيره بالقوانين والاجراءات، فإذا أصر على ذلك نوقع العقوبة المتفق عليها بين الطالب والمعلم حسب القوانين المدرسية الصفية المتفق عليها. وهذا ما حدث بين موسى والخضر عليهما السلام.

وكذلك فيه إشارة إلى أنَّ المخالفة البسيطة عقوبتها بسيطة، فإذا تفاقمت تفاقم معها العقاب، ففي بداية الأمر ذكَّره وعاتبه، ثم في المرة الثانية رفع مستوى التحذير، ثم في الثالثة أوقع العقوبة عليه.

المطلب السادس: تحقيق الأهداف التعليمية التربوية (المعرفية-المهارية- الوجدانية[2] في التعليم.

احتل موضوع الأهداف التربوية والتعليمية مكانة بارزة في دراسة الباحثين التربويين ومؤلفاتهم وندواتهم ومؤتمراتهم العلمية منذ الخمسينات من القرن العشرين، بحيث أصبحت الأهداف من بين أكثر المجالات التربوية رعاية وأهمية، بل ومن بين أكثرها تأثيرا في الميادين التربوية المتعددة ذات العلاقة.

ولا يخفى أهمية الأهداف التعليمية بالنسبة للمتعلّمين والمعلّمين والمديرين والمشرفين التربويين. فهي تحدّد طبيعة التفاعل داخل الحجرة الدراسية وتساعد المعلمين على اتخاذها

(١) انظر كتاب الإدارة الصفية لمعلمي المرحلة الابتدائية، لـ: كارولين ايفرتسون وإدموندت إيمر، ص(٢٨١-٣٢٠) وكتاب الإدارة الصفية لمعلمي المرحلتين المتوسطة والثانوية، لـ: كارولين ايفرتسون وإدموندت إيمر، ص(٢٥٩-٣٠٠)، وكتاب الانضباط التعاوني، لـ: ليندا ألبرت.

(٢) انظر كتاب التربية الإسلامية وفن التدريس لعبد الوهاب طويلة، ص٣١ وما بعدها، وكتاب الاتجاهات الحديثة في طرائق تدريس التربية الدينية الاسلامية للدكتور مصطفى اسماعيل موسى، ص١٠٣ وما بعدها.

كدليل لعملية تخطيط الدروس اليومية، وتشجع المديرين والمشرفين التربويين على متابعة سير العملية التعليمية، والتأكد من فاعلية طرق التدريس التي يستخدمها المعلمون، والأنشطة التي يقوم بها الطلاب، كما تساعد في الكشف عن نقاط القوة وجوانب الضعف لدى المنهج المدرسي، بل والبرنامج الدراسي ككل.

والمعلم إذا عرف الهدف فسيعرف أيَّ طريق يسلك، بمعنى أنه سيعرف أيّ طرق التدريس والوسائل وتكنولوجيا التعليم أنسب لتحقيق الهدف، وسيعرف كيف يجري عملية التقويم، وسيسهل عليه اختيار الأدوات والأساليب المناسبة للتقويم.

وإذا كان تحديد الأهداف لازماً لممارسة أيّ نشاط إنساني، فإنه أشدُّ لزوماً في المجال التربوي الذي تنعقد عليه الآمال في تحقيق صورة المستقبل وبلوغ الغايات.

وإنَّ تحقيق الأهداف التربوية هي الغاية الكبرى من العملية التعليمية، فكل عملية تعليمية تبدأ بالمعرفي ثم تنتقل إلى المهاري التطبيقي، ويصاحب الهدف المعرفي والمهاري الهدف الوجداني الروحي، وبذلك ننقل المتعلم من مجرد المعرفة إلى واقع التطبيق العملي مع جعله يشعر بمشاعر

إيجابية أثناء المعرفي والتطبيقي المهاري ليكون الوجداني بمثابة الروح التي تحيي في العمل، فطالما أن روح العمل موجودة والتصور الصحيح عن أدائه موجود واضح وجد العمل المطلوب على الصفة المرادة واستمر وجوده.

والمراقب لأوضاع الطلاب اليوم وغالب أفراد المجتمع، بل حتى والأمة يجد أنَّ الهدف المعرفي متحققٌ في الغالب، لكن الهدف المهاري التطبيقي شبه معدوم وكذلك الوجداني، فقلما تتحدث عن واجب شرعي إلا ويكمل الطلاب تفصيله وبقية أحكامه، ويقومون بسرد أدلته، لكنهم بعيدون جداً عن القيام به، وهذا هو الهدف التطبيقي المهاري، وهكذا في المنوعات، تجدها معلومة معروفة لدى كثير منهم، لكن قلَّ من يمتنع عنها. وهذا يسلط الضوء على أهمية الاهتمام بتحقيق الأهداف التربوية جميعها في العملية التعليمية للوصل إلى الهدف المرجو من التربية والتعليم.

والمتأمل في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام يجد تحقق هذه الأهداف في التعليم، فالله تبارك وتعالى لم يكتف بمجرد إخبار موسى بأنه ليس بأعلم أهل الأرض، وأنه عتب عليه تسرعه في الجواب، وكان يكفي موسى عليه السلام ذلك، فيعلم أنه ليس أعلم أهل الأرض، وأنه كان ينبغي له أن يرد العلم إلى الله عزَّ وجلَّ، بل انتقل معه من المعرفي إلى المهاري التطبيقي، فبعد أن أخبره بأن يوجد عبدٌ صالح هو أعلم منه، دلَّهُ على طريقه وسبيل الوصول إليه، فكان هناك مشقة سفر فتحمَّلها، وتعليماتٌ شديدةٌ انضبط بها، وإرشاداتٌ صعبةٌ التزمَ بها للوصول إليه، وهو ما حدث حقاً.

انطلق موسى عليه السلام مع فتاه يوشع بن نون حتى رأى العلامة التي حددها الله له، ثم التقى بالخضر عليه السلام، وصار طالباً للعلم بين يديه، وهو من أولي العزم من الرسل، وصبر على تصرفاته التي كان يراها بسبب تسرعه وقلة صبره خطأً، وفي ذلك تعليم له على مهارة الصبر وعدم التسرع في اطلاق الأحكام، فقد نقله من الهدف المهاري التطبيقي بعد تحقيق الهدف المعرفي النظري.

وأما تحقيق الهدف الوجداني في هذه القصة فهو شعور موسى عليه السلام بأنه حقق أمر ربه عزَّ وجلَّ فذهب للقاء الخضر عليه السلام، وتعلم منه علماً جديداً، وتعلم على يديه الصبر وعدم التسرع، فهو بذلك قد نال رضى الله تعالى بسبب تنفيذ أوامره، وأصبح على بينة من أمره في موضوع "من أعلم أهل الأرض"، وأن يرد العلم فيما ليس عنده فيه علم إلى الله تعالى، فلن يتسرع في ذلك مرة أخرى، وهذا يورث الإنسان رضا عن نفسه وسعادة عظيمة في داخله، لعلمه أنَّ الله تبارك وتعالى قد رضي عنه بسبب امتثاله لأوامره.

التوصيات

على المؤسسات التربوية الاهتمام باختيار المعلم اهتماماً كبيراً لما له من تأثير كبير سلباً أو إيجاباً في الطلاب والمجتمع والأمة، وعليهم وضع شروط جادة يراعى فيها الجودة في التعليم من حيث صفاته الشخصية وكفاءته العلمية ومهاراته التربوية.

العمل على إيجاد المعلم المتميز الحاصل على درجة الجودة في التعليم، فهناك صفات أساسية لا بد من وجودها لديه، إضافة للصفات التي تؤهله ليكون معلماً للمادة التي يعلمها،

هذه الصفات هي بمثابة صفات (الجودة في المعلم) من خلال وضع معايير تقييمية بناءً على ما تقدم من صفات المعلم، والتي هي: معرفة علم الله تعالى مما يورثه التواضع والبعد عن الأنا، والصبر وقوة التحمل في سبيل تطوير الذات، وقبول النصيحة والعمل على التصحيح الفوري، والتواضع للأقران، وأن يكون منضبطاً ومنظِماً لأموره ومرتباً لأولوياته.

وينبغي على الإدارة متابعة المعلم في هذه الصفات متابعةً دقيقةً، في جدول خاص، يتخذ بناء على نتائج هذا الجدول قرارات هامة تكريميةً أو إجرائية كلفت النظر والتعهد الخطي، وغيره.

إلزام المعلم، مهما بلغ علمه، وعلت رتبته، بالمشاركة الندوات العلمية والمؤتمرات التربوية الهادفة ليكون مواكباً للمستجدات العلمية وأحدث الوسائل التعليمية المعاصرة، والبحوث التجديدية في ميدان العلم والتعليم وفق أحدث النظريات العلمية الحديثة، كما شارك موسى في ذلك مع الخضر عليهما السلام.

امتلاك المعلم لأحدث نظريات التعليم مثل استخدام الذكاءات المتعددة، ومعرفة أنماط الطلاب، وخصائص المراحل العمرية للطلاب مثل الطفولة والمراهقة والبلوغ، وغيرها.

امتلاك المعلم مهارة الإدارة الصفية وحل المشكلات، ليكون على بينة من أمره في حسن إدارة الصف وضبطه، وتأمين الجو الآمن للتعليم، وتعامله الناجح مع مشكلات الطلاب في الصف.

امتلاك المعلم لمهارة تحقيق الأهداف التربوية التعليمية (المعرفي – المهاري – الوجداني)، وذلك سعياً لتحقيق الهدف من العملية التعليمية وهو التعليم والتزكية، مراعياً في ذلك القاعدة التربوية المعروفة: نبدأ بالمعرفي، ثم ننتقل إلى المهاري التطبيقي، يصاحبه الوجداني. وقد ظهر ذلك في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، فقد نقله من معرفة أن هناك من هو أعلم منه في الأرض إلى تحقق ذلك عملياً في الواقع، حيث أدرك مما رآه من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، أنه علم شيئاً وغابت عنه أشياء.

وقد أشار الله تبارك وتعالى لهذه القضية في عدة آيات مباركات، منها على سبيل المثال

لا الحصر قوله تعالى في سورة الزمر: (...فبشر عباد. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئـك الذين هداهـم الله وأولئك هم أولوا الألباب) آية: ١٨، فتحقيق الهدف المعرفي يتجلى في استمـاع القول وفهمه فهمـا صحيحاً، ثم (يتبعون أحسنه) وهـذا تحقيق للهدف المهاري التطبيقي فهم يتبعون ما عرفوا وفهموا ولم يكتفوا بمجرد المعرفة، ثم (فبشر عباد) و(أولئك الذين هدى الله وأولئك هم أولوا الألباب) تحقيق للهدف الوجداني، وهو شعورهم برضا الله عنهم، فقد وصفهم بالهداية وأنهم من أولي العقول النيرة فبشرهم برحمته ومغفرته وقبول أعمالهم، فهذا الشعور هو روح العمل وبه يبقى ويستمر.

جعل الطالب محور العملية التعليمية في التعليم، كما دلت قصة الخضر مع موسى عليهما السلام دلالةً واضحةً على ذلك. فلم يكتف بعتاب موسى عليه السلام في قوله (أنه أعلم أهل الأرض)، وإخبـاره أنَّ في الأرض من هو أعلم منه، بل جعله يشارك في العملية التعليمية من: السفـر وتحمل المشقة، وخرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، ومراقبة الطير الذي نقر مـن ماء البحر نقرة، ثـم جعله يمر باختبار صعب علمه فيه الصبر والتواضع، وعدم التسرع في الحكـم على الأشياء، ليكون كل ذلك طريقةً حديثـةً تعليميةً يكون فيها الطالب هو المحور الأساس في تعليمه وتصحيح خطئه.

وهذا يعنـي أن نجعل للأمور التطبيقية حيزاً كبيراً في العملية التعليمية، فيكون الطالب هـو من يبحث ويقرأ ويستنبـط بمتابعة وإشراف المعلم، كما كان الخضـر مشرفاً على تعليم موسى عليهما السلام.

تجهيز المؤسسـات التعليمية بأحدث الوسائل والمختبرات العلمية الحديثة التي تستخدم في العملية التعليمية، كما استخدم الخضر عليه السلام أسلوب التشبيه في نقر العصفور لماء البحر. وكذلك أسلوب التحفيز والتشويق في خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، معلماً موسـى من خلال هـذه التجربة عدم التسرع، وضبط النفس، والالتـزام بالشروط...، فكان ذلك كمثل المختبرات العلمية التي تستخدم استخداماً تطبيقياً في التعليم.

فهرس المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.

٢. الإدارة الصفية لمعلمي المرحلة الابتدائية، لـ: كارولين ايفرتسون وإدموندت إيمر، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع، الدمام - السعودية.

٣. الإدارة الصفية لمعلمي المرحلتين المتوسطة والثانوية، لـ: كارولين ايفرتسون وإدموندت إيمر، الطبعة الأولى:١٤٣١هـ/٢٠١٠م، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع، الدمام - السعودية.

٤. إرواء العليل

٥. الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام ابن حجر العسقلاني الطبعة الأولى: ١٣٢٨هـ/ دار الكتاب العربي – بيروت.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ص: ١٤٠٨هـ /١٩٩١م/ مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

٧. البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، الطبعة السادسة: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م/ مكتبة المعارف –بيروت.

٨. تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م/ دار الكتب العلمية – بيروت.

٩. الاتجاهات الحديثة في طرائق تدريس التربية الدينية الاسلامية، تأليف الدكتور مصطفى اسماعيل موسى، الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م/دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة.

١٠. التربية الإسلامية وفن التدريس، تأليف عبد الوهاب عبد السلام طويلة، الطبعة

الرابعة: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م/ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر.

١١. تفسير أبي السعود لمحمد بن محمد العمادي، دار المصحف – القاهرة.

١٢. تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، تقديم د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م/ دار المعرفة – بيروت.

١٣. تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٤. الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بتحقيق وشرح أحمد شاكر، الطبعة الأولى : ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م/ دار الكتب العلمية – بيروت

١٥. الحذر في أمر الخضر، للملا علي بن سلطان محمد القاري الهروي، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ-١٩٩١م/ دار القلم – الدار الشامية.

١٦. الخضر عليه السلام نسبه، نبوته، تعميره، للأمين الحاج محمد أحمد، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م/مكتبة دار المطبوعات الحديثة – جدة .

١٧. الخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة، تأليف أحمد العزيز الحصين الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م/مكتبة البخاري.

١٨. الخضر بين الحقيقة والخيال، لعبد الحليم محمد قنبس، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م/ دار الكتاب العربي.

١٩. الخضر نبي أو ولي؟ حي أوميت؟ للدكتور علي محمد الشيخ، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م/ دار مكتبة الإيمان، طرابلس-لبنان.

٢٠. الزهر النضر في نبأ الخضر للإمام ابن حجر العسقلاني، شرحه وعلق عليه سمير حسين حلبي، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م دار الكتب العلمية – بيروت.

٢١. سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث حمص – سوريا

٢٢. صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م/ دار الكتب العلمية.

٢٣. صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م دار الحديث بالقاهرة.

٢٤. صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني، الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار القرآن الكريم، بيروت-لبنان.

٢٥. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني، راجعه قصي محب الدين الخطيب، ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي، شرحه محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م/ دار الريان للتراث – القاهرة.

٢٦. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ/ دار التقوى للنشر والتوزيع.

٢٧. محاسن التأويل، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ-١٩٨٧م/ دار الفكر – بيروت.

٢٨. مسند أبي داود الطيالسي للحافظ الكبير سليمان بن داود بن الجارود الشهير بأبي داود الطيالسي، دار المعرفة – بيروت.

٢٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الخامسة: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م/ المكتب الإسلامي.

٣٠. المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م/ دار الريان للتراث – القاهرة.

٣١. النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي/ المكتبة العلمية- بيروت.

د.عبد الكريم بن عبد العزيز بن حمد الشملان

الاســـــــم	د.عبد الكريم بن عبد العزيز بن حمد الشملان
الـتـخـصـص	درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه

ثانياً : البيانات العلمية :

الدرجة	سنة التخرج	اسم الجامعة	الكلية	التخصص
١ – إجازة التلاوة المروية عن النبي ﷺ من طريق الشاطبية، بقراءة: عاصم برواية حفص ، عام ١٤٣٤هـ				
٢- بكالوريوس	١٤٠٧هـ	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	كلية أصول الدين	القرآن وعلومه
٣ – الماجستير١	١٤١٣هـ	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها	علم اللغة التطبيقي
٤ – الماجستير٢	١٤١٧هـ	جامعة الملك سعود	كلية التربية- قسم الثقافة الإسلامية	التفسير والحديث
٥ - الدكتوراه	١٤٢٦هـ	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	كلية أصول الدين	القرآن وعلومه

ثالثا : الخبرات العلمية والاستشارية :

١	التحكيم في المسابقة الدولية للقرآن الكريم التابعة لرئاسة الحرس الوطني لمدة خمس سنوات خلال الفترة ١٤١٧-١٤٢١هـ.
٢	المشاركة في مراجعة مقررات العلوم الشرعية – المشروع الشامل للمناهج – الخاصة بالمدارس السعودية بالخارج ، (وزارة التربية والتعليم)
٣	المشاركة في ورش عمل عن إعداد معاجم مصطلحات علوم القرآن، مركز تفسير بمدينة الرياض.
٤	العمل موفداً من قبل وزارة التربية والتعليم للعمل في المدارس السعودية بالرباط خلال الفترة ١٤٢٦-١٤٣٠هـ
٥	المشاركة ضمن وفد وزارة التربية والتعليم لبرنامج الرائد الزائر الدولي في الولايات المتحدة الأمريكية ١٤٣٢هـ

أثر القرآن الكريم في معالجة المشكلات السلوكية للطلاب

إعداد

د. عبدالكريم بن عبدالعزيز الشملان

مقدمة :

أنـزل الله كتابـه الخاتم منهجًـا شاملًا للبشرية، قـال تعالى: (مَّا فَرَّطنَـا فِي الكِتَبِ مِن شَـيءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم يُحشَرُونَ)[1]، كمـا أن القرآن الكريم كتاب هداية للإنسانية، قال تعالى: (إِنَّ هَـذَا القُرءَانَ يَهـدِي لِلَّتِي هِيَ أَقوَمُ)[2]. بل إن في القرآن الكريم مصدرًا لسعادة الإنسان في الدنيـا والآخـرة، قال تعـالى: (مَـا أَنزَلنَا عَلَيـكَ القُـرءَانَ لِتَشقَى)[3]. فللقـرآن الكريم آثـار عظيمـة على الفرد والجماعـة، سواء أكانت آثـارًا نفسية، أم عقليـة، أم اجتماعية، أم اقتصاديـة، أم سياسيـة.. فهو كتاب مُعجز في تشريعه، وأحكامـه، وأسلوبه، وبيانه، ونظمه، وبلاغتـه، وعلومه... ومن آثـاره المعجزة أثره في تهذيب النفوس وإصلاح القلوب، وما يرتبط بذلك من امتداد لإصلاح السلوكيات القولية والفعلية ومعالجتها.

مشكلة البحث:

إذا كان السلـف الصالـح قد أولوا عنايتهم الفائقة بإبراز آثـار القرآن الكريم في جميع الأحـوال والطرق؛ فهـل أدرك المربـون في هذا الزمن أثـر القرآن الكريم (تـلاوة، وحفظًا، وتدبرًا) في معالجة السلوكيات الخاطئة للطلاب، وإلى أي مدى ظهر ذلك من خلال البرامج والفعاليات الإجرائية التي تُحقّق الأهداف.

أهمية البحث:

تأتـي أهمية البحـث من حيث إنه يعرض لمسألة مهمة تتعلّـق بشريحة كبيرة من شرائح المجتمـع، وعنصـر مهم تقوم عليه حضارة الأمم؛ وهم الناشئة الذين يعيشون في زمن كثرت فيـه المُلهيات والمُغريات، وتسهّلت فيـه أدوات الاتصال الثقافي؛ مما أحدث تأثيرات سلبية في التفكـير والسلوك؛ وعند ذلك فإن المرجع الصحيـح لتعديل السلوك ومعالجة الأخطاء يكون بالرجـوع إلى كتاب الله – سبحانـه- وإبراز آثاره وتدبّره، من خـلال تفعيل أدوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

(١) سورة الأنعام، من الآية (٣٨).
(٢) سورة الإسراء، من الآية (٩).
(٣) سورة طه، الآية (٢).

أسباب اختيار البحث:

الحاجة إلى إدراك أثر القرآن الكريم في معالجة السلوكيات الخاطئة عند الطلاب.

محاولة إبراز الجهود المبذولة في الدراسات القرآنية؛ وتوظيفها في تربية الطلاب، وتهذيب سلوكياتهم، وتشكيل شخصياتهم.

قصور الأداء في أدوار بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية لتفعيل أثر القرآن الكريم؛ لمعالجة السلوكيات الخاطئة عند الطلاب.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ثلاثة أمور:

التَّعرّف على أبرز الآثار العامة المتعلقة بالقرآن الكريم على الفرد والمجتمع.

الكشف عن أهم الآثار الخاصة المُتعلقة بالقرآن الكريم: قراءة، وحفظًا، وتدبرًا؛ وسبل تحقيق تلك الآثار إجرائيًّا من خلال نماذج مقترحة.

إبراز أهم الأدوار التي تؤديها مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تفعيل أثر القرآن الكريم لمعالجة المشكلات السلوكية للطلاب.

منهج البحث:

لتحقيق أهداف الدراسة فقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي لاستخراج الآثار العامة والخاصة من النصوص الشرعية في القرآن الكريم بصورة عامة، ولمعالجة المشكلات السلوكية للطلاب بصفة خاصة، وتحليل ودراسة تلك الآثار وعلاقتها بمعالجة المشكلات السلوكية، وبيان آلياتها الإجرائية من خلال تفعيل دور المدرسة في ذلك.

الدراسات السابقة:

أُجري العديد من الدراسات المتعلقة بأثر القرآن الكريم، فمنها التي ركّزت على علاقة حفظ القرآن الكريم، ومنها التي أوضحت أثر القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي على المسلم؛ ومنها التي بيّنت أثر حفظ القرآن الكريم وعلاقته بالقلق والتحصيل الدراسي، وسأقوم بعرض ملخص لكل دراسة، ثم التعليق عليها من حيث علاقتها بموضوع البحث، وأوجه التشابه والتوافق والاختلاف فيما بينها.

دراسة عماد بن سيف بن عبدالرحمن العبد اللطيف (١٤٣١هـ): "أثر حلقات تحفيظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي والقيم الخلقية". هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين التحاق الطالب بحلقة تحفيظ القرآن الكريم وتحصيله الدراسي، ومدى توفر قيم: "الصدق، وبرِّ الوالدين، والنظافة، وأدب الحديث، والأمانة" لدى الطلاب الملتحقين بحلقة تحفيظ القرآن الكريم. وخلصت الدراسة إلى أهمية تفعيل التحاق الطلاب بحلقات القرآن الكريم، وتضمين الأنشطة اللاصفية بالحلقات، وتطوير أداء الحلقات القرآنية ونشرها.

دراسة عبدالرحمن بن عبدالله المالكي (١٤٢٩هـ): "أثر استخدام الموعظة القرآنية في تنمية السلوك الوجداني لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي في مادة التربية الإسلامية". هدفت الدراسة إلى التَّعرُّف على أثر استخدام الموعظة القرآنية في تنمية السلوك الوجداني للطلاب، في كل مجال من مجالات السلوك الوجداني: (التقدير، والاستجابة، والاتجاه). وأوصت الدراسة باستخدام الموعظة القرآنية بوصفها استراتيجية من استراتيجيات التدريس؛ وذلك لتنمية مجال التقدير عند الطلاب.

دراسة د. سعيد بن فالح المغامسي (١٤٢٨هـ): "أثر القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي لدى المسلم". هدفت الدراسة إلى التَّعرُّف على أهمية الأمن النفسي في حياة الأفراد والجماعات، وأثر الهدي القرآني في ذلك، وتحديد أهم آثار القرآن الكريم في تحقيق الأمن النفسي لدى المسلم، وأظهرت الدراسة أن من ثمرات الأمن النفسي التوفيق والعون من الله سبحانه- والحصول على محبّة الآخرين؛ وسلامة النفس من القلق والحيرة والشك، وتوفير الحياة الطيبة للمجتمع.

دراسة سعيد بن فالح المغامسي (١٤٢٥هـ): "أثر حفظ القرآن الكريم في التحصيل الدراسي بالمرحلة الجامعية". هدفت الدراسة إلى إبراز فضل القرآن الكريم وآثاره التربوية والتعليمية: تلاوةً، وحفظًا، وتدبرًا، ثم أثر حفظه في التحصيل الدراسي. وأوصت الدراسة بأهمية العناية بتدريس القرآن الكريم: تلاوة، وحفظًا، وتدبرًا، والإفادة من آثار ذلك في برامج التربية والتعليم، وإنشاء مراكز للدراسات القرآنية تُعنى بالقرآن الكريم وعلومه.

دراسة أحمد بن صالح أحمد رضا (١٤٢٢م): "حفظ القرآن الكريم وعلاقته بالقلق

والتحصيل الدراسة لدى عينة من طلاب الثانوية في مدينة أبها في السعودية". هدفت الدراسة إلى إبراز أثر حفظ القرآن الكريم في تحقيق الصحة النفسية، وخفض التوتر والاضطراب، واستحداث أساليب لها أثر فعّال في الوقاية من الأزمات النفسية. وأوصت الدراسة بتفادي زيادة انتشار القلق والتوتر النفسي، والعمل على الوقاية منها؛ بإنشاء مراكز للبحوث والدراسات النفسية لذلك الغرض، وتكثيف ساعات القرآن الكريم في المدارس.

التعليق على الدراسات السابقة:

اتفقت الدراسات: الأولى، والرابعة، والخامسة على جزء "الحفظ"، وهو من أهداف البحث، وعلاقته بالتحصيل الدراسي، إضافة إلى أثر الحفظ على مستوى القلق بالدراسة الخامسة؛ بينما تناولت الدراسة الثانية أسلوبًا من أساليب القرآن الكريم وعلاقته بالسلوك الوجداني، ويُعدُّ ذلك جزءًا من أنواع المشكلات السلوكية، وهو ما يتعلّق بالجانب النفسي.

ويمكن القول بأن هذا البحث يتفق مع الدراسات السابقة في تقرير أهمية أثر القرآن الكريم في تحقيق بعض الأهداف العامة المتعلقة بحياة الأفراد والمجتمعات.

ويختلف هذا البحث في كّونه يُركّز على إبراز أثر القرآن الكريم من ناحيه تلاوته، وحفظه، وتدبره في معالجة المشكلات السلوكية: (نفسية، وقولية، وفعلية) لدى الطلاب، وتفعيل أدوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية (المدرسة) في ذلك.

مصطلحات البحث:

(الأثر): التعريف اللغوي: (أثر): لغة، قال ابن فارس (مادة: أثر): " الهمزة، والثاء، والراء له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي ...". والأثر: "بقية ما يُرى من كل شيء، وما لا يُرى بعد أن تبقى فيه عُلقة"، ونقل ابن فارس عن الخليل (مادة: أثر)، "والأثر: الاستقفاء والاتباع"[1]، وذكر الفيروزآبادي مادة (الأثر): "وائتثره وتأثرهُ: تبع أثره، وأثر فيه تأثيرًا: ترك فيه أثرًا"[2].

(١) معجم مقاييس اللغة، (٥٧).
(٢) القاموس المحيط ، (٤٣٦).

- **التعريف الاصطلاحي:** ذكر الجرجاني؛ مادة (الأثر) بأن لها ثلاثة معانٍ: "الأول، بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء"[1]. وأورد الراغب الأصفهاني في المفردات في (مادة: أثر): "أثر الشيء: حصول ما يدلّ على وجوده، ... وأثرت البعير: جعلت على خُفّه أثرة: أي علامة تؤثر في الأرض؛ ليستدلّ بها على أثره"[2].

(مشكلة): قال ابن فارس مادة (الشكل): "الشين، والكاف، واللام؛ معظم بابه المماثلة، تقول: هذا شكل هذا: أي مثله، ومن ذلك يُقال: أمر مُشكل، كما يُقال: أمر مُشبه: أي هذا شابه هذا، وهذا دخل في شكل هذا ...". وقال ".... إشكال هذا الأمر، وهو التباسه"[3]. وذكر الفيروزآبادي: "الشكل: الشبه، والمثل، ويكسر، وما يوافقك ويصلح لك. تقول: هذا من هواي ومن شكلي، وواحد الأشكال: للأمور المختلفة المُشكلة، وصورة الشيء المحسوسة والمتوهمة"[4]. وذكر الزمخشري (مادة: الشكل): "هذا شكله: أي مثله، وقلّت أشكاله، وهذه الأشياء أشكال وشكول، وهذا من شكل ذاك: من جنسه .... ومنه: أشكل الأمر كما يقال: أشبه وتشابه"[5].

(سلوك): قال ابن فارس (مادة: سلك): "السين، واللام، والكاف: أصل يدلّ على نفوذ شيء في شيء، يُقال: سلك الطريق أسلكه، وسلكت الشيء في الشيء: أنفذته .."[6]. وذكر الفيروزآبادي (مادة: سلك): "وسلك يده في الجيب، وأسلكها: أدخلها فيه ....والسُّلكى بالضم .. الأمر المستقيم".[7]، وقال الزمخشري (مادة: سلك): " طريق مسلوك، وما سلك طريق أقوم منه.. ونظم الدر في السلك وفي السلوك"[8].

(١) التعريفات، (٢٣).
(٢) المفردات، (٩).
(٣) معجم مقاييس اللغة، (٥٣٣).
(٤) القاموس المحيط ، (١٣١٧).
(٥) أساس البلاغة، (٣٣٥).
(٦) معجم مقاييس اللغة، (٤٩٠).
(٧) القاموس المحيط، (١٢١٨).
(٨) أساس البلاغة، (٣٠٥).

التعريف الاصطلاحي: قال الراغب الأصفهاني في المفردات (مادة: سلك): "السلوك النفاذ في الطريق، يُقال: "سلكت الطريق وسلكت كذا في طريقه"[1]، وذكر أحمد أوزي أن السلوك: "ردّ فعل الفرد في وحدة زمنية قياسية، في وسط معين، لمثير أو مجموعة من المثيرات"[2].

ويُقصد بالسلوك الإنساني: "مجموعة من العادات التي يتعلّمها الفرد ويكتسبها أثناء مراحل نموه المختلفة، وتتحكّم في تكوينها قوانين الدماغ، وهي قوى الكفِّ، وقوى الاستثارة اللتان تُثيّران مجموعة الاستجابات الشرطية، ويُرجعون ذلك إلى العوامل البيئية التي يتعرَّض لها الفرد"[3].

ويمكن أن تُقسّم تلك السلوكيات إلى قسمين: سلوكيات إيجابية، وسلوكيات سلبية، والسلوك الإيجابي دليل على وجود قيمة لدى الفرد؛ تدفع لفعل الخير من خلال تكرار الفعل في مواقف مختلفة[4].

ويُعرّف الباحث المشكلة السلوكية بأنها: "أي ممارسة سلبية هدامة، تُهدّد أمن الفرد والجماعة، وتؤذي وتفسد".

(١) المفردات، (٢٣٩).
(٢) المعجم التربوي، (١٦٥).
(٣) دليل المرشد الطلابي في مدراس التعليم العام، (٣٨).
(٤) القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، (٩٢).

الفصل الأول

المبحث الأول

أثر القرآن الكريم فيما يتعلّق بالمتأثر به

القرآن الكريم كلام مُعجـز؛ عَجز البشر أن يأتوا بمثله، قال تعالى: (فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍمِّثْلِهِ إِن كَانُواْ صَدِقِينَ)[1]. ومن إعجاز القرآن الكريم مدى تأثيره في المستمع - أيًّا كان- سواء من الإنس أو الجن، مسلمًا كان أو كافرًا.

أولًا: تأثر المسلم بالقرآن الكريم:

وذلك مثل ما وقع لصفوة البشرية النبي محمد ﷺ حينما كان يستمع إلى تلاوة القرآن الكـريم، فعن عبدالله بن مسعـود، قال: قال لي رسول الله ﷺ: (اقرأ علـيَّ القرآن). قال: فقلـت: يا رسـول الله، أقرأ عليـك وعليك أُنزل. قـال: (إني أشتهـي أن أسمعه من غيري)، فقـرأت النسـاء حتى إذا بلغـت: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِـن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِـكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيدًا)؛ رفعت رأسي - أو غمزني رجل إلى جنبي - فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل"[2]. قال ابن حجر: "والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته؛ لأنه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيمًا، فقد يفضي إلى تعذيبهم"[3].

ثانيًا: تأثر الكافر بالقرآن الكريم:

مـن أثـر القـرآن الكـريم مـا يمتـد إلى غـير المسلمـين، فقـد يكـون استماعهـم للقـرآن الكـريم سببًـا لدخولهـم في الإسـلام؛ مـن بـاب التأثـر بالآيـات القرآنيـة المتلـوة، قـال تعـالى: (وَإِنْ أَحَـدٌ مِّـنَ الْمُشْرِكِـينَ اسْتَجَـارَكَ فَأَجِـرْهُ حَتَّـى يَسْمَـعَ كَلَـمَ

(١) سورة الطور، الآية (٣٤).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٨٠٠).
(٣) فتح الباري، (٩٩/٩).

اللّهِ)[1]. قال أبو حيان: "فكن مُجيرًا له حتى يسمع كلام الله ويتدبره.... ولما كان القرآن الكريم أعظم المعجزات علّق السماع به، وذكر السماع؛ لأنه الطريق إلى الفهم، وقد يُراد بالسماع الفهم، ومن خلال الاستماع يحدث التأثر والفهم لما فيه من أحكام وشرائع"[2].

قال القرطبي: "استجارك: أي سأل جوارك: أي أمانك وذمامك، فأعطه إياه ليسمع القرآن: أي يفهم أحكامه، وأوامره، ونواهيه؛ فإن قبل أمرًا فحسن، وإن أبى فردّه إلى مأمنه"[3]. وفي استماع المُستجير غير المسلم إلى القرآن الكريم إقامة الحُجة عليه.

ذكر ابن كثير: "استجارك،: أي استأمنك، فأجبه إلى طلبته حتى يسمع كلام الله: أي القرآن، تقرؤه عليه، وتذكر له شيئًا من أمر الدين تقيم عليه حجة الله....."[4].

ولاريب أن في ذلك التوجيه الرباني لعرض القرآن الكريم على المستجير الكافر دلالة على ضرورة الحرص من المسلمين على دعوة الكافرين للإسلام، واستغلال المواقف المناسبة لذلك؛ قال ابن عاشور: "ولما كانت إقامة المشرك المستجير عند النبي - عليه الصلاة والسلام- لا تخلو من عرض الإسلام عليه وإسماعه القرآن، سواء كانت استجارته لذلك أم لغرض آخر، لما هو معروف من شأن النبي ﷺ من الحرص على هدى الناس؛ جعل سماع هذا المستجير القرآن غاية لإقامته الوقتية عند رسول الله ﷺ"[5].

وإن من إعجاز القرآن الكريم ظهور التأثر من الكافرين بسماعه، وحصول المؤشرات لذلك، قال تعالى: (وَإِذَا سَمِعُواْ مَاأُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ لدَّمعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الحَقِّ)[6].

قال ابن عطية: "ولقد يوجد فيض الدموع غالبًا فيهم وإن لم يؤمنوا، وقال: "فاضت" أعينهم بالدمع من خشية الله، ورقّت قلوبهم"[7]. وفي الآية دلالة على أن فطرة الإنسان

(١) سورة التوبة، من الآية (٦).
(٢) البحر المحيط ، (٥/ ٣٧٤-٣٧٥).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٨/٧٥).
(٤) تفسير القرآن العظيم، (٤/١٠٠).
(٥) التحرير والتنوير، (١٠/١١٨-١١٩).
(٦) سورة المائدة، من الآية ٨٣.
(٧) المحرر الوجيز، (٢/٢٢٧).

- سواء كان مسلمًا أو غير مسلم- تقوده إلى معرفة الحق، وعلامة ذلك التأثر الحاصل بالنفس. ذكر القاسمي: "تفيض: أي: تنضب من الدمع الحاصل من اجتماع حرارة الحب والخوف، مع برد اليقين مما عرفوا من الحق: أي من كتابهم، فوجدوه أكمل منه وأفضل"(١)، ويذكر الجرجاني عن تأثر الكفار بالقرآن الكريم عندما استمعوه بأنه: "كان لشيء راعهم من مواقع حركاته، ومن ترتيب بينهما وبين سكناته، أو الفواصل في أواخر آياته، من أين تليق هذه الصفة وهذا التشبه بذلك"(٢).

ثالثًا: تأثر الجن بسماع القرآن الكريم:

لم يقتصر تأثير القرآن الكريم بالإنس - مؤمنهم وكافرهم- بل تعدّى ذلك التأثير إلى الجن، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾(٣).

قال ابن عطية: "هو خطاب منهم لقومهم الذين ولّوا إليهم منذرين، و"قرآنًا عجبًا"، معناه: ذا عجب؛ لأن العجب مصدر يقع من سماع القرآن؛ لبراعته، وفصاحته، ومضمناته، وليس نفس القرآن هو العجب"(٤).

وفي لفظ "عجبًا" دلالة على مدى تأثّر الجن بسماع القرآن، والمبالغة في ذلك. ذكر أبو السعود: "عجبًا" بديعًا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى، وهو مصدر وصف به للمبالغة، "يهدي إلى الرشد": إلى الحق والصواب"(٥). وفي الآية دلالة على إيمان الجنّ بالقرآن الكريم بعد تصريحهم بالإعجاب به، والتأثر بفصاحته وبلاغته.

(١) محاسن التنزيل، (٢٢٧/٤).
(٢) إعجاز القرآن، (٢٩٧).
(٣) سورة الجن، الآية (١).
(٤) المحرر الوجيز، (٣٧٩/٥).
(٥) إرشاد العقل السليم، (٤٢/٩).

الفصل الأول

المبحث الثاني

الأثر العام للقرآن الكريم في حياة الناس

القـرآن الكريم كلام الله – سبحانه- المعجز، ومـن مظاهر إعجاز القرآن الكريم تنوّع آثـاره وتعدّدها في النفس البشرية، وقد تضمّنت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية جملة من الآثار الناتجة من هذا الكتاب العظيم، ومن ذلك:

١. ثبوت الخيّريّة لأهل القرآن العالمين به العاملين به، قال تعالى: (كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللَّهِ)[١].

وقـد ثبـت في الصحيح من حديث أبي هريرة قال: قـال: رسول الله ﷺ: (خيركم من تعلّـم القرآن وعلّمه)[٢]. فالاتصاف بالخيرية مرتبط بالقرآن، قال ابن بطّال: " لأنه لما كان مـن تعلّم القـرآن أو علّمه أفضل الناس وخيرهم؛ دلّ ذلك على مـا قلناه؛ لأنه إنما وجبت له الخيّرية والفضل من أجل القرآن، وكان له فضل التعليم جاريًا مادام كل من علّمه تاليًا"[٣]. بـل إن في الحديث دلالة علـى أن قراءة القرآن أفضل الأعمـال، ويرتبط بأفضل الناس، قال العيني: "وفي الحديث دلالة على أن قراءة القرآن أفضل أعمال البر كلها"[٤]، كما أن تحصيل هذه الخيرية بالقرآن لارتباطه المتعدي لنفع المسلمين بتعليم القرآن، وذلك من الدعوة لله – سبحانـه- بتعليم كتابه، قال ابن حجر: "ولا شك أن الجامـع بين تعلّم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي؛ ولهذا كان أفضل"[٥].

---

(١) سورة آل عمران، من الآية ١١٠.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلّم القرآن وعلمه، (٤٧٣٩).
(٣) شرح ابن بطال لصحيح البخاري، (٢٦٥/١٠).
(٤) عمدة القارئ، (٤٢/٢٠).
(٥) فتح الباري، (٧٦/٩).

ومما سبق يمكن إجمال تحصيل الخيرية بالقرآن فيما يلي:

أن قراءة القرآن أفضل الأعمال، والمسلم المرتبط بذلك من أفضل الناس وخيرهم.

أن تحصيل الخيّرية على الناس؛ إنما وجب من أجل القرآن وسريان تعليمه.

أن تحصيل الخيِّرية بالقرآن، إنما حصل بالجمع بين العلم بالقرآن وتعلّمه، والدعوة إلى تعليمه للغير.

٢- أن القرآن الكريم حُجّة للإنسان عند ربه، وبقدر ارتباط الإنسان بالقرآن الكريم: قراءة، وحفظًا، وعلمًا، وعملًا، وتدبرًا؛ فإن في ذلك ثمرة عظيمة تنفع الإنسان المسلم يوم لا ينفع مال ولا بنون، بالأجر العظيم، ودخول الجنة، والنجاة من النار؛ عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله ﷺ "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"[١]، قال النووي: "القرآن حُجّة لك أو عليك، فمعناه ظاهر: أي تنتفع به إن تلوته وعملت به؛ وإلا فهو حُجّة عليك"[٢].

٣- أن القرآن الكريم شفيع للإنسان: فالقرآن الكريم يشهد للمسلم يوم القيامة بما كان منه في الدنيا من ارتباط وصلة، ويأتي الثواب والأجر كأنهما غمامتان، فعن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شافعًا لأصحابه"[٣]. قال الحارث المحاسبي: "شفيع في القيامة لمن تقرَّب إلى الله برعايته، وحفظ حدوده، وصبر لله – جل وعلا- على أحكامه"[٤].

٤- ائتلاف القلوب على القرآن الكريم: أنزل الله – جل وعلا- القرآن الكريم ليكون مصدرًا للتشريع، ومنهجًا يعتصم به المسلمون ويتمسَّكون به، ويتفقون عليه، قال الرسول

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، (٣٢٨).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، (١٠٢/٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاح المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، (٨٠٤).

(٤) العقل وفهم القرآن، (٢٧٢).

ﷺ: "اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا"[١].

قال النووي: "والأمر بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمول عند العلماء على اختلاف لا يجوز، أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز؛ كاختلاف في نفس القرآن، أو في معنى منه لا يسوغ فيه، أو اختلاف يُوقع في شكٍّ، أو شبهة، أو فتنة وخصومة، أو شجار، ونحو ذلك"[٢].

٥- حصول البركة وانتفاء الحسرة: إن الإنسان لفي أشدِّ الحاجة لحصول البركة والخير في حياته، وتحقّق السعادة وانتفاء الشقاوة، فعن أبي أمامة الباهلي، قال رسول الله ﷺ: "اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة"[٣]، فمن آثار المداومة على قراءة سورتي البقرة وآل عمران أنهما تدافعان الجحيم والزبانية عن أصحابهما، وفي ذلك المبالغة في الشفاعة لهم، إضافة إلى حصول البركة والمنفعة العظيمة، وزوال الندامة يوم القيامة، وانتفاء أثر السَّحرة"[٤].

٦- نفور الشيطان: وهذا الأمر جدٌّ عظيم؛ وذلك لما للشيطان من أثر في الوسوسة والإغواء للمسلم، فمتى ما داوم المسلم على قراءة سورة البقرة، وعلم معانيها، وعمل بما فيها: تدبرًا، وتطبيقًا؛ نتج عن ذلك هروب الشيطان وخروجه من المنزل، فعن أبي هريرة: " عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة"[٥] ، قال علي القاري: "ينفِر" بكسر الفاء: أي يخرج ويشرد، والمعنى ييأس من إغواء أهله ببركة هذه السورة، أو لما يرى من جدّهم في الدين، واجتهادهم

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن، (٤٨٢٠).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، (٢١٨/١٦).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاح المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، (٨٠٤).
(٤) فضائل القرآن للمستغفري، (١٧).
(٥) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، (١٣٠٠).

في طلب اليقين"[1] .

٧- العصمة من فتنة الدجال: ولا ريب أن فتنة الدّجال فتنة عظيمة أُمرنا بالتعوّذ منها في الدعاء بأدبار الصلاة؛ لما لها من خطر على الإنسان في معتقده وحياته، فعن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال"[2]. قال النووي: "قيل سبب ذلك: ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبّرها؛ لم يفتتن بالدجال، وكذا في آخرها"[3].

٨- رِفعة المنزلة يوم القيامة: إن من أعظم آثار القرآن الكريم على العبد المسلم؛ رفعة درجته يوم القيامة؛ فالجنة درجات يرتقي فيها المسلم حسب كثرة عمله، وصدق نيّته، ومُداومته على العمل الصالح، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها"[4]. قال العيني: "قوله: (وارتق): أمر من ارتقى يرتقي، ومعناه: اصعد إلى منزلك درجة درجة، فإن منزله بحسب قراءته من الآيات، وهو معنى قوله: " فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها"[5].

(١) مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح، (١٦/٥).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآيه الكرسي، (٨٠٩)
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، (٩٣/٦).
(٤) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن باب ماجاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر، ١٦٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح
(٥) شرح سنن أبي داود، للعيني، (٣٨١/٥).

الفصل الأول

المبحث الثالث

الأثر الخاص للقرآن الكريم في حياة الناس

سبق الحديث في المبحث الأول من هذا الفصل عن أنواع المتأثرين بالقرآن الكريم من الإنس والجن، والأثر العام للقرآن الكريم على الإنسان، وفي هذا المبحث سيتم عرض الآثار الخاصة الناتجة عن الارتباط بالقرآن الكريم: قراءة، وحفظًا، ورقية، وتدبرًا، وفهمًا.

أولًا: أثر قراءة القرآن الكريم على الإنسان:

للقرآن الكريم أثر كبير في مستمعيه، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[1]. قال ابن عاشور: "وكيفية تأثير تلاوة الآيات في زيادة الإيمان، أن دقائق الإعجاز التي تحتوي عليها آيات القرآن تزيد كل آية تنزل منها، أو يتكرّر على إسماع سامعيها يقينًا بأنها من عند الله؛ فتزيده استدلالًا على ما في نفسه؛ وذلك يقوي الإيمان حتى يصل إلى مرتبة تقرّب من الضرورة على نحو ما يحصل في تواتر الخبر من اليقين بصدق المخبرين، ويحصل مع تلك الزيادة زيادة في الإقبال عليها بشراشر القلوب، ثم العمل فيما تتضمّنه من أمر أو نهي؛ حتى يحصل كمال التقوى". وقال: "... وأسند الوجل إلى القلوب؛ لأن القلب يكثر إطلاقه في كلام العرب على إحساس الإنسان وقرارة إدراكه"[2].

ويزداد ذلك التأثير عندما تكون القراءة بالليل؛ لما فيه اجتماع الحواس، وقوة التركيز القلبي والعقلي للانتفاع بالقرآن الكريم؛ قال تعالى: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ

(١) سورة الأنفال، الآية (٢).
(٢) حجة القراءات، (٧٣٠).

قِيلًا)[1]. قال ابن زنجلة: "أراد – والله أعلم – أن القراءة في الليل يُواطئ فيها قلب المُصلي لسانه وسمعه على التفهم، والأداء، والاستماع؛ أكثر مما يتواطأ عليه بالنهار؛ لأن الليل تنقطع فيه الأشغال، وتهدأ فيه الأصوات والحركات"[2].

وفي توجيه قراءة أبي عمرو وابن عامر يذكر ابن خالويه: "قرأ ابن عمرو، وابن عامر "وِطاء" بكسر الواو على فِعال؛ جعلاه مصدرًا لواطأ يواطئ مواطأة ووطاء، ومعناه: يواطئ السمع والقلب؛ لأن الصلاة بالليل أشدّ على المؤمن من صلاة النهار، وما يغشاه من النعاس؛ فهو أقوم قيلا"[3].

كما أن من أعظم قراءة القرآن والعمل به؛ أنه يشفي القلب والعقل من الجهل، ويقيهما من الضلالة والانحراف والغي؛ قال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرءَانِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحمَة لِّلمُؤمِنِينَ[4].

وذكر القاسمي: ".. ونُنزّل عليك من القرآن ما يُستشفى به من الجهل والضلال، ورحمة ببيان الحقائق، وإقامة البراهين للمؤمنين به دون الكافرين؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله وشرائعه.."[5].

ثانيًا : أثر حفظ القرآن الكريم على الإنسان :

إذا كان أثر قراءة القرآن الكريم ظاهرًا في حياة المسلم، فكيف بمن حوى القرآن الكريم في صدره: حفظًا، وعلمًا، وتدبرًا، فقد قرن الله إجلاله وتعظيمه بحامل القرآن الكريم، العالم به، والعامل به، فعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: " إن من إجلال الله: إكرام ذي الشَّيبَة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكْرام ذي السلطان المقسط"[6].

---

(١) سورة المزمل، الآية (٦).
(٢) حجة القراءات، (٧٣٠).
(٣) إعراب القراءات السبع وعللها، (٤٠٥/٢).
(٤) سورة الإسراء، من الآية (٨٢).
(٥) محاسن التنزيل، (٤٩٩/٦).
(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الآداب، باب في تنزيل الناس منازلهم، (٤٨٤٣). وحسنه النووي في "رياض الصالحين" (رقم/٣٥٨)، وابن مفلح في "الآداب الشرعية" (٤٣٤/١)

قال العظيم آبادي شرف الحق: "إن من إجلال الله: أي تبجيله وتعظيمه... "وحامل القرآن الكريم": أي وإكرام حافظه، وسمّاه حاملًا له؛ لما يحمل لمشاق كثيرة تزيد على الأحمال الثقيلة، قاله العزيزي. وقال "القارئ": أي وإكرام قارئه، وحافظه، ومُفسّره. "غير الغالي" والغلو: التشديد ومجاوزة الحد: يعني غير المتجاوز الحدّ في العمل به، وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه.."[1].

بل إن الرسول ﷺ وصف قلب حافظ القرآن بالقصر العامر المضيء البارع، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : " إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب"[2].

ثالثًا: أثر الاسترقاء بالقرآن الكريم على الإنسان:

إن من أبرز آثار القرآن الكريم التي تدلّ على إعجازه؛ أنه يُسترقى به على الملدوغ فيتطهر من آثار السموم الداخلة في جسده، عن أبي سعيد قال انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء. فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء. فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي؛ ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطيع من الغنم؛ فانطلق يتفل عليه ويقرأ: "الحمد لله رب العالمين"؛ فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة. قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له. فقال: (وما يدريك أنها رقية) ثم قال: قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهما. فضحك رسول الله ﷺ [3]، وكان الراقي هو راوي الحديث (أبو سعيد الخدري). ذكر العيني: "فجعل يقرأ": أي طفق يقرأ أبوسعيد،

(١) شرح عون المعبود وحاشية ابن القيم، (١٣/١٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ماجاء فيمن قرا حرفاً من القرآن ماله من الأجر، (٢٩١٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، (٢١٥٦)

لما ثبت أنه كان الراقي"[1]. وكانت ثمرة القراءة أن برئ سيد أولئك القوم، ويدلّ هذا على بركة القرآن وعظيم أثره. قال القسطلاني: "فجعل" الراقي هو أبو سعيد الخدري "يقرأ بأمّ القرآن"؛ فبرأ" سيد أولئك ..."[2].

رابعًا: أثر تفسير القرآن الكريم وتدبّره في الإنسان:

ضرب الله المَثل على عظمة أثر هذا القرآن الكريم، وعلو مكانته، وجليل مواعظه؛ قال تعالى: (لَو أَنزَلنَا هـذَا القُرءَانَ عَلَى جَبَل لَّرَأَيتَهُ خشِعا مُّتَصَدِّعا مِّن خَشيَةِ اللَّهِ)[3]. قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل - وهو حجر- لرأيته يا محمد خاشعًا: يقول متذللاً مُتصدِّعًا من خشية الله على قساوته، حذرًا من ألا يُؤدي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقِّه مستخف، وعنه عما فيه من العبر والذكر مُعرض، فكأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرًا. "وتلك الأمثال نضربها للناس": "وهذه الأشياء نشبهها للناس، وذلك تعريفه - جل ثناؤه - إياهم أن الجبال أشدّ تعظيمًا لحقه منهم على قساوتها وصلابتها". "لعلهم يتفكرون": "فينيبوا وينقادوا للحق"[4].

ولا يُعذر الإنسان في ترك تدبره والاتعاظ بمواعظه، فالجبال الراسيات على كبرها وعظمتها لو خُوطبت بهذا القرآن لتأثرت، فكيف بالإنسان الضعيف، ذكر القرطبي: "حثَّ على تأمل مواعظ القرآن، وبينَّ أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خُوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها؛ لانقادت لمواعظه، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدّعة"[5]. وإن في ضرب هذا المثل تقرير لشدة تأثير ما فيه من المواعظ النافعة والزواجر الناهية، إضافة إلى توبيخ من لم يعتبر ويتعظ . قال أبو السعود: "وهذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن، وقوة تأثير ما فيه من المواعظ ... أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وعدم تخشّعه عند تلاوته، وقِلة تدبّره فيه ..."[6].

(١) عمدة القارئ، (٢١/٢٦٣).
(٢) إرشاد الساري، (٨/٣٨٩).
(٣) سورة الحشر، من الآية (٢١).
(٤) جامع البيان (٢٣/ ٣٠٠-٣٠١).
(٥) الجامع لأحكام القرآن، (١٨/٤٤).
(٦) إرشاد العقل السليم، (٨/٢٣٣).

وإن في إمعان النظر، وإعمال العقل في إدراك حقائق القرآن الكريم، والتدبر في آياته ومخلوقاته، واتباع هدايته؛ ضمان من التيه والضلالة، وبُعد عن الحسرة والندامة؛ قال تعالى: (فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشقَى)[1]، قال القرطبي: "فمن تبع هداي": يعني الرُّسل والكُتب، "فلا يضلّ ولا يشقى". قال ابن عباس: ضمن الله – تعالى- لمن يقرأ القرآن، وعمل بما فيه؛ ألا يضلّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة .."[2]. ومن أعرض عن ذكري: "أي ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه؛ " فإن له معيشة ضنكًا: أي عيشًا ضيّقًا"[2]. بل إن فطرة الإنسان تقوده إلى معرفة الله – سبحانه – والاهتداء بهديه، والسير على منهجه وابتغاء رضوانه، ذكر ابن عاشور: "وفي هذه الآية وصاية الله آدم وذريته باتِّباع رُسل الله والوحي الإلهي؛ وبذلك يعلم أن طلب الهدى مركوز في الجِبلَّة البشرية"[3].

(١) سورة طه، من الآية (١٢٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٢٥٨/١١).
(٣) التحرير والتنوير، (٣٣٠/١٦).

الفصل الثاني
أثر القرآن الكريم في معالجة المشكلات السلوكية للطلاب

سبق الحديث في الفصل الأول عن بعض الآثار العامة للقرآن الكريم على الإنسان، وأنواع المتأثرين به وتحديد بعض الآثار المباشرة الخاصة للقرآن الكريم، وفي هذا الفصل سيتم الحديث -بإذن الله- عن أثر القرآن الكريم في معالجة بعض المشكلات السلوكية للطلاب. وقد اخترت نماذج محددة من المشكلات السلوكية، التي غالبًا ما تنتشر بين الطلاب، وكيف يمكن تلمّس أثر القرآن الكريم في علاجها، وهي: الغضب، والكذب، والعدوان؛ بحيث تُمثّل المشكلة الأولى الجانب النفسي العصبي عند الطلاب؛ بينما تُمثّل الثانية ما يتعلّق بالجانب القولي، في حين تُمثّل الأخيرة الجانبين القولي والفعلي عند الطلاب.

عناية القرآن الكريم بالقلب، وعلاقته بسلوك الجوارح:

أولى الله في كتابه الكريم عناية فائقة بالقلب، سواءً ما كان متعلقًا بصحة المعتقد، أو ما كان متعلقًا بتزكية النفس، إضافة إلى كون صلاح القلب مرتبطًا بصلاح الجوارح، "ولما كان سلوك الإنسان هو المظهر الخارجي لمكوّنات نفسه، وكانت أعمال الجوارح ثمرة لأعمال القلب؛ صحّ أن يُقال: إن سلوك الإنسان من حيث الصحة والسّداد والرشاد، أو الغي والفساد؛ هو صورة صادقة لحال قلبه من السلامة، والمرض، والموت"(١).

قال رسول الله ﷺ: "أإن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد؛ إلا وهي القلب"(٢).

قال النووي: "وفي هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد"(٣).

(١) القلب في القرآن، (١٧١).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، (١/٢٠).
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (١١/٢٨-٢٩).

فصلاح القلب أساس صلاح الجوارح، والجوارح هي أدوات سلوك الإنسان، وسلوك الإنسان متنوّع بين سلوكيات طيبة نافعة، ومشكلات سلوكية سيئة؛ لذا كانت عناية القرآن الكريم عظيمة بنقاء القلب، والحثِّ على صفائه، واستشعار عظمة الله – تعالى- عند سماع آياته تأثرًا بها؛ قال تعالى: (إِنمَّا المُؤمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَت قُلُوبُهُم وَإِذَا تُلِيَت عَلَيهِم ءَايتُهُ زَادَتهُم إِيمنا وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ)[1]. قال الطبري: "ولكن المؤمن هو الذي إذا ذُكر الله وَجِلَ قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره؛ خوفًا منه، وفرقًا من عقابه. وإذا قُرئت عليه آيات كتابه صدَّق بها، وأيقن أنها من عند الله؛ فازداد بتصديقه بذلك إلى تصديقه مما كان قد بلغه من قبل ذلك تصديقًا .."[2]، وذلك الفزع للقلوب إنما هو أثر للإحساس والشعور بعظمة الله جل وعلا.

ذكر أبو حيان " .. ويحتمل قوله: إذا ذكر الله، أن يذكر اسمه ويلفظ به؛ تفزع قلوبهم لذكره استعظامًا له، وتهيبًا وإجلالا"[3]. ويضيف أبو علي الفارسي أن سبب الوجل "إنما يكون عن خوف الزيغ، والذهاب عن الهدى وما يستحق به الوعيد؛ فتوجل القلوب لذلك"[4].

ويرتبط فزع القلب من أثر القرآن الكريم بقشعريرة الجسد، قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كتبا مُّتَشبِها مَّثَانِيَ تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَى ذِكرِ اللَّهِ)[5].

قال الطبري: "تقشعر من سماعه إذا تُتلى عليهم جلودُ الذين يخافون ربهم، " ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله": يعني إلى العمل بما في كتاب الله والتصديق به"[6].

فإذا تم التصديق القلبي، وارتبط بالتطبيق العملي؛ اطمأن القلب وتذوّق حلاوة الإيمان، ذكر أبو علي الفارسي: "أن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدهم ووثقوا به؛ فانتفى عنهم

(١) سورة الأنفال، الآية (٢).
(٢) جامع البيان، (١٣/٣٨٥).
(٣) البحر المحيط ، (٥/٢٧٠).
(٤) الحجة للقراء السبعة، (١/٢٢٣).
(٥) سورة الزمر، من الآية (٢٣).
(٦) جامع البيان، (٢١/٢٨٠).

الشك والارتياب الذي يعرض لمن كان خلافهم ممن أظهر الإسلام تعوذًا .."[1].

ويضرب الله المَثل بالقرون الهالكة، التي تنكّبت الصراط المستقيم بضرورة التذكّر والاعتبار باستخدام العقل السليم والقلب الصافي بما يحقّق ظهور الأثر، قال تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَو أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد)[2]. ذكر الطبري: "أن في إهلاكنا القرون التي أهلكناها من قبل قريش" "لذكرى يتذكّر بها "لمن كان له قلب": يعني لمن كان له عقل من هذه الأمة، فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم؛ خوفًا من أن يحلّ بهم مثل الذي حلّ بهم من العذاب..."، أو "ألقى السمع وهو شهيد". "يقول: أو أصغى لإخبارنا إياه عن هذه القرون التي أهلكناها بسمعه، فيسمع الخبر عنهم، كيف فعلنا بهم حيث كفروا بربهم وعصوا رسوله"، وهو شهيد " يقول: وهو متفهّم لما يخبر به عنهم، شاهد له بقلبه، غير غافل عنه ولا ساهٍ"[3].

كما قرّر أبو السعود أن من ملك قلبًا سليمًا وعقلًا واعيًا؛ لحريّ بأن يمتثل ويظهر الأثر عليه جليًّا "إن في ذلك: أي فيما ذكر من قصتهم، وقيل: فيما ذكر من السورة "لذكرى": لتذكرة ووعظة " لمن كان له قلب": أي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الأمور ويتفكّر بها .. أو ألقى السمع: أي إلى ما يُتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليه "وهو شهيد": أي حاضر؛ لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب"[4].

وبذلك التأثر الحاصل، وتوالي حدوثه يتشكّل الإيمان، ويعمر القلب فيصلح، ويصلح على أثره بقية الجسد، وتمتثل الأعضاء، وتتلاشى المشكلات والانحرافات بكافة صورها، ويصطبغ الإنسان بالصبغة الخلقية الملزمة. " وهكذا يتضح لنا عمق الإلزام الخلقي الذي يُسبّبه الإيمان؛ بل يصدر عنه صدورًا طيبًا لا تكلّف فيه؛ بل إنه يعتبر بالنسبة للإيمان واجبًا خُلقيًّا رفيعًا؛ ولذلك فإنه يرى أن ثمة أحوالًا للقلب، وأعمالًا له تكون من لوازم الإيمان الثابتة،

(١) الحجة للقراء السبعة ، (٢٢٣/١).
(٢) سورة ق، من الآية (٣٧).
(٣) جامع البيان، (٣٧٢/٢١).
(٤) إرشاد العقل السليم (١٣٤/٨).

بحيث تصدر عن الإنسان بغير تكلف منه، ولا تردّد لديه، وذلك إذا كان مؤمنًا"[1].

ومع ذلك فينبغي التنبّه إلى ضرورة الحذر مما يُضعف التأثر القلبي، خاصة نزوات الشيطان ومكائده. " وحمايه القلب من فساد الشيطان فرض عين واجب على كل عبد مُكلّف، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب، ولا يتوصّل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخل الشيطان. ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد نحو الشهوة، والغضب، والحِدّة، والطمع.."[2]. وتلك الصفات السيئة تُعدُّ بابًا ومدخلًا إلى اعتراك المشكلات السلوكية، والولوج إلى سوء المعاملة. ويُعلّق ابن حزم على أحد تلك الصفات المقيتة بقوله: " فالطمع إذًا أصل لكل ذُلٍّ ولكلّ همٍّ، وخلق سوء ذميم، وضده نزاهة النفس، وهذه صفة فاضلة مُركبة من النجدة، والجود، والعدل، والفهم؛ لأنه رأى قلة الفائدة في استعمال ضدها فاستعملها"[3].

أثر القرآن الكريم في معالجة المشكلات السلوكية للطلاب: (الغضب، والكذب، والعدوان) أنموذجًا:

سبق الحديث عن عناية القرآن الكريم بإصلاح القلب، وأن ذلك طريق لإصلاح الجوارح، ومتى ما صلحت الجوارح؛ تلاشت المشكلات السلوكية والانحرافات الخلقية عامة، وسأقتصر فيما يلي على عرض ثلاث مشكلات سلوكية؛ لانتشارها بين فئة الشباب من الطلاب، وتنوع متعلقاتها النفسية، والقولية، والفعلية، وهي: الغضب، والكذب، والعدوان.

(١) النظرية الخلقية عند ابن تيمية، (٩٣).
(٢) تصفية القلوب من أدران الأوزار والذنوب، (٢٩).
(٣) مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، (٥٩).

الفصل الثاني

المبحث الأول

أثر القرآن الكريم في معالجة مشكلة الغضب

قال الراغب الأصفهاني: "الغضب ثوران دم القلب إرادة الانتقام"(١). وذكر الجرجاني: "تغير يحصل عند غليان دم القلب؛ ليحصل عنه التشفي للصدر"(٢).

وقسّم العمري الغضب إلى قسمين: "١- الغضب المحمود. ٢- الغضب المذموم"(٣)؛ بينما قسّم القرني الغضب إلى خمسة أقسام: "١- الغضب الذي لا يكون هناك فرصة للندم بعد التصرّف الذي نتج عنه. ٢- غضب بسيط. ٣- غضب شديد. ٤- غضب جنوني. ٥- غضب وقع بسبب وجود منكر أو شيء مخالف للفطرة"(٤). ويُرجع الغزالي أسبابه إلى: الزهو، والعجب، والفخر، والمزح، والهزل، والتعيير، والمماراة، والمضارة، والغدر، وشدة الحرص على المال والجاه"(٥).

الأثر القرآني في معالجة مشكلة الغضب:

أ - قراءة القرآن الكريم:

إن لقراءة القرآن الكريم أثرًا عظيمًا في اطمئنان القلب، وسكونه من القلق والاضطراب، وهو أمر مجرب؛ قال تعالى: (الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكرِ اللَّهِ تَطمَئِنُّ القُلُوبُ)(٦). قال أبو علي الفارسي: "الاطمئنان إنما يكون عن ثلج القلب وشرح الصدر بمعرفة التوحيد والعلم به، وما يتبع ذلك من الدرجة الرفيعة والثواب الجزيل"(٧).

---

(١) المفردات، (٣٦١)، مادة غضب.
(٢) التعريفات، (٢٠٩)، مادة الغضب.
(٣) الغضب: حقيقته، أسبابه، علاجه، (٢٧).
(٤) لا تغضب، (٧).
(٥) إحياء علوم الدين، (٢٠٧/٣).
(٦) سورة الرعد، الآية ٢٨.
(٧) الحجة للقراء السبعة، (٢٢٣/١).

ب - حفظ القرآن الكريم في الصدر:

فإنه بقدر ما يمتلئ القلب بحفظ القرآن الكريم أو أغلبه، ويعيه الإنسان عالمًا به، متدبرًا لـه، عالمًا بأوامره، منتهيًا عن نواهيه؛ فإنـه يكون قلبًا عامرًا بالحياة والنور. عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب)[1]. قال الأحـوذي " لأن عمارة القلـوب: بالإيمان وقراءة القرآن، وزينـة الباطن بالاعتقادات الحقة والتفكر في نعماء الله تعالى ..."[2].

ج - الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

شرع الله – سبحانه- الاستعاذة في بداية قراءة القرآن الكريم؛ التجاء واعتصامًا به – سبحانه- من وسوسة الشيطان، ونزواته، وفي ذلك دلالة على عظم أثرها في طرد الشيطان، وإبعـاده عـن إشغال القلب بالزيغ والانحـراف؛ قال تعالى: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّـكَ مِنَ الشَّيطنِ نَزغ فَستَعِـذ بـاللَّهِ إِنَّـهُ سَمِيـعٌ عَلِيـمٌ)[3]. وفي حديث سليمان بـن حرد قال: استـبَّ رجلان عند النبـي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسـبّ صاحبه مغضبًا قد احمرَّ وجهه، فقال النبي ﷺ: " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالـوا للرجـل: ألا تسمع ما يقـول النبي ﷺ قال: إني لست بمجنـون"[4]. والإنسان إن تأثر بنزوات الشيطان وخطراته؛ فقد يوقعه باعتداءات أو إيذاءات يلحقها بالآخرين[5].

د - معرفة تفسير القرآن الكريم، وتدبّر آياته:

أنـزل الله ا كتابـه الخاتم شرعة ومنهـاج حياة، وأمر عباده بقراءتـه، ومعرفة تفسيره، وفهـم معانيه، وتدبّر آياته، قال تعالى: (كِتبٌ أَنزَلنهُ إِلَيكَ مُبرَك لِّيَدَّبَّرُوا۟ ءَايتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلأَلبٰبِ)[6].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر، (٢٩١٣)، قال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) تحفة الأحوذي، (٦١/٦).

(٣) سورة الأعراف، من الآية (٢٠٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، (٥٧٦٤).

(٥) العقل وفهم القرآن، (٢٧٥).

(٦) سورة ص، الآية (٢٩).

قال الحارث المحاسبي: "فأخبر أنه أنزله للتذكر والتفكر فيه، وخصّ بالتفكير والتذكر أهل العقول أولي الألباب"[1]. ولاريب أن في هدايات القرآن الكريم رادعًا للإنسان عن التهور، والانحراف، والانزلاق في مهاوي وساوس الشيطان. ومن التطبيقات التي جاءت بالشرع لمعالجة ظاهرة الغضب من خلال نصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية، ما يلي:

١- تحقيق وصية رسول الله ﷺ:

إن مما وصّى به رسول الله ﷺ الناس عدم الغضب، وكرّر ذلك لخطورته، عن أبي هريرة أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: "لا تغضب" فردّد مرارًا قال: "لا تغضب"[2]. قال ابن حجر: "ومن تأمل هذه المفاسد؛ عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ: "لا تغضب" من الحكمة، واستجلاب المصلحة و درء المفسدة؛ مما يتعذّر إحصاؤه والوقوف على نهايته؛ وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الغضب الديني .."[3].

وهذه الوصية من رسول الله ﷺ تقرير لمدى ما يجرّه الغضب من تبعات خطيرة يتصرّف من خلالها الإنسان بدون شعور، ولا تركيز؛ مما يقوده إلى تنكّب طريق الحق والإضرار بالخلق.

٢- السكوت:

أرشد الرسول ﷺ أمته إلى التزام السكوت حال الغضب، فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "علّموا، ويسّروا ولا تُعسّروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت، وإذا غضب أحدكم فليسكت"[4].

قال ابن رجب: "فهذا دواء عظيم للغضب؛ لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في زوال غضبه كثيرًا من السباب وغيره مما يعظم ضرره، فإذا سكت؛ زال هذا الشر كله"[5]. وهو حالة حكاها الله – سبحانه- عن نبيه موسى - عليه السلام –

(١) العقل وفهم القرآن، (٢٧٥).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الآداب، باب الحذر من الغضب، (٥٧٦٥).
(٣) فتح الباري، (١٠/ ٥٢٠-٥٢١).
(٤) أخرجه الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الآداب، باب ما يقول ويفعل إذا غضب، (١٢٩٩٣).
(٥) جامع العلوم والحكم، (٢١٠-٢١١).

عندما " سكن عنه الغضب باعتذار أخيه وتوبة القوم[١]، قال تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الغَضَبُ أَخَذَ أَلوَاحَ)"[٢]. قال القرطبي: "وقوله: (سكت) لفظة مستعارة، شبّه خمود الغضب بانقطاع كلام المتكلم، وهو سكوته"[٣]. قال القاسمي: "ومراده بالمثل كونه استعارة مكنية؛ حيث شبّه الغضب بشخص آمر ناه، وأثبت له السكوت تخييلا"[٤].

٣- كظم الغيظ:

مدح الله في كتابه المؤمنين بما فيهم من أخلاق حسنة، وصفات فاضلة، من إمساك الغضب، والعفو عن المخطئ، وختم ذلك بمحبته - جل وعلا - للمحسنين في هذا الجانب، قال تعالى: (وَالكظِمِينَ الغَيظَ وَلعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ)[٥]. قال القسطلاني: " أي المُمسكين الغيظ عن الإمضاء... وهو أن يُمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر أثرًا. والغيظ توقّد حرارة القلب من الغضب"[٦].

ولما كان إظهار الغضب بأي لون من ألوانه، مظنة الاتصاف بالشجاعة والقوة عند بعض البشر؛ أرشد الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - إلى أن الشجاعة المطلقة تكون في ضبط النفس وثبات القلب بقوة الحلم، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"[٧].

ذكر القسطلاني " والمراد بالصرعة: من يصرع الناس كثيرًا بقوته، فنُقل إلى الذي يملك نفسه عند الغضب، فإنه إذا ملكها؛ كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه"[٨].

وإن في تمكّن الغضب من الإنسان؛ تسلّط النفس الأمارة عليه؛ لذا وجب ردَّها وصدَّها بالحلم والتحلم؛ وإلا فقد باء الإنسان بالذنب. قال ابن القيم "وأما النفس الأمارة فهي

(١) إرشاد العقل السليم، (٢٧٦/٣).
(٢) سورة الأعراف، من الآية (١٥٤).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٤٥٩/٢).
(٤) محاسن التنزيل، (١٨٩/٥).
(٥) سورة آل عمران، من الآية (١٣٤).
(٦) إرشاد الساري، (٧٠/٩).
(٧) أخرجه البخاري، كتاب الآداب، باب الحذر من الغضب، (٥٧٦٣).
(٨) إرشاد الساري، (٧١/٩).

المذمومة، فإنها التي تأمر بكل سوء، وهذا من طبيعتها؛ إلا ما وفقها الله، وثبّتها، وأعانها"[١].

٤- الاختصاص بالغفر والستر:

أثنى الله في كتابه الكريم على عباده المؤمنين، ومدحهم بما اختصوا به من تجنّب الكبائر، وتحكّم فيما يعتريهم من غضب أو غيظ ، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبِئرَ الإِثمِ وَالفَوحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُم يَغفِرُونَ)[٢]. قال أبو السعود: " أي الكبائر من هذا الجنس، والفواحش، وإذا ما غضبوا هم يغفرون، مع ما بعده عطف على الذين آمنوا، أو مدح بالنصب أو الرفع، وبناء يغفرون على الضمير خبرًا له؛ دلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب"[٣]. كما أن في دفع الغضب ومغالبته، والتجاوز عن متسببه؛ إغلاق لباب فتنة عظيم من الإيذاء للآخرين، أو التعدي عليهم، أو التلبس بمشكلات سلوكية تجرّ آثارًا ضارة على الفرد والمجتمع. ذكر ابن عاشور: "والفواحش متسببًا على القوة الغضبية، مثل القتل، والجرح، والشتم، والضرب أعقب الثناء على الذين يجتنبونها، فذكر أن من شيمتهم المغفرة عند الغضب: أي إمساك أنفسهم عن الاندفاع مع داعية الغضب، فلا يغول الغضب أحلامهم، وجِيء بكلمة "إذا" المضمنة معنى الشرط والدالة على تحقّق الشرط ؛ لأن الغضب طبيعة نفسية لا تكاد تخلو عن نفس أحد على تفاوت"[٤].

ويُقرّر القسطلاني وجه اختصاص الغضب بلفظ الغفران بقوله: "وخصّ الغضب بلفظ الغفران؛ لأن الغضب على طبع النار، واستيلاءه شديد، ومقاومته صعبة؛ فلهذا خصّ الله بهذا اللفظ"[٥]

ويجمل د. النغيمشي مستويات معالجة الغضب في خمسة مستويات[٦]: المستوى الأول: الوقاية، المستوى الثاني: العلاج بالكظم، المستوى الثالث: العلاج المعنوي، المستوى الرابع: العلاج السلوكي، مثل:(السكوت)، والمستوى الخامس: العلاج اللفظي، مثل: (الاستعاذة).

(١) الروح، (٣٣٩).
(٢) سورة الشورى، الآية ٣٧.
(٣) إرشاد العقل السليم، (٣٤/٨).
(٤) التحرير والتنوير (١١٠/٢٥-١١١)
(٥) إرشاد الساري، (٧٠/٩).
(٦) الغضب، (٢٦).

الفصل الثاني

المبحث الثاني

أثر القرآن الكريم في معالجة مشكلة الكذب

قال الراغب: "الصدق والكذب أصلهما في القول - ماضيًا كان أو مستقبلًا، وعدًا كان أو غيره- ولا يكونان بالقصد الأول إلا في القول، ولا يكونان في القول إلا في الخبر ودون غيره من أصناف الكلام"(١). وقال الجرجاني "كذب الخبر": "عدم مطابقته للواقع"(٢).

ويُعدُّ الكذب من أقبح الذنوب؛ لأنه ينطوي على مدى ما في النفس البشرية من مهانة مذمومة، ذكر ابن حزم أنه " لا شيء أقبح من الكذب، وما ظنك بعيب يكون الكفر نوعًا من أنواعه، فكل كفر كذب، فالكذب جنس، والكفر نوع تحته، وهو "متولد من الجور والجبن والجهل؛ لأن الجُبن يُولّد مهانة النفس، والكذَّاب مهين النفس، بعيد عن عزتها"(٣). ويؤكّد الغزالي أن الكذب "من قبائح الذنوب وفواحش العيوب"(٤). وفي وصية الحافظ الباجي لولديه يقول: " ومن شُهر بالصدق؛ فهو ناطق محمود، ومن عُرف بالكذب؛ فهو ساكت مهجور مذموم، وأقل عقوبات الكذاب ألا يقبل صدقه ولا يتحقّق حقه، وما وصف الله – تعالى- أحدًا بالكذب إلا ذامًا له، ولا وصف الله – تعالى- أحدًا بالصدق إلا مادحًا له مُرَفَقًا به"(٥).

وفي تحليل كيفية اكتساب المُراهق للكذب يظهر إما من خلال أنماط السلوك السائد في الأسرة، أو أن لجوء المراهق له لتبرير أخطائه، وإخفاء أسراره، والتخلّص من المواقف المحرجة.

(١) المفردات، (مادة صدق)، ٢٧٧.
(٢) التعريفات، (مادة: كذب الخبر)، ٧٠.
(٣) مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، (٧٠-٧١).
(٤) إحياء علوم الدين، (٨٤).
(٥) وصية الشيخ الباجي لولديه، (٣٥).

أمـا ما يتعلّق بأسباب الوقوع في الكذب، فتكون مـن خلال الرغبة في تحصيل مزيد من المصروف الشخصي، وإبراز الشخصية من خلال إضحاك الآخرين كذبًا، أو تسلية ومزاحًا، وربما سخرية من غيرهم، والتخلّص من مواقف محرجة[١].

أثر القرآن الكريم في معالجة سلوك الكذب لدى الطلاب:

بـيّن الله في كتابـه الكريم وجوب عبادته، وفرض على خلقه الفرائض، وأمرهم بعمل الطاعـات واجتنـاب المعاصـي؛ لأن في ذلـك طريقًـا لتحصيل مرضـاة الله والفـوز بجنته، وتحصيل ألوان النعيم الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة، قال ابن تيمية: "ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا، وبما شهد به في الكتب،؛ أن المعاصي سبب المصائب، والجزاء من سيئات الأعمال، وأن الطاعة سبب النعمة"[٢].

ولا ريـب أن خصلـة الكذب من الخصال التي تجلب المصائـب على الفرد والمجتمع؛ لذا فقـد تكاثرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحـثُّ على التخلّق بالصدق، والتحذير من الكذب، من خلال إبراز الآثار العظيمة لكلا الأمرين، ومما ورد التأكيد عليه ما يلي:

١- عاقبة الصدق وعقوبة الكذب:

يهتـم الإنسان بما يجلب له التيسير والسعادة في حياتـه، ويحرص على البُعد عن كل ما يجلب له المشقة والعَنَت، وهذه الغاية سيجدها في ملازمة الصدق، والتحرر من الكذب، قال تعـالى: (فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقَـى ٥ وَصَدَّقَ بِالحُسنَى)[٣]. قال أبـو السعود: "أي أعطى حقوق ماله، واتقـى محارم الله – تعالى- التي نهى عنها، وصدق بالخصلة الحسنى وهي الإيمان، أو بالكلمـة الحسنـى وهي كلمـة التوحيد ... فسنُهيئـه للخصلة التي تـؤدي إلى يسر وراحة، كدخـول الجنة...(وَأَمَّا مَن بَخِلَ): أي بمالـه فلم يبذله في سبيل الخير، وزهد فيما عنده – تعـالى- (وَكَـذَّبَ بِالحُسنَى): أي بما ذكر من المعـاني الملازمة ... (فَسَنُيَسِّـرُهُ لِلعُسرَى): أي للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة، كدخول النار ..."[٤].

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، (٤٣٥).
(٢) الحسبة، ١٣٦.
(٣) سورة الليل، من الآيتين (٥-٦).
(٤) إرشاد العقل السليم، (١٦٦/٩).

ولا يخفى ما ورد في الآيات السابقة من تركيب بلاغي يؤثر في القلب؛ ويعمل العقل تدبرًا وتأملًا، وهو ما يُسمّى "المقابلة"، وهي "ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويُخالفه في بعضها..."[1].

٢- الترغيب في الصدق بوصفه سببًا للفوز:

يُوصي الله عباده بوصايا عظيمة، بما يُحقّق لهم النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وبما يُبعدهم عن مضلات الفتن وقوارع الطريق، ومن ذلك وصيته – سبحانه- لخلقه بالصدق، قال تعالى: (يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّدِقِينَ)[2]، ومتى ما كان الإنسان في الدنيا مع أهل طاعة الله ملتزمًا، ومطابق القول بالعمل، بعيدًا عن النفاق؛ فإنه يكون في الآخرة مع الصادقين في الجنة[3]. واستظهر ابن عاشور أن هذه الآية خاتمة للآية السابقة وليست فاتحة عرض جديدة، قال ابن عاشور: "فهذه الآية بمنزلة التذييل للقصة؛ فإن القصة مشتملة على ذكر قوم اتقوا الله، فصدقوا في إيمانهم وجهادهم؛ فرضي الله عنهم، وذَكَرِ قوم كذبوا في ذلك، واختلقوا المعاذير وحلفوا كذبًا؛ فغضب الله عليهم، فلمّا كان سبب فوز الفائزين في هذه الأحوال كلها هو الصدق؛ لا جرم أمر الله المؤمنين بتقواه، وبأن يكونوا في زمرة الصادقين، مثل أولئك الصادقين الذين تضمّنتهم القصة. والأمر "يكونوا" مع الصادقين أبلغ في التخلق بالصدق من نحو: اصدقوا"[4].

٣- فضيلة الصبر على تكذيب أهل الباطل:

إن مما يدعو الإنسان إلى التخلق بالفضائل والتجرّد من الرذائل؛ ما يجده من عاقبة حميدة من حصول الفلاح والنصر عند الصبر على تكذيب المبطلين الحاصلة في قصص الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَىهُم نَصرُنَا)[5]. ذكر القرطبي: "فصبروا على ما كُذبوا": أي فاصبر كما صبروا"،

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، (١٦٦).
(٢) سورة التوبة، الآية (١١٩).
(٣) جامع البيان، (٥٥٨/١٤).
(٤) التحرير والتنوير، (٥٤/١١).
(٥) سورة الانعام، من الآية (٣٤).

وأُوذوا حتى أتاهم نصرنا ": أي عوننا: أي فسيأتيك ما وُعدت به"[1]. وفي تصدير الكلام بالآية بالقسم تأكيد للتسلية، وتنوين "رسلٌ" للتفخيم والتكثير[2]؛ فإن الصبر في مجال الدعوة إلى الله – سبحانه- لتحقيق عبادته؛ وتحمّل تكذيب أهل الباطل وأراجيفهم، نتيجة حسنة تستجلب نصر الله - سبحانه – لعباده المخلصين.

٤- مؤديات الصدق ومآلات الكذب:

يرشدنا نبينا محمد ﷺ إلى ما فيه صلاحنا ورشدنا، وتحقيق سعادتنا في الدنيا والآخرة، كما يُرشدنا إلى أن نبني شخصياتنا بطريقة متوازنة صالحة؛ ومن ذلك بيان ما يؤدي إليه الصدق بكل ألوانه من فضيلة، ورشد، وصلاح، وإلى ما يؤدي إليه الكذب من رذيلة، وتيه، وضلال، عن أبي وائل، عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صدِّيقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذَّابًا"[3]. قال النووي: "قال العلماء: هذا فيه حثّ على تحري الصدق، وهو قصده والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه؛ فعُرف به، وكتبه الله لمبالغته صدّيقًا إن اعتاده، أو كذّابًا إن اعتاده. ومعنى يكتب هنا: يحكم له بذلك، ويستحق الوصف بمنزلة الصدِّيقين وثوابهم، أو صفة الكذَّابين وعقابهم"[4].

٥- التحذير من الكذب بوصفه خصلة من خصال النفاق:

يُحذّر المصطفى ﷺ أمته من التلبّس بصفة النفاق الذميمة، أو الاتصاف بخصلة من خصالها؛ لما لها من تداعيات سيئة في استجلاب المشكلات السلوكية الأخرى، عن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: " أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن؛ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أُؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[5]. ذكر النووي: "معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٦/٤١٧).
(٢) إرشاد العقل السليم، (٣/١٢٧).
(٣) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، (٢٦٠٧).
(٤) شرح النووي لصحيح مسلم، (١٦/١٦٠).
(٥) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (٣٤).

شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومُتخّلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يُبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال؛ ويكون نفاقه في حقٍّ من حدّثه، ووعده، وائتمنه، وخاصمه وعاهده من الناس ..."[1].

٦- تقرير منزلة الصادق بالميزان العقلي:

يقيم الله – سبحانه – الحجة على المعاندين والمناوئين لعباده المخلصين، من خلال بيان انضباط أحوالهم، وحسن سيرتهم؛ استدراجًا في إقامة البراهين والأدلة عليهم، وفي قصة مؤمن آل فرعون، يظهر ذلك جليًّا، قال تعالى: (وَقَالَ رَجُل مُّؤمِن مِّن ءَال فرعَونَ يَكتُمُ إيمنَهُ أَتَقتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَد جَاءَكُم بِالبَيِّنت مِن رَّبِّكُم وَإِن يَكُ كذبا فَعَلَيه كَذبُهُ وَإِن يَكُ صَادقا يُصبكُم بَعضُ الَّذي يَعِدُكُم إِنَّ اللَّهَ لَا يَهدي مَن هُوَ مُسرف كَذَّاب)[2]. فإنّ من كان منهجه سديدًا، ورأيه مستقيمًا؛ تنتظم أقواله وأفعاله دون اختلاف أو اضطراب؛ فإنه حري بهداية الله وإرشاده، ولو كان من المسرفين الكذّابين لما حصل له ذلك[3]. ويُعقّب ابن القيم على ختام الآية بقوله: "أي لو كان مسرفًا كذابًا لما هداه الله بالنبوة، ولا عضده بالبينات"[4].

٧- عظم ظلم الكذابين بالله وبرسوله ﷺ:

يؤكّد الله أن أظلم الظلم هو من كذب على الله ونسب إليه ما لا يليق به، أو كذّب بالقرآن الكريم، قال تعالى: (فَمَن أَظلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدقِ إِذ جَاءَهُ أَلَيسَ فِي جَهَنَّمَ مَثوى لِّلكفرِينَ)[5]. قال ابن كثير: "أي لا أحد أظلم من هذا؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل: كذب على الله، وكذب رسول الله، قالوا الباطل، وردّوا الحق"[6].

ولا ريب أن في الدلالة البلاغية في استعمال الاستفهام مجازًا مرسلًا أو كناية؛ إيماء إلى أن السامع لا يسعه إلا الجواب بأنهم أظلم الظالمين[7].

(١) شرح النووي لصحيح مسلم، (٢/٤٧).
(٢) سورة غافر، الآية (٢٨).
(٣) تفسير القرآن العظيم، (٧/١٢٨).
(٤) الفوائد المشوق، (٢٣٦).
(٥) سورة الزمر، من الآية (٣٢).
(٦) تفسير القرآن العظيم، (٧/٨٨).
(٧) التحرير والتنوير، (٢٤/٥).

الفصل الثاني

المبحث الثالث

أثر القرآن الكريم في معالجة مشكلة السلوك العدواني

قال الراغب: "العدو: التجاوز ومنافاة الالتئام، فتارة يعتبر بالقلب فيُقال له: العداوة والمعاداة..."[1]. وقال الجرجاني: "العداوة: هي ما يتمكّن في القلب من قصد الإضرار والانتقام"[2]. ويُقسّم د.عفيفي أنواع الظلم والعدوان في تناوله للنظرية الخلفية عند ابن تيمية إلى:[3]

الظلم المطلق: ويشمل جميع الذنوب والمعاصي.
ظلم الآخرين: كأخذ الأموال والحسد.
ظلم النفس.

ما اجتمع فيه ظلم النفس وظلم الآخرين، مثل: استغلال النساء لإفساد المجتمع.
بينما يُقسّم محمد فراج أنواع السلوك العدواني إلى: عدوان مادي، وعدوان لفظي[4].

ويجمل الأقصري[5] العوامل التي تؤدي إلى العدوانية في: التربية الضاغطة المتزمتة، وثقافة الأسرة وفكرها، واستخدام أساليب القسوة والعقاب البدني داخل المؤسسات التربوية، والصحبة السيئة، وانعدام الأصدقاء، والتأخر الدراسي، والحاجة للتقدير وتحمّل المسؤولية، والعوز المادي، والضغوط الأسرية، والتوتر العائلي والتصادمات الأسرية.

(١) المفردات، (مادة عدا)، ٣٢٦.
(٢) التعريفات، (مادة العداوة)، ١١٠.
(٣) النظرية الخلقية عند ابن تيمية، (٤٨٩).
(٤) الذكاء الوجداني وعلاقته بمشاعر الغضب، (١١٤).
(٥) كيف نفهم الشباب ونتعامل معهم، (١١٥-١١٧).

ويضيف المزيد[١] ما يتعلق بمشاهدة ألعاب الحاسوب الإلكترونية، وما تبنيه من عنف وتخريب.

وبالجملة فهي أسباب متنوعة ومتفاوتة في تأثيرها ونتائجها، وقد بيّن الله - سبحانه - في كتابه سبل الوقاية من تلك الأسباب.

أثر القرآن الكريم في معالجة مشكلة السلوك العدواني عند الطلاب:

يُبيّن الله -جل وعلا- للإنسان الطريق الذي ينبغي أن يسلكه في حياته، كما يُبيّن -سبحانه- أن الإنسان مسؤول عن أعماله وتصرّفاته ومحاسب عليها؛ لذا لابدّ من عناية الإنسان بما يصدر عن جوارحه، قال تعالى:(وَلَا تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ علمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُوْلئِكَ كَانَ عَنهُ مَسولا)[٢]. قال الجصاص: "فيه بيان أن لله علينا حقًّا في السمع والبصر والفؤاد، والمرء مسؤول عما يفعله بهذه الجوارح من الاستماع لما لا يحلّ، والنظر إلى ما لا يجوز، والإرادة لما يقبح"[٣]. ويختلف ما يصدر عن تلك الحواس من خير أو شر؛ كما أن ما يصدر منها يتفاوت قلة أو كثرة؛ وإنما جاء الخبر بمراقبة النفس الأمارة بالسوء لأجل صدّ الإيذاء، والعدوان، والظلم على الغير؛ لأن "المنحرفين، والجانحين، وذوي السلوك المضاد للمجتمع يُمثّلون خطرًا على حياة الآخرين، ويكونون عنصر قلق واضطراب"[٤].

ومن أبرز آثار القرآن الكريم في معالجة مشكلة العدوان ما يلي:

أ- الحثّ على التعاون والتكاتف بين المسلمين، وتنكّب طرق الظلم والعدوان:

يأمر الله -سبحانه- عباده بكل ما فيه تعاون وتكاتف، وينهى -جل ثناؤه- عن كل ما يجلب الإيذاء والظلم، قال تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البِرِّ وَالتَّقوَى وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الإثم وَالعُدون وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ)[٥]. يؤكّد القرطبي أن التكرار في لفظيّ "بر وتقوى"؛ للتأكيد والمبالغة، ونهي عن العدوان وهو ظلم الناس"[٦].

(١) مشكلات الأبناء وطرق علاجها، (١٢).
(٢) سورة الإسراء، الآية (٣٦).
(٣) أحكام القرآن، (٢٩/٥).
(٤) علم النفس الاجتماعي، (٣٧٩).
(٥) سورة المائدة، من الآية (٢).
(٦) الجامع لأحكام القرآن، (٤٧/٦).

قال ابن كثير: "يأمر – تعالى- عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم"[١].

ويستظهر ابن العربي العموم في تحريم الظلم والاعتداء على الآخرين، (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[٢]. "وظاهر عمومها باق في كل حال، ومع كل أحد، فلا ينبغي لمسلم أن يحمله بُغض آخر على الاعتداء عليه إن كان ظالمًا، فالعقاب معلوم على قدر الظلم، ولا سبيل إلى الاعتداء عليه إن ظلم غيره، فلا يجوز أخذ أحد عن أحد"[٣].

ب- الدفع بالحسنى وتجنّب العدوان:

يُبيّن الله خُلقًا حميدًا لإزالة ما قد يطرأ على العلاقات بين البشر من اختلاف وظُلم وعداوة، وهو مقابلة الإساءة بالإحسان، والفظاظة باللطف، قال تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[٤].

قال ابن عطية: "آية جمعت مكارم الأخلاق وأنواع الحلم، والمعنى: ادفع أمورك، وما يُعرّضك مع الناس، ومخالطتك لهم بالفعلة أو بالسيرة التي هي أحسن السير والفعلات، فمن ذلك بذل السلام، وحسن الأدب، وكظم الغيظ، والمسامحة في القضاء والاقتضاء، وغير ذلك"[٥].

قال ابن بطال: "والدفع بالتي هي أحسن قد يكون بالقول كما يكون بالفعل"[٦]، ومن ألوان الدفع بالتي هي أحسن يذكر الجصاص: "قال بعض أهل العلم: ذكر الله العدو فأخبر بالحيلة فيه؛ حتى تزول عداوته، ويصير كأنه ولي". قال: وأنت ربما لقيت بعض من ينطوي لك على عداوة وضغن، فتبدأه بالسلام، أو تبسم في وجهه؛ فيلين لك قلبه، ويسلم لك صدره"[٧].

(١) تفسير القرآن العظيم، (٣/١٠).
(٢) سورة المائدة، من الآية (٨٧)
(٣) أحكام القرآن، (٢/٥٣٧).
(٤) سورة فصلت، من الآية (٣٤).
(٥) المحرر الوجيز، (٥/١٦).
(٦) شرح ابن بطال لصحيح البخاري، (٩/٢٢٥).
(٧) أحكام القرآن، (٥/٢٦٢).

ج- الانتصار للمسلم ضد الظلم والعدوان:

إن من عناية الإسلام بتقوية الروابط المجتمعية بين أفراد الأمة، أن يهتمّ المسلم بأخيه المسلم عندما يراه في موقف قد يضرّه، بأن يستبق إلى حمايته والذود عنه؛ حرصًا على مصلحته، فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا. قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: تأخذ فوق يديه"(١). قال ابن بطال: "والنصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، وقد فسّره الرسول الله ﷺ أن نصر الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركه على ظلمه ولم يكفّه عنه؛ أدّاه ذلك إلى أن يقتصّ منه؛ فمنعك له مما يُوجب عليه القصاص نصره.."(٢). ولا ننسى دور الشيطان في الوسوسة للمؤمن؛ ليُوقعه في الغي، والضلال، والعدوان، ذكر القسطلاني: "نحجزه عن الظلم؛ فإن ذلك نصره: أي منعك إياه من الظلم؛ نصرك إياه على شيطانه الذي يغويه، وعلى نفسه التي تأمره بالسوء وتطغيه"(٣).

د- الوصية بتُجنّب الظلم والعدوان:

يُقرّر الرسول الكريم ﷺ المنهج الأسلم في تعامل المسلم، وضرورة العدل في التعاملات، وتلمّس الحقّ، والعدول عن الظلم والحيف والعدوان في أي موقف؛ فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما- أخبره أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم، لا يُظلمه، ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه؛ كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة؛ فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا؛ ستره الله يوم القيامة"(٤). قال ابن بطال: " فإن الله حرّم قليل الظلم وكثيره... وباقي الحديث حثّ على التعاون، وحسن التعاشر والألفة، والستر على المؤمن وترك التسمّع به، والإشهار لذنوبه"(٥). ولا يتوقّف الأمر عند عدم ظلمه؛ بل ينبغي أن يسلك الطرق التي تُؤدي إلى حمايته ممن يُحاول أن يُؤذيه أو يضرّ به؛ لطبيعة العلاقات الطيبة بين المسلمين، قال القسطلاني: "(لا يظلمه): خبر بمعنى النهي؛

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا، (٢٣١٢).
(٢) شرح ابن بطال لصحيح البخاري، (٥٧٢/٦).
(٣) إرشاد الساري، (٢٥٥/٤).
(٤) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسلمه، (٢٣١٠).
(٥) شرح ابن بطال لصحيح البخاري، (٥٧١/٦).

لأن ظلم المسلم للمسلم حرام، (ولا يسلمه): لا يتركه مع من يؤذيه؛ بل يحميه"[١]. وخاتمة الظلم وخيمة، "فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، والظالم مذموم من الخالق، مُبغض إلى الخلائق"[٢].

هـ - الحذر من وسوسة الشيطان في بثّ العداوة:

تعهّد إبليس – أخزاه الله – بإضلال بني آدم، واستدراجهم إلى الموبقات والمهلكات من خلال التحريش بينهم، وإبعادهم عن طاعة الله - سبحانه- قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ)[٣]. قال ابن بطّال: "وفيه دليل أن عداوة المؤمن للمؤمن عدل تضييع وقت الصلاة، والتفريط فيها، وفي ذكر الله - سبحانه- لأن الله - سبحانه- جمع بين جميع ذلك في تحريمه السبب الذي يُوجب لأجله ذلك، فحرّم الله - سبحانه – الخمر والميسر لمصلحة خلقه"[٤]. بل إن الشيطان يسعى بكل ما أُوتي من الجهد لإيقاع الخصومة والعداوة؛ وذلك لأجل إيغار الصدور، وتشتيت الكلمة، وإضعاف الوقفة أمام العدو، قال ابن عطية: " وباجتماع النفوس والكلمة يُحمى الدين، ويُجاهد العدو، والبغضاء تَنقُض عُرى الدين، وتهدم عماد الحماية، وكذلك أيضًا يريد الشيطان أن يصدّ المؤمن عن ذكر الله – تعالى- وعن الصلاة.."[٥].

(١) إرشاد الساري، (٢٥٥/٤).
(٢) وصية الشيخ الباجي لولديه، (٣٧).
(٣) سورة المائدة، الآية (٩١).
(٤) شرح ابن بطال لصحيح البخاري، (٣٨/٦).
(٥) المحرر الوجيز، (٢٣٤/٢).

الفصل الثالث

أدوار المؤسسات التربوية في تفعيل أثر القرآن الكريم في معالجة المشكلات السلوكية للطلاب

" المدرسة : نموذجًا"

تقوم المدرسة بدور كبير في مجال تربية النشء وتعليمهم، ومعالجة سلوكياتهم الخاطئة، والأخذ بأيديهم إلى الهداية والصلاح. ويتركّز العمل المؤسسي في المدرسة على أخلاقيات مهنية مستمدة من العقيدة الإسلامية المقررة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية[١].

والحاجة ضرورية جدًّا إلى عملية تفعيل دور التربية الإسلامية في المناهج التعليمية[٢]. إضافة إلى عملية إدماج القيم الإسلامية في المناهج التعليمية وفق خطوات واستراتيجيات معينة[٣].

ولعل من أهم تلك القيم ما يتعلّق بقيم العدل والسلام[٤]؛ لعلاقتها المباشرة بسلوكيات الطلاب، وأثرها في تحقيق الأمن النفسي، والبُعد عن الانحراف، والزيغ، والمشاكل.

ونصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية مُتضمنة لتلك القيم، وتحتاج إلى مُعلم مبدع؛ ليقوم بتحقيق الأهداف المرسومة.

ويتمثّل دور المدرسة التربوي تجاه تربية الطلاب تربية سلوكية قائمة على بناء القيم والمعتقدات الصحيحة، والمبادئ النبيلة، ومعالجة السلوكيات الخاطئة في عملية تدريس

(١) أخلاقيات مهنة التعليم، (٥).
(٢) دليل تطوير أساليب إدماج التربية الإسلامية في المناهج التعليمية، (٣٣- ٤٥).
(٣) القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، (٦٥-٨٦).
(٤) دليل إدماج قيم العدل والسلام في المناهج التربوية، (٣٥- ٩٥).

المقررات الدراسية، والأنشطة المدرسية المصاحبة، والإرشاد الطلابي.

أولًا: عملية تدريس المقررات الدراسية:

تقوم الإدارة العامة للمناهج بوزارة التعليم بدور كبير في بناء المقررات الدراسية وتأليفها، وتُشكّل مواد التربية الإسلامية نِصاب الأسد؛ لما لها من أثر في غرس القيم والمبادئ، وتشكيل الشخصيات، وتهذيب السلوك [1].

ويعمل على تنفيذ تلك المقررات معلمون أَكْفَاء يتم إعدادهم وتدريبهم لهذا الأمر، ويقومون بمهام تنظيمية؛ بهدف تدريس المقررات الدراسية في المدرسة؛ لرفع مستوى جودة التعليم والتعلّم[2].

ويمكن تفعيل أثر القرآن الكريم في معالجة سلوكيات الطلاب من خلال ما يلي:

١) المقررات الدراسية: أُلّفت المقررات الدراسية في مدارس التعليم العام وفق سياسة واضحة منضبطة، وتم إدراج النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسُّنة النبوية في المحتوى الدراسي لمواد: التفسير، والحديث، والفقه، والتوحيد، كما أن هناك دروسًا للقرآن الكريم " تلاوة وحفظًا". ولا ريب أن لهذه المقررات الدراسية أثرًا بالغًا للتأثير الإيجابي في عقليات الطلاب، ومعالجة سلوكياتهم.

٢) المعلم: يُعدُّ المعلم محور العملية التعليمية، ويخضع لعملية إعداد وتدريب مستمرين؛ لكي يستطيع أن يؤثّر تأثيرًا إيجابيًّا في طلابه، ويقوم بأدوار مهمة في غرس القيم. و"عندما يُمارس معلم القرآن التربية القيمية؛ فإنه يتعامل مع ثلاثة محاور أساسية ورئيسة تُحدّد ملامح تربيته القيمية للمتعلمين، وهي أدواره: الذاتية، والإجرائية، وتصنيف الاحتياج الحقيقي"[3]. وقد أشارت وثيقة أخلاقيات مهنة التعليم في مادتها الخامسة إلى طبيعة العلاقة بين المعلم وطلابه، ومدى أهمية التفكير السليم، والحوار البنَّاء، والتسامح، ونبذ

(١) دليل معلم العلوم الشرعية، (٤).
(٢) الدليل التنظيمي لمدارس التعليم العام (١٤٣٤هـ - ١٤٣٥هـ)، ص ٢٤.
(٣) الدليل الإجرائي لدور معلم القرآن في غرس القيم، (٧٠-٧١).

العنف[١].

ثانيًا : الأنشطة المدرسية المصاحبة :

تُعـدُّ الأنشطة المدرسية الجانب التطبيقي العملي لما يتعلّمه الطالب ويتلقّاه من معلومات ومعارف، وتُعرف بأنها: كل سلوك تربوي يُخطّط لأن يؤديه الطالب داخل الفصل أو خارجه، منفـردًا أو ضمن مجموعة، يستهدف به واحدًا فأكثر لأغراض النشاط[٢]. وتهدف إلى تهيئة البيئـة التربوية داخـل المدرسة وخارجها، وتنظيـم البرامج المناسبة لممارسـة الأنشطة غير الصفية المعززة لعميلتي التعليم والتعلم[٣].

كمـا أنه يُحدّد البُعد الروحـي والبدني للطالب، ويساعد علـى استثمار الطاقات وصقل المواهب، واكتساب المهارات؛ ولذا ينبغي أن يكون موضع عناية واهتمام[٤].

ويمكـن أن يُقسّـم النشاط إلى: فردي، وجماعي، كما أنه مـن حيث مكان التنفيذ يُقسّم إلى داخـل المدرسة وخارجها[٥]. ومنـه النشاط المسرحي، والمحاضـرات، وعرض الأشرطة المرئية، وإقامة الـدورات والرحلات[٦]. وتتنوّع أغراض الأنشطة حسب حاجات المستفيدين، ومنها: تربوية، وعلمية، ونفسية، واجتماعية[٧]. ولكي يُحقّق النشاط أهدافه؛ فلا بد من وجود رائد للنشاط يقوم بعملية التخطيط للبرامج، وتحديد الاحتياجات اللازمة لتنفيذه، ومراعاة ميول الطلاب، وعمل خطة عامة للأنشطة بشكل متوازن[٨].

ومن خلال الأنشطة المدرسية يمكن تضمين العديد من البرامج المتعلقة بحلقات القرآن الكـريم في مُصلّى المدرسة: تلاوة وحفظًا، وإقامـة المسابقات في ذلك، إضافة إلى مسابقات البحـوث العلميـة المتعلقـة بالتفسير، وإلقـاء الكلمات والمحاضـرات التي مـن شأنها إظهار

(١) ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم، (١٠-١٢).
(٢) دليل معلم العلوم الشرعية، (١٠٨).
(٣) الدليل التنظيمي لمدارس التعليم العام، (٣٠).
(٤) حول التربية والتعليم، (٢٧٠).
(٥) دليل معلم العلوم الشرعية، (١٠٨).
(٦) حول التربية والتعليم، (٢٧٠).
(٧) دليل معلم العلوم الشرعية، (١١٠).
(٨) الدليل التنظيمي لمدارس التعليم العام، (٣٠).

هدايات القرآن الكريم وأحكامه. وهذه الفعاليات العلمية والثقافية من شأنها أن تُهذّب سلوك الطلاب، وتزرع فيهم القيم والمبادئ الحسنة، وتُبعدهم عن مساوئ الأخلاق.

ثالثًا: الإرشاد الطلابي:

للإرشاد الطلابي في مدارس التعليم العام دور بارز من حيث دراسة حالات الطلاب، ومتابعة شخصياتهم، وتحليل المواقف اليومية التي تحدث، ومعالجة المشكلات السلوكية، إضافة إلى الدور التكاملي مع الأسرة، وسنعرض بعض النقاط المهمة حول الإرشاد الطلابي، ودوره في تفعيل أثر القرآن الكريم في معالجة سلوكيات الطلاب.

يُعرّف الإرشاد الطلابي بأنه: "عملية مُخطّطة منظمة تهدف إلى مساعدة الطالب لكي يفهم ذاته، ويعرف قدراته، ويُنمّي إمكانياته، ويحلّ مشكلاته؛ ليصل إلى تحقيق توافقه النفسي، والاجتماعي، والتربوي، والمهني، وإلى تحقيق أهدافه في إطار تعاليم الدين الإسلامي"[(١)].

ويضطلع المرشد الطلابي بمهام حيوية من خلال الإعداد والتخطيط للعمل الإرشادي، والتّعرّف على قدرات الطلاب واتجاهاتهم، ودراسة الحالات الفردية بأنواعها، ودراسة المشكلات النفسية والاجتماعية، والتواصل مع الأسرة[(٢)].

ويتكامل دور المرشد الطلابي مع المعلم في بناء شخصية الطالب؛ حيث يؤكد د. النغيمشي أن "بناء الشخصية يكون باستخدام الفعل، والحركة، والنشاط بدلًا من الوصف والنمط، واستخدام العملية البنائية بدلًا من استخدام الأسماء الجامدة والقوالب المحددة"[(٣)].

ويتأكّد دور الإرشاد الطلابي من خلال الفعاليات والبرامج المقدمة للطلاب لأجل التخلّق بالسلوك السوي؛ حيث إن " أكثر السلوك الإنساني مكتسب عن طريق التعلم، وأن سلوك الفرد قابل للتعديل أو التغيير بإيجاد ظروف وأجواء تعليمية معينة"[(٤)].

(١) دليل المرشد الطلابي، (١١).
(٢) الدليل التنظيمي لمدارس التعليم العام، (٣١).
(٣) علم النفس الدعوي، (٣٣٣).
(٤) دليل المرشد الطلابي، (٣٨)

ويرتكز دوره على ضرورة اكتشاف ميول الطلاب، واستعدادهم، وقدراتهم الخاصة؛ لأجل التوصّل إلى تحليل شخصياتهم، وتحديد الفروقات الفردية بينهم؛ وبالتالي وضع البرامج العلاجية المناسبة لمشكلاتهم[١].

هذا بالإضافة إلى أهمية اختيار المرشد الطلابي للأسلوب القيمي المناسب؛ لغرس القيم والمبادئ وفق متطلبات خصائص النمو لكل مرحلة، وتحديد أهم الاستراتيجيات والتطبيقات التربوية المناسبة في التربية القيمية[٢].

ويمكن إجمال أوجه تفعيل المرشد الطلابي لأثر القرآن الكريم في معالجة سلوكيات الطلاب في الآتي:

المضامين الإثرائية، والعلمية، والثقافية التي يستخدمها المرشد في معالجة السلوكيات الخاطئة، سواء مضامين الحوار والمناقشة المعتمدة على خلفية ثقافية، مستمدة من معاني، وأحكام، وفوائد متعلقة بالقرآن الكريم وتفسيره، أو طلب حفظ مقاطع من القرآن الكريم، أو تلخيص تفاسير معينة، أو سماع محاضرات متخصصة ....

الأساليب والطرائق في ضبط السلوك، ولكي يحقّق المرشد الطلابي أهدافه في معالجة السلوكيات الخاطئة؛ فلابد له من انتهاج أساليب وطرائق مميزة. ويُحدّد د. الحسين جرنو ذلك في ثلاثة أساليب: الفورية والحيوية، والعلمية والواقعية، وجداول التعزيز[٣].

وهناك خطوات عامة لعلاج المشكلات السلوكية تتركّز على أربعة محاور: تحديد المشكلة، وتحليل المشكلة، والطرق العلاجية، وتقييم الطرق العلاجية[٤].

(١) علم النفس: الفروق الفردية وتطبيقاته التربوية، (١٢١-١٤٩).
(٢) الدليل الإجرائي لدور معلم القرآن في غرس القيم، (١٢٨).
(٣) أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، (٢٤٠).
(٤) دليل المرشد الطلابي، (١٤٧).

خاتمة البحث: النتائج والتوصيات

أولًا: نتائج البحث:

عمومية أثر القرآن الكريم للإنس والجن، المسلم وغير المسلم.

تنوع الآثار العامة للقرآن الكريم في الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا: تثبت الخيرية لأهله، العاملين به، وتأتلف عليه القلوب المؤمنة، وتحصل منه البركة للإنسان، وتنتفي الحسرة، ويعصم به الإنسان من فتنة الدجال، ومن وسوسة وإغواء الشيطان. أما في الآخرة فيشفع القرآن لأصحابه، ويحتج لهم؛ كما أن للقرآن أثر في رفعة منزلة أهله يوم القيامة.

أن أثر القرآن الكريم: تلاوة، وحفظًا، وتدبرًا؛ يُساعد على تحقيق الانضباط السلوكي لجميع الفئات العمرية؛ حيث تزيد قراءة القرآن من دافعية الإنسان نحو الخير، وفاعليته في تحصيل المعروف، والبُعد عن الشر وأسبابه في القول والعمل. كما أن حفظ القرآن يُسهم في الطمأنينة للقلب؛ مما يؤدّي إلى استقرار النفس، وعدم الخوض في المشكلات السلوكية. وأن تدبّر القرآن يساعد على تنمية العمليات العقلية للإنسان، وزيادة مهاراته، وزيادة حصيلته العلمية؛ مما يؤدّي إلى نضجه الفكري؛ ومن ثمَّ يُبعده عن أسباب المشكلات السلوكية.

العناية الفائقة بالقلب في القرآن الكريم؛ لأهمية عمل القلب وعظمه؛ وعلاقة صلاحه بصلاح الجوارح وما يصدر عنها من ممارسات ومشكلات سلوكية.

ظهور الأثر القرآني في معالجة السلوكيات الخاطئة؛ من خلال قراءته وحفظه ومعرفة تفسيره وتدبر آياته.

ثبوت دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية مثل المدرسة في تفعيل أثر القرآن الكريم في معالجة المشكلات السلوكية للطلاب.

ثانيًا : التوصيات:

ضرورة تكثيف تدريس القـرآن الكريم في المناهج الدراسية؛ بما يكفل تنمية الاتجاهات الطيبة، وتقويم السلوك، وغرس المفاهيم الحسنة لدى الطلاب.

أهميـة الإعداد المتقدّم للقائمـين على العملية التربوية على أساليـب، وطرائق، وأدوات تعليم القرآن الكريم وتوظيفها في عمليات الإصلاح التربوي.

إنشـاء مراكز متخصصة للدراسات القرآنيـة تُعنى بإبراز أثر القرآن الكريم، وإعجازه في شتى المجالات.

متابعـة إعداد الدراسـات الميدانية المتخصصة التي تُبرز آثار القـرآن الكريم الشاملة: تلاوة، وحفظًا، وتدبرًا في مختلف مراحل النمو (الطفولة، والمراهقة، والبلوغ، والعقل).

ضـرورة توظيـف أدوات التواصل والتقنيـات الحديثة في نشر أثر القـرآن الكريم بقدر الإمكان، وإنتاج البرامج في ذلك.

العنايـة بتدبّر القرآن الكـريم؛ بوصفه واجبًا شرعيًّا، وبوصفـه أداة من أدوات الوقوف علـى المعاني، بما يؤثـر في الصياغـة السليمة للعقل البشـري، ويدفعه إلى التطـوّر والإبداع الحضاري.

زيـادة العنايـة والاهتمـام بتدريس القرآن الكـريم: تلاوة، وحفظًا، وتدبـرًا، من خلال التكامـل في أعمال مؤسسات (المسجـد، والمدرسة، والمنزل، والإعـلام)؛ لتعزيز الاتجاهات الإيجابية لدى الطلاب.

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٧هـ.

٢. أثر استخدام الموعظة القرآنية في تنمية السلوك الوجداني لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي في مادة التربية الإسلامية، المالكي، عبدالرحمن بن عبدالله، رسالة التربية وعلم النفس، ع(٣٠)، (١٤٢٩هـ).

٣. أثر حلقات تحفيظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي والقيم الخلقية. العبد اللطيف، عماد بن سيف بن عبدالرحمن، ط١، الرياض: دار كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع (١٤٣١هـ)

٤. أحكام القرآن. ابن العربي، محمد بن عبدالله، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٥. أحكام القرآن. الجصاص، أحمد بن علي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٦. إحياء علوم الدين: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، صححه: محمد بن مسعود الأحمدي، ط١، بيروت: عالم الكتب،١٤٢٦هـ.

٧. الأخلاق الفاضلة. الرحيلي، أ. د. عبدالله بن ضيف الله، ط٣، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد،١٤٣٠هـ.

٨. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. القسطلاني، أحمد بن محمد، ط٧، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية،١٣٢٣هـ.

٩. إرشاد العقل السليم، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٠. أساس البلاغة. الزمخشري، محمود بن عمر. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

١١. أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم. جلو، د. الحسين جرنو. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.

١٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، لبنان: دار الفكر، ١٤١٥هـ.

١٣. البحر المحيط. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

١٤. بحوث الملتقى القرآني المصاحب لجائزة الأمير سلطان. ج٢، ١٤٢٦هـ.

١٥. البرهان في علوم القرآن. الزركشي، محمد بن عبدالله. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ.

١٦. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، تونس: الدار التونسية للنشر. ١٩٨٤م.

١٧. تربية الأولاد في الإسلام. علوان، عبدالله ناصح، ط٣٠، مصر: دار السلام، ١٤١٧هـ.

١٨. تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس. د. الزعبلاوي، محمد السيد، ط٤، الرياض: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٩هـ.

١٩. التربية على منهج أهل السنة والجماعة. فريد، أحمد، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٥هـ.

٢٠. التعريفات. الجرجاني، علي بن محمد، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ.

٢١. التعليم الديني بين التجديد والتجميد. العلواني، أ.د. طه جابر. ط١، القاهرة: دار السلام، ١٤٣٠هـ.

٢٢. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. إسماعيل بن عمر الدمشقي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٩هـ.

٢٣. التقصير في تربية الأولاد. الحمد. محمد بن إبراهيم. الرياض: مكتبة سفير.

٢٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٢٥. الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. محمد بن أحمد الأنصاري، ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.

٢٦. الحرص على هداية الناس. إلهي، د. فضل. ط٤، الرياض: مؤسسة الجريسي، ١٤١٩هـ.

٢٧. الحسبة في الإسلام. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، الرياض: مؤسسة السعيدية ١٩٨٠هـ.

٢٨. حول التربية والتعليم. بكار، عبدالكريم، ط١، الرياض: دار المسلم، ١٤٢٠هـ.

٢٩. دراسات قرآنية. الندوي، أبو الحسن علي الحسني، ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ.

٣٠. دلائل الإعجاز. الجرجاني، عبد القاهر. بيروت: دار المعرفة، ب.ت.

٣١. دليل إدماج قيم العدل والسلام في المناهج التربوية. العلوي، د. أحمد، الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)،١٤٢٩هـ.

٣٢. الدليل الإجرائي لدور معلم القرآن في غرس القيم. مكتب د. فؤاد مرداد، جدة، مركز معاهد للاستشارات التربوية والتعليمية، ١٣١٦هـ.

٣٣. الدليل التنظيمي لمدارس التعليم العام ١٤٣٤- ١٤٣٥هـ. مشروع الملك عبدالله بن عبدالعزيز لتطوير التعليم – الإصدار الثاني، ١٣٤٥هـ.

٣٤. دليل المرشد الطلابي في مدارس التعليم العام بوزارة المعارف. الإدارة العامة للتوجيه والإرشاد، ط٢، الرياض: مطابع جاد، ١٤٢٢هـ.

٣٥. دليل تطوير أساليب إدماج التربية الإسلامية في المناهج التعليمية. هندي، د. صالح ذياب. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ١٤٢١هـ.

٣٦. دليل معلم العلوم الشرعية. وزارة التربية والتعليم. الرياض: المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٢٦هـ.

٣٧. دور التربيـة الإسلاميـة في مواجهة التحديـات الثقافية للعولمـة. الحارثي، صلاح بن ردود، ط١ ، جدة: مكتبة السوادي، ١٤٢٤هـ.

٣٨. الروح، ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي.١٤١٠هـ.

٣٩. الشراكـة التربويـة. أوزي. د. أحمد، ط١ ، الـدار البيضاء: قاطـرة التنمية والتطوير البيداغوجي، ٢٠٠٧م

٤٠. شـرح صحيح البخاري. ابن بطال، أبو الحسن، علي بـن خلف، ط٢، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.

٤١. طريـق الهجرتين. ابـن قيم الجوزية، شمس الدين، محمد بـن أبي بكر،ط١ ، بيروت: مكتبة دار البيان،١٤١٤هـ.

٤٢. العقـل وفهم القرآن. المحاسبي، الحـارث بن أسد. تحقيق: د. حسـين القوتلي، ط٣، بيروت: دار الكندي، ١٤٠٢هـ.

٤٣. العلاقات الإنسانية في الإسلام. المنصور. خالد منصور، ط٢، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٣هـ.

٤٤. علم النفس الاجتماعي. زهران، د. حامد عبدالسلام، ط ٥، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤م.

٤٥. علـم النفس الدعـوي. النغيمشي، د. عبدالعزيـز محمد، ط١، الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ .

٤٦. علـم النفـس الفـروق الفردية. الزغبـي، د. أحمد محمـد، ط١ ، دمشـق: دار الفكر، ١٤٢٨هـ.

٤٧. عمـدة القارئ شرح صحيح البخـاري. العيني، محمود بن أحمد. بـيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤٨. الغضب. النغيمشي، د. عبدالعزيز محمد، ط١، الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٥هـ.

٤٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر، أحمد بن علي. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ .

٥٠. فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء منهج السلف. المدخلي، عبدالرحمن بن أحمد، ط١، الرياض: دار المعارج الدولية للنشر، ١٤١٩هـ.

٥١. فقه التلاوة. الطويل، أحمد بن أحمد، ط١، الرياض: دار كنوز أشبيليا، ١٤٣٢هـ.

٥٢. القاموس المحيط. الفيروز آبادي، محمد يعقوب، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ .

٥٣. القلب في القرآن. الشنقيطي، د. سيد محمد ساداتي. الرياض: عالم الكتب، ١٤١٣هـ.

٥٤. القيم الإسلامية في المنظومة التربوية. الصمدي، د. خالد، الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ١٤٢٠هـ .

٥٥. كيف تحصل على أفضل ما لدى الآخرين. ديماس، محمد، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١هـ.

٥٦. كيف نتعامل مع القرآن. الغزالي، محمد، ط٤، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.

٥٧. كيف نفهم الشباب ونتعامل معهم. الأقصري، يوسف، ط١، القاهرة: دار اللطائف، ٢٠٠٢م.

٥٨. لا تغضب. القرني، د. عائض، ط١، الرياض: دار الحضارة، ١٤٣١هـ.

٥٩. لطائف قرآنية. الخالدي. د. صلاح عبد الفتاح"ط١"، دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ .

٦٠. محاسن التأويل. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٦١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية، عبدالحق بن غالب، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٢٢هـ.

٦٢. المدارس والكتاتيب القرآنية. المنتدى الإسلامي، الرياض: الصف التصويري، ١٤١٧هـ.

٦٣. مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق. ابن حزم، علي بن أحمد. تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان.

٦٤. مشكلات تربوية معاصرة. غنيم، خالد إسماعيل. عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠٠٢م.

٦٥. معجم المقاييس في اللغة. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـ.

٦٦. المعجم الموسوعي لعلوم التربية. أوزي، أحمد، ط١، الدار البيضاء: مطابع النجاح الجديد، ١٤٢٧هـ.

٦٧. مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة. اللاحم، د. خالد عبدالكريم، ط١، الرياض: مطبعة سفير، ١٤٢٥هـ.

٦٨. مفاتيح للتعامل مع القرآن. الخالدي، د. صلاح عبدالفتاح، ط١، الأردن: دار المنار، ١٤٠٦هـ.

٦٩. المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. بيروت: دار المعرفة.

٧٠. المقدمات الأساسية في علوم القرآن. الجديع، عبدالله يوسف، ط١، بيروت: مؤسسة الريان، ١٤٢٢هـ.

٧١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. النووي، يحيى بن شرف، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

٧٢. مهـارات التدريس في الحلقات القرآنية. الزهراني، د. علي بن إبراهيم، ط١، الخبر: دار ابن عفان، ١٤١٨هـ.

٧٣. ميثـاق أخلاقيـات مهنة التعليـم. وزارة التربيـة والتعليم – التطويـر التربوي. ط١، الرياض: المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٢٧هـ.

٧٤. نحـو أداء متميز لحلقـات تحفيظ القرآن الكريم. المنتـدى الإسلامي، ط٢، الرياض: مؤسسة صلاح السليم، ١٤٢٠هـ.

٧٥. النظريـة الخلقية عند ابن تيميـة. عفيفي، د. محمد عبـدالله، ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ.

٧٦. هذا هو القرآن. الشريف، محمد بن موسى، ط١، قناة الفجر الفضائية، ١٤٣٢هـ.

٧٧. وصية الشيخ أبي الوليد الباجي لولديه. تحقيق: عبداللطيف الجيلاني، ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٥هـ.

٧٨. وقايـة الأولاد مـن الانحراف من المنظـور الإسلامي. العيـد، أ.د. سليمان بن قاسم، كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحسبة، ١٤٣٥هـ.

الزهـرة الأسـود

- الدرجة العلمية: دكتوراه علم التدريس
- الوظيفة الحالية: أستاذ محاضر بقسم العلوم الاجتماعية
- الجامعة: جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي(الجزائر)
- الهاتف: ٠٠٢١٣٧٨٢٢٤٦٧١٢
- البريد الإلكتروني: lassouedzohra2016@gmail.com

× **آخر شهادة محصّل عليها :**

- دكتوراه علوم في علم النفس: تخصّص علم التدريس سنة ٢٠١٤ جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

× **المسار المهني :**

- مستشارة للتوجيه والإرشاد المدرسي والمهني منذ ديسمبر ٢٠٠١ إلى غاية نوفمبر ٢٠١٠.
- أستاذة متعاقدة بجامعة التكوين المتواصل ورقلة منذ سبتمبر ٢٠٠٦ إلى غاية جويلية ٢٠١٣.
- أستاذة جامعية دائمة منذ ٢٢ نوفمبر ٢٠١٠ إلى يومنا هذا.

× **بعض المقالات المنشورة :**

- الإجراءات التربوية لدعم الصحة النفسية للتلاميذ، منشور بمجلة مقاربات، جامعة زيان عاشور الجلفة، العدد ١٥، أوت ٢٠١٥، ص-ص: ٥٩- ٦٩.
- أهمية التدريس المصغّر في تدريب الطلبة المعلمين، منشور بمجلة دراسات، جامعة عمار ثليجي الأغواط، العدد ٣٤، جانفي ٢٠١٥، ص-ص: ٤٨-٥٦.
- الإجراءات الصفّية المساهمة في تفعيل طرائق التدريس، منشور بمجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد ١٦، سبتمبر ٢٠١٤، ص-ص:٣٢١-٣٣٠.

- الممارسات التدريسية الإبداعية لدى الأستاذ الجامعي من وجهة نظر طلبته، دراسة استكشافيــة من وجهــة نظر طلبة جامعــة ورقلة، منشــور بمجلة العلــوم الإنسانية والاجتماعيــة، جامعة قاصدي مربــاح ورقلة، العدد ١٢، سبتمــبر ٢٠١٣، ص-ص: ١٣١-١٤١.
- رؤى في التدريــس الإبداعي، منشور بمجلــة دراسات، جامعة عمار ثليجي الأغواط، العدد ٢٠ ب، جوان ٢٠١٢، ص-ص: ٥٤-٦٥.

التطبيقات التربوية المتضمنة في سورة (الضحى) وسبل توظيفها في إثارة الدافعية لدى المتعلم

د. الزهرة الأسود

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي (الجزائر)

× **ملخص البحث:**

تلعـب الدافعيـة دورا حاسما في عملية التعلم؛ فهي تمثّل المعـزّز الأقوى لاستمرار التعلم والمدعّم الأكبر لحصول النجاح لدى المتعلم، وعليه من المفيد أن يتناولها المربون بالبحث عن تطبيقاتهـا التربوية في مجـال التعليم المدرسي كوسيلة لمعالجة ضعـف مخرجات المؤسسات التعليمية.

والمتأمّـل في سورة (الضحـى) يجد أنها زاخـرة بالأساليب والتطبيقـات التربوية التي تساهم في إثارة وتعزيز الدافعية لدى المتعلم، بدءا بخلق جوّ يسوده الطمأنينة والأمن النفسي وصولا إلى تحقيق النجاح والتطلع إلى المستقبل بتفاؤل وإيجابية.

هذه التطبيقات التربوية؛ هي ما سيتناوله البحث الحالي علّها تكون عونا للمدرسين على تحقيق أهداف التعلم وتحسين مخرجات المؤسسات التعليمية.

× **مقدمة:**

يسعى المربّون إلى إيلاء موضوع الدافعية للتعلّم أهمية بالغة بالبحث والتقصّي عن سبل إثارتهـا وتعزيزها لدى المتعلـم، باعتبارها تمثّل عوامـل نفسية تحرّك أفـكار المتعلم وميوله لممارسة أنشطته التعليمية، وبالتالي فهي تعتبر مؤشرا جيّدا للتنبؤ بالأداء المدرسي.

هذا؛ وتتبدى أهمية الدافعية من الوجهة التربوية كونها هدفا تربويا في ذاتها، فاستثارة دافعيـة الطـلاب وتوجيهها وتوليـد اهتمامات معينـة لديهم، تجعلهم يقبلـون على ممارسة نشاطـات معرفية وعاطفية وحركية خارج نطاق العمـل المدرسي وفي حياتهم المستقبلية، هي من الأهداف التي ينشدها أي نظام تربوي (نشواتي،٢٠٠٣، ٢٠٦).

وإن استثـارة دافعية المتعلمين فيما يقدّم لهم من خبرات ويعرض لهم من مواقف، تعمل على تنشيط وتحريك تفاعلهم النشّط مع هذه الخبرات والمواقف، كما تسهم في توجيه انتباههم وتكيّـف جهودهـم نحو تحقيق هدف التحصيـل، وتعمل على حثّهم للاستمـرار في أنشطتهم الذهنية، وزيادة إيجابيتهم حتى يتسنى لهم تحقيق الهدف التعليمي (قطامي،١٩٩٣).

وعليــه، تعدّ الدافعية للتعلم ضرورة أساسية لحـدوث التعلم، وترجع كثير من مشكلات العمليــة التعليمية إلى انعدام دافعية التعلم لدى المتعلمين أو إلى انخفاضها (الطنّاوي،٢٠٠١، ١٤٧).

كما يرى "كيلر" (١٩٨٧) أن غياب الدافعية لدى المتعلمين ربما يعزى إلى عوامل كجهل المدرسين بأهمية الدافعية في عملية التعلم، أو لعدم قدرتهم على إثارة الدافعية لدى الطلاب نحو تعلم خبرات معينة (الزغلول،٢٠١٢، ٢٢٧).

ومــع إيماننا بأن القرآن الكريم ينبغي أن تؤخذ منه قواعد السلوك وغيرها، فإن المتأمّل في ســورة الضحى يجد أنها زاخرة بالأساليب والتطبيقــات التربوية التي تساهم في استثارة الدافعيــة لدى المتعلمين، مما يــدل على السبق القرآني للمذاهــب البشرية في حلّ المشكلات المعاصرة لاسيما مشكلات العملية التعليمية وما يتسبّب في انخفاض الدافعية لدى المتعلمين.

ومن هذا المنطلق، جاء هذا البحث ليبرز أهم التطبيقات التربوية التي جادت بها سورة الضحى، وأهم أساليب إثارة الدافعية لدى المتعلم التي تداولتها أدبيات البحث في علم النفس والتربية، لنخلص في الأخير إلى تقديم صيغة تربوية للاستفادة من تلك التطبيقات التربوية في استثارة الدافعية لدى المتعلم.

المبحث الأول

سورة الضحى موضوعاتها ومقاصدها وتطبيقاتها التربوية :

ورد في "تفسير الجلالين" أن سورة الضحى مكّيـة وآياتها إحدى عشرة آية، نزلت بعد سورة الفجر، ولما نزلت كبّر ﷺ آخرها فسنَّ التكبير آخرها، وروى الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها؛ وهو الله أكبر أو لا إله إلا الله والله أكبر.

* المطلب الأول: سورة الضحى: موضوعاتها ومقاصدها

أبطـأ الوحـي عن الرسول ﷺ أياما وهو بمكة حتى شـقّ عليه وجزع جزعا شديدا حتى قيل له إنّ ربك قد قلاك وودّعك، فنزلت هذه السورة تخبره أن ربه ما ودّعه وما قلاه.

(السامرائي،٢٠٠٢، ١٠٩)

كمـا نزلت هذه السورة لتبشّر النبي ﷺ برضا ربه تعالى عليه، ولتسوق جانبا مهّما من نعـم خالقه عليه، ولترشد أمته من خلال شخصه الكريم بالمداومة على مكارم الأخلاق التي من مظاهرها العطف على اليتيم والإحسان إلى السائل والتعريف بنعم الله تعالى.

(حسين ونعمان،ب ت، ٨٧)

فنزل هذا الفيض من الودّ والحب والرحمة والإيناس والقربى والأمل والرضا والطمأنينة واليقين.

(قطب،ب ت، ٤٦٠٣)

وعليه، فإن موضوع سورة الضحى الحديث عن شخصية النبي ﷺ، وقد تضمنت جملة من المقاصد، يمكن إيجازها على النحو الآتي: (الزحيلي،ب ت، ٦٦٥-٦٧٣)

- ابتدأت السورة بالقسم الإلهي العظيم على أن الله عزّ وجل ما قلا رسوله ولا أبغضه ولا هجره ولا تركه، وإنما هو محل العناية الربانية، وهو عظيم القدر عند الله تعالى: (وَالضُّحَى)١(وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى)٢(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)٣.

- ثم بشّره ربّه بأن مستقبله أفضل من ماضيه؛ فقال: (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى)٤.

- كما بشّره بعطاء جزيل؛ فقال: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)٥.

- ثم عدّد الله تعالى نعمه على رسوله ﷺ قبل إرساله، وكأنه قال: ما تركناك وما قلیناك قبل أن اخترناك واصطفيناك، فتظن أنّا بعد الرسالة نهجرك ونخذلك؛ فقال: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى)٧(وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى)٨.

- ثم أمره ربه ببعض الأخلاق الاجتماعية، وبشكره على هذه النعم؛ فقال:

× (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)٩(؛ قال مجاهد ومقاتل: لا تحقر اليتيم؛ فقد كنت يتيما، وقال الفرّاء: لا تقهره على ماله فتذهب بحقّه لضعفه (الرمضاني،٢٠٠٦، ٤٠٨).

× (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)١٠(؛ قال الحسن: أما إنه ليس بالسائل الذي يأتيك، ولكن طالب العلم، وهذا قول يحي بن آدم قال: إذا جاءك طالب العلم فلا تنهره، والتحقيق أن الآية تتناول النوعين (سليم وآخرون، ٢٠١٠، ٢٠٩).

× (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)١١(؛ أي حدّث بنعمة الله، لكن تحدث بها إظهارا للنعمة وشكرا للمنعم، لا افتخار بها على الخلق (العثيمين، ٢٠٠٣، ٢٤٤).

وجاء في "التبيان في أقسام القرآن": والتحقيق أن النعم تعمّ هذا كله فأمر أن لا ينهر سائل المعروف والعلم وأن يحدِّث بنعم الله عليه في الدين والدنيا (عن السامرائي، ٢٠٠٢، ١٢٠).

فحريّ بالإنسان أن يتذكّر نعم الله عليه ليشكره عليها وليحافظ عليها، وأن يثق بيقين الله في معاونة المبتلين فيكون بذلك من الشاكرين.

* المطلب الثاني: التطبيقات التربوية المستنبطة من سورة الضحى:

تمثّـل التطبيقـات التربويـة الترجمة الحقيقية للجانـب النظري، وفي هـذا التناول هي تعكس الأساليب التربوية التي تزخر بها سورة الضحى والتي يمكن أن يستفاد منها في مجال التربية والتعليم على وجه التحديد.

سيتـم تنـاول هذه الأساليـب والتطبيقات التربوية كمـا وردت تباعا علـى ضوء السورة الكريمة:

× **التطمين والبشرى:**

ابتـدأت سورة الضحـى بالقسم الثنائي، والغرض منه تطمـين الرسول ﷺ بعدم ترك الله تعالى إياه، وتذكيره بفضله عليه، وتبشيره بالنعمة العظيمة (محسن، ٢٠١٢، ١٨٨).

ويجـد "سيد قطب" (١٣٨٦ه) أن للقسم في هذه السـورة صلة بمشاعر النفس ومظاهر الحيـاة، لـذا يبدو في تصـوّره أن الله سبحانه وتعالى يقسم بهاتين الآيتـين: (وَالضُّحَى)١(وَاللَّيْـلِ إِذَا سَجَى)٢( ) ليربط بين ظواهـر الكون ومشاعر النفس ويوحي إلى القلب البشري بالحياة المتجاوبة مع هذا الوجود الجميل فيعيش ذلك القلب في أنس هذا الوجود غير موحش ولا غريب فيه فريد.

(حسين ونعمان، ب ت، ٩٠)

وقد حملت هذه السورة للنبي ﷺ أجمل البشرى، ملقية في نفسه الطمأنينة، معدّدة ما أنعـم الله به عليـه، وكأنه تعالى يقول لرسوله: إنّ من أنعم عليـك بكذا وكذا لم يكن ليتركك ولا ينساك بعد أن هيّأك لحمل أمانته، وأعدّك للاضطلاع بأعباء رسالته، فلا تحزن على ما كان مـن فترة عنك، ولا يكن في صدرك حرج منها، فما ذلك إلا لتثبيت قلبك، وتقوية نفسك علـى احتمال مشاقّها.. ثم ذكر له ما يثلج صدره، ومـا فيه كمال الطمأنينة والبشرى؛ فقال: (وَلَلْآخِـرَةُ خَـيْرٌ لَّكَ مِـنَ الْأُولَى)٤( ) .. ثم زاده في البشـرى فقال: (وَلَسَـوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)٥( ).

(المراغي،١٩٤٦، ١٨٣- ١٨٤)

× **الرعاية والعناية :**

كما أقسم الله تعالى على الاعتناء برسوله ﷺ، فقال: " مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ "؛ أي: ما تركك منـذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ ربّاك ورعاك، بل لم يزل يربّيك أحسن تربية، ويعليك درجة بعد درجة (السّعدي، ٢٠٠٦، ٩٢٤).

ومـا ورد في جواب القسـم واختيار كلمة "الـرب" وإضافتها إلى المخاطـب أنسب شيء هـا هنـا وأدلّ علـى الرعاية والعناية، فـإن الربّ هو المربّـي والمرشد والمالـك والسيّد فكيف يودّعـك ويقليك وأنـت عبده ورسوله، وهو سيّدك ومولاك أخرجك من الظلمة إلى نور الوحي والرسالة؟.

(السامرائي، ٢٠٠٢، ١١٣)

كما أن علّة استعمال القرآن الكريم لفظة "رب" في هذا المقام دون غيرها لما تعنيه هذه اللفظـة مـن معنى، إذ الأصـل فيها التربية؛ وهـي إنشاء الشيء حالا فحـالا إلى حدّ التّمام، يقـال: ربّه، وربّـاه، وربّبه، وأن الله تعالى أولى رسوله الكـريم ﷺ عناية خاصة منذ نشأته، لكـي يعـدّه إعدادا تاما لحمل أعباء الرسالة فناسب هـذا الاستعمال مع نفي الترك والبغض عنه.

(محسن، ٢٠١٢، ١٩١)

× **التكريم بالعطاء وتحقيق الرضا :**

يذكـر حرجـان (٢٠١٣، ٣٠٨- ٣٠٩) أن الله تعالى يعد نبيـه ﷺ بجزيل العطاء حتى يبلـغ درجة الرضـا، وقد جاء العطاء في السورة مطلقا لم يحـدد، إنما يشمل هذا العطاء كل شـيء ولم يخصّص بشيء معيّن إكراما للرسول الكـريم ﷺ وتوسيعا للعطاء، وكذلك أطلق الله تعـالى فعـل الرضا كما أطلق العطاء فجعل العطاء عاما وجعل الرضا عاما وذكر المعطي أيضـا وهـو الرب، وعلينا أن نتخيّل كيف يكون عطاء الـرب؟ والعطاء على قدر المعطي، وهذا كلـه فيـه تكريم للرسول ﷺ، كذلك في إضافة ضمير الخطاب (الكاف في ربك) تكريم آخر للرسول ﷺ.

إنّ مـا وعد الله رسوله الكـريم في هذه السورة من أنه سوف يعطيه فيرضى هو من أجلّ النعـم، ذلـك أن الرضا في الحياة هو أساس الاستقـرار والطمأنينة والهناء والسعادة وراحة البال، فإن فقد الرضا حلّت الهموم وحلّ القلق والشقاء وعموم دواعي النكد.

ولا يكـون الإنسان مرتاحـا ولا هانئا إلا إذا عمّ الرضا جميع جوانب حياته، فإن فقد من جانب منها فقد الإنسان من راحته واستقراره بقدر ذلك الجانب، ولذلك أطلق سبحانه الرضا لنبيّـه؛ فقـال: " فَتَرْضَى" ولم يقيّـده بشيء لا بمال ولا جاه ولا غيرهمـا (السامرائي،٢٠٠٢، ١١٥).

× **التذكير بالنعم:**

وهنا يذكّر الله عزّ وجل الرسول ﷺ ما كان من شأن ربه معه منذ أول الطريق ليستحضر في خاطره جميل صنع ربه به ومودّته له، وفيضه عليه، ويستمتع باستعادة واقع الرحمة والودّ والإيناس الإلهـي، وهو متاع فائق تحييه الذكـرى على هذا النحو البديـع (حرجان، ٢٠١٣، ٣١٠).

× **النهي عن القهر والزجر:**

نهـى الله عزّ وجل نبيّـه الكريم عن أمرين: قهر اليتيم وزجـر السائل، لما لهما من أكبر الأثـر في التعاطـف والتعـاون في المجتمع، ولمـا فيهما مـن الشفقة بالضعفـاء وذوي الحاجة (المراغي، ١٩٤٦، ١٨٥).

لا تقهـر يتيما؛ أي لا تذلّه بل ارفع نفسه بالأدب وهذّبه بمكارم الأخلاق ليكون عضوا في جماعتك ينفعها وتنتفع به، ولا يفسده التذليل والهوان فيكون جرثومة فساد يتعدى أذاها إلى كل من يخالطها من أمتك (عبده، ١٩٢٣، ١١٢).

ولا تنهـر ولا تزجـر سائـلا؛ أي لا تغلظ عليه ولكـن أعطه وردّه ردا جميـلا، وقل له قولا حسنا، وقيل: أي لا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحّاشا ولا فظّا على الضعفاء من عباد الله.

(السامرائي، ٢٠٠٢، ١١٩)

× **الشكر والثناء:**

قـال مقاتل: اشكر هذه النّعمة التي ذكرتُ في هذه السورة، والتحقيق أن النّعم تعمّ هذا كلّه، فأُمِرَ أن لا ينهر سائل المعروف والعلم، وأن يحدِّث بنعم الله عليه في الدّين والدّنيا.

(الرمضاني، ٢٠٠٦، ٤٠٨)

وقـد تضافـرت نصوص الكتاب الكريم علـى بيان فضائـل نعمة الشكـر، ومعرفة هذه الفضائل تدعو إلى شحذ الهمّم والقلوب لتكون شاكرة للّه تعالى مطيعة له؛ ومن هذه الفضائل:

- منزلة الشكر أعلى المنازل؛ وهي فوق منزلة الرضا وزيادة، فالرضا مندرج من الشكر، والشكر نصف الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف شكر ونصف صبر.

- الشكر طريق الرضا، فإن داوم العبد على الشكر رضي الله له شكره وقبله منه، فرضا الرب عن عبده إنما يكون بشكر العبد له.

وأمـا التحـدّث بنعمة الله؛ فهو صورة مـن صور الشكر للمنعم يكملهـا البرّ بعباده، وهو المظهر العملي للشكر، والحديث الصامت النافع الكريم (حرجان، ٢٠١٣، ٣١٦-٣١٧).

المبحث الثاني

الدافعية للتعلم مفهومها ووظائفها وأساليب إثارتها لدى المتعلم

* المطلب الأول: الدافعية للتعلم: مفهومها ووظائفها

تزخر أدبيـات البحث في علم النفس والتربية بتعريفات متنوّعة ومتعدّدة حول مصطلح الدافعيـة للتعلم، ولعل التنوّع في ضبط المفهوم يرجع بالأساس إلى تعدّد نظريات علم النفس واختـلاف وجهات نظرهـا حوله، ولا يسعنا في هـذا المقام سرد جميـع التعريفات حسب كل نظرية وإنما الاكتفاء بتناول ما يخدم موضوع البحث الحالي.

تعتبر الدافعية للتعلم حالة داخلية لدى المتعلم تحرك أفكاره ووعيه، وتدفعه إلى الانتباه للموقـف التعليمـي والقيام بالأنشطة التـي تتعلق به، والاستمـرار في أداء هذه الأنشطة حتى يتحقّق التعلم كهدف للمتعلم (توق، قطامي، عدس، ٢٠٠٣).

كمـا تمثّـل مجموعة من المشاعر التي تدفـع المتعلم إلى الاندمـاج في الأنشطة التعليمية المختلفة بما يسهم في تحقيق الأهداف التعليمية المنشودة (الطنّاوي،٢٠١١، ١٤٧).

ولما كانت الدافعية وسيلة لتحقيق أهداف التعلم؛ فهي تسعى بدورها إلى تحقيق الوظائف التالية:

تعمـل الدافعيـة على جمع الطاقـة اللازمة لممارسـة نشاط ما، مما يـؤدي إلى تنشيط سلوك الفرد ودفعه إلى القيام بعمل من أجل إزالة التوتر وإعادة الجسم إلى الاتزان السابق (الداهري،٢٠٠٥، ١٨١).

كما تعمل على تحديد مجال النشاط السلوكي الذي يوجّه إليه الفرد اهتماماته من أجل تحقيق أهداف وأغراض معينة، فالسلوك بدون وجود دافع يصبح عشوائيا وغير هادف.

(القذافي،١٩٩٨، ١٧٣)

والدافعية تساعد المتعلم على تحصيل المعرفة والمهارات وغيرها من الأهداف، فالمتعلمين الذيـن يتمتعون بدافعية يتم تحصيلهـم الدراسي بفاعلية أكبر، في حين المتعلمين الذين ليس لديهم دافعية عالية قد يصبحون مصدر سخرية داخل القسم (عمر،١٩٨٧، ٩٥).

* المطلب الثاني: أساليب إثارة الدافعية لدى المتعلم:

وتشمـل مختلف الإجـراءات والأساليـب التي يستخدمهـا المعلم من أجل إثـارة دافعية المتعلمين نحو التعلم والعمل على تعزيزها والحفاظ على استمراريتها.

إنّ إدراك المعلـم لأهمية الدافعية للتعلم ودوره في إثارتها لدى المتعلم يؤثر بشكل إيجابي علـى نواتج التعلم ويساهـم في تحسين العملية التربوية، لذا يقـترح الباحثون في علم النفس والتربيـة عـدّة إجراءات وأساليـب تساعد المعلم علـى استثارة دافعية المتعلمـين نحو التعلم وتعزيزها، وتؤدي إلى تحسين مستوى تحصيلهم الدراسي، وفي ما يلي أهم هذه الأساليب:

- جعـل بيئة الصـفّ آمنة سيكولوجيـا، فالحاجة إلى الأمان يمكـن تحقيقها من خلال الجوّ العام في غرفة الصفّ (سليم، ٢٠٠٤، ٣٠٤).

- بنـاء منـاخ صفّـي تتوافر فيـه الشـروط الكفيلة بإشبـاع حاجات المتعلمـين للانتماء واحـترام الذات، واستبعاد أية عوامل تهديدية تثير قلق المتعلمين ومخاوفهم.. وتؤدي بالتالي إلى إحباط دافعيتهم وفشلهم (نشواتي،٢٠٠٣، ٢٢٢).

- العمـل علـى تنميـة العواطـف الإيجابية لـدى المتعلمين؛ مثـل الثقـة في قدرتهم على الإنجـاز، وأن يكون المتعلم قـادرا على توجيه تساؤلات كثيرة عن موضـوع التعلم، وأن نجعل المتعلـم أكـثر تركيزا واهتماما بالموضـوع المدروس، وتجنّب استثارة العواطـف السلبية عنده (إبراهيم وحسب الله، ٢٠٠٢).

- العمـل على تنظيـم الأنشطة التعليمية الصفّية بشكل يراعـي حاجات المتعلم وقدراته واستعداداتـه، والمعلم الكفء هو الذي يمتلك القدرة على الوقوف على حالة المتعلم الداخلية التـي تدفعه إلى الانتبـاه إلى الموقف التعليمـي، والقيام بنشاط موجّـه والاستمرار فيه حتى

يتحقّق الهدف (قطامي،٢٠٠٤).

- تحقيـق الإشباع لدى المتعلمين؛ حيث ينطوي هـذا الأسلوب على خلق القناعة والرضا لـدى المتعلمـين بالإنجـاز أو التحصيل الـذي حقّقوه مـن تعلم المحتوى من خـلال استخدام المعزّزات والمكافآت المختلفة لأداءاتهم كالعلامات والثناء والمديح، ولوحات الشرف، وشهادات التقدير، وعرض أعمال المتعلم في الصفّ أو المدرسة، إضافة إلى تأكيد أهمية وقيمة النتائج أو التحصيل الذي حقّقه المتعلمون وعزو ذلك إلى جهودهم وطاقاتهم الذاتية.

- تزويد المتعلم بمتطلبات التعلم القبلية ومساعدته على تذكّر التعلم السابق ذو العلاقة للاستفادة منه في التعلم الجديد.

- استخـدام الأمثلة الـواردة في البيئة التي يعيش فيها المتعلـم (الزغلول،٢٠١٢، ٢٢٩-٢٣٠).

- استخدام التغذية الراجعة لتعريف المتعلم بنتائجه الإيجابية (الزبيدي،٢٠٠٣).

المبحث الثالث

سبل توظيف التطبيقات التربوية المتضمنة في سورة الضحى في إثارة الدافعية لدى المتعلم

إنّ المتأمّل في جملة التطبيقات التربوية المستنبطة من سورة الضحى يجدها تعكس أهم الأساليب التي يستخدمها المعلم في إثارة الدافعية لدى المتعلمين ورفع أدائهم التحصيلي، والتي ينبغي أن يستفاد منها في تحقيق أهداف التعلم وتحسين العملية التعليمية-التعلّمية، وهذا بدوره يؤكّد على السبق القرآني في حلّ المشكلات المعاصرة لاسيما المشكلات التربوية وما يتسبّب في انخفاض دافعية المتعلمين نحو التعلم والتحصيل والإنجاز.

وعليه، سيتم تقديم صيغة تربوية للاستفادة من تلك التطبيقات التربوية في استثارة الدافعية لدى المتعلم، ويمكن إجمال هذه الصيغة فيما يلي:

× **تحديد الوقت المناسب للتعلم:**

أشار الزحيلي (ب ت، ٦٦٨) إلى أن الله خصّ وقت الضحى بالذكر لأنه وقت اجتماع الناس، وكمال الأنس بعد وحشة زمان الليل، وذكر الضحى هو ساعة من النهار، وذكر الليل كلّه إشارة إلى أن ساعة من النهار في الإنتاج توازي جميع الليل.

وأشار حسين (٢٠٠٧، ٢٧- ٣٣) إلى فائدة وقت الضحى في التعلم أن ضوء الشمس يساعد في تنظيم العمليات الحيوية في الجسم، كما يساعد في تحسين البيئة والصحة البدنية والنفسية وتحفيز النشاط، كما يبعث ضياء الشمس على النشاط والحركة .. ويبعث على الفرح والسرور والأمل والتفاؤل والتأمل والتفكّر في الإبداع وجمال الوجود، بحثا عن الغاية من الوجود ومن الحياة، وهو صميم الغاية من التعلم.

× **توفير مناخ صفّي مفعم بالأمن النفسي:**

ذكرنا فيما سبق أن القسم الإلهي جاء لغرض التطمين وحمل البشرى على نفس النبي

ﷺ بعـد فتـور الوحي وحزنه على انقطاعه، فجاء المدّد الربـاني ينساق عذبا زلالا على قلبه ﷺ، وجـاءت البشرى بأن يا نبـيّ الله ما ودّعناك وما قلیناك بعـد أن هيأناك لحمل شرف الأمانة.

والطمأنة والبشرى من الناحية السيكولوجية هي إشباع الحاجة إلى الأمن؛ هذه الأخيرة تستثـار عند الفرد عندما يشعـر بالتهديد وعدم الاستقرار، ولا يقتصـر الشعور بالأمن هنا على الجانب المادي بل يتعداه إلى الجانب النفسي والمعنوي أيضا.

والمتعلـم داخل الصفّ بحاجـة إلى أمن نفسي ليتعلم سلوك المبـادرة ويمارس نشاطاته التعليميـة بحريـة وتلقائية، لـذا يتوجّب على المعلـم أن يوفّر مناخا صفّيا آمنـا لتحقيق دافع الفهم والمعرفة، فضلا عن إثارة دافع التعلم لدى المتعلم من أجل تحسين أدائه التحصيلي.

× وضع برامج تعزيز مناسبة :

وقـد جاء جـواب القسـم ليمنح النبـي ﷺ كل كرامات الدنيـا والآخرة، بـدءا بتعهده بالرعايـة الإلهيـة، ثم تبليغه بأن الخير المرصود له في الآخـرة خير له من ذاك الذي كان في الأولى، ثم وعده بالعطاء حتى يبلغ درجة الرضا.

هذه الكرامات هي بمثابة تعزيزات خصّ الله بها رسوله تكريما له وتعظيما لشأنه ﷺ.

والتعزيـز مـن الناحيـة السيكولوجيـة يعمل على زيـادة فعاليـة التعلم، وزيـادة فعالية مشاركة المتعلمين في الأنشطة التعليمية داخل الصفّ، لذا يحتاج المتعلم إلى الشعور بالانتماء وتقدير الذات، فينبغي على المعلم أن يشعره بالاهتمام والانتماء إلى الصفّ الدراسي من باب الرعايـة والعناية به واحترام ذاته (سليم،٢٠٠٣، ٥٠٢)، وأن يستخدم التعلم من أجل إشباع حاجات المتعلم للنجاح مما يبعث على تحقيق الرضا لديه بالتحصيل والإنجاز.

وإنّ الحكمـة في التعامـل مع المتلقي طالبـا كان أو متعلما من خلال شـدّ أزره وتشجيعه وتحفيز طاقاته الكامنة وتعزيز ثقته بنفسه (حرجان، ٢٠١٣، ٣٢٠).

هـذا؛ وتؤكّـد النظريـات الارتباطيـة والسلوكيـة علـى أهميـة دور التعزيـز في التعلم، وعلـى قدرتـه على استثـارة دافعيـة المتعلم وتوجيـه نشاطاتـه، ويأخذ التعزيـز في الأوضاع

التعليميــة أشــكالا متنوعة؛ كالإثابات الماديــة، والعلامات المدرسيــة، والنشاطات الترويحية (نشواتي،٢٠٠٣، ٢٢١).

كمــا يؤمن علماء السلــوك بأهمية المكافأة الماديــة، فدعاة تشكيل السلــوك يؤمنون بأن السلــوك يتشكّل عــن طريق التدعيم، فــإذا لم يتعلم التلاميذ فمعنى ذلــك أنه لم يقدّم لهم الباعث الحقيقي والمدعّمات أو المعزّزات المشبعة (سليم، ٢٠٠٤، ٣٠٧).

وعليــه، يستطيع المعلم وضع برامج تعزيــز مناسبة تستثير دافعية المتعلمين التحصيلية، وتعزّز رغباتهم في النجاح.

× استثارة حاجات المتعلمين للإنجاز والنجاح:

كمــا وردت أدلة جــواب القسم تحمل تعداد نعم الله على نبيه ﷺ لتقوية قلبه وتشجيعه علــى السير في طريقه التي اختارها الله له؛ وهي طريق محمودة العواقب سليمة المغاب، فهو يبثّ في نفسه الطمأنينة فالذي أولاه كل هذه النعم ورعاه كل هذه الرعاية وانتدبه لهذا الأمر ما كان ليضيعه أو يخيّب أمله (حسين ونعمان، ب ت، ١٠١- ١٠٢).

وهنــا وجــب أن ننبّه إلى ضرورة تبديد مشاعر الخــوف والقلق من الفشل لدى المتعلمين ومساعدتهــم على تحقيق النجــاح من خلال تزويدهم بالفرص المناسبــة، وكذا عزو النجاح لجهود المتعلم وتعزيز الشعور لديه بأنه عنصر فعّال في عملية التعلم (الزغلول،٢٠١٢، ٢٣٠).

كمــا تبيّن بعض نظريات الدافعيــة أن حاجات الفــرد للإنجاز والنجــاح متوافرة لدى جميع الأفراد ولكن بمستويات متباينة، وقد لا يبلغ مستوى هذه الحاجات عند بعض الطلاب لسبــب أو لآخر حدا يمكّنهم من صياغة أهدافهم وبذل الجهود لتحقيقها، لذلك يترتب على المعلــم توجيه انتباه خاص لمثل هؤلاء الطلاب، وبخاصة عندما يظهرون سلوكا يدل على عدم رغبتهم في أداء أعمالهم المدرسية.

إن تكليــف الطالــب ذي الحاجــة المنخفضــة للإنجاز والنجــاح بمهام سهلــة نسبيا يضمن نجاحه فيها، والإقلال من قيمة النتائج غير المرغوب فيها والمترتبة عن الفشل يمكن أن يؤديا إلى استثارة حاجة هذا الطالب للإنجاز وزيادة مستوى رغبته في النجاح (نشواتي،٢٠٠٣، ٢٢٠).

× تجنّب صعوبات فرص النمو:

ومـا ترتّب على مـا سبق؛ جاءت التوجيهات الربانية إلى إكـرام اليتيم والنهي عن قهره وكسـر خاطره وإذلاله، وإلى إغناء السائل مع الرفق بـه، والتحدث بنعمة الله شكرا للمنعم، ولمـا لشكر النعمة من فضائل تدعو إلى شحذ الهمّـم والقلوب لتكون شاكرة لله تعالى مطيعة له (حرجان، ٢٠١٣، ٣١٦).

ومـن التوجيهـات التربويـة في هذا الشـأن أن يتحلى المعلم بالرفق واللـين في تعامله مع الطلاب، مما ينعكس ذلك على تجاوبهم وتفاعلهم مع الأنشطة التعليمية.

وإذا كان المعلـم يخلـق مواقـف تسبّب ضعفا وتوتـرا وقلقا، فإن طلابه سـوف يفضلون السلامـة بعدم اشتراكهم، ولكنه إذا قلّل الأخطاء فـإن الطلاب سوف يشتركون حتى أولئك الذين لا يشعرون بالأمان (سليم،٢٠٠٣، ٥٠٣).

هذا؛ ويضيف حسـين (٢٠٠٧، ١٥١- ٢٢٦) جملة من التوجيهات التربوية المستمدة من توجيهات الإسلام الإنسانية، منها:

- أن نأخـذ العبرة والدرس بأن نفتّش عن الموهوبين والعظمـاء من تحت ركام الفقر واليتـم والحرمان، فكم مـن موهوب ضاعت موهبته تحـت ركام الفقر والحرمان، ولـو توفرت الرعاية المناسبة لهؤلاء المحرومـين لحصد المجتمع من نتاج عبقريتهم وعظمتهم الكثير.
- ضرورة تواضع أهل العلم وعدم تكبّرهم على الطلاب بعلمهم.
- الحرص على بناء النفس وتطويرها.
- تربيـة النشء علـى التخطيط لاستقـرار حياتهـم وتقدّمها واختيـار الأعمال التي تساهـم في رقيّهم الفكـري والنفسي، والتأكيـد لهم على أهميـة التعليم والتدريب المهني في تقدّمهم الوظيفي والمهني.
- شكـر نعمة تـولّي الوظائف العامـة في المجتمع وأداء حقّها الـذي يتمثل في إخلاص الموظف في عمله والقيام بواجباته خير قيام.

الخاتمة

بعـد هذه الجولة الماتعة في رحاب سورة الضحى يتّضح بأنها زاخرة بالومضات التربوية الهادفـة، حيث ابتـدأت بالتفاؤل والإشراق بوقت الضحى، ثـم بالسكينة والأمن بوقت الليل، وقـد نزلت لتطمئن النبـي ﷺ باستمرار المدد الرباني وزفّ البشـرى بنعم الله الجليلة، ثم ذكـر الله تعـالى بما أولى على نبيّه ﷺ من الرعاية والعناية، ثم بشّره بنيل أعظم الكرامات في الآخـرة، وختم الخطاب القرآني بتذكيره ﷺ بالنعـم التي حباه الله بها وأردفها بوصايا مقابل تلك النعم، ليكون ترتيب الآيات على نحو ما ورد هو أمثل ترتيب وأنسب.

كمـا اتّضـح من خلال التطرّق إلى أدبيات البحث في علـم النفس والتربية حول أساليب استثـارة الدافعية لـدى المتعلم، أن المربّون ينبّهون إلى ضـرورة إشباع حاجات المتعلم للأمن والانتمـاء وتقدير الذات، بالإضافـة إلى تنويع وسائل التعزيز الإيجابي بما يضمن الاستفادة القصوى من الطاقات البشرية وتخريجها لخدمة المجتمع على نحو أفضل.

وعليه، فإن القرآن الكريم قد حاز في هذا المضمار قصب السبق لنقرَّ بأن تلك الومضات التربويـة التي اقتبست من أنـوار سورة الضحى هي بمثابة تطبيقـات تربوية ينبغي توظيفها في استثـارة الدافعية للتعلم لـدى المتعلمين من أجل تحقيق أهداف التعلم وتحسين مخرجات المؤسسات التعليمية.

المصادر والمراجع

× **القرآن الكريم.**

١. إبراهيم، مجـدي عزيز وحسب الله، محمد عبد الحليـم(٢٠٠٢)، التفاعل الصفّي: مفهومه- تحليله- مهاراته، ط:٠١، القاهرة: عالم الكتب.

٢. توق، محي الديـن وقطامي، يوسف وعدس، عبد الرحمن(٢٠٠٣)، أسس علم النفس التربوي، ط:٠٣، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣. حرجـان، جاسـم محمـد(٢٠١٣)، الأساليـب التربويـة في سـورة الضحـى دراسـة موضوعية، جامعة بغداد: كلية العلوم الإسلامية.

٤. حسين، عبد الله حميد ونعمان، أثير طارق(ب ت)، علّل الاختيارات القرآنية في سورة الضحى دراسة تعبيرية، المجلة العالمية لبحوث القرآن.

٥. حسـين، عبد الوهاب(٢٠٠٧)، سورة الضحى: فوائدها وخصائصها عند النبي وأهل بيته، ط:٠١، بيروت: دار المحجّة البيضاء.

٦. الداهـري، صالح حسـين(٢٠٠٥)، مبادئ الصحة النفسيـة، ط:٠١، عمان: دار وائل للنشر.

٧. الرمضاني، عبد الملك بن أحمد(٢٠٠٦)، من كل سورة فائدة، الجزائر: منار السبيل، الدار الأثرية للنشر والتوزيع.

٨. الزبيـدي، خولـة فاضل(٢٠٠٣)، أساليـب التعليم والتعلم الحديثـة، الرياض: معهد الإدارة العامة.

٩. لزحيلـي، وهبة(ب ت)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر: آفاق معرفة متجدّدة.

١٠. الزغلـول، عماد عبد الرحيم(٢٠١٢)، مبادئ علم النفس التربوي، العين: دار الكتاب الجامعي.

١١. السامرائـي، فاضـل صالـح (٢٠٠٢)، علـى طريـق التفسـير البيـاني (ج١)، النشر العلمي (٦)، جامعة الشارقة: كلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية وآدابها.

١٢. السعـدي، عبـد الرحمن بن ناصـر (٢٠٠٦)، تيسير الكريم الرحمـن في تفسير كلام المنان، الرياض: دار أضواء البيان.

١٣- سليم، مريم (٢٠٠٣)، علم نفس التعلم، ط:٠١، بيروت: دار النهضة العربية.

١٤. سليم، مريم (٢٠٠٤)، علم النفس التربوي، ط:٠٢، بيروت: دار النهضة العربية.

١٥. سليم، مصطفى وآخـرون (٢٠١٠)، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي.

١٦. الطنّـاوي، عفّـت مصطفـى (٢٠١١)، التدريس الفعّـال، ط:٠٢، عمـان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

١٧. عبـده، محمـد (١٩٢٣)، تفسير القرآن الكـريم (جزء عـمّ)، ط:٠٣، المملكة العربية السعودية: الجمعية الخيرية الإسلامية.

١٨. العثيمـين، محمد بـن صالـح (٢٠٠٣)، تفسير القـرآن الكريم (جزء عـمّ)، ط:٠٣، الرياض: دار الثريا للنشر والتوزيع.

١٩. عمر، بـدر (١٩٨٧)، دراسـات مسحية للدافعيـة لدى طلاب الجامعـة، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٠٤، الكويت.

٢٠. القـذافي، رمضان محمد (١٩٩٨)، الصحة النفسية والتفوّق، ط:٠٣، القاهرة: المكتب الجامعي الحديث.

٢١. قطامي، نايفـة (٢٠٠٤)، التعلم: أسسـه ونظرياته وتطبيقاته، القاهـرة: دار المعرفة الجامعية.

٢٢. قطب، سيّد (ب ت)، في ظلال القرآن.

٢٣. محسن، مجيد جابر (٢٠١٢)، علّـل التعبير القرآني في سورتي الضحى والتين، مجلة دراسات تربوية، العدد العشرون، تشرين الأول، بغداد: الكلية التربوية المفتوحة.

٢٤. المحلـي، جلال الدين والسيوطي، جلال الدين(ب ت)، القرآن الكريم بهامشه تفسير الجلالين، الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.

٢٥. المراغـي، أحمـد مصطفـى(١٩٤٦)، تفسير المراغـي، ط:٠١، مصـر: شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

٢٦. نشواتي، عبد المجيد(٢٠٠٣)، علم النفس التربوي، ط:٠٤، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

عبد الرحمن بن العربي تلي .

- المؤسسة التعليمية : جامعة لونيسي علي- البليدة -٢- الجزائر.
- كلية الآداب و العلوم الاجتماعية.
- قسم العلوم الاجتماعية
- دائرة علم النفس وعلوم التربية
- التخصص: علوم التربية .
- الوظيفة أستاذ جامعي
- الرتبة: أستاذ محاضر
- الجنسية:جزائرية
- تاريخ ومكان الميلاد: ١٤مارس ١٩٥٩ ب ولاية بسكرة
- الحالة العائلية : متزوج عدد الأولاد : ١٠
- الهاتف المحمول : ٠٠٢١٣٧٧٤٥١٣٧٢٨
- البريد الإلكتروني : rahim.telli@gmail.com

الشهادات العلمية :

- شهادة التعليم المتوسط ٧٤/٧٥.
- شهادة البكالوريا شعبة العلوم ٧٨/٧٩.
- شهادة الليسانس في العلوم البيولوجية ٨٢/٨٣ جامعة باب الزوار .
- شهادة الكفاءة المهنية للتفتيش لتعليم الأساسي١٩٩١.
- شهادة الماجستير علوم التربية ٩٩/٢٠٠٠ جامعة الجزائر ٢ بوزريعة .
- شهادة الدكتوراه علوم التربية ٢٠١١/٢٠١٢ جامعة الجزائر ٢ بوزريعة .

التأليف و النشر :

- كتاب الجيولوجيا العامة ، دار الشهاب باتنة ، ١٩٩٢.
- دليل الأستاذ لتدريس العلوم الطبيعية ، دار الجسور ، الجزائر ، ٢٠٠٩ .
- سلسلة المرحلة الابتدائية في التربية العلمية والتكنولوجية/ مناهج الإصلاح التربوي الجديد مع مجموعة من المؤلفين ، دار الشهاب ، الجزائر ،٢٠٠٤/٢٠٠٥/٢٠٠٦/٢٠٠٧/٢٠٠٨.
- نشر عدة مقالات تربوية في جريدة المحرر الأسبوعية .

العزوف عن العمل وعلاجه في ضوء القرآن الكريم

عبد الرحمن بن العربي تلي

الملخص :

يتنـاول المقال قيمـة العمل في الكتاب والسنـة النبوية الشريفة حيث أبـرز أن العمل هو أحد عناصر الرؤية الكونية التي فسر بها هذا الوجود ثم صلة الإيمان بالعلم والعمل ومفهوم العمـل وأبعاده في الاسلام؛ البعـد الأول: العمل للعيش ويتضمن أن هذا الأخير صدقة وجهاد والعمـل كحـق والعمل كواجب وأنـه يحقق للإنسان الاكتفـاء النفسي والذهنـي والاجتماعي ويحفـظ كرامـة الانسـان ويحقق الأمـن الاجتماعي والبعـد الثاني يتضمـن العمل لتحقيق الشهود الحضاري الاسلامي أي العمل بين صحة الاسلام وصلاحيته في الواقع وأخيرا البعد الثالث :العمل للآخرة .

أسباب اختيار الموضوع:

- فشو ظاهرة العزوف عن العمل في العالم الاسلامي،وانعكاسها السلبي في حياة المسلمين؛ من فقر ومرض وجوع

- الفصل بين الإيمان والعمل.
- تضييق مفهوم العمل وتجزئته في البحث عن لقمة العيش وعدم اعتباره من صلب العبادة.

الأهداف:

- إبراز قيمة العمل وربطها بتقدم المجتمعات الاسلامية أو تخلفها.
- تبيان قيمة العمل بأبعاده الثلاثة: العمل للعيش والعمل للشهود الحضاري والعمل للآخرة.
- إبراز قيمة العمل الفردي والعمل الجماعي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.
- تحفيز المسلمين على الأخذ بالأسباب للخروج من التبعية الذليلة لغير المسلمين في الغذاء والكساء والدواء والسلاح.

المنهج: يحدد المنهج أي دراسة علمية عاملان هما:

هدف الباحث وزمن البحث

والبحث الذي بين أيدينا زمنه الحاضر والهدف هو تحليل ظاهرة العمل من خلال الوحيين، وعليه فالمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي.

خطة البحـــــــــــــث

مقدمة:

المشكلة : وتم ابرازها من خلال العناصر التالية :

١-١ صلة الإيمان والعلم بالعمل.

١-٢ صلة العلم بالعمل عند السلف.

١-٣ مظاهر العزوف عن العمل عند المسلمين.

علاج المشكلة في ضوء الكتاب والسنة :

× **مفهوم العمل وأبعاده في الاسلام:**

البعد الأول: العمل للعيش.

أ- العمل للعيش صدقة وجهاد.

ب- ذم التسول والعمل بين الحق والواجب.

جـ- العمل بين الفردية والجماعية.

د- العمل لتحقيق الاكتفاء الجسدي والنفسي والذهني والاجتماعي.

البعد الثاني: العمل لتحقيق الشهادة على الناس.

أ- العمل لإقناع الناس بصحة الإسلام.

ب- العمل لإقناع الناس بصلاحية الإسلام.

البعد الثالث: العمل لتعمير الآخرة.

النتيجة العامة.

التوصيات والمقترحات.

المراجع.

مقدمة

إنّ "العمل" هو أحد عناصر الرؤية الكونية التي فسَّر بها القرآن الكريم هذا الوجود، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (هود: ٧)، وقال: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الكهف: ٧)، وقال: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الملك: ٤)، فجعل غاية تكوين الكون هي: فتح مسابقة في العمل، أيُّ الناس يعمل أحسن؟ على أن يترتّب على ذلك الجزاء: ثواباً وعقاباً، كلُّ إنسان يجد جزاءَ ما قدَّمه من أعمال حسنة أو سيئة، قال تعالى: (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) (الكهف: ٤٩)، وقال في الحديث القدسي: (إنّما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثمّ أوفّيكم إياها)[١].

وعلى أساس العمل الإيماني الصائب ينجح الناس في المسابقة أو يفشلون، ولا عبرة بأيِّ وصف آخر قد يتّصف به الإنسان من نَسَب شريف، أو نسل كثير، أو مال وفير، أو شكل جميل، إلاّ أنْ يكون قُربة، قال الله تعالى: (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) (سبأ: ٢٧)، وقال ﷺ: (ومن بطّأ به عملُه، لم يُسرع به نسبُه)[٢]، وعلى أساس العمل الإيماني الصائب يتفاوت الناس في مقدار ما يستحقون من الثواب أو العقاب، قال تعالى: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) (الأنعام: ١٣٢).

١- المشكلة: ويتم إبرازها من خلال العناصر التالية:

١-١ صلة الإيمان والعلم بالعمل:

لقد ربط القرآن الكريم والسنة النبوية الصّلة بين الإيمان والعمل، وبين العلم والعمل، بحيث يفقد كلٌّ من الإيمان والعلم فاعليته وجدواه إذا تخلّف عنهما العمل، وحذَّر أشدّ التحذير من انشراخ هذه الصّلة بينهما، ولهذا لا يكاد يذكر القرآن الكريم الإيمانَ إلاّ مقرونًا بالعمل، واستنكر القرآن الكريم القول بغير عمل، فقال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ

(١) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٧.

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم: ٢٦٩٩.

مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف: ٢-٣).

وجاءت السنّة على هذا المهيع، تُحكِم الرّباط بين الإيمان والعمل، والعلم والعمل، فنفى رسول اللهﷺ أن يكون الإيمان مجرّد دعوى يلوكها اللّسان، عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك -وفي رواية: (غيرك)- قال: (قل: آمنت بالله، فاستقم)[١]، فأمره بالاستقامة على ما آمن به، والاستقامة هي العمل بمقتضى الإيمان.

وقالﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[٢].

لأجل هذا تعوّذ رسول اللهﷺ من العلم الذي لا يثمر العمل، فقال: (اللهمّ إنّي أعوذ بك من علم لا ينفع ...)[٣]، وكان يتمثّل القرآن الكريم ويحتذيه قُذّةً بقُذّة، وآية بآية، كما قالت عائشة -رضي الله عنها-: (فإن خلق نبي اللهﷺ كان القرآن)[٤]، وقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: ٦١).

١-٢ صلة العلم بالعمل عند السلف:

لقد فهم سلفنا الصالح في القرون المزكاة صلة العلم بالعمل وجسّدوها، وضربوا أروع الأمثلة في تحويل العلم والإيمان إلى سلوك عملي، وواقع شاخص للعيان، ننقل منها بعضها:

وعن أبي عبد الرحمن قال: حدّثنا من كان يُقرئنا من أصحاب الرسولﷺ أنّهم كانوا يقترئون من رسول اللهﷺ عشر آيات، ولا يأخذون في العشر الأخرى حتّى يعلموا ما في هذه من العمل والعلم، فإنّا عُلِّمنا العمل والعلم)[٥].

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، حديث رقم: ٣٨.
(٢) الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، حديث رقم: ٢٤١٧. قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).
(٣) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم: ٢٧٢٢.
(٤) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، حديث رقم: ٧٤٦.
(٥) ابن أبي شيبة، كتاب فضائل القرآن، باب في تعليم القرآن كم آية، حديث رقم: ٢٩٩٢٩.

وعن عمر بن الخطّاب أنّه قال: (اللهمّ بيِّن لنا في الخمر بيان شفاء)، فنزلت التي في البقرة: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) (البقرة: ٢١٩)، فدُعي عمر فقُرئت عليه فقال: (اللهمّ بيِّن لنا في الخمر بيان شفاء)، فنزلت التي في النساء: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) (النساء: ٤٣)، فدُعي عمر فقُرئت عليه، ثم قال: (اللهمّ بيِّن لنا في الخمر بيان شفاء)، فنزلت التي في المائدة: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (المائدة: ٩١)، فدُعي عمر فقُرئت عليه فقال: (انتهينا انتهينا)[١].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: (يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل، لما أنزل الله: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) (النور: ٣١) شققْنَ مروطهنّ فاختمرن بها)[٢].

وهذه النماذج لا تضعنا فقط أمام معنى العمل بالعلم، بل أمام معنى سرعة الاستجابة لمقتضى العلم والإيمان.

١-٣ مظاهر العزوف عن العمل عند المسلمين:

بعكس ما كان عليه المسلمون الأول، باعتبارهم أن العمل جزء لا يتجزء من العبادة، فحققوا الاكتفاء الذاتي في غذائهم ودوائهم وكسائهم ومعارفهم فأحسنوا الاخراج لأمتهم فكانوا خير أمة أخرجت للناس وأصبحوا قبلة وقدوة للبشرية جمعاء؛ فكانت كلمتهم مسموعة ومكانتهم مرفوعة ففتحوا الأمصار بأخلاقهم ولاذ بحماهم الضعيف والمظلوم ودخل الناس في دين الله أفواجا أما، اليوم وبعزوف المسلمين عن العمل وفرقوا بينه وبين الإيمان والعلم فأصبحوا هم الجياع رغم ثرواتهم وهم الفقراء والجهلاء والمرضى رغم كثرة سوادهم وشرف رسالتهم وكرامة نبيهم، فأصبحوا يعانون بين التبعية الذليلة لمعسكرات الكفر والالحاد والتنصير فهانوا في أعين الناس فسلبت خيراتهم واستبيحت حرماتهم وفتتت أراضيهم فتفشت فيهم الردة والانحراف الأخلاقي والكسل والجهل وانتشار الجريمة وأصبحوا يمثلون مثل السوء بابتعادهم وانحرافهم عن المثل الأعلى قال تعالى: (لِلَّذِينَ لَا

(١) الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، حديث رقم: ٣٠٤٩. قال الحافظ في "الفتح": ٢٧٩/٨: (رواه أصحاب السنن، صححه علي بن المديني والترمذي).

(٢) البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (وليضربن بخمرهن على جيوبهن)، حديث رقم: ٤٧٥٨.

يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (النحل: ٦٠)، وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الروم: ٢٧).

× مفهوم العمل وأبعاده في الإسلام:

العمل المأمور به في نصوص الكتاب والسنة يمكن أن نقسمه إلى ثلاثة أبعاد أو مستويات:

- البعد الأول: العمل للعيش.
- البعد الثاني: العمل لتحقيق الشهود الحضاري الإسلامي.
- البعد الثالث: العمل لتعمير الآخرة.

لقد عرف الغربيون حقيقة تفاوت مراتب العمل، وأنّها ليست منحصرة في مفهوم "ممارسة الشغل أو المهنة"، فقد نقل الأستاذ طه عبد الرحمن عن الفيلسوفة الأمريكية ذات الأصل الألماني "أرندت حنا" أنّها قسَّمت العمل في كتابها: "وضعية الإنسان الحديث" إلى ثلاثة أقسام: الشغل، والصنع، والعمل، فـ "الشغل" هو العمل المعاشي الذي يوفِّر الضروريات البيولوجية الدورية للإنسان، أمّا "الصنع" فهو فعّالية بناء عالم إنساني لا يشغله حفظ الحياة الطبيعية، وإنما حفظ الحياة الإنسانية، وأمّا "العمل" فهو تعاطي الشؤون العامة، والعلاقات بين الناس[1].

وحيث ترمي الفيلسوفة إلى إعطاء بُعد واسع للعمل، وربط حقيقته بمدى حفظ البقاء الإنساني بأوسع معانيه؛ يبقى مفهوم البقاء مع ذلك قاصرًا بكثير عن مفهومه الإسلامي الذي يصل بُعده إلى العالم الأخروي، ويصل مفهومه إلى الخلود بكلّ ما تعنيه الكلمة من اللاتناهي، كما سنبين إن شاء الله.

أوّلاً: العمل للعيش.

وهو أضيق أبعاد العمل، وأصغر مستوياته، يعمل الإنسان ليعيش، وليبقى على قيد الحياة، فقد شاء سبحانه ألا يعيش الإنسان إلاّ بطعام وماء يدخلان جوفه، وأنّ ذلك لا يتأتى إلاّ بسعي وكدّ، فأمر الإسلام الإنسان بأن لا يتّكل على الآخرين في رزقه، وأن يبذل أسباب

(١) انظر: طه عبد الرحمن، سؤال العمل، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢م، ص٢٠.

تحصيله لنفسه ولمن تجب عليه نفقتهم، قال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) (الجمعة: ١٠)، وقال: (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ) (العنكبوت: ١٧)، وقال: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) (المزمل: ٢٠)، وضرب الله مثل السوء للمتقاعس عن العمل من كلّ وجه، فلا تُرجى منه أيّ فائدة في سائر أحواله، فقال: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ،وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (النحل: ٧٥-٧٦).

وحثّ رسول الله -ﷺ- على أن يتكسَّب الإنسان بنفسه فقال: (ما أكل أحدٌ طعامًا قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبي الله داود -عليه السلام- كان يأكل من عمل يده)[1]، وقال: (لأن يحتطب أحدُكم حزمةً على ظهره خيرٌ من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه)[2].

وفي سياق التشجيع على العمل للعيش، والحض عليه؛ أباح الإسلام أنواعا من المعاملات -رغم تضمنها للغرر اليسير-، لا لشيء إلاّ لعدم غلق أبواب الرزق، ومداخل الكسب على الناس، خاصّةً من لا سبيل لهم إلى العيش إلاّ أبدانُهم، وسواعدُهم، فأباح الإسلام المزارعة، والمساقاة، والمغارسة، والمضاربة، والجُعالة، وغيرها من المعاملات المنعقدة على عمل الأبدان، وسنّ لها أحكاما ترعى مصلحة العمّال وتميل إليها أكثر مما تميل إلى مصلحة أرباب الأموال، كما ذكر العلامة ابن عاشور فقال: (وإذْ قد كان العَمَلَةُ -أي: العمّال- في هذه العقود هم مظنة الحرص على التعجيل بانعقاد هذه العقود لحاجتهم إلى الارتزاق، وكونهم لا يستطيعون لذلك حيلة إلا بعمل أبدانهم ... كان مقصد الشريعة في هذه المعاقدات كلّها الحياطة لجانب العَمَلة ... كيلا يذهب عملُهم باطلاً أو مغبونًا، ولم نر معذرةً لأصحاب الأموال في هذا التضييق؛ لأن لهم طرائق شتّى يستثمرون بها أموالهم، فهم في خِيَرة من استعمالها أو اكتنازها للإنفاق منها وتقتيرها، بخلاف حال العَمَلَة؛ فهم إن حُرموا مساعدة

(١) البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم: ٢٠٧٢.

(٢) البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم: ٢٠٧٤.

أصحاب الأموال بقوا عاطلين)[1].

ومن مظاهر هذا الاحتياط لصالح العمّال: الأمر بالتعجيل بإعطائهم أجورهم فور إنجازهم لعملهم المطلوب بغير تأخير، قال -ﷺ-: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقُه)[2]، وقال: (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ باع حُرًّا فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره)[3].

أ- العمل للعيش صدقةٌ وجهاد:

وللتشجيع على هذا النوع من العمل جعل الإسلام لصاحبه أجراً وثواباً أخروياً، فعن سعد بن أبي وقّاص أنّ النبي -ﷺ- قال له -حينما أراد أن يتصدّق بكلّ ماله بعد موته، أو بنصفه، أو بثلثه-: (الثلث والثلث كثير، أن تدع ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تدعهم عالةً يتكفّفون الناس في أيديهم، ومهما أنفقت فهو لك صدقة، حتى اللقمة ترفعها في في (أي: فم) امرأتك)[4].

بل جعله كالمجاهد في سبيل الله، وكالصائم القائم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار)[5].

وعن كعب بن عجرة قال: مرَّ على النبي -ﷺ- رجلٌ، فرأى أصحابُ النبي -ﷺ- من جَلَده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله -ﷺ-: (إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفُّها فهو في سبيل الله، وإن كان

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمّد، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط٢، (تحقيق ودراسة محمّد الطاهر الميساوي)، دار النفائس، عمّان، ٢٠٠١م، ص٤٨٠-٤٨١.

(٢) ابن ماجه، كتاب الرهون، باب أجر الأجراء، حديث رقم: ٢٤٤٣. قال الألباني في إرواء الغليل (٣٢٢/٥): صحيح.

(٣) البخاري، كتاب الإجارة، باب إثم من منع أجر الأجير، حديث رقم: ٢٢٧٠.

(٤) البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، حديث رقم: ٥٣٥٤.

(٥) البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، حديث رقم: ٥٣٥٣.

خرج رياءً وتفاخراً فهو في سبيل الشيطان)[١].

بل كلّ عمل يعمله الإنسان يعيش منه طائرٌ، أو بهيمة؛ فهو صدقة له، قال -ﷺ-: (ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعاً؛ فيأكل منه طيرٌ، أو إنسانٌ، أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة)[٢].

ب- ذم التسول والعمل بين الحق والواجب:

ونفّر الإسلام من المسألة (أي: التسوّل) تنفيرا شديدا، قال -ﷺ-: (اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، فاليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة)[٣]، وقال: (ما يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعة لحم)[٤]، وقال: (من سأل الناس أموالهم تكثرُّا، فإنّما يسأل جمراً، فليستقلّ أو ليستكثر)[٥]، ومدح الله المهاجرين الذين أُخرجوا من أموالهم وديارهم، وأصبحوا فقراء، ورغم ذلك تعفّفوا عن المسألة، فقال: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) (البقرة: ٢٧٣).

وهكذا كان شأن بقية الصحابة -رضي الله عنهم- كما قالت عائشة -رضي الله عنها-: (كان أصحاب رسول الله -ﷺ- عُمَّالَ أنفسهم)[٦]، ولا عجب إذا كان معلّمهم -ﷺ- (يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخيط)، (ويحلب شاته)[٧].

وكان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى ذي سِيمَا سأل: أَلَهُ حرفة؟ فإذا قيل: لا؛ سقط من عينه.

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير، باب الكاف، كعب بن عجرة، حديث رقم: ٢٨٢. قال الهيتمي في مجمع الزوائد ٣٢٥/٤: (رواه الطبراني في الثلاثة، ورجال الكبير رجال الصحيح).

(٢) البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، حديث رقم: ٢٣٢٠.

(٣) البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، حديث رقم: ١٤٢٩.

(٤) البخاري، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرا، حديث رقم: ١٤٧٤.

(٥) مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، حديث رقم: ١٠٤١.

(٦) البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، حديث رقم: ٢٠٧١.

(٧) البخاري، الأدب المفرد، باب ما يعمل الرجل في بيته، حديث رقم: ٥٤٠-٥٤١.

وتأسّى بهذه التربية النبوية علماء الأمّة، فرغم انشغالهم بالعلم أساسا؛ غير أنهم كانوا يحترفون ويكتسبون بسواعدهم، فتجدهم يُلقَّبون بالنجّار، والحطّاب، والحدّاد، والزجّاج، والزيّات، والخلاّل، والفرّاء، والجصّاص، والبزّار، والبزّاز، والرصّاع، والنشّار، والعطّار، واللحّام، والخيّاط، والقصّار، والصوّاف، والقطّان، والقفّال، والمشّاط، والطحّان، والقبّاب، والمطرِّز، والخرَقي، والخازن، والكسائي، والماوردي، والحاجب، والإسكاف، والصيرفي، والآجُري، والباقلاني، والحَلَواني، والثعالبي، والذهبي، والجوهري، والصّابوني، والصّائغ، وغير ذلك.

إنّ هذا المستوى الأوّل من مستويات "العمل" -وهو العيش- رغم أنه أصغرها، إلا أنه بمثابة القاعدة والأساس والدُّرَجة التي يُرتقى منها للمستوى الذي يليه، ولهذا يقول مالك بن نبي رحمه الله: (والحقّ أنّ كلّ عمل الإنسان قد صدر أوّلاً عن يده، فهي التي شقّت الطريق لفكره في عالم الأشياء التي صنعتها، وكأنّها كانت بذلك تخلق فكره، وتُعِدّ مهده وإطاره والمحيط الملائم لتطوّره، فلنُكرم اليد التي تمسك بالمبرد، والفأرة، فمنها ستنبثق المعجزات التي ننتظرها، ولقد انبثقت المعجزة فعلاً حين تحرّكت اليد، فأمسكت الآلة، أو قلبت التراب[1]، ويمكن أن نوضح ذلك من خلال العناصر الآتية:

العمل بين الحق والواجب:

حينما ينصرف العمل من وجهة المطالبة بالحقوق إلى وجهة أداء الواجبات وهذا مصداق لقوله تعالى: (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) (البلد: ١١)، ويسبق هذه الآية قوله تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد: ١٠)، فهما طريقان:

- طريق السهولة: الطريق الذي يستهوي النفوس طريق الانحدار وهو طريق "الحقوق" حين يفقد الانسان الارادة ويستسلم للمنحدر ليصل في نهاية المنعطف إلى التخلي عن المسؤوليات الاجتماعية الكبرى التي يقتضيها الصعود وهذا هو الطريق الذي ينتهجه العالم المتخلف ولا يخفى على عاقل ما انجر عنه من هزائم لانزال نتجرع مرارتها.

- طريق الصعوبة: أو طريق الصعود، طريق الكدح والمشقة وهو طريق الواجبات المعاكس لهوى النفس، الطريق المرتبط بالجهود التي يجب أن تبذل لاقتحام العقبة وليس هناك مذلل

(١) مالك، بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م، ص١٠٨.

لاقتحام العقبة إلا إرادة الانسان، حيث يقول مالك بن نبي رحمه الله: "من الطبيعي أن كلمة الواجبات حين ترتبط بمفهوم العقبة يعني أنها ترتبط بالجهود التي تبذل من أجل اقتحام العقبة، إذ ليس من الميسر في أساس اقتحام العقبة سوى إرادة الانسان هنا"[1].

تطبيق:

فالاقتصاد الذي يقوم على اختيار الواجبات ليس هو الاقتصاد الذي يقوم على اختيار الحقوق، فالفرد العامل في الاختيار الأخير يتقاضى أجرته بينما في الاختيار الأول –اختيار الواجبات- يصبح الفرد العامل منتجا أي مردوده في المجتمع أكثر مما يتقاضى بكثير.

جاء في الحديث عن أنس بن مالك: أن رجلا من الأنصار جاء إلى النبي - ﷺ - يسأله، فقال: (لك في بيتك شيء؟)، قال: بلى، حِلْسٌ نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقَدَح نشرب فيه الماء، قال: (ائتني بهما)، قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله - ﷺ - بيده، ثم قال: (من يشتري هذين؟)، فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: (من يزيد على درهم؟) مرتين أو ثلاثا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما للأنصاري، وقال: (اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوما فأتني به)، ففعل، فأخذه رسول الله - ﷺ -، فشدّ فيه عودا بيده، وقال: (اذهب فاحتطب، ولا أراك خمسة عشر يوما)، فجعل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فقال: (اشتر ببعضها طعاما، وببعضها ثوبا)، ثم قال: (هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إنّ المسألة لا تصلح إلاّ لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع[2].

- ففي اللحظة التي جاء فيها الأعرابي يطلب حقا مشروعا له في الزكاة من بيت المال، ولكن النبي-ﷺ –وهو أعلم الناس بهذا الحق- لم يحل المشكلة على أساس هذا الحق، بل حلها على أساس الواجب حين أشار عليه أن يحتطب وهكذا علمه ويعلمنا نحن معاشر المسلمين من بعده كيف يجب أن نأكل من صنع أيدينا حلالا، كيف نقتحم العقبة وكيف حول هذا السائل من مجرد مستهلك يعيش عالة على المجتمع الناشئ إلى فرد منتج بقدر ما

(١) مالك، بن نبي، مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥م، ص١٢٠.

(٢) أبو داود، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، حديث رقم: ١٦٤١. أخرج الترمذي منه قصة القدح فقط، وقال: حديث حسن. كتاب البيوع، باب ما جاء في بيع من يزيد، حديث رقم: ١٢١٨.

يستطيع ويحسن أن يجمع حطبا يبيعه، وفي هذا يقول مالك بن نبي رحمه الله: تعبيقا على هذه الحادثة: "بقدر ما نختار طريق الواجبات أو طريق الحقوق نقرر في الحقيقة مصير المجتمعات ثقافيا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا"(١).

جـ- العمل بين الفردية والجماعة :

فيجب أن لا نغرق في أداء الواجبات الفردية كالصيام والصلاة والصدقة وغيرها من الواجبات العينية، بل يجب العمل والاهتمام بالجهد المشترك الذي يقربنا من الله ويجعلنا متوافقين لسنن التغيير (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر: ٤٣-٤٤).

وهذا الواجب الجماعي تزداد ضرورته عندما تكون الأمة تمر بأخطار تهدد كيانها ووجودها كما هو الحال الذي نجدهم عليه اليوم؛ دماؤنا مستباحة وأموالنا ليست بملكنا وقراراتنا تصنع خارج ارادتنا ولعل حديث السفينة خير دليل وخير هاد من النفق المظلم الذي نجتازه، جاء في الحديث "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا"(٢)، هذه القضية المعروضة في الحديث وأما الحكم فقد قرره الرسول ﷺ "إن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا".

يقول مالك بن نبي رحمه الله "فإذا أخذنا الحديث في مفهومه العام وفي ظرف من الظروف التي نتصور فيها المجتمع الاسلامي سفينة معرضة للخطر فيجب أن لا نترك أنفسنا للتصرف الفردي، باجتهاد قد يكون فيه شيء من الحسنات، واللباقة أو اللطف بالآخرين، ولكن يجب علينا كما يشير الحديث الشريف أن نحافظ على أمن السفينة، وأمن السفينة يقتضي أولا وحدة الركاب ووحدة سلوك الركاب، ألا يتصرف أحد دون أن يكون تصرفه

(١) مرجع سابق، ص١٢١

(٢) البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث رقم: ٢٤٩٣.

مطابق لسلامة الجميع لا لسلامته هو" [١].

د- العمل للعيش يحقق للإنسان الاكتفاء الجسدي والنفسي والذهني والاجتماعي:

لا يمكن للإنسان أن ينتقل إلى المستوى الثاني من العمل: العمل لتحقيق الشهود الحضاري إذا كان بطنه يقرقر من الجوع، إذا كان لا يجد ثوباً يقيه حرّ الصيف وقرّ الشتاء، إذا كان لا يملك بيتا يؤويه، وزوجةً يسكن إليها، إذا كان لا يحوز وسائل تحلّ له مشكلات الحياة اليومية، إذا كان غير مستقرّ بدنياً ونفسياً وذهنياً واجتماعياً، لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، وهذا أمرٌ لا يفتقر إلى طول برهان، وتأمّل قوله -ﷺ-: (إذا وُضع عَشاءُ أحدكم، وأُقيمت الصلاة، فابدؤوا بالعَشاء، ولا يعجل حتى يفرغ منه) [٢]، وقوله: (لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان) [٣]، كيف يدلّان أنّ البطن الجائع، والقلب المشغول بحاجة غالبة قاهرة؛ أولى له أن يقضي حاجته قبل أن يتكلَّف أداء العمل المطلوب منه، فذلك أحرى أن يأتي به على وجهه النافع.

بل رخّص النبي -ﷺ- صراحةً لعُمَّاله أن يأخذوا من بيت المال ما يحقِّقون به استقرارهم الاجتماعي فقال: (من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادمٌ فليكتسب خادمًا، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنًا) [٤]، قال الشيخ أبو زهرة: (وكلّ ذلك -بلا ريب- من بيت مال المسلمين؛ لأنّ الراحة التي ينالها العاملون توفِّر خيرا يعود على الجماعة الإسلامية) [٥]، فتحصيل هذا المستوى من ضرورات العيش وحاجاته لا يغذِّي جسد الإنسان فحسب، بل يغذّي أيضًا روحه، وعاطفته، ونفسيته، وذهنه، ويشحذ همّته، ويشحن استعداده للعطاء والبذل والعمل على نطاق أوسع.

---

(١) مرجع سابق، ص١٤١.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، حديث رقم: ٦٧٣.

(٣) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ... حديث رقم: ٥٦٠.

(٤) أبو داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في أرزاق العمال، حديث رقم: ٢٩٤٥. قال الألباني: (صحيح)، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم: ٦٤٨٦.

(٥) أبو زهرة، محمد، التكافل الاجتماعي في الإسلام، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١م، ص٤٢.

العمل للعيش يحفظ كرامة الإنسان :

بـل إنّ تحصيل مستـوى العيش اللائق يحفـظ الشخصية المعنوية للإنسـان، ممثَّلةً في الكرامـة، والشعـور بالاصطفـاء الربّاني لجنس الإنسـان عن غيره من المخلوقـات، كما قال تعـالى: (ولقد كرَّمنا بنـي آدم) (الإسراء: ٧٠)، أمّا العطالة والبطالة؛ فإنّها تنتج لنا إنساناً لا يشعـر بكرامتـه، لا يشعر بامتيازه واصطفائـه، لا يشعر أنه إنسان، ناهيـك عن أنه مؤمن يحمـل رسالة، وأنّى لهذا الشخص أن يقدِّم للإنسانية، أو للإسلام، أو للأمة ما ينفعها، وهو لا يشعر أنه ينتمي إليهم أصلا.

العمل للعيش يحقِّق الأمن الاجتماعي:

بعـد أن يفقد المرء كرامته يصبح مؤهَّلاً لسلوك طريق أخرى يرى فيها سبيلا لاسترداد حقّـه في الكرامة، وهي طريق الجريمة، ولا يكون هو الخاسر الوحيد في سلوك هذه الطريق، بل يدفع المجتمع ضريبة باهظة جرّاء شيوع الجريمة فيه، ويتخلخل أمنُه وسِلمُه، و يا لها من ضريبـة؛ كان يغنـي عنها إشاعة ثقافة العمل، وإتاحة فرص العمل بوفرة وعدل وسخاء، بما يحفظ للجميع كرامتهم، ويحفظ للمجتمع أمنه وسِلمه.

لأجـل هذه التبعات المرهقة؛ تعوّذ النبـي -ﷺ- من الفقر، وقَرَنه بالتعوّذ من الكفر في قولـه: (اللهمّ إنّي أعوذ بك من الكفر والفقـر)[1]، لأجل هذا قال عبد الله بن الزبير: (أشرّ شيء في العالم البطالة).

قيمة الإنسان من قيمة عمله :

قال سيدنا علي رضي الله عنه: (قيمة كلّ امرئ ما يحسنه)، وقال ابن خلدون: (الكسب الّـذي يستفيده البشر إنّما هو قيم أعمالهم، ولو قُـدّر أحدٌ عطل عن العمل جملة؛ لكان فاقد الكسب بالكلّية، وعلى قدر عمله وشرفه بين الأعمال وحاجة النّاس إليه؛ يكون قدر قيمته)[2].

(١) أبو داود، كتاب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم: ٥٠٩٠. صححه ابن حبان في صحيحه، رقم: ١٠٣٤، وابن خزيمة في صحيحه، رقم: ٧٤٧

(٢) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر -ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، معروف بـ (تاريخ ابن خلدون)، والجزء الأوّل منه معروف بـ (المقدِّمة)، ط٢، (تحقيق خليل شحادة)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٤٨٨.

فمن كان أنفع للناس؛ كانت حاجتهم إليه أعظم، وقيمته لديهم أكبر، ومن كان كمن قال الله فيه: (لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ)؛ لا ينظر الناس إليه إلا نظرة الازدراء والاحتقار، لأنّه لا ينفعهم بشيء، فلا قيمة له لديهم.

البعد الثاني: العمل لتحقيق الشهادة على الناس:

أمر الله هذه الأمة بالعمل لتحقيق الشهادة على الأمم الأخرى، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) (البقرة: ١٤٣)، وقال: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الحج: ٧٨).

والمقصود بالشهادة على الناس: الشهادة عليهم بأنّ الدّين الحقّ قد بلغهم، وأنّ الرسل قد أدّوا ما عليهم من البلاغ؛ بدليل ما عليه -أو ما يجب أن تكون عليه- الأمة الإسلامية من الهدى المحسوس والمشاهد والمجسَّد في واقعهم المعاش، فلو فرضنا تخلّي الأمة الإسلامية عن الدّين، خاصة أنّ الرسالات قد خُتمت، والرسل قد انقطعوا؛ لا يبقى على وجه الأرض من يدين لله بدين الحقّ، فيتخذ الناس ذلك حجّة لقولهم: (مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ) (المائدة: ١٩).

وإذا كان كذلك فالشهادة تقتضي الحضور في الزمان والمكان فهل نحن كمسلمين حاضرون في المحافل الدولية عندما تؤخذ القرارات الحاسمة التي تتبدل على اثرها خرائط الأمم ؟وعليه فهذه الشهادة لا تتحقّق إلاّ بأمرين هما:

الأول: العمل لإقناع الناس بصحة الإسلام.

والثاني: العمل لإقناع الناس بصلاحية الاسلام.

أ- العمل لإقناع الناس بصحة الاسلام:

أي: تفسيره، وبيان حقائقه، وعقائده، ومقاصده، وأصوله، وقواعده، وأحكامه، والدعوة إليه، ودفع الشبهات والتشويهات عن ذلك كلّه، وهو عملٌ يستهدف العقول، والقلوب،

ويخاطبها بالبراهين العقلية، والحجج المنطقية، والأدلة العلمية، ويجادلها بالتي هي أحسن، بكلّ رحمة وشفقة، من غير تعنيف ولا إكراه، ولا حمل على اعتناق الدِّين بالقوة، إلاّ أن يحول طاغـوتٌ دون الوسائل الدعوية والحوارية، ويمنعها بالقـوة، فحينئذ لا يقف الإسلام مكتوف الأيدي، بل يزيح الموانع الطاغوتية الجبروتية الاستكبارية بالقوة أيضا، لا لإكراه الناس على الدِّين، بل لإرجاع الوضع الحواري إلى طبيعته، ثمّ من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر.

أمرنا الله تعالى بهذا العمل فقال: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: ١٠٤)، وقال: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَـرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران: ١١٠)، وقال: (وَإِذْ أَخَـذَ اللَّهُ مِيثَـاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَـهُ) (آل عمران: ١٨٧)، وقال تعـالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَـا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَـا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِـكَ يَلْعَنُهُـمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ) (البقرة: ١٥٩)، وقال: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَـةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُـدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ٦٤).

رغـم ما شهده الثلث الأخير من القرن الماضي (القرن العشرين) من صحوة إسلامية، ومن جهـود دعوية محترمة، بعضها فردية، وبعضها جماعية، انتظمت في جمعيات ورابطات وأحـزاب، وصار مجموعها يُعرف بـ"الحركة الإسلامية"، أو "العمل الإسلامي"، أو "الدعوة الإسلاميـة"، غـير أنّ هذه الجهود لا تُعدّ كافيةً بالنّسبة إلى الجهـل الذي يتخبّط فيه العالم غير الإسلامي: الجهل بالله، وبالإسلام، خصوصًا أنّ أغلب تلك الجهود يتوجّه إلى المسلمين أنفسهم، بسبب تراجعهم عن التمسّك بمقتضيات الدِّين، فلم ترق لتصل إلى العالم الجاهل بالإسـلام إلاّ قليلاً، ممّا ينبيك أنّ عملاً جبَّاراً ينتظر المسلمين لتحقيق الشهادة على الناس، ينتظرهـم أن يرجعـوا إلى إسلامهم، ويستمسكـوا به على نهج أسلافهـم، وأن يبلِّغوه البلاغ المبين إلى غيرهم.

وهـذا العمـل لا يكفي أن يضطلع به الأفراد، بل لا بدّ لـه من مؤسّسات دولية، ومنظمات عالميـة، لا بـدّ له مـن قنوات إعلاميـة ضخمـة، ودُور نشر كبـيرة، ومنتديات حـوار واسعة، بمختلـف لغات العالم، ويحتـاج إلى أموال وجهود تقـع مسؤوليتها على الـدول، وعلى أغنياء

الأمة، وهيئاتها ومجامعها الفكرية والعلمية.

كما يحتاج هذا العمل إلى معرفة مداخل الدعوة، وأساليب التأثير في المدعوِّين شعوبا وعلماء ومثقفين، ولا يكفي أن يكون الخطاب ارتجاليا، أو نمطيا كالذي يسمعه المسلم: آيات وأحاديث وقصص أنبياء وصحابة وتابعين، حيث لم يسلِّم المدعو بصدقها بعد، ولم يسلِّم أنّ استدعاءها في زمن الذرة والصاروخ والبورصة مُجْدٍ ونافع، فنحتاج إلى فهم نفسيات العالَم غير الإسلامي على اختلافها، وإلى تفكيك عقلياته على تنوّعها، وإلى دراسة تركيباته الاجتماعية، وخلفياته الفكرية، وخصوصياته الثقافية، ومعرفة ما يؤثر فيه وما لا يؤثر، والنفاذ إليه بأساليب علمية مدروسة، وليس بأساليب خطابية عشوائية، قد تنفِّرهم من الإسلام أكثر ممّا ترغبهم فيه، ولهذا وصف الله عزّ وجلّ البلاغ الذي أُمر به الرسل بأنّه مبين، أي: يتحقّق به البيان على أكمل وجه، فلا يبقى عند المدعوّ غبش، أو خفاء، أو سوء فهم، قال تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (النحل: ٣٥)، ولهذا أيضا كان يُبعث الأنبياء بألسنة أقوامهم، أي: باللغة التي يفهمون، والأسلوب الذي به يتأثرون، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) (إبراهيم: ٤)، فالآن انتقلت مسؤولية البيان بشروطه هذه إلى الأمة الإسلامية.

العمل لإقناع الناس بصلاحية الاسلام:

فالدين الذي جاء به القرآن الكريم ووضحه النبي -ﷺ- في حديثه وسيرته مع الصحابة، جاء ليحقق أمرين لا ثالث لهما:

جاء لتحقيق العبودية بين الخالق والمخلوق (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦).

جاء ليحقق للإنسان كرامته بين بني جنسه (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء: ٧٠).

وما نعتقده ونعمل لأجله أن التدافع بين الخير والشر قائم إلى قيام الساعة، وأن محصلة هذا التدافع هو صلاح الكون كله قال تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: ٢٤٩)، وعليه فأمة الخيرية يجب أن لا تكون أدنى من الأمم الكافرة في المستوى الحضاري، وقوام الأمم ودوام سلطانها بما تقدمه

مـن عدل وأمن ورغد عيش لرعاياها، وهذه هـي الصلاحية المذكورة في القرآن الكريم، قال تعـالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء: ١٠٥)، وقـال أيضا: (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ) (النساء: ١٢٣).

يقول مالك بن نبي -رحمه الله- في هذا الشأن وتعليقا على هذه الآيات: "ليست القضية أن نفرض على الأقدار أن تتصرف طبقا لشهواتنا ولرغباتنا، وليست بأمانينا ولا بأماني أهل الكتـاب أيضا، بل هي قدرة الاهية تتصـرف بحكمة وقسط بين البشر، فالأرض يرثها العباد الصالحون الذين يصلحون الأرض، فهذا هو جانب الصلاحية"[١].

والاسـلام لا يفقد صحته أبدا حتى ولو جانـب المسلمون الصواب في تطبيقه في حياتهم كمـا هو حـال المسلمين اليوم جهل وفقر ومرض فالإسلام لـه جانب الصحة كنصوص وكتب ترسـل من السماء ولكن الصلاحية هي الأمن هـي الصحة هي العمل هي الغذاء هي التطور العلمـي والتكنولوجـي ... وهـل مواصفات المسلمين اليـوم هي مواصفـات العباد الصالحين الوارثين للأرض؟

يقـول مالـك بن نبي رحمـه الله: "... إن الله لا يضيع الكون بسبـب نية المسلمين وسبب ضياع المسلمين..."[٢].

جـاء في الحديـث عن عدي بن حاتم قال: بينما أنا عند النبي -ﷺ- إذ أتاه رجل فشكا إليـه الفاقة، ثم أتـاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: (يا عدي، هل رأيت الحيرة؟) قلت: لم أرهـا، وقـد أُنبئت عنها، قـال: (فإن طالت بك حياة؛ لترينّ الظعينة ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، ولئن طالت بك حياة لتفتحنّ كنوز كسرى)، قلت: كسـرى بـن هرمز؟ قال: (كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حيـاة، لترينّ الرجل يخرج ملء كفّه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ...)[٣].

(١) مرجع سابق، ص١٥٠.
(٢) مرجع سابق، ص١٥٥
(٣) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٣٥٩٥.

يقـول مالك بن نبي رحمه الله: "هذا الحديث روى لنـا جانبا مما كان وحيا وتبليغا من الرسول-ﷺ- لوقائع سوف تحدث، لكنها ليست الهدف من الرسالة، وانما هي احدى نتائج استقرارهـا فالمسلـم ليس في حاجة أن الظعينة تنتقل أو لا تنتقل، أو اليد ملآنة ذهبا ولا تجد من يتقبل منها ما فيها". ويقول: "فقد استعمل الرسول منطق أو حجة الصلاحية دليلا على صحة الاسلام وصلاحيته معا"(١)

- شيوع الأمن (انتقال الظعينة)
- اكتفاء الفقراء وسد حاجاتهم (كنوز كسرى)

هذه صلاحيات لتستعمل كحجة لصحة الاسلام من قبل الرسول الهادي-ﷺ-

وعليه نحن مطالبون اليوم أكثر من أي وقت مضى أن نعلم الناس كيف يوظفون الشهادتين في حياة المسلمين ليسعدوا في الدارين وليسعدوا غيرهم بعد تعليمهم نطق الشهادتين.

الدعـوة بالحجج والبراهين النظرية ليست كافية لإقناع النـاس بالإسلام إذا رأوا أهلَه متوحِّلـين في خضخاض التخلُّف الحضـاري، وليست كافية إذا رأوا أهلـه غير متمسِّكين بما يدعـون إليـه، فلا إيمـان عندهم، ولا أخـلاق، ولا علم، ولا عمـل ... لا أمانـة، ولا عدل، ولا حريـة ... لا صناعـة، ولا زراعـة، ولا تكنولوجيا ... لا طـبّ، ولا هندسة، ولا علـوم دقيقة .. لا تنميـة اقتصاديـة، ولا عدالـة اجتماعية، ولا استقـرار سياسي، ولا أمن قومـي ... عندما نقول للعالم غير المسلـم: إنّ الشريعة جاءت بحفظ الدّين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، جـاءت بجلـب المصالح ودرء المفاسد، جاءت لإسعاد البشريـة في الدنيا قبل الآخرة، ثمّ يرى العـالمَ الإسلاميَّ يعـاني الشرخ بين الإيمان والعمـل، يتخبَّط في أزمة الأخـلاق، وفي الفقر، والمديونيـة، وعجـز الميزانية، يراه لا يحقِّـق الاكتفاء الذاتي في غذائـه، ودوائه، وسلاحه، لا يـزرع ما يـأكل، ولا ينسج ما يلبس، ولا يبني ما يسكن، يراه يستورد القمح، والزيت، والسكر، والبطاطا، وغيرها من المواد الأساسية الضرورية، ناهيك عن السِّلع الحاجية والكمالية، يرى الميسوريـن منـه يعالجون عنـده في مستشفياته، لأنّ العلاج في بلدانهم غـير متوفّر، أمّا غير

(١) مرجع سابق، ص ١٥٣.

الميسوريـن فيموتون بأمراضهم، يرى الشباب عاطلين عن العمـل، يرى المخدِّرات والجريمة منتشـرة مستفحلـة بينهم، يرى الاستبداد يُحكـم قبضته على الشعوب، يـرى الفساد المالي يضـرب أطنابـه في الحكّام وكبار المسؤولين قبل صغارهم، لا شـكّ أنّ جوابه سيكون: عن أيِّ حفـظ ديـن، ونفس، وعقل، ونسل، ومال تتحدَّثون؟! احفظوهـا في أنفسكم وبلدانكم أولا، ثمّ تعالوا علِّمونا كيف نحفظها عندنا!

لا شـكّ أنّ هـذه الحال تصُدُّ عن الإسلام مهما كانت حُجَجُـه النظرية مقنعة، لقد عبّر عـن هذا الصدّ أحد المستشرقين الذين اعتنقوا الإسلام قبل أن يتعرَّف على أحوال المسلمين فقال: (الحمد لله أنّ عرفتُ الإسلام قبل أن أعرف المسلمين).

ويشبِّه مالك بن نبي الداعي والمدعوّ بالماء والأرض العطشى المحتاجة إلى الريّ، فيقول: (هـل تـرون إلى أرض عطشـى تنتظر الريّ مـن الماء؟ هـل نستطيع ريَّها بمـاء يجري تحت مستواهـا؟ إنّ الإجابـة ستكـون بالطبع: لا ... لن يسقـي الماء الأرض بالصعـود إليها، وإنما بالانحـدار، وذلك بحكم السنن الإلهية عن طريق الجاذبيـة ... إذن إذا أراد المسلم أن يقوم بـدور الريّ بالنسبة للشعـوب المتحضّرة والمجتمع المتحضّـر، وأراد- بعبارة أوضح- أن يقدِّم المسوّغـات الجديدة التي تنتظرها تلك الأرواح، التي تتألم لفراغها وحيرتها وتيهها، إذا أراد المسلـم ذلك، فليرفع مستواه رفعاً يستطيع معه فعـلاً القيام بهذا الدور، إذ بمقدار ما يرتفع إلى مستـوى الحضارة بمقدار ما يصبح قادراً على تعميم ذلك الفضل، الذي أعطاه الله له، أعني: دينه)[1].

إنّ التخلّف الحضاري لا ينفِّر غير المسلم فقط من الإسلام، بل يشكِّك ضعاف المسلمين في منظومتهم العقدية والفكرية، من هنا ظهرت في الأمّة الطائفة المتغرِّبة المبهورة بالحضارة الغربية، والتي تريد أن تسير على منوالها، وتتبنّى قيمها، ومبادئها، ونمط تفكيرها، وأسلوب عيشها، وتتكلّم لغتها، وتمارس عاداتها وتقاليدها، مع التنصُّل والانسلال من كلّ ما له علاقة بالنموذج الحضاري الإسلامي الذي يعاني التخلّف، ظنًّا أنّ التخلّف ناشئٌ من الإسلام نفسه، لا أنّه وصفٌ منفكٌّ عنه، عرَضَ للمسلمين بسبب الإخلال بالإسلام، لا بسبب الالتزام به، ومن

(١) مالك، بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ط١، دار الفكر، دمشق،١٩٩١م، ص٣٨

هنـا نشأت إشكالية العقل والنقل، التراث والحداثة، وفُسِّـر الإسلام تفسيراً تاريخياً متعلِّقاً بمرحلـة زمنية غـير قابلة للاستدعاء والتجربة مـرة أخرى، واتُّهم كلُّ مـن يدعو لاستئناف النموذج الحضاري الإسلامي بالرجعية، والعيش في القرون الغابرة، ولم تكن هذه الإشكالية لتُطرح لو أنّ النموذج الحضاري الإسلامي كان حاضرًا ومجسَّداً في الواقع بكلِّ رقيِّه وتقدّمه الباهر، يقول الدكتور عبد الكريم بكّار: (لم يكن النّاس يشعرون بأيّة مشكلة بين حكم العقل ومعطيـات النص حين كانـت الإنجازات الحضارية متوالية، وكان الفـارق بين الواقع والمثال محـدودا، وحين دخلت الأمة في أزمنـة الركود والتأزم صارت في محنـة متطاولة، ومن شأن المحـن أن تسلِّط الوعي على المنظومات الثقافية والعقدية والفكرية المختلفة ... ولا يوجد حلّ لهـذه المشكلة إلا مـن خلال تحقيق شيء من الغلبة والتميز الحضاري ... وحين تحدث الغلبة سيشعر الناس أنّ اندماجًا حقيقيًا بين النقل والعقل صار حقيقةً واقعة)[1].

لتـلافي هذه الحالـة البائسة الصادّة عن سبيـل الله؛ أمرت الشريعـة بالعمل لأن تكون الأمّـة قوية، مرهوبة الجانـب، مطمئنة البال، وكان هذا من أعظـم مقاصدها، يقول الشيخ الطاهـر بـن عاشور: (مقصـد الشريعة من نظـام الأمّـة أن تكون قويـة، مرهوبة الجانب، مطمئنة البال[2].

وعلـى هـذا الأساس يعتبر الإسـلام مختلف العلـوم، والصّنائع، والحِـرَف، والأعمال، والتخصّصات، التي لا تتحقّق مقاصد الشريعة إلاّ بها، ولا تكون الأمّة قويةً إلاّ بالتمكّن منها؛ يعتبرهـا فروضًا كفائية، تأثم الأمّـة بأسرها إذا لم تحقِّق كفايتها منها، القادر على أيٍّ منها يأثـم بـترك ذلك، وغير القـادر يأثم إذا لم يعمل علـى تهيئة القادر وإقامتـه، قال الغزالي: (أمّـا فرض الكفاية فهو كلُّ علم لا يُستغنى عنه في قوام أمور الدُّنيا، كالطبّ، إذْ هو ضروريٌّ في حاجـة بقاء الأبدان، وكالحساب؛ فإنّه ضـروريٌّ في المعاملات، وقِسمة الوصايا والمواريث، وغيرهمـا ... فـلا يُتعجَّب من قولنا: إنّ الطِـبَّ والحساب من فروض الكفايـات، فإنّ أصول الصِّناعات أيضاً من فروض الكفايات)[3].

(١) بكّار، عبد الكريم، مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوي، ط١، دار القلم، دمشق، ص٢٥.
(٢) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص٤٠٥.
(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدّين، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص١٦.

وممّا يصبّ في سياق حثّ الإسلام على العمل الذي به تكون الأمة قويةً مرهوبةً مطمئنةَ البال، محقِّقة للشهادة على الناس؛ عناية الشريعة بالمال، وقصدُها إلى حفظه، وتنميته، وترويجه، وتوزيعه بالعدل، حتى إنّه أحد الكليات الخمس الكبرى التي تدور عليها مختلف أصول الشريعة وفروعها، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: (ما يُظنّ بشريعة جاءت لحفظ نظام الأمة، وتقوية شوكتها، وعزتها، إلا أن يكون لثروة الأمة في نظرها المكان السامي من الاعتبار والاهتمام، وإذا استقرينا أدلة الشريعة من القرآن والسنة الدالة على العناية بمال الأمة وثروتها، والمشيرة إلى أن به قوام أعمالها وقضاء نوائبها؛ نجد من ذلك أدلة كثيرة تفيدنا كثرتها يقينا بأنّ للمال في نظر الشريعة حظًّا لا يُستهان به)[1].

ومن الأدلة على ذلك: التشجيع على إحياء الموات في قوله ﷺ: (من أحيا أرضا ميتة فهي له)[2]، والحثّ على الغرس والزراعة ولو في آخر لحظة من الدنيا في قوله ﷺ: (إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فَسْلة؛ فليغرسها)[3]، والدعاء للصالحين المنفقين للمال في أوجهه بكثرة المال والبركة فيه، كما في دعائه ﷺ لأنس بن مالك: (اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته)[4]، وقال لعمرو بن العاص: (نعما بالمال الصالح للرجل الصالح)[5]، وأجاز النبي ﷺ لامرأة مطلقة أن تخرج من بيتها لتجُدّ نخلها لئلا يتعطّل العمل والإنتاج، فعن جابر بن عبد الله قال: طُلِّقت خالتي، فأرادت أن تَجُدّ نخلها، فزجرها رجلٌ أن تخرج، فأتت النبي -ﷺ-، فقال: (بلى، فجُدِّي نخلك، فإنّك عسى أن تصدَّقي، أو تفعلي معروفًا)[6]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (اتّجروا في أموال اليتامى، لا تأكلها الزّكاة)[7]، وعن الحارث بن بلال بن الحارث المزني، عن أبيه، أنّ رسول الله -ﷺ- أقطعه العقيق

(١) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص٤٥٠.
(٢) مالك، الموطأ، كتاب الأقضية، باب القضاء في عمارة الموات، حديث رقم: ١٤٢٤.
(٣) أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، حديث رقم: ١٢٩٠٢، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٤) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء بكثرة المال مع البركة، حديث رقم: ٦٣٧٨.
(٥) أحمد، مسند الشاميين، حديث عمرو بن العاص، حديث رقم: ١٧٧٦٣. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم
(٦) مسلم، كتاب الطلاق، باب جواز خروج المعتدة البائن ...، حديث رقم: ١٤٨٣.
(٧) مالك، الموطأ،كتاب الزكاة، باب زكاة أموال اليتامى والتجارة لهم فيها، حديث رقم: ٥٨٨.

أجمع، قال: فلمّا كان عمر قال لبلال: إنّ رسول الله -ﷺ- لم يقطعك لتحجره عن الناس، إنّما أقطعك لتعمل، فخذ منها ما قدرت على عمارته، ورُدّ الباقي)[1].

قال الشيخ الطاهر بن عاشور بعد ذكره نحوا من هذه الأدلة في أهمية المال في الشريعة: (وإنما أفضتُ في ذكر الأدلة لإزالة ما خامر نفوس كثير من أهل العلم من توهّم أنّ المال ليس منظورا إليه بعين الشريعة إلاّ إغضاءً، وأنّه غير لاقٍ من معاملتها إلاّ رفضًا)[2].

ولا يخفى أنّ المال هو شريان الحياة الأكبر.

هذا الفهم لهذا البعد من أبعاد العمل في الإسلام هو الذي قاد أسلافنا المسلمين إلى بناء أعظم حضارات الأرض، والفهم السقيم العليل الذي يقصي علوم التحضّر من دائرة ممارسة الدّين، ويعتبرها انشغالا مذموما بالدنيا؛ هو جزءٌ من أسباب التخلّف الذي نتخبّط فيه، يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (على هذا قام صرح مجد الإسلام عدّة قرون، كان المسلمون كلّما عرض لهم شيءٌ بسبب التوسُّع في العمران، يتوقّف عليه حفظه (أي حفظ الإسلام)، وتعميم دعوته النّافعة؛ قاموا به حقّ القيام، وعدُّوا القيام به من الدِّين عمَلاً بهذه الآية (وهي: قوله تعالى: (وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ...) (البقرة: ٢١٩))، وغيرها من الآيات، ومَضَوا على ذلك قرونًا كانوا فيها أبسط الأمم، وأعلاها حضارةً، وعُمْراناً، وبَرّاً، وإحسانًا، إلى أن غلا أقوامٌ في الدِّين، واتَّبعوا سنن من قبلهم في إهمال مصالح الدُّنيا، زعْمًا أنّ ذلك الزُّهد المطلوب، أو التوكُّل المحبوب، وما هو منها في شيء، وكان من أثر ذلك أن أُهملت الشّريعة، فلا توجد حكومةٌ إسلامية تُقيمها، لأنّه لا يوجد من أهلها من يصلح لحكم النّاس في هذه العصور التي اتّسعت فيها مصالح الأمم والحكومات بالتوسُّع في العلوم والصِّناعات، وارتباط العالم بعضِه ببعض، ثمّ صار علماء المسلمين أنفسُهم يعدُّون الاشتغال بالعلوم والفنون التي تتوقَّف عليها مصالح الدُّنيا صادَّةً عن الدِّين، مُبعدةً عنه، بل يوجد فيهم من يقول إنّها مفسدة لعقائده، مُفضية إلى الخروج منه، وهذا هو دخول جُحر الضبّ

(١) ابن زنجويه أبو أحمد حميد بن مخلد، الأموال، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، (تحقيق شاكر ذيب فياض)، ١٩٨٦ م، ج٢، ص٦٤٩.

(٢) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص٤٥٢-٤٥٣

الذي دخله من قبلنا، وهو كما ترى خروج عن هدي القرآن)[1].

ومن الفهم الأعوج ظنّ بعضهم أنّ الزهد هو الفقر وقلة ذات اليد، بينما يبيِّن العلماء حقيقة الزهد، فيقول القرافي: (اعلم أنّ الزهد ليس عدم المال، بل عدم احتفال القلب بالدّنيا والأموال إن كانت في ملكه، فقد يكون الزّاهد من أغنى الناس وهو زاهد؛ لأنّه غير محتفل بما في يده، وبذله في طاعة الله تعالى أيسر عليه من بذل الفلس على غيره، وقد يكون الشّديد الفقر غير زاهد، بل في غاية الحرص لأجل ما اشتمل عليه قلبه من الرغبة في الدنيا)[2]، ويقول الشاطبي: (الزّهد ليس عدم ذات اليد، بل هو حالٌ للقلب)[3].

لقد وعى المسلمون الأوائل خطورة شغور الفرائض الكفائية الحضارية، وخطورة التبعية الذليلة فيها لغير المسلمين، يتجلّى ذلك في موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الكاتب النصراني الذي أراد خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يستعمله، فكتب إلى عمر قائلاً: (إنّ بالشّام كاتبًا نصرانيًا لا يقوم خراجُ الشّام إلاّ به)، فكتب إليه عمر: (لا تستعمله)، فكتب إليه خالد: (إنّه لا غنى عنه)، فكتب إليه عمر: (لا تستعمله)، فكتب إليه خالد: (إذا لم نُوَلِّه ضاع المال)، فكتب إليه عمر: (مات النّصراني والسّلام)، أي: قدِّر أنّ النصراني مات وجِدْ حلاً جذريا وحقيقيا للمشكلة، وهو سدّ هذا الثغر بصفة تخصصية، ونهائية.

ومن هذا الباب أنكر الغزالي على أهل زمانه تضخم الانشغال ببعض فروض الكفاية التي حصلت الغُنية فيها على حساب فروض أخرى مهملة بالكلية، وضرب المثال للفرض الكفائي المتضخِّم بعلم الفقه رغم شرفه، وللفرض الكفائي المهمَل بعلم الطب، فقال: (ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة، ولا يلتفت الفقهاء إليها، وأقربها الطبّ؛ إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيبٌ مسلمٌ يجوز اعتماد شهادته فيما يعوَّل فيه على قول الطبيب شرعاً، ولا يرغب أحدٌ من الفقهاء في الاشتغال به)[4].

(١) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج٢، ص٢٧٠-٢٧١.
(٢) القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس، أنوار البروق في أنواء الفروق، عالم الكتب، ج٤، ص٢٠٩.
(٣) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، دار المعرفة، بيروت، (تحقيق عبد الله دراز)، ج١، ص٢٢٣.
(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج١، ص٤٣.

بـل ذكر ابن القيم أنّ الإمـامَ؛ حاكمَ المسلمين يجب عليه أن يجـبر الناس على الأعمال والصِّناعـات التـي لا تقوم شوكـة الأمة إلاّ بهـا، إذا تواطؤوا على إهمالها، قـال: (فإذا كان النـاس محتاجين إلى فلاحـة قوم، أو نساجتهـم، أو بنائهم، صارت هـذه الأعمال مستحقّةً عليهم، يجبرهم ولي الأمر عليها بعِوَض المِثْل)[1].

وكيـف يستجيـب العالَم غير المسلم إلى الإسلام، وهو متعلِّـم ونحن جاهلون، وهو عاملٌ ونحن بطّالون، وهو غنيٌّ ونحن فقراء، وهو شبعان ونحن جائعون، وهو صحيحٌ ونحن مرضى، وهو آمنٌ ونحن خائفون، وهو غالبٌ ونحن مغلوبون، وهو متبوعٌ ونحن تابعون؟!

إنّ قانـون التدافع الحضـاري يقرِّر أنّ (المغلوب مولَعٌ أبدًا بالاقتـداء بالغالب في شعاره، وزيِّه، ونحلته، وسائر أحواله وعوائده)[2] كما كشف ابن خلدون، وليس العكس.

وإذا كان الأمـر هكـذا؛ فما أسخف ما تتباهـى به بعض الدول العربيـة من التطاول في البنايـات والأبراج الشاهقة، ومـن استيراد أرقى التكنولوجيات المعاصـرة، وليس وراء ذلك أيٌّ تمكّـن من الصناعة، أو الهندسة، أو الاختراع، إلا الشراء والاقتناء بأموال النفط والغاز، ليـس وراءه إلا أشياء مكدَّسـة دون أفكار منتجة، يقول مالك بن نبـي: (إنّ المقياس العامّ في عملية الحضارة هو أنّ: "الحضارة هي التي تلد منتجاتها"، وسيكون من السخف والسخرية حتمـا أن نعكس هذه القاعدة، حين نريـد أن نصنع حضارة من منتجاتها)[3]، بل ليس وراءه ديـنٌ يُحفـظ، وعبادة تُصـرف للّه، وارتقـاءٌ روحيٌّ إلى السمـاء الذي هو صميـم الحضارة وجوهرهـا، إلاّ ارتقاء الطوابق فوق الطوابـق، بينما ارتقاء الروح هو (الطور الأول من أطوار حضـارة معينة) كما يقول بن نبي أيضا[4]، فيظنّ هـؤلاء أنهم أصحاب حضارة بما يشيدون من البنيان الشاهق، وما يقتنون من منتجات، ويا له من وهْم!

إنّ الارتقـاء الروحـي والأخلاقـي هـو أبرز الفـروق الجوهرية بين هـدف تحقيق القوة

(١) ابن القيم، أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر، الطّرق الحكمية في السّياسة الشّرعية، مكتبة دار البيان، ص٢٠٩.
(٢) ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ج١، ص١٨٤.
(٣) مالك، بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص٤٢.
(٤) المرجع السابق، ص٦٨.

الحضارية في الفلسفة الإسلامية، وهدف تحقيقها في الفلسفة الغربية، فإنّ القوة الإنتاجية في الإسلام ليست مقصودةً للاستكثار الفادح من المرفّهات، والإفراط في محسّنات العيش، ومضاعفة الاستهلاك، وتقديس المادة من حيث هي مادة، لا إلى حدّ، بل غايتها إقامة الدّين أولا وآخرا، وترغيب الناس في اعتناقه من وجوه: أحدها ما يرونه من تحقيقه لسعادتهم الدنيوية قبل الأخروية، ورعايته لمصالحهم الضرورية والحاجية والتحسينية، لكن إلى الحدّ الذي لا يلهيهم عن صرف أكبر اهتمامهم وجلّ انشغالهم في عبادة الله وطاعته، والعمل لتعمير الآخرة، الذي هو أوسع أبعاد العمل، بل هو الغاية التي يجب أن ينتهي إليها كلّ عمل، قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) (القصص: ٧٧)، وقال: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج: ٤١)، وقال: (فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (البقرة: ٢٠٠-٢٠١)، يقول الشاطبي: (المصالح المجتلبة شرعًا، والمفاسد المستدفعة شرعًا؛ إنما تُعتبر من حيث تُقام الحياة الدّنيا للحياة الآخرة، لا من حيث أهواء النّفوس في جلب المصالح العادية، أو درء مفاسدها العادية)[١]، ويقول ابن خلدون: (واعلم أنّ الدّنيا كلّها وأحوالها عند الشّارع مطية للآخرة، ومن فقد المطية؛ فقد الوصول)[٢]، بينما حضارة الغرب اليوم هي حضارة المادة الصّرفة، واللذة الجسدية المحضة التي لا ترتبط بأيّ هدف روحي، شعارها الخفي أحيانا، والمعلن أحيانا أخرى: (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) (المؤمنون: ٣٧)، فهي تختزل التقدم في النشاط الاقتصادي، وتختزل غاية العمل في تحقيق مزيد من الإنتاج، من أجل مزيد من الاستهلاك، من أجل مزيد من الترفه، يقول مالك بن نبي: (الحضارة العلمانية؛ حضارة الصاروخ، حضارة الإلكترون، اكتسبت هذه الأشياء، وضيَّعت بُعداً آخر تشعر بفقدانه، وهو بُعد السّماء)[٣].

(١) الشاطبي، الموافقات، مرجع سابق، ج٢، ص٣٧.
(٢) ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٣.
(٣) مالك، بن نبي، دور المسلم، مرجع سابق، ص٣٩.

وعلى هذا الأساس؛ نفهم ما جاء في القرآن والسنة من ذمّ الانشغال بالدنيا، والاستكثار منها، وأنّ المقصود به الدنيا التي لا غاية لها إلاّ إشباع نهم الملذات والشهوات، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المنافقون: ٩)، وقال: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة: ٢٤)، وقال ﷺ: (... فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدّنيا كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم)[١]، وقال: (من كانت الدنيا همّه؛ فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيّته؛ جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة)[٢]، وقال: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزَّرع، وتركتم الجهاد؛ سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[٣].

وهو الأمر الذي يوضّح لنا علاقة هذا المستوى من مستويات العمل في الإسلام (مستوى تحقيق الشهود الحضاري) بالمستوى الأوسع، وهو العمل لتعمير الآخرة، وهو ما نبينه في العنصر التالي.

البعد الثالث: العمل لتعمير الآخرة.

ذكرنا طموح بعض فلاسفة الغرب إلى إعطاء بعد واسع للعمل، بحيث يتجاوز مفهوم ممارسة المهنة، وتحصيل قوت العيش، إلى مفهوم حفظ البقاء الإنساني، ولكنّ هذا الطموح ضعيف، وهذا الوُسع ضيق جدًّا مقارنة بطموح الفلسفة الإسلامية، وذلك أنّ البقاء الإنساني المقصود في الفلسفة الغربية محدودٌ بالبُعد الدنيوي، وينتهي لا محالة بالموت، وبانتهاء

(١) البخاري، كتاب الرقائق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس عليها، حديث رقم: ٦٤٢٥.

(٢) ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، حديث رقم: ٤١٠٥، قال الهيتمي في مجمع الزوائد ٢٤٧/١٠: (رجاله وثقوا).

(٣) أبو داود، كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، حديث رقم: ٣٤٦٢. قال ابن حجر في بلوغ المرام ١٧٢/١: (رواه أبو داود من رواية نافع عنه، وفي إسناده مقال، ولأحمد نحوه من رواية عطاء، ورجاله ثقات، وصحّحه ابن القطّان)

العالَم، بينما يقصد الإسلام تحقيق الخلود الأبدي السرمدي في النعيم المقيم، ويرهن ذلك بالعمل؛ العمل على طاعة الله وعبادته وشكره وتحقيق مرضاته، والقرآن الكريم طافحٌ برهن المصير الأخروي بالعمل في هذه الدنيا، قال تعالى: (وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ١١٠)، وقال: (يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيه) (الانشقاق: ٦)، وقال: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (المدثر: ٣٨)، وقال: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (الحشر: ١٨)، وقال: (قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ) (التغابن: ٧)، وقال: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ) (فُصِّلت: ٤٦)، وقال: (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) (يونس: ٥٢)، وقال: (وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الأعراف: ٤٣)، وقال: (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً) (الكهف: ٤٩)، وقال: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه) (الزلزلة: ٨)، وقال في الحديث القدسي: (إنّما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثمّ أوفّيكم إياها)[١]، وغيرها من الآيات والأحاديث.

قال ابن خلدون: (إنّ الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط، فإنّها كلّها عبثٌ وباطل؛ إذ غايتها الموت والفناء، والله يقول: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً) (المؤمنون: ١١٥)، فالمقصود بهم إنما هو دينهم المفضي بهم إلى السّعادة في آخرتهم ... فجاءت الشّرائع بحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة ...)[٢].

والعمل لتعمير الآخرة يتضمّن تحصيل كلّ ما يترتّب عليه أجرٌ وثوابٌ أخروي، واجتناب ما يترتّب عليه إثمٌ وعقابٌ أخروي، وفق ما جاءت به النصوص الشرعية، وننبّه أنّ المستويين الأوّل والثاني للعمل يمكن إدراجهما تحت هذا البعد، لأنّ كلاهما يحصل به الأجر والثواب، فالعمل للعيش عملٌ لتعمير الآخرة، والعمل لتحقيق الشهود الحضاري عملٌ لتعمير الآخرة أيضا، بقيد النية الصالحة، أي: نية امتثال أمر الله وتحقيق طاعته.

والعمل لتعمير الآخرة يتضمّن الالتزام العملي بالإسلام، وبما تقتضيه عقيدته من

(١) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٧.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص٢٣٨.

إيمانيـات وروحانيات، وشريعتُه من أخلاقيات، وما يتطلبـه ذلك من أفعال وتروك في جميع المجـالات: العبـادات، والمعاملات الماليـة، والأحـوال الشخصية، والأقضيـة، ونظام الحكم والسياسـة الشرعية، والعلاقـات الدولية، وغيرها، فكلّ مسلم، بل إنسـان مدعوٌّ لهذا العمل باعتباره سبيل تعمير الآخرة، والفوز بنعيمها، والنجاة من عذابها وجحيمها.

الخاتمة

فعلى المسلمين أفرادًا ومجموعات،ودولاً أن يعودوا إلى كتاب ربهم وهدي نبيهم عليه الصلاة والسلام لاسترجاع المعنى الصحيح للعمل ولا يكونوا من المختصمين الذين جعلوا القرآن عضين؛ فيربطوا الإيمان والعلم بالعمل الصالح ويعتبروا هذا الأخير جزءا أساسا من عبادتهم بل هو العبادة، إذ لا فلاح ولا خيرية لهذه الأمة إلا بالعمل والعمل الصالح الذي يضمن كرامتهم ويضع حدا لتبعيتهم لغيرهم ثم يرفعوا دعاءهم لرب السماء والأرض ويكون الدين كله لله قال تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (فاطر: ١٠).

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله رب العالمين.

التوصيات والمقترحات:

عقد ملتقيات وأيام دراسية تتناول المواضيع التالية :

- العمل بين الحق والواجب.
- العمل وعلاقته بالإيمان والعبادة.
- أبعاد العمل: العمل للعيش/ العمل للشهود الحضاري/ العمل للآخرة.
- الإيمان والعمل الصالح شرطان أساسيان لتحقيق الاستخلاف.
- الانعكاسات الخطيرة للعزوف عن العمل في المجتمعات الاسلامية:
  - الفقر والجوع.
  - الجهل والمرض وسوء التغذية.
  - هوان المسلمين واستباحة دمائهم وأعراضهم في العالم.

قائمة المراجع

١. أحمد، أبو عبد الله بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، المسند، ط١، ٤٥م، (تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.

٢. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، الأدب المفرد، ط٣، ١م، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٩م.

٣. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري، ط١، ٩م، (تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٤. بكّار، عبد الكريم، مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوي، ط١، دار القلم، دمشق.

٥. بن نبي، مالك، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ط١، دار الفكر، دمشق،١٩٩١م.

٦. بن نبي، مالك، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.

٧. بن نبي، مالك، مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥

٨. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، سنن الترمذي، ط٢، ٥م، (تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥م.

٩. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م)، المستدرك على الصحيحين، ط١، ٤م، (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠. ابـن خلدون، أبو زيد عبـد الرّحمن بن محمّد، ديوان المبتـدأ والخبر في تاريخ العرب والبربـر ومـن عاصرهم مـن ذوي الشـأن الأكبر، معـروف بـ (تاريخ ابـن خلدون)، والجـزء الأوّل منه معروف بـ (المقدِّمة)، ط٢، (تحقيق خليل شحـادة)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

١١. أبـو داود، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن أبي داود، د.ط، ٤م، (تحقيق محمد محيي الدِّين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

١٢. رضـا، محمد رشيد، تفسـير القرآن الحكيم (تفسير المنـار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٣. ابـن زنجويه أبو أحمـد حميد بن مخلد، الأمـوال، ط١، مركز الملـك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، (تحقيق شاكر ذيب فياض)، ١٩٨٦م.

١٤. أبو زهرة، محمد، التكافل الاجتماعي في الإسلام، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١م.

١٥. الشاطبـي، إبراهيـم بن موسـى، الموافقـات، دار المعرفة، بـيروت، (تحقيق عبد الله دراز).

١٦. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمّد (ت٢٣٥هـ/٨٤٩م)، المصنّف في الأحاديث والآثار، ط١، ٧م، (تحقيق كمال يوسف الحوت)، مكتبة الرّشد، الرّياض، ١٤٠٩هـ.

١٧. الطـبراني، أبو القاسم سليمان بـن أحمد (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)، المعجم الكبير، ط٢، ٢٥م، (تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٨. طه، عبد الرحمن، سؤال العمل، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٢م.

١٩. ابـن عاشور، محمد الطاهر بـن محمّد، مقاصد الشريعـة الإسلامية، ط٢، (تحقيق ودراسة محمّد الطاهر الميساوي)، دار النفائس، عمّان، ٢٠٠١م.

٢٠. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدّين، دار المعرفة، بيروت.

٢١. القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس، أنوار البروق في أنواء الفروق، عالم الكتب.

٢٢. ابن القيم، أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر، الطّرق الحكمية في السّياسة الشّرعية، مكتبة دار البيان.

٢٣. ابن ماجة، أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ/٨٨٦م)، سنن ابن ماجه، د.ط، ٢م، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربية، ومطبعة فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.

٢٤. مالك، أبو عبد الله ابن أنس (ت١٧٩هـ/٧٩٥م)، الموطأ، برواية يحيى الليثي، د.ط، ٢م، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ت.

٢٥. مسلم، أبو الحسين ابن الحجّاج (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)، صحيح مسلم، د.ط، ٥م، (تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

ابن نعيمة بلقاسم عبد الغفار

- الاسم: عبد الغفار
- اللقب: بن نعمية
- تاريخ ومكان الإزدياد: ١٠ سبتمبر ١٩٨٠ بلدية بلدة عمر، دائرة تماسين، ولاية ورقلة
- العنوان الحالي: حي ١٥٠٠ مسكن، مدخل ٠٣، رقم ٠٩، بئر الجير، إيسطو، وهران
- العنوان المهني: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر
- البريد الإلكتروني: bnnamia@yahoo.fr
- الدرجة العلمية: دكتوراه علوم برتبة أستاذ محاضر قسم ـ أ ـ
- أستاذ اللغة والدراسات القرآنية بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

الشهادات المتحصل عليها :

- باكالوريا التعليم الثانوي تخصص الآداب والعلوم الشرعية جوان ١٩٩٩،
- ليسانس في الشريعة الإسلامية، تخصص الشريعة والقانون جوان ٢٠٠٣، جامعة باتنة
- ماجستير في الحضارة الإسلامية، تخصص القرآن والدراسات الأدبية جوان ٢٠٠٧
- دكتوراه علوم في الحضارة الإسلامية، تخصص القرآن والدراسات الأدبية فيفري ٢٠١٢

النشاط العلمي والبيداغوجي:

- ـ أستاذ محاضر قسم "أ" بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران.
- ـ نائب رئيس قسم مكلف بما بعد التدرج والبحث العلمي.
- ـ مسؤول فريق التخصص في شعبة التاريخ والحضارة الإسلامية

الانتماء إلى الإسلام وأساليب تعزيزه في الدراسات القرآنية

الخصوصيات والثوابت القرآنية

د. ابن نعيمة بلقاسم عبد الغفار

الخطة المتبعة في البحث:

مقدمة:

تقدمة عامة حول موضوع الانتماء والهوية، والشخصية المسلمة

- المبحث الأول: ـ دواعي الانتماء إلى الإسلام
- المبحث الثاني: ـ الهوية والانتماء في الدراسات القرآنية وعلاقتها بالعقيدة من خلال القرآن الكريم
- المبحث الثالث: ـ خصوصيات وثوابت الانتماء إلى الإسلام من خلال الدراسات القرآنية
- المبحث الرابع: ـ الأبعاد الإيمانية والروحية للانتماء والهوية

الخاتمة:

تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها.

مقدمة :

يحتـلُّ موضوع الهوية الإسلامية مكانة مهمـة في الدراسات الإسلامية لما له من أهمية في تكويـن الإنسان الإسلامي المنشود، ولأنّ الهوية هي المترجم الرسمي للعقيدة التي يتبناها الإنســان فقد تعرّضــت ولا تزال في أحايين كثيرة إلى اهتزازات قويــة كانت سببا مباشرا في انسلاخ البعض أو ردتهم عن الدين الإسلامي الحنيف بسبب ضعفهم العقدي.

الحديـث عن الهوية في الإســلام هو مراعاة لتلـك الآيات القرآنيــة والأحاديث النبوية النــي اهتمت بتأكيد إمامة الديــن الإسلامي على مختلف الأديان، وجعلت من قضية الانتماء إليــه طريقا للنجاة في الداريــن، ولأنّ هذه الآيات والأحاديث وغيرها تعــبّر بقوة عن العالمية والخاتميــة فهي تلتزم ضمان ورعاية الإنسان عقديا وأخلاقيا واجتماعيا مقابل هذا الانتماء اللامشروط، وعلى وفقه تُفضّل التفريق بين تصرفات الناس وأوصافهم.

مــن حكمة الله تعــالى ورفقه بهذه الأمة أن نــوّع لها مصادر الفهــم والتدليل، فما غاب في القــرآن الكــريم، كان في السنــة النبوية، ومــا غاب في السنة وُجـد في غيرها من المصادر التشريعية المتفق عليه، وبكلّ قوة انتظمت الدراسات القرآنية تشرح وتلخّص وتبين وتُسهِمُ في توضيح الأصول القرآنية المعنية بتنظيم شؤون الناس وحلّ مشاكلهم الحادثة، دون تفريق بين المجتمعات المسلمة أو غير المسلمة، وأثبتت بدقتها حضورا مبهرا في حقل الدراسات الأكاديمية المختلفة، كما اهتمت بشكل كبير في توضيح الوضعية الاجتماعية المثلى التي ينشدها الإسلام من خلال القرآن الكريم، واجتهدت في تقديم حلول لمشكلات عالمية مختلفة من خلال الآيات القرآنية التي ترجمتها التصرفات النبوية واقتداءات الصحابة عليهم الرضوان.

ليس غريبا إذا أن نُصادف في الطروحات الاجتماعية المعاصرة دراسات تُحاول مقاومة هده الحلول عن طريق التركيز على المغريات الفكرية والنفسية والشخصية - الغائبة ظاهريا - في المجتمــع الإسلامــي الــذي يُفضّل تأجيلهــا إلى زمن مجهولة عوالمه - بالنسبــة لهم - وإذا اتفقنا على حجم الجهود التي قدمتها الدراسات القرآنية في سبيل تعزيز الانتماء واسترجاع الهوية، فهذا يعني أن تلك المحاولات قد حققت بعضا من النجاحات لا تُنكر بحال.

وعليه فما احتفظت به المكتبات من هذا النوع من المعارف والأطروحات وإن مهّد الطريق لضعــاف النفوس والتفكير، فهي تحتفظ أيضــا بكم هائل من المعــارف الإسلامية وفي شتى

الفنـون العقيديـة والفقهية والحديثية والفكريـة الإسلامية التي تدافع وتصـدُّ، وللدراسات القرآنيـة مكانة هامة في هذا النـوع من التأليف، ويمكننا التدليل لهذا بحجم المؤتمرات التي تُعقـد في البلـدان العربيـة والإسلامية والتي تُثبـت في كل مرة مكانة الدراسـات القرآنية في الحقل العلمي والمعرفي.

مـن المهم أن نقرأ في كتابات الدراسات القرآنية ما يُحيلنا إلى الآيات الدالة على تكوين الشخصيـة المسلمـة لما لها مـن أهمية في تعزيـز الهويـة، والحديث عن المكونـات الرسمية للشخصيـة وعناصرها غـير بعيد عن مكونات الهوية، وقد عالج القرآن الكريم موضوعها في آيات كثيرة عبر التنبيه إلى أسسها وقيمها الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية.

يهُمُّنـا في هـذه المداخلـة أن نقف على شـيء من جهود الأبحـاث والدراسـات القرآنية ومساهمتهـا في واقع الناس، من خـلال استدلالها بالقرآن الكريم وهـو الكتاب الذي تعتبره منهـج الحياة الإنسانيـة، والحق أن ما تقوم به هذه الأبحاث هـو عملية تذكيرية لما عملت به أجيـال الخيريـة الثلاثة التـي اقتصر عليها إلى حـد الآن الفهم الدقيـق والصحيح للقرآن الكريم، لذا لا نجد في كتب التاريخ أو السير تلك العوائق التي لم يجد لها الناس حلولا في تلك القرون، ولازلنا نستحضر من كتب الحديث والمتون تلك الرواية التي تشهد للصحابة رضوان الله تعالى عليهم مدى اهتمامهم بالعشر آيات علما وعملا قبل انتقالهم إلى غيرها.

مـع كثرة الدراسـات التي جعلت الخطاب القرآني مصدرا ودليـلا في البحث والتحليل، فقـد أثبتـت الدراسـات القرآنية حضـورا مميزا لا في كـثرة عددها وأنواعها، بـل في دقتها التحليليـة الدالة على إدراك أصحابهـا لإمكانية توظيف النص القرآني لحل مختلف مشاكل الإنسانيـة وفي شتى جوانب الحياة. حتى إذا اتسّع نطاق المهتمين بالدراسات القرآنية انتقلنا مـن بيان الحلول القرآنيـة، إلى الاجتهاد في بيان ما يستشرفه الخطـاب القرآني، وبكل دقة يمكننـا وصـف هذا الاستشراف بأن القرآن الكريم قد أقرّ بينـه وبين الإنسان معادلة مهمة، فحين يلتزم الإنسان بعد الانتماء إلى الإسلام بوعي الخطاب القرآني وفهمه وتطبيقه، يكون القـرآن بآياته وسوره ضامنا لكل حادث وآت. ولتكن تلك الكتب والمصنفات الواصفة للقرون الثلاثـة الأولى دليلا لنا في هذا الموطـن. ومن خلال هذه المداخلة يمكننا تسليط الضوء على قضايا الانتماء والهوية باعتبارها مسألة عقدية محضة والخصوصيات التي امتاز بها المجتمع الإسلامـي بمـا يميّزه عن غيره من المجتمعات الإنسانية، كما نحـاول من خلالها التنبيه إلى مسالك الكتابات والدراسات القرآنية في معالجة هذه القضايا المنهجية

المبحث الأول

دواعي الانتماء إلى الإسلام

تركّز الكتابات القرآنية في بيانها للأسباب التي يُتخذ بها الإسلام دينا عند الناس على تلك الآيات التي تُبيّن علاقة الأنبياء بالدين واشتراكهم في عقيدة التوحيد التي بُعثوا لأجلها، وقد جاء ذلك إما بصيغة عامة على نحو قوله تعالى:)وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ(، وقوله:)وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ(، أو بصيغة خاصة على نحو قوله تعالى:)لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(، وقوله:) وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(، وربما يقوى بنا القلم لاعتبار الإسلام الدين الوحيد الذي يحمل دواعي الانتماء والانتساب ولا يحمل إطلاقا دواعيا أو أسبابا للانسلاخ منه، وحتى أبواب التحريف لم تنل منه مقارنة بغيره من الأديان، والتي شهدت خلال القرون الماضية محاولات عديدة في التحريف والتزييف.

لعلّ الآيات التالية تشكّلُ حلقة مهمة في مسألة الانتماء، ونظن أن الأبحاث القرآنية لا تُفضّل الاستغناء عن التدليل بها لعلاقتها المباشرة بالهوية، ومنها قوله تعالى:)إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ(وقوله:)وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(، وقوله:) الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا(، ولأنّ الموضوع قرّر منذ البداية اهتمام القرآن الكريم بالشؤون المجتمعية، فقد تقرّر أيضا في الأبحاث القرآنية أن مصطلح الدين في هذه الآيات هو: "نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية"

لو تتبعنا بدقة آيات الذكر الحكيم لوقفنا على آيات قرآنية تُعالج قضية الانتماء للحق عموما، فليس ذلك للإسلام فقط، بل لجميع الديانات السماوية التي عضّدها الله تعالى بالأنبياء والرسل، لذلك نجد القرآن الكريم ينتقد ضمنا الاقتداء الأعمى والتقليد الباطل،

والـذي بـدوره يُعـدُّ "منبعا خطيرا مـن منابع الضلال، احتـج به المشركون بمـا وجدوا عليه آباءهم، لذا عني القرآن بتوسيع آفاق العقل والفكر وأمر بالتفكر وحض على النظر والتعقل، وسفّـه أحلامهم وأحـلام آبائهم، حتى جعل التقليد الأعمى للآباء عـارا وشنارا" ، ومن بين هـذه الآيـات قوله تعالى) إِنَّـا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَـى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (، وقوله :) وَكَذَلِـكَ مَـا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ(، وقوله)وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ(،

مـن الضروري الإشارة إلى المعاناة الحديثة التي تستهدف العقل الإسلامي، لذا اتجهت الدراسـات القرآنية الحديثة إلى توضيح مكانـة العقل في الإسلام من خلال القرآن الكريم، وأوضحت بدقة أن الإسلام إذ يقدّس العقل الذي يكفُلُ حرية الاعتقاد، فهو أيضا يحمّلُ هذا العقل المسؤولية الكاملة، كالذي نفهمه من قوله تعالى:)وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا(، وقوله:)لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَـيَّنَ الرُّشْـدُ مِنَ الْغَيِّ(، وهذا بدلُّنا بقوة "أن الإنسـان المسؤول المكلَّف حرٌّ في اعتقاده في أن يؤمن بقلبه بما يشاء، من حقٍّ أو باطل، لكنَّه ملاحقٌ بالمسؤولية عند الله عزَّ وجلَّ عن اختياره الـذي كان حُـرّاً فيه، وكانت حرِّيته هي مناط ابتلائه وامتحانه في الحياة الدنيا." وعليه فلا يـزال ذلك المفهـوم المقدّس للعقل قائما في ظل بقاء الحرية الاعتقادية مقصورة على الحياة الدنيا فحسب وهي البيئة التي يعمل فيها هذا العقل.

مـن المهـم أيضا تثمين هذه الحريـة الاعتقادية التي كفلها القـرآن للناس، بتلك الآيات التـي تقطع بالحكم التالي:)وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِـينَ(، وهو الموطن الـذي يتدخل فيه مبدأ الأفضلية في مقابل مبدأ الحرية الاعتقادية، بل هو منهج القرآن في دعوة الناس إلى الإيمان.

نقـرأ في أبحـاث المكتبات القرآنية سبلا وطرقا وحلولا تُعـينُ الناس في النصر والتمكين وتهيئـة رجالـه، لنجد "تعميق الانتمـاء للدين الإسلامي وعمق الاعتزاز بـه" أحد الأولويات الضامنة للتمكين في مختلف مجالات الحياة، ولأن التمكين قد يكون ماديا، فقد يكون معنويا أيضا ووحده الانتماء يكفل مساحة معتبرة منه.

إذا أردنا تثمين هذه المسألة فليكن تحذير القرآن الكريم من اتباع اليهود والنصارى دليلا مناسبا، قال تعالى:) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (، وحين نقرأ تفسير الإمام الطبري نعرف أن آخر الآية أساس تفسيرها، قال الطبري: "إن الله لا يوفّق من وضع الولاية في غير موضعها، فوالى اليهود والنصارى= مع عداوتهم الله ورسوله والمؤمنين= على المؤمنين، وكان لهم ظهيرًا ونصيرًا، لأن من تولاهم فهو لله ولرسوله وللمؤمنين حَرْبٌ، و الظلم وضع الشيء في غير موضعه" ، ولا يدفع الإنسان إلى ظُلم نفسه فيضع الشيء في غير موضعه إلا حين يتعطّل العقل عن أداء مهامه التفكيرية السليمة.

قد نستعين في التدليل لدواعي الانتساب والانتماء إلى الإسلام بأسلوب القرآن وخطابه الذي حمل في ذاته أسباب إيمان الناس ولجوئهم إليه، فلا يزال أيضا عجز العرب والناس عن الإتيان بمثله قائما بعدما كان محيّرا، وأما إقبالهم عليه فلأن للعرب أصل في العقيدة يعود إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، ومجيء الإسلام كان البيئة التي ساعدت على التعزيز والتعميق. وربما تُجيبنا الآيات من سورة آل عمران عن علاقة الناس بسيدنا إبراهيم، قال تعالى:)يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ، هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ(، ثم إنّ الجوانب البيانية التي احتفظ بها الخطاب القرآني كانت جاذبا قويا لإيمان الناس، هذا الجانب الذي يدخُل في الدراسات القرآنية في باب إعجاز القرآن الكريم، ولأنه باب فريد فقد فضّلت بعض الدراسات أن تقرّر أنّ "قليل القرآن وكثيره سواء في مسألة الإعجاز" مما يجعلنا نقرّ أيضا أن الإسلام لا يُفرّق بين حجم الدواعي قليلة كانت أم كثيرة، في ظلّ حرصه على إصلاح العقائد وصلاح المجتمع. "واشتمال آياته على أسباب الإيمان دافع للأخذ بها والحرص على ثمراته"

يكثر الاستدلال في مقام أسباب الإيمان ودواعيه مراعاة الآيات التي تُخاطب العقل والفكر، وإن تكن الآية التالية دليلا مادحا لحسن توظيف العقول في قوله تعالى:) إِنَّ فِي

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(، فإن الآية التالية دليل يـذمُّ مـن الناس من لا يتدبر ولا يتفكر، قال تعالى:) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(

وعليـه فدواعي الانتساب إلى الإسلام خالصة له فحسب، لا يشترك فمعها دين آخر إلا التوحيـد القاسم المشترك بين الأديان، ولا تـزال خصائص الدين الإسلامي تجلب المنسبين الجدد من ديانات أخرى لما وجدوا في الإسلام من مزايا وميزات.

الهوية والانتماء في الدراسات القرآنية وعلاقتها بالقرآن الكريم:

لا تزال المداخلة تؤكد أن موضوع الانتماء إلى الإسلام يشكّل عائقا واضحا أمام الأجيال الحاضـرة التي تعاني أزمة فهم خانقة، ولأسباب كثيرة يبدو هذا الانتماء كالعقدة في أذهان الكثيريـن، لذلـك تركز الدراسات القرآنية في حلولها على الخطـاب القرآني الذي لم يطلب كبـيرا من المنتمين إلى الإسلام، فحين تكفّل الله تعالى بحفظ هذه الهوية في قوله تعالى:") يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(، طلب من الناس الانتماء إلى الإسلام والالتزام به في قوله:) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُـوَ فِي الْآخِـرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(، وفي ظل اجتهاد الدراسات القرآنية في تعزيز الانتماء إلى الإسلام تستصحب في ذلك تلك الآيات التي تنبذ التقليد كقوله تعالى":) بل قالوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَـا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِـمْ مُهْتَدُونَ (، وتحذِّر في ذات الوقت من الاتباع الخاطئ كما في قوله تعالى:") يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَـنْ يَتَوَلَّهُـمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُـمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِـينَ (، وتشجّع النظر في أصول الهويـة الإسلاميـة كقوله تعالى:) ثُـمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّـةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا(، وقد جاء التنبيه إلى هذه الهوية الحنيفية بهذا التدليل والتذييل في مواطن عديدة في القرآن الكريم.

من جانب آخر تحاول الكتابات الاجتماعية المعاصرة أن تثبت فروقا بين الانتماء الوطني والانتمـاء الدينـي بمفهومه الواسع، وهـو منهج لا نستغربه في ظل سعي هـذه الدراسات إلى إلغـاء الديـن وفصله عن واقـع الناس، وهي في نظـر دراسات الفكر الإسلامـي من أساليب تفشي العلمانية وتمكُّنها ، ولا يمكننا إنكار تلك النجاحات التي حققتها هذه الكتابات خاصة

وهـي "توحي بـأن كل مجتمع يريد أن يصـل إلى ذروة التقدم وسنام النهضـة عليه أن يخلع عـن عنقـه كل ديـن، وكل قيمة تربطه بالدين، فمـا المثل وما المبادئ إلا كلمـات قديمة اتسم صحابهـا بسمة الجمود والرجعيـة والتحجر" ووجدت في واقع بعض المجتمعات حتى العربية منها مساحة شاغرة غفل عنها أهل الإسلام.

وإلى جانـب الكتابـات الإسلامية كانـت الدراسات القرآنية حريصـة أيضا على تقديم رؤيـة موزونة للحياة في ظل الآيات القرآنية، جاعلة الانتماء مسألة دينية أيضا، وموضّحة أنّ الديـن في خدمة الناس والمجتمـع والوطن، لذا تُفضل بعض الأبحـاث المهتمة بقضايا الهوية الإسلاميـة أن توسّـع مدلول "الانتمـاء الديني إلى مفهوم الأخوة القائمـة بين المسلمين دون غيرهم وهم على قدر واحد من المساواة رغم اختلاف البلدان واللغات والجنسيات" وقد قال تعالى:)إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(

يمكننـا البـدء في البحث عـن منهج الكتابـات القرآنيـة في تأصيلها للهويـة الإسلامية بمعناهـا الإنسـاني العقدي بقوله تعالى:)وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِـنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُـمْ عَلَـى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِـينَ(، جـاء في تفسير الطبري: يقول تعالى مخاطبـا نبيه محمد ﷺ: "واذكر يا محمد ربَّـك إذ استخرج ولد آدم من أصـلاب آبائهم، فقرَّرهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادَتَهم بذلك، وإقرارَهم به"

أمـا حديثها عن الانتماء بمعنييه الديني والوطني فبالهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنـورة، يتضح لنا هذا التشارك في قوله تعالى:)وَالَّذِينَ آمَنُـوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِيـنَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُـمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ، وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْـدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُـمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(،

وعند ابن كثير توضّح الآية أقسام المؤمنين الثلاثة، وهم: من آمن وهاجر (المهاجرون)، مـن آمن ونصر (الأنصار)، مـن أمن ولم يهاجر (بقي في مكـة)، ونفهم من خلال تفسيره للآيـة أن الهجـرة بالإيمـان اقتصت حقـا في الغنائم، والبقـاء في مكة مع الإيمـان اقتضى

النصرة في الدين" ، وهذا البيان القرآني مستلزم لأهمية الأخوة الدينية المنبثقة عن مسالة الانتماء. بل إنّ في الكتابات القرآنية ما يجعل هذه الآية من "دوافع تنمية روح الانتماء والولاء لأمة الإسلام"

من المهم الإشارة أنّ الدراسات القرآنية تناولت الحديث أيضا عن الهوية من خلال آيات العقيدة، لذا سيكون الحديث هنا عن الجانبين معا، ولذا فكثيرا ما نقرأ في الأبحاث القرآنية حديثا عن القيم المختلفة التي اهتم بها القرآن الكريم، كالقيم الفردية والاجتماعية والسياسية والأسرية وغيرها، وننتبه سريعا أن "التمسك بالعقيدة الإسلامية والانتصار لها أهم ركائز القيم الخلقية" ، وعليه فرجوعنا إلى تاريخ نشأة الدراسات القرآنية يوقفنا بقوة على العصر النبوي مرحلة نزول الوحي والتأسيس للعقائد، ويتعدى المرحلة الراهنة إلى مرحلة الاستشراف، فهذه الدراسات التي انطلقت باسم علوم القرآن ثم تطوّرت إلى التسمية الحديثة بدأت بالتأسيس للعقائد من خلال القرآن الكريم ثم وصلت إلى محاربة الدعوات المعادية للعقيدة عن طريق تجديد مناهج التبليغ بما يوافق القرآن والسنة.

ثم إنّ الدراسات القرآنية إذ تجعل من القرآن الكريم مصدرا في التحليل فإنها لم ولن تتأثر بالمناهج المعاصرة بل تتلائم معها "وتتفاعل مع مختلف المستجدات الزمانية والمكانية شأنها شأن الدراسات الأخرى، كما أن حيويتها تدفعها إلى مواكبة مختلف الظروف" ، لذا نعتقد بجزم أن اهتمام الدراسات القرآنية بالقضايا المختلفة كالعولمة والتكنولوجيا والاستشراق والإعلام والمناهج والبرامج والآليات ...وغيرها يهدف إلى الحفاظ على الهوية بأبعادها الاعتقادية، بدليل التوجيه القرآني لمختلف هذه المسائل، وجميعنا يدرك أن القرآن الكريم بكل آياته وسوره إن لم يعالج مسألة الاعتقاد بطريق مباشر دلّل عليه بطريق عير مباشر،

يهمُّنا التنبيه إلى ضرورة التفريق بين نوعين من الدراسات القرآنية، نوع لا يخرج عن الدائرة المتفق عليها في الحفاظ على الأصول وقد يختلف في فرعيات التخريج، ونوع لا يهتم للأصول ولا للنتائج المتوصل إليها، ويُنسب للدراسات القرآنية خطأ وتجاوزا وهو النوع الذي يُسهم بعلم أو دون علم في تهديم الهوية واستهوان الانتماء،.فبعض الدراسات التي تتناول

حديثا عن القصص القرآني مثلا وتوصّلت إلى نتائج لا يوافقها عقل ولا نقل" لا يمكننا التسليم بتصنيفها إلى المكتبة القرآنية، فالقصص القرآني برمته كما يحمل حقائق تاريخية وآدابا تعليمية يحمل أيضا تثبيتا للعقائد والإيمان.

من أحسن ما تميّزت به الدراسات القرآنية المتفق على انتسابها للحقل القرآني هو اجتهادها في توظيف كل آية يمكن أن يُسهم فهمها في إثبات أصول العقائد، ونكاد في هذا الشأن لا نجد فرقا بين الكتابات المصدرية والمرجعية الحديثة إلا في المنهج والأسلوب، وعلى اختلاف مناهجها واجتهادها في إثبات عالمية القرآن تجعل الآيات العقدية في مقدمة كل مواضيع القرآن في إثبات الأبعاد الواقعية" لآيات الذكر الحكيم.

كثيرا ما يأتي الحديث عن الهوية والانتماء في نوع آخر من الدراسات القرآنية وهي المصنفات التي تُعالج مشاكل الأمة في العصر الحديث، والتي عادة ما تجتهد في تقديم التصورات والحلول، وإذ شكّلت مادة معرفية مهمة للمداخلة فلأنها تقترح نقطتين مهمتين في التعزيز الذي نصبو إليه، من خلال نوعين من الانتماء، أولاهما ثلاثية معتبرة ودقيقة، وهما:

" - الانتماء المبدئي الأعلى والأهم هو الانتماء إلى الإسلام: دينا ومبدأ ونظاما.

- الانتماء الاجتماعي الأعلى والأهم هو الانتماء إلى الأمة الإسلامية أو جماعة المسلمين"

ويجعلنا هذا نفهم أن الدراسات القرآنية لا تعتبر مسألة الانتماء قاصرة على جانبها التنظيمي المدني، بل في جانبها العقدي أيضا، وتستصحب في ذلك بعض الروايات التي تُشير إلى الهجرة من مكة غلى المدينة، وبغض النصوص التي تُبين الحزن الذي امتلك النبي عليه الصلاة والسلام وقت مغادرته لمكة، وفي الجانب المقابل لإثبات الجانب العقدي للانتماء تبرز المدينة المنورة أو يثرب آنذاك موطنا لنصرة الدين الجديد الذي يدعو إلى التوحيد.

المبحث الثالث

خصوصيات وثوابت الانتماء إلى الإسلام من خلال الدراسات القرآنية :

لا يمكننا إنكار مختلف الهويات المجتمعية التي لا تسعى إلى إثبات وجودها فحسب، بل إلى اجتذاب الناس إليها، ولأن الإسلام هو الدين الأكثر استهدافا فإنّ أهله هم الجنس الأكثر تضييقا ومحاربة،و سنجد في بعض الدراسات الحديثة ما نطمئنُ إليه في الدليل، ذلك أنّ "استعادة المسلمين لهويتهم وانتمائهم القرآني لم تغفل عنه الحركات المناوئة كالشيوعية والصليبية والصهيونية واعتبرته أكبر الأخطار ، واتجهت بقوة إلى تحريك قوى التغريب والغزو الثقافي عن طريق آلة الاستشراق والتنصير"

ولأن هذه الحركات تدعي قيادتها الحضارية والإنسانية فمن المهم التركيز في هذا المبحث على هذين الجانبين وبيان منهج الدراسات القرآنية في إثبات وتعزيز الانتماء من جانبيه الحضاري والإنساني، ومحاولة ربط ذلك بالخصوصيات المميّزة للانتماء القرآني.

أكّد القرآن الكريم منذ بدايات نزوله على مقاصده العالمية والإنسانية، ولأن العقيدة هي أهم مرتكزاته فقد لجأت الدراسات القرآنية إلى تحليل مختلف الأساليب التي جاء عليها خطابه، وتؤكد أنّ أساليب آيات العقيدة قد جاءت على وجه من "السهولة خالية من التعقيد ملائمة للفطرة الإنسانية" ،وفي ذات الشأن تظهر الأبعاد الإنسانية للهوية والانتماء في "واقعية الإسلام في التربية بمقومات ثلاثة، وهي الهداية للتي أقوم، والترغيب والترهيب" ، حتى إذا تتبعنا سبل الهداية وطرقها وجدناها ترتبط وثيقا بدواعي الانتماء، وذلك هو الإقناع الفكري الذي اعتمده القرآن في خطابه، بحيث "تستخدم فيه الحجج والبراهين العقلية والحسية والوجدانية، والمؤثرات النفسية، كالخطابة، والشعر، والحكم المأثورة، والأمثال، والتشبيه والتمثيل، والقصص التاريخية، وعرض النماذج الحسية من الواقع الكوني.."

ولأن القرآن الكريم هو منهج الحياة الإنسانية فقد التزم "عقد الوحدة بين الأفراد الإنسانيين، المنتمين إليه، المؤمنين بعقائده، المسلمين لأحكامه وشرائعه، في أوامره ونواهيه،

بمجموعة من الروابط أهمها: الوحدة الفكرية الاعتقادية، ووحدة مصادر التشريع وأسس التصور لمفاهيم الحياة، التي تشمل الجوانب الإنسانية المختلفة. ثم وحدة العناصر الأساسية والرئيسية لمناهج السلوك في الحياة" .وبالنظر إلى مجمل هذه المعطيات يمكننا أن نُعلن أن مسألة الانتماء إلى الإسلام هي الاختيار الأنسب والأصوب في حياة الناس، ونطمئن في ذلك إلى الأبحاث القرآنية التي" تعتبر الجوانب الإنسانية الخالدة في الإسلام هي الأقوى والأجمل بين مختلف الأديان"

من المهم في هذا الموقف بالضبط الإشارة إلى تعزيز الانتماء في نفوس الناس بهذا الدين، فالقرآن الكريم يتعدى مرحلة الانتماء إلى الاعتزاز وهو الضابط المانع من الردة، قال تعالى :) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(، وقد أشار أهل التفسير إلى أن الآية تشير إلى أبي بكر الصديق رضي الله وعنه في قتاله لأهل الردة، لكن مدلولها لا يمتنع حصوله في أي زمن لصلاح الدين لكل زمان ومكان، كما أن الآية تدلُّ على تزكية النفوس وتؤكد عدم اقتصارها "على ميادين النفس فقط بل تمتد لتشمل جميع الأبعاد الإنسانية النفسية والعقلية والجسمية" وكلُّها مؤثرات مباشرة في مسألة الهوية والانتماء.

حين نقرأ هذه الطائفة من الآيات القرآنية كقوله تعالى:")كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(وقوله:) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(وقوله:)وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(وقوله:)وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(وقوله)كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(، وقوله:)قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ(، وقوله:)ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(، وقوله:)إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(، ننتبه إلى إمكانية اعتبار المنهج القرآني في بناء العقل والفكر الإنساني من الخصوصيات والثوابت الحضارية في مسألة الانتماء، وقد اجتهدت بعض الكتابات الإسلامية في تحديد أسس هذا المنهج في ما يلي: "الأساس الأول: الالتزام بمبدأ الاستمساك بالحق، ومحبته والعمل على نشره، والتبرؤ من الباطل وكراهيته ومصارعته والعمل على قمعه وإزهاقه.

الأساس الثاني: الالتزام بمبدأ فعل الخير، والعمل على نصره ونشره، وترك الشر والعمل على خذله وقمعه.

الأساس الثالث: العالمية والشمول.

الأساس الرابع: المثالية في العقائد والأهداف والغايات، والواقعية في الأعمال ومناهج الحياة"

وفي بعض الكتب المهتمة بالثقافة الإسلامية ما يُشير إلى أن إدراك هذا "المنهج لا يتأتى إلا للإنسان السوي البصير الذي يُعمل العقل فيعلم الحق ويوقن به، وأن الجاهل الذي يعطل عقله فلا يعلم ولا يهتدي، هو الأعمى المطموس البصيرة، المشلول الإدراك" بدليل قوله تعالى:) أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنمَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنمَّا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (

قد ينفعنا الاستدلال على التوظيف الجيد للعقل في إدراك الهوية الإسلامية بتلك الكتابات الحداثية الموصوفة عند المختصين بمحاولات طمس معالم هذه الهوية من خلال تسميات التنوير والتجديد، لذا طرقوا أبوابا فصل فيها الشرع الخنيف كتحرير المرأة، والذي شكّل محورا مشتركا بين الكتابات الغربية المعادية للإسلام والتي استنتجت خطأً أن "الإيمان والعقيدة ليس لهما أهمية بالنسبة للمرأة بحيث يتم استعبادها بالخضوع والاستسلام" ، وبين الكتابات العربية التي ينتمي أصحابها إلى أمة الإسلام أو هكذا يبدون، وهم بهذه الدعوة إذ "يستهدفون تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم، فقد أحدثت دعوتهم هذه تدهورًا مريعًا في الآداب العامة"

وبالرجوع إلى تاريخ الإنسان سندرك أن المرأة تحررت مرة واحدة بنزول القرآن الكريم الذي كفل لها الحقوق وأقرّ لها الواجبات، بل سندرك أيضا بطلان هذه الدعوة وزيف هذا المصطلح الذي يوهم بظلم القرآن للمرأة وتقييدها، كما اجتمع هذا المصطلح مع غيره ضمن مساحة معتبرة من المصطلحات التي تم اقتراضها من المجتمعات الغربية وحاول أصحابها إسقاطها على المجتمعات الإسلامية دون مراعاة خصوصياتها، وكعادتها فقد انبرت الدراسات القرآنية تكشف زيف مدلولها بالرجوع إلى آيات الذكر الحكيم. وعن طريق الاستقراء كان قوله تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (، دليلا كافيا في "نهي القرآن عن استعمال وتوظيف المصطلحات الموهمة بالمعاني السيئة، فكان من مقاصده صيانة اللسان عن الألفاظ التي يمكن أن تشكّل انحرافا في المستقبل أو تحمل هذا الانحراف في لحظتها الزمنية، كما أمر بهجر الألفاظ التي من شأنها فتح المجال أمام إشاعة الفساد"

من أهم الخصائص التي تميّز بها المعتزون بهويتهم والمنتمون إلى الإسلام أو أمة الإسلام بدقة تلك الخاصية الموسومة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ(، قال القرطبي في تفسيره: "فَجَعَلَ تَعَالَى الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ أَخَصَّ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَرَأْسُهَا الدُّعَاءُ إِلَى الْإِسْلَامِ" ، ومن الضروري التنبيه إلى ارتباط هذه الخاصية بالمقصد الأسمى للدين لتشكل بمجموعها ثلاثية إسلامية لها اعتبارها في تعزيز الهوية الإسلامية وهي الإيمان بالله، ودليل ذلك قوله تعالى:) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ(وفي بعض الدراسات القرآنية جاء "تأخير الإيمان بالله في الآية جاء لبيان جلالة هذه الخاصية وأن الإيمان لا يُصان إلا بهما"

إن حديثنا عن مسألة الخصوصيات منطلق أساسا من خصوصيات هذه الأمة، المستأثرة بالقرآن الكريم وبالنبي الكريم وبالبيئة واللسان العربي، وعليه فالخصوصية الثقافية للمجتمع الإسلامي لم تكن في حسبان أبناء الإسلام قبل أعدائهم، وما الكتابات الحداثية التنويرية إلا دليلا لهذا الطرح، ومن المُفيد أن نقرأ ما احتفظت به بعض الكتابات عن علاقة الخصوصيات الثقافية بالانتماء في لفتة معرفية مهمة، حيث اقتنعت في سطورها: " أن خصوصية المجتمع الإسلامي نابعة من دين لم يضعه إنسان في زمن مضى ومكان آخر، بل أنزله خالق هذا الإنسان تاما كاملا من خلال كتاب أنزله الخالق على من اصطفاه من خلقه، - عليه الصلاة والسلام - فجاء كاملا لكل من يبحث عن الانتماء الباعث على السكينة والطمأنينة ....ولذا جاءت الأحكام التي تقود إلى هذه المفاهيم فير مخلة بعمارة الأرض وتنمية الاقتصاد والخوض في السياسة وتعاطي الفكر والثقافة والأدب، من منطق المنتمي الذي يبني"

المبحث الرابع

تعزيز الانتماء في ضوء الأبعاد الروحية والإيمانية :

لا يمكننا الجزم أن الدراسات القرآنية قد أنهت مهمتها التنبيهية والدعوية إزاء الكتابات الجريئة المختلفة، خاصة مع عدم إعلان هذه الأخيرة التوقف عن مضايقة الدين الإسلامي والمنسبين إليه، وعليه فلا تزال الجهود قائمة في سبيل تحقيق بعض ما سنذكره من الأبعاد الكفيلة بتعزيز الانتماء وتعضيد الهوية وعناصرها كالعقيدة واللغة، ومن بينها:

- تحقيق مدلول العزة :

بعض الكتابات القرآنية تعتبر "العودة إلى الإسلام من أقوى العناصر في تعزيز الهوية الإسلامية" ، ولا سبيل في نظرها إلى هذا إلا بالعزة التي أشرك الله تعالى المؤمنين فيها في قوله:)وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ(، كما اجتهدت في التفريق بين ورود العزة في هذا الموضع الدال على "الاشتراك في نفس العزة التي هي في حق الله تعالى القدرة والغلبة، وفي حق الرسول عليه الصلاة والسلام علوّ كلمته وإظهار دينه، وفي حقّ المؤمنين نصرهم على أعدائهم" ، وبين المواضع التي جاءت فيه العزة لله تعالى وحده لا شريك له في قوله:) فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا(، وقوله:)إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (، وقوله:)فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا(، بحيث "أراد به العزة الكاملة كعزة الإلهية، والخلق، والإماتة، والإحياء والبقاء الدائم"،وغيرها

- تعزيز التعامل بلغة القرآن :

باعتبارها عنصرا مكوّنا للهوية، ولعلاقتها بالعقيدة والتوحيد، ولعلنا هنا نكتفي بما ذكره شيخ الإسلام بما يُفيد المعنى الذي ندللُ له، قال في الفتاوى "يحتاج المسلمون إلى مَعْرِفَةُ مَا أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْفَاظِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِأَنْ يَعْرِفُوا لُغَةَ الْقُرْآنِ الَّتِي بِهَا نَزَلَ "لُغَةَ الْقُرْآنِ الَّتِي بِهَا نَزَلَ وَمَا قَالَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَسَائِرُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَانِي تِلْكَ الْأَلْفَاظِ فَإِنَّ الرَّسُولَ لَمَّا خَاطَبَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَرَّفَهُمْ مَا أَرَادَ بِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ وَكَانَتْ مَعْرِفَةُ الصَّحَابَةِ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ أَكْمَلَ مِنْ حِفْظِهِمْ لِحُرُوفِهِ وَقَدْ بَلَّغُوا

تلْـكَ الْمَعَانيَ إلَى التَّابعينَ أَعْظَمَ ممَّا بَلَّغُوا حُرُوفَهُ فَـإنَّ الْمَعَانيَ الْعَامَّةَ الَّتي يَحْتَاجُ إلَيْهَا عُمُومُ الْمُسْلمينَ مثْلَ مَعْنَى التَّوْحيدِ وَمَعْنَى الْوَاحدِ وَالأَحَدِ وَالإيمَانِ وَالإسْلَامِ وَنَحْوِ ذَلكَ"

ـ تعزيز التعليم الإسلامي:

جـاء تركيـز الكتابات القرآنيـة في معالجة هذا المحـور على الآيات الدالـة على أصول العقائـد ومبـادئ الشريعة وقواعـد الإيمان، وهي المحـاور التي ركّزت عليها القـوى الغربية الفكريـة كالاستعمار والتبشير والعلمانية من أجل السيطـرة على العقل الإسلامي وتحويره، ومع الاحتفاظ بسهولة الأصول العقدية في الإسلام لاشتمال القرآن الكريم على أدلة صريحة يقينيـة، فيلزم الانتباه أيضا أن هذه الأصول أيضـا تعرّضت للتعقيد وولّدت اللبس في العديد مـن المسائل، لذا نقـرأ في بعض المصنفات الإصلاحيـة والمهتمة بالقرآن الكـريم أن "فساد التعليـم الإسلامـي قد أفضى بالمسلمـين إلى خفاء عقيدة التوحيـد بالإعراض في بيانها عن آيات القرآن النيرة الواضحة إلى اصطلاحات علماء الكلام المعقدة"

ـ تعزيز الإعلام الإسلامي التربوي:

في ظـل النجاحـات التي حققها الإعلام المضلّل في مختلـف المجتمعات عن طريق الدَّس للعقيـدة الإسلامية مـع الدعم المادي والمعنوي الـذي يلقاه من المغرضـين، فنعتقد أن وجود إعـلام إسلامـي وتربـوي في المقابل يُقزّم مـن شأن هـذه النجاحات عن طريـق التصحيح والتربيـة، وبالرجـوع إلى آيات الذكر الحكيم واجتهـاد الدراسات القرآنيـة في توضيح هذه المسألـة تجذبنـا سورة النحل بطائفة مهمة مـن الآيات توضّح المهمـة الإعلامية التي لأجلها بُعث الرسل والأنبياء، وننتبه إلى هذا حين نقرأ جميعا قوله تعالى:) يُنَزِّلُ الْمَلَائكَةَ بالرُّوحِ منْ أَمْره عَلَى مَنْ يَشَاءُ منْ عبَاده أَنْ أَنْذرُوا أَنَّهُ لَا إلَهَ إلاَّ أَنَا فَاتَّقُون (، وقوله) فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إلاَّ الْبَـلَاغُ الْمُبـينُ(، وقوله)وَلَقَدْ بَعَثْنَا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنبُوا الطَّاغُوتَ(، وقـد جاء في بعض الأبحاث المهتمة بالإعلام الإسلامي ما يلي: "لم تر البشرية وسيلة إعلام تحلت بالعصمة، وتخلصت من الوصمة، كما رأت في القرآن العظيم"

إذا جمعنـا بـين مختلف الآيـات القرآنيـة الإعلاميـة في مناهج الأنبيـاء وبين الخطب النبوية التي ألقاها النبي عليه الصلاة والسلام، لأمكننا اعتبارها مسالكا يتعزّز بها الإعلام

الإسلامي، وهي بمجموعها تُشكّل "معالما بارزةً لمقومات منهج الخطاب الإعلامي الإسلامي الـذي يخدم الأمة الإسلامية والمجتمعات الإنسانية وللنظـام الإعلامي قاطبة" ، وإذا أردنا توطيـد العلاقة بين الإعـلام والتربية فليكن القـرآن الكريم هو الجامع لاستمـال آياته على الأمريـن، وقد اعتبرت الأبحاث القرآنية التفسـير الموضوعي المساحة الكفيلة باستقراء هذه الآيات وتحليلها على وفق ضوابطه وشروطه، ولا تزال بعض هذه الكتابات تحتفظ في دعوتها إلى "تأهيـل الدراسـات القرآنية وتصحيـح مسارها بالاعتماد على أصـول التربية القرآنية وأصـول الإعلام الإسلامي والمستمدة من هدايات القـرآن الكريم" ، كما يمكننا الانتباه إلى دعـوات أخرى تعتبر التفسـير الموضوعي العمدة في "إظهار حيويـة وواقعية القرآن الكريم، باعتبـار صلاحه الزماني والمكاني، وتكون موضوعاتـه قابلة للعرض في صورة علمية واقعية، ومُساهمة في مناقشة القضايا والمشكلات الحية" .

- تعزيز الثقافة الإسلامية :

تميلُ بعض الكتابات الإسلامية إلى اعتبار القرن الرابع الهجري الفترة الزمنية الحرجة التي شهدت "نضج الثقافة الإسلامية وزوال الخلافة الراشدة في آن واحد" ، وعليه نفهم قوة الجذب الذي تعرّضت له الثقافة الإسلامية عبر العصور، وإنقاذها من المخاض الصعب كلّف الأبحـاث القرآنيـة زمنا ثمينا فاجتهدت في تقديم التصـورات التعليمية في مختلف الأطوار، وقبلهـا عملت على تأكيد أسبقية علماء الإسلام إلى إقرار نظريات العلم النظري والتطبيقي معـا، وافتكت بفضل دقتها اعترافـات بهذا كالذي نقرأه في العبـارة التالية: "إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا العلم للثقافة العربية بأكثر من هذا، إنه يدين لها بوجوده نفسه"

تدفعنـا دواعي الانتمـاء السالفة الذكر بقـوة إلى تثمين خصائص الثقافـة الإسلامية "كظهورها موضع ثقة كاملة غير خاذلة، وكمال تصورها للحياة والإنسان،و بثها لروح التميّز في الأمـة الإسلامية..." ، وهي خصائص لا تُعيـق في الاقتناع بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي "وضع الإنسان في مكانه الصواب والمناسب" ، وأن الهوية الإسلامية هي الأكثر نجاحا وتمكّنا

وعلى كثرة الاجتهادات التي وصلت إليها الدراسات القرآنية في مجال الحفاظ على الهوية وصونها فإنّ تنوُّعها أيضا يشكّل تميّزا يجب الانتباه إليه، فقد سطّرت لنا آثارا في المجالات التالية:

١ ـ آثار الاهتمام بالهوية في العقل:

يظهر العقل في مواطن عديدة مسؤولا عن مصائر الناس وموجّها لتصرفاتهم، وعليه تتعدد أساليب إعلاء شأنه في الكتابات القرآنية التي تولي للعقل مكانة مهمة كما نفهمه من العبارة التالية : " حين تقرأ قاموس الكتاب المقدس لا تجد فيه كلمة (العقل) ولا في معناها من أسماء هذه الغريزة البشرية التي فضل الإنسان بها جميع أنواع هذا الجنس الحي كاللب والنهى، لا لأن هذه المادة لم تذكر في كتب العهدين مطلقا بل لأنها لم ترد فيها أساسا لفهم الدين ودلائله والاعتبار به، ولا أن الخطاب بالدين موجه إليه، وقائم به وعليه، وكذلك أسماء التفكر والتدبر والنظر في العالم التي هي أعظم وظائف العقل." ، وهذا التميز كفيل بالاعتزاز بالهوية الإسلامية والانتماء للدين الإسلامي.

٢ ـ آثار الاهتمام بالهوية في الروح:

منذ نزول القرآن الكريم لم يغد للمادية أي دور في المكانة الاجتماعية للإنسان، وعبر آيات وأحاديث كثيرة تظهر الجوانب الروحية واحدة من المكونات الرسمية للنظام الإسلامي إضافة إلى "الجوانب النفسية والوجدانية والأخلاقية لتسير الحياة على أتم وجه بما يتلائم مع نضوج العقل البشري"

ولا تختلف بذلك الروحيات عن العقليات في التمييز بين علة شأن الناس واستفالهم، أما العقليات فقد سبقت الإشارة إليها، أما الروحيات فهي التقوى في التعابير الحديثية ودليلها الحديث المروي "عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ "، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ...." ، أما في القرآن الكريم فقد أعلن القرآن التقوى فرقا قويا بين الشعوب والقبائل الإنسانية في قوله تعالى:")يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ

ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(، وهذا الفارق مهم أيضا في اعتزاز المسلم بهويته الإسلامية.

٣ ـ آثار الاهتمام بالهوية في النفس:

فد يكفينا في الاستدلال على هذا باليقين الذي تصل به النفس للإيمان، ويبدو واضحا من خلال الاستقراء أن التقليد أو عدم اليقين بالعقيدة يكون سببا في الانسلاخ من الدين وترك الهوية، لذا يُحيل الاستدلال في الأبحاث القرآنية بقوله تعالى:) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ، وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ(. يُحيل عندها ـ إلى "أنَّ النفس التي تسارع إلى الاعتقاد من غير دليل سابق، ولا فحص لقول لاحق من شأنها أن تقع في الخطأ، وإذا أصرت بعد البيان كانت في ضلال وأصابها الصمم عن الحقائق، والعماء عنها"

بهذه الصورة إذا اجتهدت المداخلة في توضيح بعض الآثار التي تسوقها الأبحاث القرآنية في مسألتي الانتماء والهوية، وقدّمت مجموعة من النقاط تعتقدها مناسبة في عملية التعزيز على النحو الذي يُحافظ على القيم الفردية والجماعية والإنسانية.

الخاتمة والتوصيات

في ختام هذه المداخلة المعنية بمسائل الهوية والانتماء يلزمنا التأكيد أن الدراسات المعرفية المختلفة ورغم اجتهادها المشهود في خدمة العلم والمعرفة، فإنّ أكثرها دقة وموضوعية هي تلك الأبحاث القرآنية الدقيقة التي تُحسن توظيف النص، كما تُحسن استخلاص النتائج، ولا يمنع هذا الإطراء استبعاد الكتابات المنسوبة إلى المكتبات القرآنية التي تلوي عُنق النص فتحّله ما لا يُطيق، أو تسوقه على مناهج غريبة عن شريعة الإسلام لتصل بذلك إلى نتائج لا تؤيد نظريات طائفة فكرية واحدة أو أكثر من مجموع الناس.

لقد عملت الدراسات القرآنية على إثبات مكانتها ضمن المنظومة المعرفية من خلال إسهامها في تقديم حلول للعوائق التي تعترض الإنسان والعالم أجمع، وتوسيع نطاق الاستلال يُلزمنا اعتبار فقه الأحاديث النبوية ضامنا لجوانب حياتية عديدة.

من أبين ما ننتبه إليه في الآيات القرآنية المرتبطة بتعاملات الإنسان أن القرآن الكريم إذا أراد التنبيه إلى إحدى مشاكل البشرية وتقديم حلولها لا يلجا إلى توظيف الألفاظ الجارحة، بل يحافظ على نسقه البلاغي بألفاظ قد تعتريها شدة.

إن الاتفاق على اعتبار القرآن الكريم دستورا ومنهج حياة الناس يستلزم الاقتناع بدقته وعمق آياته في تجاوز النظر السطحي، وقد أثبتت الدراسات القرآنية أن الخطاب القرآني إذ يحتمل مختلف الطروحات والتصورات فهو لا يقبل إلا الصائب منها.

يمكننا من خلال الجمع بين مختلف محاور هذا المؤتمر اعتبار الدراسات القرآنية من أهم الدراسات المعرفية اهتماما بالإنسان، وهي الكفيلة بحل مختلف المشكلات الاقتصادية والسياسية والاعتقادية وغيرها، والحق أنّ توزيع المؤتمر لهذه المحاور وإسناد مسؤولياتها للدراسات القرآنية يؤكد عالمية الخطاب القرآني وصلاحه لكل زمان ومكان، وبقائه حلا قائما ودائما لمختلف الموضوعات والمشكلات.

لا تفوتنا فرصة التأكيد على استمرار جهود الكتابات القرآنية في تشخيص واقع الناس، وحرصها على تقديم حلولها من الكتاب العزيز، كما يُمكننا أن نُعلن باطمئنان أن قلّة الاهتمام بمسائل العقائد والهوية والانتماء ولّد فشلا ذريعا في المنظومة الأخلاقية لبعض المجتمعات العربية والإسلامية، كما نعتقد أنّ الانتماء والولاء للأوطان لا يُعارض الولاء والانتماء للدين، بما يُحافظ على سلامة الإنسان، وقد اتفقنا جميعا أن القرآن في خدمة المسلمين والناس. وقد امتلأت المكتبات العربية والإسلامية بالعبر والعظات التي اشتملت عليها الهجرة النبوية في سبيل نصّرة الدين، ونعتقد بجد أن اللجوء إلى توسيع نطاق البرامج التعليمية الخاصة بالهوية والانتماء يضمن الوطن والدين معا.

مصادر البحث ومراجعه

١. القرآن الكريم:

المصادر:

٢. ابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرنؤوط وآخرون، حَدِيثُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الحديث رقم٢٣٤٨٩ مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ج٣٨،

٣. الطبري أبو جعفر ، جامع البيان في تأويل القرآن تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج١٠،

٤. المودودي أبو الأعلى ، المصطلحات الأربعة في القرآن، تقديم، محمد عاصم الحديد، تخريج محمد ناصر الدين الألباني،

٥. محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م

٦. أبو الفدا ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠، ١٩٩٩م، ج٤

٧. القرطبي أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ج٤،

٨. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق، عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد للطباعة والنشر، السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ج١٧،

المراجع:

٩. أبو زهرة محمد بن أحمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي،

١٠. اوكين، سوزان موللر ، النساء في الفكر السياسي الغربي ترجمة إمام عبد الفتاح غمام،

مكتبة الأسرة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥،

١١. جاسم ين محمد بن المهلهل الياسين، الهوية الإسلامية، شركة السماحة للطباعة والنشر، الكويت، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م

١٢. جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، تحقيق عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت،الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ

١٣. الهيثم زعفان، المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية، مع إشارة تحليلية لأبرز مصطلحات الحقيبة العولمية، مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م

١٤. الزرقاني عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطلعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ج١،

١٥. الميداني عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، دار القلم- دمشق، الطبعة: الأولى المستكملة لعناصر خطة الكتاب ١٤١٨هـ-١٩٩٨م،

١٦. الميداني عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ، كواشف زيوف، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م،

١٧. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، ط٤، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

١٨. متولي تامر محمد محمود ، منهج محمد رشيد رضا في العقيدة، دار ماجد عسيري، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م،

١٩. مسلم مصطفى ، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م،

٢٠. المبارك محمد ، الوحدة الإسلامية، الدامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١٠،

٢١. الميداني عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير - الاستِشراق - الاستعمار ، دار القلم – دمشق، ط٨ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م،

٢٢. المطيري عبد المحسن بن زبن بن متعب ، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن

الرابع عشر الهجري والرد عليها، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٢٣. بن عبد الله مصطفى ، الدراسات القرآنية في عصر العولمة، أبحاث المؤتمر الدولي حول دور الدراسات الإسلامية في المجتمع العولمي، آكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا،

٢٤. نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

٢٥. بن نبي مالك ، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠،

٢٦. السباعي مصطفى بن حسني ، مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م،

٢٧. السمالوطي نبيل ، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م،

٢٨. سعيد بن علي ثابت، الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ

٢٩. عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، قسم التفسير وعلوم القرآن،كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا) ، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م،

٣٠. عمر العرباوي الحملاوي، الاعتصام بالإسلام، مطبعة اللغتين، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م

٣١. عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط١٥، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤

٣٢. علي بن إبراهيم النملة، فكر الانتماء في زمن العولمة، وقفات مع المفهومات والتطبيقات، العبيكان، الرياض، ط١ ، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م،

٣٣. العفاني، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله ، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ج١.

٣٤. عتر نور الدين ، علوم القرآن الكريم، كطبعة الصباح، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م

٣٥. عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الخامسة عشرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

٣٦. عمارة محمد ، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار النهضة، مصر، ك١، ١٩٩٩م

٣٧. العمري نادية شريف ، أضواء على الثقافة الإسلامية،مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م،

٣٨. الصلابي علي محمد محمد ، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م،

٣٩. الصَّلاَّبي علي محمد محمد ، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه - شروطه وأسبابه - مراحله وأهدافه) ، مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، مصر – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١

٤٠. صبح علي علي ، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، المكتبة الأزهرية للتراث

٤١. رفاعي عاطف إبراهيم المتولي ، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، جامعة المدينة العالمية، (ماليزيا) كلية العلوم الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م،

٤٢. الخالدي صلاح عبد الفتاح ، مفاتيح للتعامل مع القرآن، دار القلم – دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣